

ديوان الشعر العربي في تشاد

جمع وتقديم

د. محمد فوزي مصطفى



ديـــوان

الشعر العربي فـي تشـاد

جمع وتقديم

د. محمد فوزي مصطفى

الكويت

2013

التزويـــد

التدقيق الطباعي

عدنـــان بلبـل الجـابـر

محمود إبراهيم البجالي

الصـف والتـنـفيـذ

قسـم الانتاج في الأمانة العامـة للمؤسسة

إخراج وتصميـم الغلاف : **محمـد العـلي**



مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

هاتف: 22430514 فاكس: 22455039 (965+)

E-mail kw@albabtainprize.org

تصديـــر

ديوان الشعر العربي في تشاد هو كتاب جمع قصائده الدكتور محمد فوزي مصطفى عندما كان يعمل أستاذًا في إحدى الجامعات التشادية، وشعراء تشاد أعدادهم كثر، ولا يقتصر العدد بالتأكيد على الشعراء الذين اشتمل عليهم هذا الكتاب، فهذا البلد من الناحية الجغرافية والتاريخية هو امتداد لمحيطه العربي الزاخر بالشعراء وإبداعاتهم.. وهو جهد يشكر عليه الدكتور محمد، إذ إن معرفتنا بشعراء تشاد، ونتيجة لظروف كثيرة، تعدّ هذه المعرفة قليلة جدًّا، مقارنة بما نعرفه عن شعراء المنطقة ذاتها إنّ في موريتانيا أو المغرب أو الجزائر أو ليبيا وغيرها من بلدان المنطقة.. فبالتأكيد لن تقلّ تشاد عن هذه البلدان في إنجاب الشعراء والأدباء.. ولكن لم يجدوا من يأخذ بأيديهم ويبرز أسماءهم وأعمالهم.

وبالاطلاع على تراجم هؤلاء الشعراء الذي ضمهم الكتاب بين دفتيه، نجد أنهم كغيرهم من الشعراء العرب، كانت لهم الاهتمامات السياسية والاجتماعية والإنسانية نفسها، ونجد كذلك قوة في هذه القصائد من حيث اللغة الراقية والتعبير الصادق وحرصهم عل انتقاء ألفاظهم ومعانيهم مما يجذب من يطلع على هذه القصائد إلى متابعة قراءتها والاستمتاع بموضوعاتها وبما فيها من معانٍ وألفاظ جميلة..

ونجد أيضًا من ناحية أخرى، التباين الجلي في أساليبها فمنها ما هو أقرب إلى النثر ولغة الخواطر منه إلى الشعر، ومنها سليم الوزن ومنها مختله، ولست

هنا معنيًّا أو في وارد التقييم النقدي لهذا الشعر، فنقده إيجابًا أو سلبًا ليس هذا مجاله.. ولكن المؤسسة عندما وافقت على طباعة هذا الكتاب فإنما تتغيّا من وراء ذلك إطلاع القراء على المجمل العام للخريطة الشعرية في تشاد والتعريف بتراجم عدد من شعرائها الذين ظهروا في فترات زمنية متباينة، وبهذا تكون المؤسسة عملت على إثراء حركة الشعر وعملت كذلك على تشجيع التواصل بين الشعراء والمهتمين بالشعر العربي ووثقت الروابط من خلال إصدار هذه المطبوعات والكتب..

فهذا الكتاب يقع ضمن الإصدارات الخاصة التي درجت مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري على طباعتها بالرغم من أن هذه الكتب لا علاقة لها بإبداعات الشعراء الذين تختارهم المؤسسة أعلامًا على دوراتها الرئيسة أو ملتقياتها الشعرية المختلفة.

وأخيرًا.. يسرنا أن نقدم هذا الكتاب لأحبائنا الشعراء والأدباء ومتذوقي الشعر في دولة تشاد الصديقة، وإلى قراء الشعر العربي ومتذوقيه في سائر أقطار الوطن العربي على ضفاف جناحيه الشرقي والغربي..

ونأمل أن نكون قد قدمنا بهذا العمل ما يفيد الناس ويمتعهم ويطلعهم على جزء يسير من الموروث الشعري في تشاد.

والله ولـــي التوفيـــق

عبدالعزيز سعود البابطين

٢ من ربيع الآخر ١٤٣٤ هـ

١٢ مــن فبرايـــر ٢٠١٣م

****

إهداء وشكر

إلى الأخلاء والأصدقاء والزملاء في تشاد، فمهما طال العهد وبعدت المسافات وأخذتنا الأيام فإن حُبّي لكم ما زال موصولاً بحبكم الجم لي، وهذه الدراسة وغيرها من دراسات سابقة من باب الوفاء لأجمل سنوات قضيتها معكم في الجامعة..

مع جزيل الشكر والتقدير للأديب الشاعر الشيخ عبدالعزيز سعود البابطين، فلولا أياديه البيضاء ما خرج هذا العمل للنور.

أخوكم

د. محمد فوزي مصطفى

جامعة قناة السويس – كلية التربية بالعريش

السادس من أكتوبر ٢٠١١

****



مدخل

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين إلى يوم الدين.

وبعد:

فهذا كتاب في ديوان الشعر العربي في تشاد، أُقدِّمه لكل قارئ وباحث بعد جهد استغرق سنوات ... ومن حُسن الطالع أن تسهم مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري – كما عهدناها دائمًا – بكل إمكانياتها المباركة في إخراج هذا العمل البكر في نوعه ليرى النور بعد قناعة تامة مني ومنها أن ديوان الشعر الإفريقي يستحق الرصد والدراسة؛ لأنه بِكرٌ وثَرٌّ.

والأمانة العلمية تقتضي القول إنه قد عقدت عدة مؤتمرات دولية[1] في تشاد عن اللغة العربية وآدابها، وقد شرفت بالمشاركة البحثية في كثير منها داخل تشاد وخارجها. لكن هذه الدراسة تنفرد بأنها لجمع ما تبعثر من نتاج الناظمين والشعراء، ووضعه بين دفتي كتاب بمنهجية دقيقة، تُشجعُ كل باحث وقارئ ومهتم بالأدب الإفريقي العربي أن يُقدم إضافة تضاف إلى إسهامات المبدعين.

---

(١) أهم المؤتمرات التي عقدت في الفترة من ٢٠٠٠ إلى ٢٠٠٤، وشارك فيها المؤلف:

- المؤتمر الدولي الأول (اللغة العربية .. الواقع والمأمول) في جامعة الملك فيصل بتشاد، أكتوبر ٢٠٠٠م.
- المؤتمر الدولي بالجامعة الإسلامية بجمهورية النيجر (من أجل أدب إسلامي فاعل ومتفاعل) في أبريل ٢٠٠٢م.
- المؤتمر الدولي بجامعة الملك فيصل بتشاد (عالمية الأدب الإسلامي) في أكتوبر ٢٠٠٣م.
- المؤتمر الدولي بجامعة أنجمينا بتشاد (الدراسات اللسانية لدول الصحراء والساحل الأفريقي) في أكتوبر ٢٠٠٣م.

وقد وجدت أمورًا كثيرة أخذتني نحو هذا الموضوع «ديوان الشعر التشادي العربي» والغوص في أنهار المخطوطات والقصائد المتناثرة، كان من أهمها أن جمهورية تشاد يتمتع سكانها بنعمة الإسلام منذ قديم الزمان. إذ يعتنق أكثر من خمسة وثمانين في المائة ٨٥٪ من سكانها الإسلام، منذ أن أشرق فيها نور الإسلام سنة ٤٦هـ، واستتبع ذلك تعلم اللغة العربية، فانتشرت حتى صارت اللغة الأولى في دستور البلاد مع اللغة الفرنسية.

فأفرز الإسلام بتعاليمه السمحة كثيرًا من العلماء والشعراء وقادة الفكر مشكاة الأمة وصُنَّاع الحضارة، ولمست هذا كله عن قرب خلال مدة إعارتي[1]. وخاصة أن الشعر التشادي ثرٌّ بموضوعاته وتشكيلاته الجمالية وتنوع مدارسه الفنية، واتجاهاته الفكرية، من أجل ذلك كله – ومن باب الوفاء للغة العربية وحماتها وكل مبدع تشادي – تَوجَّهت بكل حب فياض نحو هذا النتاج المطمور – فهو ثروة إبداعية لكل ناطق بالضاد – لجمعه ورصده وتأصيله، ولم يتم الرصد له اليوم فحسب بل منذ أن كنت أعيش معهم، ومن يومها بدأت رحلتي العلمية في التأصيل والتأليف والمشاركة البحثية في الشعر التشادي الغائب كثيرًا عن ساحتنا البحثية العربية.

وأزعم أن هذا الكتاب سوف ينقل الشعر التشادي من الضيق إلى السعة أو قل المحلية والإقليمية إلى العالمية، وفي هذا تأصيل وتشريف للحضارة العربية في قارة ثَرَّة اغتصبها المحتل وسقاها من مستنقع الفقر والجهل والمرض.

على أية حال فإن الدراسة تقوم على رصد الإبداع الشعري التشادي، إضافة إلى المنظومات، والتي تعد بداية موغلة في التاريخ لرحلة الشعر التشادي. واستطعت – بتوفيق الله – أن أرصد مخطوطات ومطبوعات وأوراقًا مبعثرة أتى على جُلِّها غوائل الزمن، لثلاثة عشر ما بين شاعر وناظم.

---

(١) أُعير الباحث من الأزهر الشريف للعمل في التدريس ونشر الثقافة الإسلامية في جامعتي أنجمينا بكلية الآداب وجامعة الملك فيصل بالدراسات العليا في كلية اللغة العربية في الفترة من سنة ٢٠٠٠ حتى سنة ٢٠٠٤م وهي فترة ثرة بالمؤلفات والأبحاث العلمية من أهمها كتاب الاتجاه الإسلامي في الشعر التشادي دراسة تحليلية فنية نقدية، ط١، ٢٠٠٣م، العالمية، مصر.

وحاولت – بكل ما أملك – أن أصل إلى نتاجهم من عدة طرق أهمها: أواصر الصداقة القوية التي حظيت بها، أو من أماكن أكاديمية موثوقة[1]، أو عن طريق المراسلات. واستطعت أن أرصد أشعارًا تشادية من شتى المدارس الشعرية، ولم أهمل نتاج شاعر، مهما كانت قيمته الفنية لقناعتي التامة أن قضاة النص والدارسين سوف يأتي دورهم النقدي، وأن مهمتي الآن تتمثل في الرصد، والتعريف بالشعراء، وتوضيح ما استغلق من ألفاظ ومصطلحات تشادية وإفريقية، وذكر المناسبات التاريخية وغيرها، ثم الإشارة إلى الموسيقى الشعرية.

وارتأى الباحث تقديم الدراسة بمنهجية تاريخية، ترتكز على سبق ميلاد الشاعر؛ لكي يتسنى للقارئ والباحث – على حد سواء – السير في هذا الدرب الجديد، ومعه خارطة شعرية، فيتعرف على كل فترة زمنية وما فيها من سمات فنية وموضوعية. وله الحق بعد ذلك بين الالتزام بمنهجنا أثناء دراسته، أو أن ينحو نحو مناهج علمية أخرى كلاسيكية أو حداثية، يُقسِّم الشعراء من خلالها أو حسب رؤيته النقدية.

لذلك أخذت بالنسق التاريخي؛ لقناعتي التامة أنه سوف يعطي صورة كاملة ومحايدة للشاعر وشعره أو قل لخط سير الشعر التشادي. أما المناهج الأخرى، فقد تتسرب فيها الذاتية، وتقديم شاعر على آخر دون قصد أو بقصد، فتقع منهجية البحث في إشكالية خطيرة.

---

(١) تم رصد ديوان الشعر التشادي من عدة مصادر وثيقة أهمها:

١- الشعراء أنفسهم إذ جمعتني بهم صداقة قوية.

٢- النادي الأدبي بأنجمينا.

٣- مكتبة جامعة أنجمينا «المعهد الوطني».

٤- مكتبة جامعة الملك فيصل «مركز المخطوطات».

٥- مكتبة القصر الجمهوري.

٦- طلاب المتريز في الجامعتين.

٧- مراسلات بين المؤلف والشعراء.

وسوف تسير الدراسة بعد هذا المدخل نحو تمهيد موجز من باب إتمام الفائدة، يعطي للقارئ والدارس – على حد سواء – إطلالة موجزة عن الحياة التشادية وتاريخ الشعر فيها، ثم تنتقل الدراسة إلى الشعراء ونتاجهم وهم كما ذكرت آنفًا أربعة عشر شاعرًا وناظمًا وكل مبدع حظي بسيرة ذاتية وردت في هامش يقع في نهاية النتاج الشعري لكل شاعر.

ومهما يكن من شيء، فإنني آمل أن تكون دراستي قد استوفت المادة المرصودة؛ لتعم الفائدة.

وأتفق مع مقولة الإمام الشافعي رضي الله عنه: «إذا رأيتم الكتاب فيه إلحاق وإصلاح فاشهدوا له بالصحة».

ولذلك أسأل الله تعالى أن يكون الكتاب كشجرة طيبة تؤتي أكلها كل حين بتوفيق الله أولاً، ثم بالرعاية الطيبة المباركة من مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين الكويتية ورئيس مجلس إدارتها الأديب الشاعر الذي لا يألو جهدًا في تقديم يد العون لمثل هذه الأعمال، وأن تكون رعايتهم هذه بداية للرصد والبحث والتأصيل لآداب قارة أفريقيا، التي نسيناها كثيرًا في الماضي، وحقها علينا أن نذكرها اليوم وغدًا.

ومازال باب البحث مفتوحًا فطوبى للداخلين، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د.محمد فوزي مصطفى

****

تمهيد: «جمهورية تشاد»

أولًا: إطلالة موجزة

يطيب لي في هذا التمهيد أن أقدم بين يدي القارئ صورة مصغرة لجمهورية تشاد، والتي اتسم ديوان الشعر فيها بثراء المضمون وجمال التشكيل. ومرد ذلك إلى تضافر عدة حيوات ساهمت في إفراز كوكبة من الشعراء ذوي الاتجاهات الفنية المتعددة.

ومن ثم رأيت من البدهي أن أقدم نبذة موجزة عن كل حياة؛ لتكون الرؤية واضحة؛ ولتتكامل منظومة ديوان الشعر التشادي العربي، وفى الوقت نفسه يمكن للباحث إصدار الأحكام النقدية بكل دقة علمية، بعد اختياره لأي شاعر، أو ملمح فني.

تقع جمهورية تشاد بين الشمال العربي والجنوب الزنجي في القارة الإفريقية، مما جعلها تتميز بنشاط واسع، وبحياة مزدهرة مع غيرها من الدول المجاورة، وخاصة الدول الإسلامية، فهي تمثل – إلى حد كبير – البوابة الشرقية لوسط وجنوب أفريقيا، إضافة إلى خصوبة أرضها، التي جذبت كثيرًا من الأجناس المختلفة فامتزج بعضها ببعض كالعرب والزنوج والنوبيين واليمنيين.

«وتمتد منطقة تشاد بين درجتي خط العرض ٨ °و٢٣ ° شمالاً، وبين درجتي خط الطول ٤ °و٢٤ °شرقًا. تحيط بها السودان في الشرق، وليبيا في الشمال، والنيجر ونيجيريا والكاميرون في الغرب، وأوبانجي في الجنوب.

وتبلغ مساحتها ١،٢٨٤،٠٠٠ كم٢، وتختلف فيها الفصول اختلافًا بينًا، وهي تتقلب بين رطبة ممطرة إلى معتدلة، فحارة منعشة إلى حارة مفرطة في الصيف.

وتوجد فيها ثلاثة فصول فقط تتراوح حرارتها تبعًا لدرجات البعد عن خط الاستواء... الخريف، الشتاء، والصيف»[١].

وساعدت الحركة التجارية، وكثرة الهجرات، والموقع الجغرافي على قيام أبرز وأهم ثلاث ممالك تشادية «مملكة كانم، ومملكة باقرمي، ومملكة ودّاي».

وذكر المؤرخون أن مملكة كانم تنقسم إلى عصرين «العصر الكانمي، ويمتد من قيام المملكة شرقي بحيرة تشاد عام ٨٠٠ م إلى نهاية القرن الرابع عشر الميلادي... والعصر البرناوي ويبدأ من انتقال الأسرة الكانمية إلى غرب بحيرة تشاد إثر الاضطرابات والحروب الأهلية في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي إلى نهايتها في غمرة الاستعمار الأوروبي الحديث»[٢].

وسرعان ما تدهورت هذه المملكة؛ بسبب ضعف الخلفاء، والتدخل الأجنبي والفتنة الداخلية. فعندما توالت الأحداث على مملكة (كانم برنو)، وأصابها الوهن والفتنة معًا، ظهر الشيخ «عثمان دان فوديو» في عام ١٨٠٤م بحركته الإصلاحية «ونتيجة لذلك تولى الشيخ محمد الأمين الكانمي الحكم وفي عام ١٨٩٣م غزا (رابح غازي) مملكة كانم برنو وبعدها قُسِّمت أول تقسيم استعماري بين فرنسا وإنجلترا وألمانيا، وبذلك تلاشت بعد عمر دام حوالي ١٢ قرنًا من الأمن»[٣].

ومما يثير الدهشة أن هذه المملكة/ كانم على الرغم من توالي المصائب والنكبات عليها، إلا أنها ظلت محافظة على الطابع الديني، ومن استخدام اللغة العربية محادثة وكتابة «وكان ملوكها يفضلون الحج إلى الأماكن المقدسة عن طريق القاهرة، وكانت لهم علاقة وطيدة بالحفصيين في تونس والليبيين في طرابلس والمصريين في القاهرة، وكذلك بملوك مالي وكانوا يستخدمون اللغة العربية في دواوينهم والشريعة الإسلامية في محاكمهم وكان الحكم شورى بينهم، ولكن الإمارة وراثية»[٤].

---

(١) د.عبد الرحمن عمر الماحي: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت. ص١٢.

(٢) إبراهيم علي طرخان: إمبراطورية البرنوإسلامية، ط.الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥، ص٤٣.

(٣) د.عبد الرحمن عمر الماحي: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال، ص١٦.

(٤) د.أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط.نهضة مصر، ١٩٩٠م، ص٢٩٣.

ومن الممالك التشادية التي دخلها الإسلام منذ ستة قرون مملكة «باقرمي» ودخلها الإسلام في أواخر القرن الخامس عشر، وكانت تعيش في رغد وسعة من

العيش «وقد أصبحت لها حياة اقتصادية منعشة نظرًا لغنائها بالمنتجات الزراعية والثروات الطبيعية غير أنها أصيبت بالتدهور والانحطاط بسبب حروبها مع مملكة وداي من جهة، ومملكة كانم برنو من جهة أخرى... حتى اضطرت إلى طلب الحماية الفرنسية في أكتوبر ١٨٩٧م»[١].

أما عن مملكة «وداي» المعروفة الآن باسم «أبشة»، «فيبدأ تاريخ مملكة وداي الحديث من عام ١٦١٥م ومرَّ على هذه المملكة مراحل عديدة من الصراع منذ عهد «عبد الكريم بن جامع» وقد لعبت مملكة وداي دورًا كبيرًا في نشر الإسلام، وتطور اللغة العربية والثقافة الإسلامية خاصة، وفي تشاد عامة، وذلك يرجع لعدة عوامل تمتاز بها عن غيرها من الممالك التشادية الأخرى. ومن هذه العوامل: موقعها المتاخم للسودان، ومصر، وليبيا، وإن الحكام فيها كانوا من عناصر عربية يستخدمون اللغة العربية في دواوينهم الرسمية، والشريعة الإسلامية في محاكمهم المحلية، وكان لها اتصال وثيق بالباب العالي في إسطنبول عن طريق القاهرة»[٢].

وعن الحياة الاقتصادية في تشاد أزعم أن معرفة الوضع الاقتصادي في أمة من الأمم، يعطي صورة جلية للحالة السيكولوجية للشعراء، وخاصة ونحن نعلم أن جُلَّهم في كل وادٍ يهيمون، وعلى أبواب ذوي الأموال يقفون «كان التشاديون يهتمون كثيرًا بالرعي، والزراعة، والتجارة، والحرف اليدوية، والصيد البري والنهري، ولم يسلم التوسع في النشاط التجاري من الانغماس في تجارة الرقيق. وكان سلاطين كانم، وباقرمي، ووداي، والأقاليم الإسلامية الأخرى ينزلون عند بعض هؤلاء التجار

---

(١) د.عبد الرحمن عمر الماحي: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال ص١٧.

(٢) عبدالرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في غرب أفريقيا ص٧٣ نقلاً عن كتاب: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال. عبد الرحمن الماحي ص٣٠.

المصريين في أثناء مرورهم بالقاهرة، وهم في طريقهم إلى الأماكن المقدسة، لأداء فريضة الحج، إذ كانت الغالبية العظمى من حجاج غرب ووسط أفريقيا يمرون عن طريق مصر.

ويرتبط النظام الاقتصادي التشادي بالعادات والتقاليد الشائعة في المجتمع كاحتفالات الزواج والولادة والختان، والأعياد الدينية، وكذلك بالسحر والعرافة والوقاية من العين والحسد، والحياة الاقتصادية كلها في تشاد تتوقف على ما يجود به المطر[1].

وتتشكل التركيبة الاجتماعية للمجتمع التشادي من مزيج من القبائل المتعددة، والشعوب المختلفة، وكل شريحة من هذه الشرائح له تقاليده وسلوكياته، إلا أن رباط الدين يربطهم برباط قيم، ومعه اللغة العربية. وخاصة بين المسلمين وذكرت – آنفًا – أن تشاد قامت فيها ثلاث ممالك، وهذا يدل على وجود نسيج اجتماعي واحد «وكانت منطقة تشاد تضم مجموعة كبيرة من الشعوب والقبائل، وهذه القبائل والشعوب تختلف وتتباين أشد ما يكون الاختلاف والتباين لغة ودينًا وعادات وتقاليد، ويقدر عددها بحوالي (١٥٠) قبيلة تتحدث (١٠٠) لهجة محلية. ومن بين هذه القبائل نجد العنصر الزنجي، والعنصر الحامي، والعنصر السامي، وعناصر لا تزال تثير لغزًا يستعصي حله»[2].

والإسلام منذ دخوله تشاد، في القرن الحادي عشر الميلادي، ظهر أثره بصورة جلية في مظاهر الحياة الاجتماعية. فالإسلام في تشاد، يستمد رواقه من القرآن والسنة والإجماع والقياس على مذهب الإمام «مالك بن أنس» بالإضافة إلى قانون فرنسي، فرض نفسه بالقوة في عام ١٩٤٦م، لكن هذا القانون لم يلق اهتمامًا من المجتمع التشادي المحافظ «وينتشر كل من الإسلام والمسيحية والوثنية في تشاد، ويوجد ٨٥٪ من مجموع السكان يدينون بالإسلام و١٠٪ يدينون بالمسيحية، و٥٪ من الوثنيين. ويعتبر

---

(١) د عبد الرحمن الماحي: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال ص٤١.

(٢) المصدر السابق ص٧١.

الدين الإسلامي في تشاد حجر الزاوية في كل أنواع النشاط السياسي والاقتصادي، وفي كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية كالزواج والطلاق والميراث والتربية والأخلاق»[1].

وتتميز تشاد بتوفر مجموعة من المعاهد الدينية الأزهرية: كمعهد (أبشة) العلمي، ومعهد الأبرار بمدينة (سار)، ومعهد السلام الأزهري بـ (أنجمينا)، وتوج ذلك كله بافتتاح قسم اللغة العربية في كلية الآداب جامعة أنجمينا وافتتاح جامعة الملك فيصل، بالإضافة إلى آلاف من الخلوات «الكتاتيب» القرآنية، ونضيف إلى ذلك دور رجال الطرق الصوفية، من: قادرية، وتيجانية، وسنوسية...

ثانيًا: تاريخ الشعر التشادي

ترجع جذور الشعر التشادي إلى النصف الثاني من القرن السادس الهجري إذ ظهر الشعر في هذا الزمان على يد الشاعر «إبراهيم الكانمي» الملقب بالشاعر الأسود المتوفى في سنة ثمانٍ أو تسعٍ وستمائة وله أشعار قليلة تصطبغ بالإسلام، ومن ذلك قوله عند الموت[2]:

أفي الموتِ شكٌ يا أخي وهو برهانُ
فغيم هجوع الخلق والموت يقظانُ
أتسلو سلو الطير تلقطُ حبَّها
وفي الأرض أشراكٌ وفي الجو عقبانُ

وقوله في الإشارة إلى نيل المعالي بحسن الأخلاق، وتقوى الله، بغض النظر عن اللون والعرق[3]:

بكل لون ينال الحرُّ سؤدده
مهما تجرَّد من أخلاق السوء

---

(١) السابق ص٧٤.

(٢) د.محمد بن شريفة: من أعلام التواصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان، ط. منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، ١٩٩٥م، ص٣٣.

(٣) المرجع السابق ص٣٠.

والــنـــاس كـلـفـظ الــعـــود مـشــتـرك

لـكـن يــرجـــح بـــين الـــعـــود والـــعـــود

ويعد «الكانمي» البداية الحقيقية لتاريخ الشعر التشادي، لكنها انقطعت ولم يستمر عطاؤها، ولم نعرف شيئًا عن نتاجها الشعري الحقيقي، فسوف تظل علامة استفهام أمام هذه البداية الغائمة.

وما أن نصل إلى منتصف القرن الثامن عشر، إلا ويظهر في سماء الشعر الشيخ (محمد الوالي سليمان). وورد عنه ترجمة وجيزة، وبعض منظوماته القليلة كقوله[1]:

أوصــيــكُــمُ يــا مــعـشـر الإخـــوانِ

عـــلـــيـــكـــمُ بـــطـــاعــــةِ الـــرَّحــمـــنِ

إيَّـــاكـــمُ أن تــهــمـلـوا أوقــاتــكــم

فـتـنـدمـوا يــومًــا عـلـى مـــا فــاتـكـم

وإنمـــــا غـــنـــيـــمـــةُ الإنـــســـانِ

شــبــابــهُ والخُـــسْـــرُ فـــي الـــتَّـــوان

ثم تأتي فترة زمنية ثرة بالعطاء الفني، ويمكن تسميتها بفترة «اليقظة» وهذه الفترة تبدأ تقريبًا من أواخر القرن الثامن عشر من سنة ١٨٥٠م وهي فترة تأسيس مدينة «أبشة»، واستمر عطاء شعراء هذه الفترة بشكل متواصل، إلى أن وقعت مأساة الكبكب سنة ١٩١٧م، وبعدها خمدت جذور الشعر كرد فعل طبعي مؤقت.

ومن أبرز شعراء هذه الفترة رائد البعث والإحياء في الشعر التشادي «عبد الحق السنوسي»، وجلة من الشعراء كالطاهر التلبي، والرماسي بن يعقوب.

وعلى الرغم من غزارة النتاج الشعري لهذه الفترة/ اليقظة إلا أنه يغلب عليها طابع المنظومات التعليمية، وضعف التشكيل الفني، واهتزاز العمود الشعري مع غلبة

---

(١) محمد بيلو: إنفاق الميسور في بلاد التكرور. منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط ١٩٩٦م، ص٥١.

الكمية الفكرية على الكمية الوجدانية، ومرد ذلك إلى أن أكثر شعراء هذه الفترة من العلماء والفقهاء، وهذا أمر طبعي.

وثمة فترة تاريخية أخرى للشعر التشادي، يمكن أن نسميها «الرقي والازدهار»، وتبدأ بعد حادثة الكبكب سنة ١٩١٧م إلى يومنا هذا.

والمراد بالرقي، هو ارتقاء الشعر، إذ ظهر الشعراء الذين عبَّروا عن آلام أمتهم وآمالها، والعروج بها إلى سماء الشعر الأصيل.

وأعني بالازدهار، رقي الشعر التشادي من حيث البناء الفني، ثم ازدهاره وانتشاره، ليس في موطنه التشادي فحسب، بل في خارج حدوده، وخاصة في المؤتمرات الدولية. ومرد ذلك إلى بزوغ نجم كوكبة من الشعراء المحدثين، وقد تم رصد وتأصيل نتاجهم في دراستنا هذه، وهم ثمانية شعراء ويسبقهم زمنيًّا ستة شعراء، وهم جميعًا أربعة عشر شاعرًا على النحو الآتي حسب تاريخ ميلاد الشاعر:

١- **الطاهر التلبي ١٨٢٤م.**

٢- **عبد الحق السنوسي ١٨٥٣م.**

٣- **عبد الله يونس المجيري ١٩١١م.**

٤- **محمد جرمة خاطر ١٩٣٠م.**

٥- **حسين إبراهيم أبو الدهب ١٩٤٣م.**

٦- **عباس محمد عبد الواحد ١٩٤٤م.**

٧- **عيسى عبد الله ١٩٤٨م.**

٨- **عبد القادر محمد أبه ١٩٦٥م.**

٩- **عبد الواحد حسن السنوسي ١٩٦٧م،**

١٠- **محمد عمر الفال ١٩٦٨م.**

١١- أحمد عبد الرحمن إسماعيل ١٩٧٣م.

١٢- حسب الله مهدي فضلة ١٩٧٤م.

١٣- صبورة أرمياؤ محمد ١٩٨٠م.

إن هؤلاء الشعراء وغيرهم من بني وطنهم، حملوا راية الشعر التشادي فكانوا إضافة متميزة لديوان الشعر العربي، كما كانوا – من قبل- منارة لديوان الشعر التشادي، وسوف يستمر العطاء الإبداعي، وإن غاب عن الدراسة شعراء لم تتعرف عليهم الدراسة، فأزعم أنه في الغد سوف نستكمل ديوان الشعر التشادي؛ ليخرج وقد استوفى كل الشعراء التشاديين.

وعلى الله قصد السبيل ومنه التوفيق

****



الشعراء



الطاهر التلبي[1]

(١)

[الوافر]

رجـــوتُـــكَ يـــا حـــبـــيـــبَ الـــلـــه طه
تـــداركْـــنِـــي أحـــاطَ بـــيَ الـــبـــلاءُ
بـــفـــضـــلـــكَ عـــمَّـــنـــا والـــخـــلـــق طـــرًّا
وأســـعـــدهـــم وأشـــرفـــهـــم عـــلاء
فـــفـــضـــلـــك يـــا أمـــيـــنَ الـــلـــه فـــضـــلٌ
دوامًـــــا لا يـــلـــيـــقُ بـــه انـــتـــهـــاء
وجـــودك يـــا أمـــيـــنَ الـــلـــه جـــودٌ
كَـــوابـــلِ لا يـــمـــاثـــلـــه عـــطـــاء
ووجـــهـــكَ يـــا مـــلـــيـــحَ الـــخـــد شـــمـــسٌ
تـــشـــعـــشـــعُ نـــورهـــا وقـــت الـــضـــحـــاء

---

(١) الشيخ محمد الطاهر بن عيسى الملقب ابن التلبي (١٨٢٤ - ١٨٩٢)، ولد في قرية مراية والقريبة من أم التيجان بجمهورية تشاد، وكان والده من أبرز علماء عصره، واشتهر بالفقه والورع. وحفظ القرآن الكريم في طفولته بدارفور في السودان. ثم انتقل إلى اليمن، والتقى بالشيخ أحمد بن إدريس صاحب الطريقة الإدريسية، فتبحر في علم التصوف. ثم عاد مرة أخرى إلى السودان والتقى في دارفور بالشيخ محمد المختار الشريف الشنقيطي شيخ الطريقة التيجانية في دارفور، ثم عاد إلى وطنه تشاد، وأسس الطريقة التيجانية. فحياة الشيخ مليئة بالترحال والاعتكاف مع شيوخ الصوفية، لذلك فإن جُلَّ نتاجه الشعري كان في المديح النبوي وذكر معجزاته صلى الله عليه وسلم ومدح الطريقة الصوفية خاصة شيخ الطريقة التيجانية «أحمد التيجاني»، ثم باب التوسل والاستغاثة. وترك الشيخ منظومات مبعثرة وتم طباعتها بالآلة الكاتبة بعناية حفيده الحاج محمد قمر السليك، من رجال التعليم في تشاد.

لقاء تم بيني وبين حفيد الشيخ الأستاذ محمد قمر السليل في أنجمينا بحي مرجان، دفن في ٢٠٠٢/٢/٢٥م.

ولونك يا جليلَ القدر أزهرْ
كبدرٍ لا يشابهه ضياء
جمالك يا شفيعَ الخلق فاقَ[1]
جمال الكل لا فيه خفاء
نشأت منزَّهًا من غير كيفٍ
«كأنك قد خُلِقْتَ كما تشاء»
وَعِلْمك يا رسول الله بحرٌ
لأهل الأرض طرًّا والسماء
وجاهُك يا إمامَ الرسل واسعْ
عريضٌ لا يضيق بذي خطَاء
ذكِيٌّ صادقٌ من غير ريبٍ
خَيارُ الخلق محمودُ السَّخاء
صلاةُ الله مولانا دوامًا
على المختار ما دام البقاء

****

(١) تشبع القاف عند القراءة.

(٢)

[الكامل]

يا ربِّ صلِّ على الرسول الأمجَدِ
بحر الحقائق للخلائق مُرْشِدِ

بدرًا تجلَّى على الوجود بأسرهِ
وسعى على كُلِّ البرية مقعد

هو وابلٌ عمَّ الجميع بفضلهِ
ومراحمٌ شاعت بلطفِ تودُّد

هو سابقٌ، هو لاحقٌ، هو سائقٌ
هو ناطقٌ، كافي بغير تردُّد

هو شافعٌ، هو طائعٌ، هو خاشعٌ
هو نافعٌ، يعطي الجميع ويرشد

يا سيدَ الكونين طه محمد
يا من له جسمٌ يضيءُ توقَّدا

يا قائدَ الرسل الكرام بأسرهم
يا مَنْ له كلُّ الدلائلِ تشهد

لـــولاكَ مــا كـــان الـــوجـــودُ بـأسـره

أبـــدًا ومـــا نـــال الـــســـعـــادةَ مُـسْـعـد

يـــا جـسـم مـــا بـيـدي لأمـــرك حـيـلـة

لـكـــن أمـــــدُّ لابـــن أمـــنـــةٍ يـــدي

وعـلـيـك صـلـى الـلـه يـا عـلـمَ الـهـدى

وعـلـى صـحـابـتـك الـكـرام الـسُّـجَّـد

****

عبد الحق السنوسي[1]

[البسيط]

(١)

أضحى مريضًا فؤادي ناكس الراس
يبكي لفرقة أحبابي وجُلَّاسي

---

(١) الشيخ عبد الحق محمد السنوسي (١٨٥٣- ١٩١٨م) رائد البعث والإحياء للشعر التشادي الحديث، ولد بقرية ترجم التابعة لمدينة أبشة. حفظ القرآن الكريم على يد والده، وسافر إلى بلاد الحجاز للحج، ثم ذهب إلى مصر والتحق بالأزهر الشريف، وتفرغ لتدريس العلوم الدينية والعربية بأبشة، ونظرًا لمقاومته للمستعمر الفرنسي وأذنابه، فقد نال شرف الاستشهاد في مذبحة الكبكب المأساوية سنة ١٩١٧م (مذبحة الكبكب: مذبحة شهيرة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصر الحديث، ضد المستعمر الفرنسي، فأحداثها وقعت سنة ١٩١٧م في إقليم «وداي/ أبشة» وهي مدينة تقع شرق تشاد، مُتاخمة للحدود السودانية، وتعد البوابة الشرقية لشرق أفريقيا. وعندما استشعر المستعمر الفرنسي الخطر الذي سوف يلحق به من هذه المدينة العالمة المجاهدة، قام بجمع العلماء والأئمة وذبحهم بالسيوف، فصعدت أرواحهم إلى بارئها في جنات النعيم، ولكن أولادهم وأطفالهم حملوا راية الجهاد من بعدهم حتى تطهرت تشاد من براثن المستعمر الفرنسي. فالمذبحة نقطة سوداء مظلمة في تاريخ فرنسا الصليبية، وفي المقابل صفحة بيضاء من صفحات الجهاد الإسلامي المشرف في تشاد، لإعلاء كلمة الله والذود عن الوطن).

ومن أشهر قصائده «النونية الكبرى» وتبلغ نحو مائة وخمسة وثمانين بيتًا، و«النونية الصغرى» و«السينية» إضافة إلى كتب له في الاستغاثة والأوراد، وتم الحصول على نتاجه الشعري من معهد الدراسات الوطنية التابع لجامعة أنجمينا ومن مركز المخطوطات التابع لجامعة الملك فيصل؛ وعاصر الشيخ مفكرين وأدباء في مصر منهم الشيخ جمال الدين الأفغاني فاستفاد من فكره الإصلاحي، وتأثر بشاعر البعث والإحياء محمود سامي البارودي، فكانت لهذه المعاصرة أكبر الأثر في تكوين شخصية الشاعر الإبداعية، إضافة إلى الأحداث التي عاصرها. خاصة مقاومة المستعمر الفرنسي، ومحاربة البدع والجهل المتفشي في مجتمعه.

ومن مؤثرات تكوين شخصيته الشعرية أنه ينحدر من أسرة شاعرة؛ فجده لأبيه الشيخ يعقوب أبو كويسة وغيره من شعراء أبشة، وتعددت موضوعات قصائد الشيخ ما بين المديح النبوي والمديح العام والرثاء والغزل والوصف، وتتسم أشعاره بالمحافظة والالتزام بعمود الشعر، وأثَّر فيمن أتى بعده.

انظر: الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبد الحق السنوسي في دار وداي، د.محمد صالح أيوب، رسالة دكتوراه بجامعة الملك فيصل بتشاد، ط١، ليبيا.

- الشيخ عبد الحق السنوسي ومكانته الأدبية، بحث مقدم لنيل شهادة التأهيل التربوي، حبيب عمر.
- ملامح الأعمال الأدبية والأغراض الشعرية لعبد الحق السنوسي، بحث محمد الحبيب ٢٠٠١م.

تَشْتِيتُهم شَتتَّ الحاجاتِ من أَملِي

وَشَتَّت النومُ عن عيني بإخْلاسِ

فَجُلْتُ في الناسِ كي ألقى لهم بدلاً

فلم أجدْ غيرَ وسواسٍ وخنَّاس

تالله لو لم أَذُبْ من فَقْدهم كَمَدًا

ما باتَ ساقي جُفوني مُدْهَق الكَأس

وَظَلْتُ والهَمُّ مِنِّي غَولةٌ سَلَبَتْ

دِرْع اضْطِباري وعَضَّاني بِأضْراس

يا حَسْرَتِي مَنْ لِوَاشٍ رقتي أسفًا

لولاهُ ما عَزَلَتْنِي عَيْنُ حُرَّاس

يا سيِّدِي في الهوَى العُذْري مِنْ وَلَهٍ

لريم أُنْسٍ وأُسْدٍ فَوْقَ أفْراس

قد هامَ قَلْبِي لوادي أبّشَةَ[1] عَلَّ بها

خَيالَهُمْ فَوْقَ ماءِ أمِّ كامِلِ راس

إذا النَّسِيمُ عليها مَرَّ في سَحَرٍ

وعادَ يُنْشِقُنِي من ريحِ إيناس

وقد دعانِي لِنَوْح الثَّاكِلاتِ لهُمْ

داعِي هَدِيلٍ على أغْصانِ مِيَّاس

وهاجَ بُلْبُلُ أشْجانِي على شَجَنِ

ناعي إمام الهُدَى مُحَمَّد نِبْراس[2]

فَوَا لِشَمْس هدى من أُفقِها أفَلَتْ

وتلك حُجَّتُنا في مَوْكِبِ الباس

---

(١) عاصمة مملكة وداي.

(٢) وهو شيخ عبد الحق السنوسي أستاذه.

كــأنَّ فــي صــدره بُـسْـتـان مـعـرفـةٍ

سقاه مِـنْ عـين خَـضْـرٍ[1] خَـيْـر غُـرَّاسِ

فَـالـبَـحْـر مـعْ مَـدِّهِ الـسبعَ الـبِـحَـارَ نَـدَى

أَقَــلُّ مِــنْ مَــدِّه لِــزَهْــرِ قِـرْطـاسِ

يـا مـن تـطـوَّق حُـبَّ الـعِـلـمِ فَـاشْـدُ بنا

لِــسِــدْرَة الــمُـنْـتَـهَـى فـيـه مـن الـنَّـاسِ

أوراقُ كُـتْـبِ فُـنـون الـدِّيـنِ قـد ذَهَـبـتْ

مَــعْ أصْـلِـهـا وتَـحـاتَـتْ بَـعْـدَ إيـبَّـاسِ

يـا ثَـكـل أُمِّ الْـكِـتـاب فـي ابـن بَـجْـدَتِـنـا

وثــان كـفَّـتِـهـا فــي وَزْنِ قِـسْـطـاسِ

ويــا تــأَيُّم أبْــكــارِ الحَــواشِــي لـهـا

عَــنْ زَوْجِـهـا المـاهـرِ الـنُّـفـاقِ والـكـاسِ

تـالـلـه لـولا انـتِـظـامُ لِـلْـمِـثـانِـي لـهُ

مـا كـان خـالَـفَـهُ الحَـبْـرُ ابـنُ عَـبَّـاسِ

صـحـيـحُ فـنِّ الـبُـخـاري ظـلَّ فـي عِـلَـلٍ

مِـنْ بَـعْـدِهِ فَـرَقًـا مِـنْ مَـسِّ دَلَّاسِ

وفَــرْعِ غُـصْـنِ خَـلِـيـلٍ ضـاعَ مُـورِقُـهُ

وزَهْــوه بَــعْــدَهُ مِــنْ خَـبْـط هَــوَّاسِ

آلاف كُـتْـبِ فُـنـون الـدِّيـنِ قَـدْ نَـسَـجَـتْ

فـيـهـا عـنـاكِـبُ جَـهْـلٍ بَـعْـد كُـنَّـاسِ

فَـرِيـدَةُ الـنَّـحْـو والـكـافـيَّـةِ انْـطَـمَـسَـتْ

إذِ الخُــلاصَــةُ صــارَتْ ذاتَ أدْنـــاسِ

---

(١) وهو نبي الله خضر.

والشَّاطِبي لنا شَطَّتْ مسافَتُهُ
مِنْ بَعْدِهِ لَمْ يَصِفْهُ شَمُّ حُسَّاسِ

جَمْعُ الجَوامِعِ مِنْ كُلِّ الأُصولِ مَعَ الشْ
ـشَاتِين شَتَّ فُرَادَى بَعْدَ حُبَّاسِ

وكُلُّ صُغْرَى وكُبْرَى في الكلامِ لنا
مِنْ بَعْدِهِ أعْقَمَتْ مِنْ كُلِّ مِقْياسِ

وانزاحَ حِصْنُ حَصَينِ الصَّرْفِ إذْ عَجَزُوا
عَنْ وَزْن أرْكانِهِ بِمَوْتِ هِنْداسِ

لو لم يَكُنْ قُطْبُنا التجاني[1] خَلَّفَهُ
في مَنْهَلٍ لِلْوَرْدِ منه خَيْرُ رَيَّاسِ

ما كان في منواشي[2] منه مُسْتَتِرًا
بِعَيْنِ ماضي[3] ضَمِير الشانِ مِنْ فاسِ[4]

لو يَقْبَلُ الموتُ منَّا فيه ذَبْحَ فِدَا
لمَدَّ عُنْقَ فِداه كُلُّ ذي راسِ

إنَّا إلى الله إنَّا راجِعونَ لهُ
كيف المُقامُ بلا شَيْخٍ وسَيَّاسِ

يا طول نَوْحِي بَنات فِكْرَتِي أسَفا
وحُقَّ مغْها البُكا من كُلِّ أجْناسِ

ولو أتَتْ بالدُّراري في الرِّثاءِ لَهُ
لَقلَّ عَنْ قَدْرِهِ مِنْ بَيْتِ أكْياسِ

---

(١) الشيخ أحمد التجاني صاحب الطريقة التيجانية المنتشرة في حاضرة وداي.

(٢) المنطقة التي يقيم فيها الشيخ محمد أبو رأس (شيخ عبد الحق السنوسي).

(٣) مسقط رأس الشيخ أحمد التجاني ومنطقته.

(٤) مدينة فاس المغربية مصدر الطريقة التيجانية.

يـا سـيِّـدي أنــتَ فـي الـدُّنـيـا أبُــو أمـلـي

فـلا تَـكُـنْ لـيَ يـوم الـحَـشْـرِ بـالـنَّـاسـي

وابـشِـرْ بِـوَفْـدٍ عـلـى الـرَّحْـمَـن إذ سَـبَـقَـتْ

رَحْـمـاتُـهُ غَـضَـبَ الـعـاصِـي لَـهُ الـقـاسـي

يـلـقـاك بـالـرَّحـبِ والـزُّلْـفَـى مُـبَـشِّـرَةً

فـي رَوْض قَـبْـرِهِ بِـوَجْـهِ غَـيْـرَ عـبَّـاسِ

وَلَــمْ تَــزَلْ نِـعَـمَ الـرُّضـوانِ بـاعِـثَـةً

عـلـيـك مِــنْ جَـنَّـة الـمـأوَى بِـمِـقْـيَـاسـي

وَبَــرْدُ ظِــلِّ لــواء الـحـمـد يـشْـمَـلُـنـا

مَــعَ كُـلِّ أحْـبـابِـنـا مـن غَـيْـرِ إبْــلاسِ

مَــعَ الـصَّــلاةِ عـلـى الـمُـخْـتـارِ شـافِـعُـنـا

أذْكَــى سَــلامٍ لَــهُ مـن بَـعْـدِ أنْـفـاسِ

****

(٢)

[الكامل]

وَأَدِمْ صلاتَكَ للنبيِّ وآلِهِ
والصَّحْبِ كابْنِ حُصَيْنِهِمْ عِمْرانِ

سائِلْ ديارَ (أبشَّةٍ)[1] عن جيرةٍ
وارو الحديث لهُمْ عن الجُدْرانِ

وأطِلْ وقوفك لي برمل ام كاملِ[2]
نقضِي لُباناتِ الفؤادِ العاني

وأعِدْ لذيذ حديث سُكَّان اللِّوَى
مُتَسلْسِلاً لأبي زنادِ جَنانِ

وانْشُدْ هنالك عن فُؤادِي ذَابلي
أسَفَا بِمَنْزِلِ زَهْرَةِ النِّسْوانِ

مَغْنًى فَقَدتُ به غُصُون فرائدٍ
تهتزُّ في وَرَقِ الحريرِ القاني

من كلِّ بَرْقاويَّةٍ[3] في خَلْقِها
حُسْنٌ وليست من ذوي الإحسانِ

إذْ حلَّلت سَفْكَ الدماءِ بِسِحْرِها
وقَضَتْ به جَوْرًا على الشُبَّانِ

---

(١) عاصمة مملكة وداي.

(٢) مسطح مائي يرتاده الناس للتزويد منه، ويقع الآن داخل أبشة.

(٣) يعني الفتاة البرقاوية إلى وداوية.

وَامْـرُرْ على السُّوق القديم وقِفْ بنا

نبكي ليالي يوسُفِ السُّلْطانِ[1]

أيامَ كان اللهوُ ديني والهَوَى

شُغْلِي ولا لِيَ لائِمٌ أو شانِ

والعيشُ رغدٌ بين أُنسِ (غزائلي)

وأُسُودِ غابٍ لِيَ مِنِ الخُلَّانِ

أكْرِمْ به مَلِكًا عَهِدت كأنه

بدرٌ توسَّطَ هالَةَ السُّودانِ

فاعْكِفْ بمنزِلِهِ ونُخْ وانْدُبْ بِهِ

ذهَبَ المجالِسِ وانْتِزاهُ لِمانِ

أسَفًا لفقد بنيهِ إبراهيم أو

عبدِ العزيزِ وعابِدِ الرَّحمانِ

وأذوبُ إنْ ذَكَروا خميسَ سَلامِهِ

بعد الجُزولِ أو السَّنُوسي الثَّانِي

ذهب الكِرامُ فما تراهُ وفرَّقوا

من بعدِهِمْ شَمْلي على البُلْدانِ

وغَدَتْ أضاليلُ المُنَى تَحْكِي لنا

أخبارَهُمْ عن كاذباتِ أمانِ

وسَرَى النَّسيمُ على رُسُومِ ربوعهم

وَهنًا يُناوِحُ ناعيَ البُنيانِ

وحَكَى عليَّ إشارةً من عِلمِهم

سِرًّا فَنَبِّه واسِنَ الأحْزانِ

---

(١) السلطان يوسف، صديق وجليس الشيخ عبد الحق السنوسي.

فَسَلَكْتُ نهجَ الناعياتِ هَديلَها
وكما تُناشِدُ لاعبَ الأغْصانِ

وَصَحِبْتُ سِرْبَ الثَّاكِلاتِ وجِيدَها
لِيلاً بها ضَرْبٌ من الهَذَيانِ

ورجوْتُ دُولابَ الزمانِ لعلَّهُ
يأتي بهم فبِمُطْلِهِ أغْيانِي

يا صاحبي آن الفِداءُ فأسْعِدا
دَمْعي فإن لم تُسعِدَا فَذَراني

فلقد دَعاني للبُكاءِ مُغَرِّدٌ
سِرِّي الخفيُّ وسِرُّهُ سِيَّانِ

عَرَف السُّجُوعَ ولحْنَهُ فلطالَما
غَنَّى فأغْناني عن الألحانِ

وإليك عنِّي يا عذُولُ فإنَّني
قد كُنْتُ في شانِي وأنتَ بشانِ

إن كُنت لم تدرِ الغرامَ وأهْلَهُ
سلني فإنِّي قَيْسُهُ اللُّبنانِ[1]

لم أصحُ مِنْ ثَمَلي براحِ (قولهم)
إلا إذا ذُكِرتْ لي الحَرَمان

بَلَدٌ بأبْطَحِهِ تَجِدْ أُمَّ القُرَى
في بيته المعمُور رَبْعُ أَمَانِ

أكرِمْ بها من حُرَّةٍ مَحْروسةٍ
لَبِستْ شعارَ شقائقِ الإيمانِ

---

(١) قيس بن ذريح، المعروف بقيس لبنى.

وتبرقعتْ بالدِّينِ تَحتَ مَلاَءةٍ

مَضْرِيَّةٍ زُرَّتْ بشاد رَوانِ

فلقد جَعَلْتُ لها رُوحِي فِدًا

من بعدِ جَعْلِ دمي من القُرْبانِ

لم أنس وُدَّ أحبَّةٍ لي عِنْدَها

يُنْسِيكَ باقِلُهمْ[1] زَكَى سُحْبانِ[2]

من كُلِّ سُنِّيِّ الطريقةِ لم يَدِن

بِغُلُو قِسيسين أوْ رُهْبانِ

كُلُّ الليالي لي بهم قَدَرِيَّةٌ

واليومَ عيدٌ والرَّبيعُ زماني

يا سُوءَ حظٍّ عنهُمُ قدْ عاقنِي

إذ حصَّبُوا وسروا مع الرُّكْبانِ

وإلى العقيقِ بهمْ حَدَا الحادي فيا

بُشْرَى لواءٍ أبْرَكِ الوديانِ

يَهْنِيهُمُ بوصالهِ لُقْيا قُبا

وقُبابُهما مرفوعةُ التيجانِ

وإذا البلادُ كأنَّ كُلَّ جِهاتِها

لَبِسَتْ بُرُودَ شَقائِقِ النُّعمانِ

وإذا البِقاعُ كأنَّما انتشرتْ بِها

حَصْباءُ دُرٍّ من عُقُودِ جُمْانِ

---

(1) واحدًا من أحمق العرب.

(2) أفصح رجل من العرب.

مـا كـانَ أحْـلَـى صَـوْتُ ساجِـعِها إذا

هــو مــن ثَـنِـيَّـاتِ الـــوداعِ دَعـانـي

وأنـــاخ بــي بمــديـنــةٍ سـبـئِـيَّـةٍ

رجــعــتْ أيـاديــهـا بـكـلِّ مـكـانِ

فـسـألـتُ أُحْــدًا عـن حـديـثِ مُـحـبِّـهِ

فـــرأوْه مُـطَّـرِبًـا مــن الأشـجـان

إذ قــال هــذا رَبْــعُ عَــزَّتــهِ فَـنُـخ

وأطِـــلْ بُـكـاك لـبَـيْن أهـلِ الـبـانِ

والـثـم ثــرى أثـارهـا ثـم اعـتـنـق

حـورًا وولــدانًـا مــن الـسُّـكـان

فـي ظـل طـوبـى مـسـجـدٍ لـو شِـمْـتَـهُ

لـوجـدتـه إرمًـا بـنـاهـا الـبـانـي

قـد أسَّـسَـتْـهُ يـدُ الـتُّـقَـى فـي روضـةٍ

أضـحـى بـهـا دِهْـلـيـزُ سَـبْـعِ جِـنـانِ

حـيـثُ الـنـبـوةُ والـرسـالـةُ والـهـدى

فـي قُـبَّـةٍ رُفِـعَـتْ عـلـى الـعـدْنـانِ

بـيـتُ الـقـصـيـدِ وجـيـدُ دُمْـيـة قَـصْـرِهِ

ومُـديـرُ دَوْلَـةِ كُـورةِ الأكْـوانِ

وجـديـرُ رُسْـلِ الـلـهِ مِـسْـكُ خِـتـامِـهِمْ

وَمُـحِـيـطُ سَـبْـعَـةِ أبْـحُـرِ الـعِـرْفـانِ

مـا لـلـوسـيـلـةِ والـشَّـفـاعـةِ والـلِّـوَى

إلا ابــنُ بَـجْـدَةَ حَـضْـرَةَ الـدَّيَّـانِ

رفعتْ عنايةُ ربِّهِ ذكرَى اسمه

معهُ بعرْشٍ منارِ كلِّ أذانِ

إذْ شُقَّ من معنى اسْمِهِ علَمًا له

وبنى عليْه دعائم الأدْيانِ

فاعْجبْ لأغْيدِ خَلْقِهِ فكأنما

ولدتْه من بين الورى القمَرانِ

وكأنَّ يوسفَ[1] عاد في حدثٍ وقدْ

تَمَّتْ لنظم جمالِه الشَّطْرانِ

فلِذا استقلَّ البدرُ قَطْعَ يدٍ له

وأتى بشقٍّ جبينهِ المُزدانِ

وأتى لهُ الإنجيلُ قبْلُ مُبَشِّرًا

بقميصِ بعْثتِهِ مع الرُّهْبانِ

والجنُّ غنَّتْ إذ روَتْ أخبارَهُ

مَسْنُودَةً بمدارسِ الكُهَّانِ

لم تَدْرِ أن الدَّهرَ كان له أخٌ

حتى أتى فتثلَّثَ المَلَوَانِ

والدِّينُ أصبح في العرائس ضاحكًا

للشِّركِ عند جنائزِ الأوثانِ

وعيونُ فارسَ انْشِقَتْ إذ أُخْمِدَتْ

نيرانها بتشقق الإيوانِ

والمُوبذانُ رأى الخيولَ بدَجْلةٍ

ورأى هِرَقْلُ الرومِ مُلكَ خِتانِ

---

(١) يوسف عليه السلام.

والضبُّ قام مَقام قُسٍّ قبلَهُ

فحكى الخطيبُ به رِفاقَ بيانِ

ومن السما تَبعثُهُ رِدْءُ غَمَامَةٍ

في الأرْضِ فيْءٌ مالَ عن أفنانِ

والذِّئبُ ظاهرَهُ فأرْشدَ راعِيًا

ورعى له غَنَمًا بشرطِ ضَمَانِ

ووَفَى الغزالُ له بشرطِ ضمانةٍ

والفحلُ خَرَّ بسجْدَةِ الإذْعانِ

والجِذْعُ حَنَّ مع الفراغِ لأجلهِ

وأتَتْهُ أشجارُ بطوْعِ عِنانِ

لو قابلتْ مِرْآكَ طلعةُ وجهِهِ

لرأيتَ شَمْسَ السَّعدِ في إنسانِ

ومكارم الأخلاقِ عِقد سنًا لهُ

نظمتْه في خَيْطِي هما الفَجْرانِ

وحوى بأبْجده الخصالَ جميعَها

وتوارَدْت بحروفها الثَّقَلان

من لي بنفحةِ نظْرةٍ وَهْبيَّةٍ

في روض وجْهٍ زاهر البستانِ

ذا شَجَّةٍ يَظْمَا الفؤادُ لها فيلـ

قاها هلال الفطرِ في رمضانِ

هو رحمةُ اللهِ التي قد أُرْسِلَتْ

للعالمين بها يدُ الرحمانِ

وخيـارُهـمْ كـالـرُّسـلِ والأمـلاكِ لـلـ

خُـلُـق الـعظيم لـهُ ابـتـدَا عُـنـوانـي

إذ جـاءت الـتـكـويـرُ فـي تـكـويـرهـم

فـلـهُ أتـت مـن بـعـدِ سَـبْـعِ مـثـانِ

تَـبَـع الخـلـيـلَ بـجِـلَّـةٍ فـي مِـلَّـةٍ

وازداد كـأسُ مَـحَـبَّـةِ الـمَـنَّـانِ

وانْـشَـقَّ مِـنْ ذاك الـتـجلِّـي قَـلْـبُـهُ

وتـعـبُّـدًا غـسَـلَـتْ لـه الـمَـلَـكـانِ

وعـلـى الـسَّـمـا تـتـرى فـسـوَّى خَـلْـقَـهُ

رُتَـبَ الـكـلـيـم مـع الـوراءِ الـدَّانِ

وَرَقَـى وجـاوزَ عَـرشَ فَـرْشَ الإسْـتـوا

وَدَنـا بـقـابِ الْـقُـرْبِ أيِّ تَـدَانِ

مـا زاغ مِـنْـهُ ولا طَـغَـى بَـصَـرٌ لَـهُ

عـن نَـظْـرةٍ مـن غـيـر كَـيْـفِ عَـيَـانِ

كـلاَّ ولا كَـذَبَ الـفـؤادُ بمـا رأى

طِـبْـقًـا لِـعَـيْـنـي رأسـهِ الـرُّوحـانِ

إذ ذاكَ طـود الـصَّـدر مِـنـه وخـرَّ جسـ

ـمُ كَـلـيـمِـهِ وبـقـيْ إذًا نُـورانِ

وانْـزاحَ مـعْ جـسـم الـفـنـا ظـلٌّ لـه

كـتَـثـاؤبٍ وتـنـاثـرُ الـذُّبَّـانِ

والـنَّـوْمُ والأضـغـاثُ مـن أحْـلامـهِ

ورأت لـه مِـنْ خَـلْـفِـهِ عـيـنـانِ

فكأنما نَجْمُ السماء على العُلا
والناسُ نَجْمُ الماءِ ذُو الخيلانِ
ومتى تُحدِّثْ عن يديه مِنَ النَّدَى
حَدِّثْ بلا هَرَجٍ هُما بَحْرانِ
فلذا ارْتَوَتْ منه الألوفُ وسَبَّحَتْ
حُوتُ الحصى من نهر كُلِّ بنانِ
لو وافَقَتْ سَعْداك يَوْم عطائِهِ
لَطَوَيْت سيرةَ حاتمِ العُرْبانِ
إذ صَبَّحتْ في الرَّكْبِ منهُ سَحَابَةٌ
هَطلتْ لهم مِنْ وَبْله النِّسْيانِ
قَلَبَتْ على الأحياء حَبَّ غَمَامها
ذَهَبًا وحُمْرَ النِّعْمِ والقُمْصانِ
من بعد ما انْقَلَبَتْ على أعْدائه
خَمْسُ السَّحائبِ مِنْ حَميمٍ آنِ
أَوْ صادَفَتْ لُقْياك يَوْم لقائِهِ
لَعَدَدْتَ عَنْتَرَةً مع الغِرْبانِ
ووجدت عَين شجاعَةٍ وجَراءَةٍ
في وَجْهِ ضِرْغامٍ بسِرْج حصانِ
ووجدت أبنا مكَّةٍ أوْ قَيْلَةٍ
مِنْ دُون بيشتهِ أسُودَ طِعانِ
أظفارُهُمْ خِطِّيَّةٌ أنْيابُهُمْ
مِنْ كُلِّ مَخْنِيِّ النِّصالِ يَمَانِ

زَرُّوا دُروعًا مِنْ ثِياب أراقِم
حَلَقَاتُها مَكْروهَةُ الألوانِ

ما شأنَها جرُّ الذُّيولِ ولا اشْتِما
لُهُمُ، بهِ الصَّمَّاءُ في المَيْدانِ

يَتَلمَّطونَ تَلَمُّطَ الأفعى إذا
أخَذَتْ جهازَ الحَرْبِ والعُدْوانِ

يا يَوْمَ بَدْرٍ إذ أبُو الأشبالِ قد
لاقاهُمُ فيه ضَوالُ الضَّانِ

وبكُلِّ شِبْلٍ هِمَّةٌ منها يَرَى
كَبْشَ الكتيبةِ أهونَ الخِرْفانِ

ما قال قائلُهُمْ كما قالتْ لِمُو
سى[1] قَوْمُهُ اذْهب أنت غَيْرُ معانِ

إذْ كُلُّ قِرْنٍ منهم طالوتُ بعـ
ـد النهر تحت سكينةِ اطمِئنانِ

فتبادرتْ جِدَةٌ لهم وتخاطفتْ
أيتام أفْراخٍ على الكُثْبانِ

وتلاعَبَتْ أيْدُ البلا برؤوسِ مَوْ
تاهُمْ وبالأسرَى من الفيرانِ

وجرى وَلِيدُ الكَلْب منهُمْ بَعْدما
وسَمُوهُ في خُرْطومِهِ لِزَبانِ

سبق اللَّعِينُ مُعَوذيهِمْ إذْ أبُو
جَهْلٍ لَهُ انْطَحَنَتْ بهِ السِّيفانِ

(١) نبي الله موسى عليه السلام.

وغَشَى أبو القَلْبَيْنِ مكةَ سائلاً
عنها ضحًّى وبِكَفِّهِ النَّعْلانِ
وإلى المدينةِ عادَ في غاباتِهِ
وثباتُهُ لَيْثُ العرينِ الجَانِ
قُلْ للمنافِقِ ذي المُحاوَلةِ اقتَصِرْ
يا ناطح الصَّخَراتِ من ثَهَلانِ
بحث اليهودُ بظلْفِهِمْ عَنْ حتفهم
لحديث كُلِّ خُرافَةٍ مُجَّانِ
من ماءِ أمْنٍ طار طائرُ شُؤْمِهِمْ
لِسَرابِ أحْزابٍ على قِيعانِ
نزلوا وحطَّ البَدْرُ حالة خَنْدَقٍ
حُرِسَتْ لِشُهُبِ لَواحِظِ الغَيْلانِ
فتطاير الغِرْبانُ عنه وخَلَّفوا
خُلَفاءَهُمْ في الشِّدق والأسْنانِ
بضراغِمٍ من فِتْيَةٍ لم يَشْفِهِمْ
إلاَّ ولوغٌ مِنْ دَمِ الشُّجْعانِ
وَجَوارِحٍ في خَيْلِهِم ما هَمُّهُمْ
إلا تَصَيُّدَ ماردِ الفُرْسانِ
نصبوا شباكَ دُرُوعِهِمْ إذْ زَرَّرُوا
شَرَكًا لِنَقْصِ كواسِرِ الأقْرانِ
فَنَجا المنافقُ نافِقاهُ إذ رأى
شَجَرَ القَنا أزْهَتْ بِسُمْرٍ لَدانِ

وأُبَـــيٌّ أولادَ الـنَّـعـامـةِ إذ رأى

لَـدَغَـتْـه رُمْــحٌ مـن فَـمِ الـثُّـعْـبـانِ

أَفَـــدي الحُـدَيْـبـيَّـين يـوم تـبـايعُوا

بـتـلاً عَـلَـيْـهـا سِـلْـعَـةُ الـرِّضْــوانِ

لـم أنــسَ مِـنْـهـم لَحـفـةً فـي عَـقْـبَـةٍ

مــا كـــان بـانـيـهـا أبـــو غـشـيـانِ

كـــلاًّ ولا فـتـحٌ بمـكـة إذ مَـشَـوْا

بِـــعَـــرَمْـــرَمٍ مُـتَـخِـمِّـسِ الأرْكـــانِ

رَفَـعـتْ لـدى نَـصْـرٍ لـهُ يَـدُ سَـعْـدِهِـمْ

فـمَـحَـتْ بمـا خَـطَّـتْ يـدُ الـدَّبَـرَانِ

وبـنـاتُ نَـعْـشٍ جَـهَّـزَتْ جيش الـصَّبَا

مـعـه وطـــار بَـغَـى لــهُ الـذُّسْـرانِ

وســـرتْ بــهِ شـهـرًا فَـفـتَّـح رُعْـبُـهـا

أبــــوابَ مـكـةَ مـــعْ أبــي سِـفْـيـانِ

لا تحْـك مَـعْـهـا مـن سُلَـيْـمـانَ الـرَّخَـا

مــا سُــخِّــرَتْ إلاَّ عـلـى الحَـمْـلانِ

إذ لــم يـكـن وَأدٌ لَـــهُ وجـنـود وا

دي الـنـمـل مـثـل الجَـحْـفـلِ الـظُّـهُـرانِ

جـبـريـلُ مــن قُـــوَّاد عَـزْرائـيـل من

عُــرَفَـائـهِ مِـيـكـالُ فـي الأعْـــوانِ

تـالـلـهِ لَـوْ أبْـصَـرْتَ تُـبَّـعَ قـوْمـهُ

والـقُـلَّـق الـشُّـعَـرا مـع الـنُّـعْـمـانِ

ورأيتَ حَطْمَ خُيُولِهِمْ وصهيلِهِمْ

في اللَّيْلِ نَقْعُ تحتَ شُهْبِ سِنانِ

ورأيْتَهم في زاهدٍ مِنْ بينِهم

لَحَسِبْتَ نُوحًا جاءَ بالطُّوفانِ

وبخالدٍ صاحتْ حَمِيرُ كَدًى وقد

فَرَّتْ لِوَرْدِ القَسْوَرِ العَطْشانِ

أما الحُجُونُ فَما بِهِ من نابحٍ

للأرْقطِ الزُّهْلول ذي الجِرْوانِ

بل قابلوهُ مُسَخَّرِينَ وفَوْقَهُمْ

مِن داميات الشِّعْرِ صَوْتُ لِسانِ

حتى اسْتغاثوا منه بالْقربَى فقد

وجدوه يُوسُفَها مع الإخْوانِ

فَرِحَ الحَطِيمُ بِحَطْمِهِمْ هُبَلَ البَلا

وَدَمُ ابْنُ خَطْلٍ ظَلَّ في القُضْبانِ

والحقُّ جاء مع النَّبِيِّ لبيتِه

والباطلُ انْزَهَقَتْ به الرجلانِ

وإلى حُنَيْنٍ حَنَّتِ العَضْبا بِهِ

إذ جاءَها كالعارضِ الهَتَّانِ

فتوهَّموهُ مُمْطِرًا فتعرَّضُوا

فَبِحَتْفِهِ رجعوا لدارِ هَوانِ

مَن بعدهُ ألقَى الحصَى مِثْلِ العَصَا

منهُمْ تلقَّف إفْكَ كُلِّ جبانِ

وسبا سبايَاهُمْ ولكِنْ رَدَّها
بِرًّا لِظَنْرٍ فيه ذات حنانِ
ونيامُ طائِفُهم أتاهُمْ طائِفٌ
منهم فأصْبَحَ كالصَّريمِ العاني
وإلى المدينةِ عاد في غاباتهم
بَدْرًا تَعلَّى قَلْعة السُّلْطانِ
أنصارُه كانوا شِعارَ وقايةٍ
لدثارِ كُلِّ مُهاجرِ الأوْطانِ
قومٌ إذا شاهدتهم أيقنْت أنْـ
ـنَهُمُ نُجُومُ هِدايةِ الحَيْرانِ
ووجدت كُلَّ خليفَةٍ منهُم كذي الـ
قَرْنين أوْ ذي الكِفْل أو لُقْمانِ
يا سيِّد الكَوْنينِ والثقلين في الدْ
دَارين يا بـا قاسِمَ الدَّيانِ
فبحقِّ صدِّيقٍ وفاروقِ الهُدَى
وأبَي التُّرابِ وجامعِ القرآنِ
والآلِ والأصْحابِ والأزواجِ والْـ
وأولادِ والأسباطِ لا تنْساني
أو تجْعَلَنِّي عَبْد حقٍّ جنايةٍ
فيما جنَى بلْ قُمْ بفكِّ رِهانِ
حاشَا سَخاك يَرُدُّ وجهَ تَطفُّلي
عن فَيْضِ فضْلٍ مالهُ طَرَفانِ

أو أن يَضِيقَ نداك بي لو أنَّ لي
عَرْض السَّماءِ وأرْضها كَفَّانِ
وجميل ظنِّي فيك أكَّدَ لي الرَّجَا
بل قد قَضَى لي فيكَ بالإيقانِ
ما كانَ أحْسَن لَوْ قَبِلْتَ قصيدتي
وعدَدْتني مَعَ كَعْبِ أوْ حسَّانِ
وجَعلتَ جائزتي إليكَ شفاعةً
مِنْ كُلِّ ذنْبٍ لي ومَنْ والاني
ولئِنْ بُليتُ لشُؤم ذنبٍ عاقني
أو سوء حَظٍّ من نَداكَ ثَناني
فمتى سألْت اللهَ إلْحافًا به
فَعَرِيضُ جاهك فيه لوْ عاطاني
يا ربَّنا يا ربَّنا يا ربَّنا
يا رَبَّ كُلِّ فُلانَةٍ وفُلانِ
فكما بلا سبَبٍ مَنَنْت بِنِعْمَة الـ
إيمانِ فَامْنُنْ معهُ بالغُفْرانِ
وكما أمرْت بسِتْرِ عورة مُسْلمٍ
أسْدِلْ لنا سِتْرًا وحرْزَ أمانِ
وكما تُحِبُّ العَفْوَ فاعفُ جميعَ ما
منَّا عَلِمْتَ وخَطَّهُ المَلَكانِ
وكما نَدَبْت إلى العِتاقِ تَشوُّقًا
فاعْتِقْ وأسْقِطْ كُلَّ ذَنْبٍ جانِ

لــولا رجـــاؤكَ كـــان قُــبْــحُ ذنـوبِـنـا

نَمْـشِــي عـلـى جُــرُفٍ مِــنَ الخِـــذْلانِ

لـكـنَّ رَحْـمَـتَـك الـتـي سَـبَـقَـتْ لنا

بـالْـفَـضْـلِ نَـرْجـوهـا رجـا الـظَّـمْـآنِ

فــانْــظُــرْ لـنـا مـنـهـا بـعـين عِـنـايـةٍ

تُـنـجـي مَـسَـاعـيـنـا مــن الحِـرْمـان

وتَــلــقَّــنــا فـيـهـا بـصـالـح تـوبـةٍ

تمـحُـو دفـاتـرنـا مـن الـعِـصْـيـانِ

واسْــبــغْ لـنـا مـنـهـا بـأطـيـبِ عِـيشَـةٍ

مَــرْضِـيَّــةٍ مَمْــزوجــةٍ بـحـنـانِ

وارْدُدْ بـهـا عَـنَّـا الحَـواسِـدَ والـعِـدَى

فــي كَـيْـدِهـم بـالـسِّـرِّ والإعْـــلانِ

وابــعِــدْ بـهـا عـنَّـا الـهـوى وجُــنـودَهُ

كـالـنـفـس والـشَّـهـواتِ والـشَّـيْـطـانِ

واقْـــضِ لـنـا عـمَـلاً وعِـلْـمًـا نـافِـعًـا

مِــنْ كــأس حَـضْـرة قُـدُسِـك الـمَـلآنِ

واخـتـم لـنـا مـنـهـا بِـأسْـعَـد خـاتَمٍ

يمـشـي بـآخِـرِنـا عـلـى الإيمـــانِ

واحْــضِــرْ بـنـا فــي مـوتـنـا وبـقـبْـرنـا

وبـنـشـرِنـا والحـشـر والمـيـزانِ

وأجِــزْ بـنـا فـيـهـا الـصِّـراط كَـلـمْـحةٍ

مــن فَــوْق كُــلِّ قـنـاطِـرِ الـنِّـيـرانِ

وبـهـا ارْوِنـــا مـن حــوضِ أكْــرم مُــرْسَــلٍ

وادْخُــــــلْ بـنـا فـيـهـا بِــعَــدْنِ جِـنـانِ

واكْـشِـفْ لنـا عـنْ حُـسْـن وَجْـهِـكَ عِندها

فـــي ظِـــلِّ قُـــرْب الــــرَّوحِ والــرَّيْـحـــانِ

واشْــمَــلْ جـمـيـعَ أصُـولِـنـا وَفُـرُوعِـنـا

والــصَّــحْــبِ والأشــيـــاخ والإخــــوانِ

واقْـــرا الــســلامَ مــعَ الـصــلاةِ لأحـمـدٍ

والآل والأصْــحـــابِ مَــعْ عُــمْــرانِ

مــا دام قَــــدْرُكَ بــالـكَـمـالِ مُـتَـمِّمًـا

وتـعـاقـبـتْ بِـخِـتـامِـه الــمَـلَـوَانِ

****

عبد الله يونس المجيري[1]

(١)

[الطويل]

أيا من لهم في الأمر عهدٌ تقدّما
ومن بين أبناء البلاد تزعّما

وكان لهم في مجلس الحكم نائبٌ
يُمثِّل سُكان البلاد معظما

أخلّاء صدقٍ لا إذا ما تشعبت
(عليك أمور ظل يَلحاك لائما)

إذا ما بدا بالأصدقاء تخاذلٌ
ومن بينهم حبل الوصال تصرّما

وأفشى قرين السوء سر قرينه
وسِرٌّ خِيار الأصدقاء مُكتما

إذا فيكما إن قلت لست مبالغًا
بأنكما نعم الصديقان أنتما

بمثلكما يا مصطفى ومحمد
تخفُّف أثقالُ الصديق إذا انتمى

لأنكما كالمنهل العذب سائغًا
مريًّا لأبناء العشيرة فيكما

(١) عبد الله يونس المجيري (١٩١١ - ١٩٧٨)، شاعر تشادي ولد في أبشة من أب ليبي الأصل، ومن أم تشادية، وسافر إلى مصر، والتحق بالأزهر الشريف، ونال الشهادة الجامعية سنة ١٩٤١م ثم مارس الأعمال التجارية، بالإضافة إلى ممارسته للنشاط التعليمي في أبشة، وله قصائد معدودات لم تطبع بعد.

وكــان لـذيـذ الـطـعـم كـالـشـهـد شـافـيًا

يـطـيـب ولــلأعــداء داء وعـلـقـمـا

ولا خــاب مــأمــولٌ لـمـن جــاء قـاصـدًا

مـن الـنـاس إلا عــاد بـالـفـضـل منكما

وإنّــــي عـلــى مــا نـلـتـه مُـتـواتـرٌ

تَـفـجُّـر شـعـري بـالـثـنـاء عليكما

نـشـأتم عـلـى المـجـد الـتَّـلـيـد وراثـةً

ومــن طــارق المـجـد المـأثَّـل نلتما

صـبـوتم إلــى حـسـن الـثـنـاء بـهـمـةٍ

وكــان لـكـم مــن أوفـــر الـحــظ فـزتما

تــــدوم لأبــنــاء الـعـشـيـرة مـلـجـأ

يـعـد لـهـم فـي حـالـك الـدهـر مغنما

وإنــي لأرجــو أن تـحـيـطـوا شـكـايتي

بـشـيءٍ مـن الـعـطـف الـذي شـاع عنكما

نـظـيـرًا لمـا لاقـيـتُ مـن ظـلـمِ جـائـرٍ

تـصـرَّف مـغـرورًا لـئـيـمًا تحـكّـمـا

تجـنَّـى عـلـى مـا يمـلـك الابـن يـونـس

ثـلاث مـلايـين مـن الـنـقـد أمّمـا

وأودعـــه سـجـنًـا عـلـى غـيـر مـوجـبٍ

بـه صـار مـوقـوفًـا كـمـن كـان أجـرمـا

فـلا عـاش مـيـسـورًا (مـبـوتـو) وحـزبـه

وجـازاه ربُّ الـنـاس بـالـخـزي والـعـمـى

تجـرد مـفـصـولاً عـن الـحـكـم يـائـسًـا

ومــن بــين حـكـام الـبـلاد تحـطـمـا

جديـر بمـا يـلـقـاهُ مـن سـوء فعلـه

وكـان جـزاءُ الـظـالـمين جـهـنـمـا

رجـوت لـه مـن يـدرك الأمـر حـازمًـا

يـردُّ بـه الجـانـي إلـى الـرشـد مـرغمًـا

فـأنـتـم لـهـا يـا آل جـابـرَ سـيَّـمـا

وفـيكم أبـو بـكـر الـرئـيـس الـمُـقـدَّمـا

لـدى مـجـلـس الـشـوار عـضْـوٌ وإنـه

تـرأَس أركـانًـا لجـيـش مـنـظـمـا

هـو الـقـائـد المـوصـوف والـعـارم الـذي

إذا مـا بـدا يـوم الـكـريـهـة ضـيغـمـا

خـلاصـة أبـطـال الـبـلاد وفـخـرهـم

هـنـيـئًـا لأبـنـاء المـجـابـر أنـتـمـا

لـئـن ضـاع مـسـلـويًـا وكـان وراءه

مـثـال أبـي بـكـر بـه عـاد مـلـزمـا

وذو هـمـة كـالمـصـطـفـى ومـحـمـد

أعـادوه مـهـمـا كـلـف الأمـرُ مـنـهـمـا

أولـئـك ممـن يـسـتـعـان بـرأيـهـم

إذا حـارت الأفـكـار والـقـرح أوجـمـا

رجـال لـهـم فـي الـنـائـبـات سـمـاحـةٌ

لـنـيـل رفـيـع المـجـد مـهـمـا تـقـوَّمـا

ومـا مـنـهـم إلا فـتـى ذو مـهـابـةٍ

مُـجِـدًّا إلـى الـعـلـيـاء بـالمـجـد مـغـرمـا

فَـراطـسـةٌ مـن أرفـع الـنـاس هِـمَّـةً

وأنـبـلـهـم فـي الـنـائـبـات وأكـرمـا

إذا ما بدا منها فتى في جماعة

جدير بما أن سادهم أو تقدما

أعيذهمُ بالله من شرٍّ حاسدٍ

ومن كل ذي حقد على القلب قد خما

حبوتهُمُ من خالص الفكر نخبةً

من الشعر كالدر الثمين مُنظَّمَا

عليهم سلام الله ما خرَّ ساجدُ

مدى الدهر أو طيرُ الأراكِ ترنَّما

وأزكى صلاةِ الله ثم سلامهُ

على خير خلق الله طرًّا وأجلما

ذهبت لأعضاء السفارة شاكيًا

فلا من يسلِّي شكوتي أو تألما

وكنت بإبراهيم لا شك واثقٌ

بإرشاده إذ جئته متظلما

ولكنه لم تكتنفْهُ عواطفٌ

من اللطف أو مستنكرا ما تقدما

وعدتُ قليلَ الحظِّ منه ولم يكن

نصيبي سوى خُفَّيْ حُنَينٍ تحتما

كمن جاء موهومًا ويحسب أنه

ستشفيه أعلام السَّراب من الظَّما

فلا الفضل منسوبٌ إلى غير أهلهِ

ولا التِّبرُ إلا في معادنه نما

****

(٢)[1]

[الوافر]

أَزُفُّ لها من القلب التّهاني
لأخذ مكانها في البرلمانِ
مُوجَّهة لهم عن قلب صبٍّ
يحنُّ لأهل هاتيك المعاني
أهنا ها يداك ومن يليها
من الواحات ربات السّواني
وكلُّ مواطنٍ من أرض قومي
عزيز النفس ذو شرف مصان
أناب اليوم عنها من بنيها
لِيُدْرك من به كانت تعاني
ويرفع صوتها حرًّا منيعًا
ويشرح من تقاسي عن هوان
وإن يك لاهيًا بالعزِّ عنها
ويعطي من مواعيد اللسان
يحاول أن يَشُقَّ لها طريقًا
مُعبَّدةً من الطرق الحِسان

(١) وهذه قصيدة السيد الحاج عبد الله يونس المجبري التي ألقاها بمناسبة فوز نائب المجابرة في البرلمان عن الوطن العزيز ليبيا «جالوا».

ونأمل أن يكون لها معينًا
على جلب المياه العذب دانِ
فإن نالت به ما تشتهيه
لَعَمْري إنهنَّ مهمتان
لتسعد من تكون له مقامًا
يعود به المواطن في أمان
عليها يا بني الأعمام حقًّا
أَزُفُّ لكم من البُعد التهاني
إلى الوطن العزيز يحنُّ قلبي
وشوقي ليس يبليه زماني
ولكن يا بني وطني إليكم
محبَّرة حَوَتْ عِزَّ المعاني
خذوها من بنات الفكر بكرًا
معللة بسحر من بيان
تعبر من محياتي وشوقي
وكل الطيبات من الأماني

****

محمد جرمة خاطر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمّد الفاتح الخاتم ناصر الحق الهادي وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وعلى ذريته الطيبين الطاهرين وعلى آل بيته ومن ألحق بهم من الأولين والآخرين وسلم تسليمًا حق قدره ومقداره العظيم.

الحمد لله، اللهم صغر الدنيا في عيوننا وعظم جلالك في قلوبنا ووفقنا لمرضاتك وأمتنا على دينك وطاعتك.

اللهم إنك لست بغائب تنتظر ولا بعاجز تنتصر ولا ببعيد يأتيك الخبر وقلت وقولك الحق «ونحن أقرب إليه من حبل الوريد» كلمح البصر أو هو أقرب. هكذا عرفناك بك وهذه المعرفة التي عرّفتنا أمّنّاك إياها وهي عندك وديعة أزلاً وأبدًا.

---

(١) محمد جرمة خاطر (١٩٣٠ - ....)، شاعر تشادي معاصر، ولد في مدينة «أبشة»، وفيها تلقى تعليمه الأولي، ثم انتقل إلى العاصمة أنجمينا، واشتغل فترة في التدريس. وهو من أتباع الطريقة التيجانية، واعتقل عدة مرات في سبيل تحرير الوطن، وعين وزيرًا، ثم عين عمدة للعاصمة أنجمينا. وله ديوان شعري مطبوع بعنوان «بوادر الفتح في مدح التيجاني، د.ت.ط.» من الحجم الصغير، وله عدة قصائد طويلة منها «درر الحقائق في مدح سيد الخلائق» والشيخ من الشعراء التشاديين الذين أخذوا التصوف منهجًا وطريقًا وفلسفة في حياتهم وتجلى ذلك كله في عديد من قصائده الدينية، وقد قال لي عن التصوف: «هو مرتبة الإحسان والإنسان لا يمكن أن يدخل في مرتبة الإحسان ما لم يتصوف فالتصوف هو كمال الدين... أما عن علاقة التصوف بالتيجانية فأقول: إن التيجانية طريقة صوفية ظهرت على يد الشيخ أحمد التيجاني في قصر أبي سمعون في الجزائر». ويغلب على إبداع الشيخ طابع المنظومات، فهو من رواد التصوف في تشاد وصاحب زاوية فيها. وسوف نلاحظ في منظوماته بعض الأفكار التي قد تصطدم بالدين ومرد ذلك إلى ولعه بالتصوف. ودورنا تقديم عمل قد يتسم بالإبداع الفني. (ديوان بوادر الفتح في مدح القطب الشيخ أحمد علي أبو الفتح التجاني الإبراهيمي اليَرَاوي نفعنا الله بنفحاته تأليف المريد الفاني محمد جرمة خاطر التجاني أنجمينا - جمهورية تشاد).
[لقاء تم بيني وبين الشيخ في منزله بالعاصمة أنجمينا بحي السيسبان في ٢٠٠٢/٢/٢٥م.]

نقدم هذه التحفة في مدح القطب الجامع أحمد علي أبو الفتح للمحبين والواصلين والغارفين فمن أحبها فنعم الرجل ومن أبغضها نسأل له الهداية.

وما أوجبنا الشيخ أحمد علي اليرواوي وما اقتدينا به إلا ليقيننا إنه عبدالله وسيد أقرانه ونشم فيه رائحة جده المصطفى صلى الله عليه وسلم فمدحه مدح المحبوب.

أهدي هذه القصيدة للمشاركين في الاحتفال بالمولد النبوي في زاوية الشيخ بميدغري – نيجيريا لعام ١٤٢١هـ.

(١)[1]

دارَ الـزَّمـانُ بمـا أوحَـى الـكـمـالُ بـه
أزْلًا وأبْـدًا وسـرُّ الـكـونِ فـيـه غَـدا

مـا خـاضَـتِ الجِـنُّ والإنـسـانُ معرفـة
تـوهّـمـتْ أنـهـا قـد تُـدرِكُ الـصَّـمَـدا

إلاَّ بَـرَزْنَ لـهـا الأنـوارُ حـاجِـبَـةً
فـهـي الحـجـابُ ومنـهـا ذا الـوجـودُ بـدا

دارتْ ضـمـائـرُهـا فـي الـكـون سـاريـة
تُـقَـسِّـمُ الـعـينَ لـلأعـيـانِ كَـي تَـرِدا

حـوضَ الـظُّـهُـورِ إلـى أفْـلاكِ حَـيِّـزِهـا
تَحْـتَ الجـلالِ سِـوى هـذا الـذي حـمـدا

فَـرَحْـمَـةٌ، نـعـمَـةٌ، حـمـدُ، ومـطْـلَـعُـهـا
مـن جـوهـرٍ واحـدٍ بـل كـان مُـنْـفـردا

---

(١) بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على من لا نبي بعده نجوم الهُدَى بمناسبة ذكرى المولد النبوي سنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

فَمدٌّ ما مدٌّ من أسرارِ مَظْهرِه

نال الصَّحابةُ منه الفضل والرَّشدا

هذا أبو بكرٍ الصَّدِّيقُ أفضَلُنا

نَجمُ النُّجومِ له فوق السماءِ صدى

بالصِّدقِ أهَّله الهادِي وأنْزَلَهُ

بَعْدَ النَّبيِّين أُسْتاذًا لمن سَجَدا

ناديتُ يا عمرَ الفاروق أشجَعَنا

بعدَ الرَّسُولِ وعدلاً صانِعَ المجدا

من بعدِهِ جاء عُثمانُ السَّخِيُّ وذو النْـ

ـنُورين من أجْلِهِ مدَّ الرسولُ يدا

مُبايعًا يَومَ نحرٍ كادَ يَهْجُرهُ

بعضُ الصَّحابةِ مِمَّن فَسَّرُوا الوعدا

هذا عليٌّ أبو السِّبْطين سيِّدنا

بابُ العلوم وَحيدًا جاءَ مُنْفَرِدا

جَدُّ الشَّريفِ المُنِيفِ الطَّاهرِ الفاسي

عَينُ المعارفِ ما أقْصاكَ يا مَدَدَا

يا سَيِّدِي يا رسُولَ الله يا أملي

هذي نجومُ الهُدى سَمَّيتَهم رُشدا

ولاحِقٌ بِهِمُ كلُّ الصحابةِ مِن

أصحاب بَدرٍ وأُحدٍ كُلُّهم سُعدا

فالسابقونَ بِهَدْيِ السابقين سَعَوا

مِن بَيْننا بضْعة فامْدُدْ إلينا يدا

مـن بـايَـعَ الـشَّـيـخَ بـالإخْــلاصِ فَـهْـو هُـمُ

وَهُـــمْ لَـــهُ أُسْـــوةٌ فـي الـبَـيْـعِ والـعـهْـدا

والــنُّــورُ ســار إلــى يــومِ الـلـقـاءِ فَـمِـنْ

صَـحْـبِ الـيَـمِـينِ صِـحـابي كُـنْ لنا سَـنَـدا

مَـــدَدْتَ شَـيْـخِــيَ مَــدًّا لا حــدودَ لَـهُ

حــارَتْ عُـقُـولُ الأُلَــى مـا ســافَـروا أبـدا

مـا سـافـرَ الـسَّـائـرونَ الـمُـنْـتَـمُـونَ إلـى

سُـفْـنِ الـسَّـعـادةِ بـالأذكــارِ والـــوِرْدا

إلاّ أتــتــهــم رِيـــــاحُ غَـيــرِ عـادتـهـا

تُـنْـجِـي الـغَـريـقَ بـإخْـلاصٍ إذا شَـهِـدا

عــينَ الـشُّـهـودِ أبــا الــزهــراءِ سيِّدنـا

مـحـمـدًا بَـيْـنَـنـا ســـارٍ ومـــا فُـقِـدا

عــينَ الـطَّـريـقِ (تِجـانــي أحـمـدَنـا)

سِــرُّ الـطَّـريـقِ إلـيـهِ يَـنْـتَـهِـي الـسَّـندا

خَـتْـمَ الــولايَــة عَـيْنُ الـفَـتْـح مَـطْـلَـعُـهـا

كَـتْـم الـحـقـائـقِ بَـرهَـامَ الـفُـيُـوضِ بَـدا

فـــالأولُ الآخـــرُ المـشــهــودُ بـاطِـنُـه

دارَتْ ودارَتْ ودارتْ كُـلَّـمـا مَـدَدا

مـتَـى قَـصَـدْتَ مَـــدارًا لـلـحـقـائِـقِ أو

سِــرَّ الـــمَـظَـاهِـرِ فـانْـظُـر أحـمـدا تَجِـدا

إنَّ الـفُـتُـوحَ جَـمِـيـعًـا تَحـتَ قَـبْـضَـتِـهِ

مـا فـاضَ شَــيءٌ سِــوَى مِـنْ بـابِـهِ صَـعَـدا

هـذا أبـو الـفـتْـح مِـفْـتـاحُ الـوِلايَـة في

هـذا الـزَّمـانِ إلـيـهِ تـنْـتَـمِـي الـسُّـعدا

ابـنُ الـبَـتـولِ فـكـم مـن فـيـضِـهِ شَـرِبـوا

حتى أفـاضُـوا وسـارُوا فـي الـظـلامِ هُـدى

شُـدَّتْ رحـال إلـى (يـرو) لـرؤيـتـه

هـذا الـولـي فـمـنـه يُـجـتَـنَـى الـشُّـهـدا

خـلـيـفـة الـشـيـخ أصـلُ مـن تـفـاعـلـه

ونـسـخـةٌ حـازت الإجـلال والـرشـدا

مـرشـح الـحـضـرة الـعـلـيـا وخـادمـهـا

تـحـيـة لـكـم مـن (تْـشَـادنـا) فـردا

مـا رحـمـةٌ أنـزلـتْ إلا ببـابـكـمـو

فـارْسِـلْ يـدًا حـتـى يـنـتـهـي الـحـسـدا

وأَغـمـرنَّ جـمـيـع الـصـحـب حـبّـكـم

فـحـبـكـم حـبٌّ فـي الـمـخـتـار والـشُّـهـدا

وغـايـة الـسـرِّ حـبٌّ فـي الـحـبـيـب وهـا

إنـا وصـلـنـا إلـيـكـم فـافـتـح الـسُّـدَدا

وأشـهـدِ الـشـاهـديـن الـحـاضـريـن هـنـا

جـنًّـا وإنـسًـا وروحـانـي ومـا وجـدا

إنـي ابـن جـرْمـا مـحـبٌّ مـادحٌ ومـتـى

مـا قـام داع إلـى الـمـولـى فـنـحـن فـدا

صـلّـى عـلـيـك إلـهـي يـا مـحـمّـد مـا

هـبـت ريـاح تـثـيـر الـتـرب كـل مـدى

****

(٢)

حرف الهمزة

طـال لـيـلٌ بـنـا وطـال المـسـاءُ

فـأتـى الـصُّـبْـحُ والـصَّـبـاحُ ضـيـاءُ

طَـلَـعَـتْ شَـمْـسُـنـا مـن الـغـربِ سَـعـدًا

فَـتَـعَـجَّـب إن شِـئـتَ قُـل مـا تـشـاء

لا غـريـبًـا أن تَـطْـلـعَ الـشـمـسُ شَـرقًـا

بـل عـجـيـبٌ مـن غـربٍ جـاءتْ ذُكـاء

هـذه (يَـرُوُ) أنْجـبَـتْ خَـيْـرَ فَـحْـلٍ

بـاهـر الـنُّـورِ، أنْجَـبِ الـنُّـجـبـاء

دارُه روضَـةٌ تـفـوحُ عـبـيـرًا

مـن جـلالٍ ومـن جـمـالٍ سَـواء

يُـسـمَـعُ الـذِّكـرُ حَـولَـهُ كُـلَّ لَحْـظٍ

كـان فـي الـصُّـبْـحِ مِـثْـلَـه والـمَـسَـاء

كَـمْ عـلـيـلٌ فـي قَـلْـبِـهِ مَـرضُ الـنَّـفْـ

ـسِ أتـاهُ قـد نـالَ مِـنـه الـشِّـفـاء

إنَّـه الـغـيـثُ يمـطـرُ الـفـتـحَ مَـطْـرًا

فَـيَـعُـمُّ الآبـاءَ والأبـنـاء

عُـمَّـنـا يـا أبـا الـفُـتُـوحِ بِـفَـتْـح

يَـغْـمُـرُ الـكُـلَّ مِـن رجـالٍ نـسـاء

وأغِـثْـنـا يـا غـوثُ مـن ظُـلـمِ الظُّلْـ
ـمِ أضَـرَّتْ بـنـا الـنُّـحـوسُ الـبَـلاءْ
لا تجـد مـنـزلاً مـن الـعـوز نـاجٍ
بـل مـن الـروع مـلـؤه والـشـقـاء
فـرجـونـا الـسَّـلام إنـا فُـجِـعـنـا
مـن حـروب أذلّـت الـشـرفـاء
شـهـد الـنـاس كـلـهـم أنـت قـطـبٌ
ارفـع الـكـف مـسـتـجـاب الـدعـاء
واسـتـجِـرْنـا مـسـتـمـسـكـين بـحـبْـلٍ
مـنـك نـالـتـه قـبـلـنـا الـسُّـعَـداء
خـصَّـكَ الـشَّـيـخُ بـالـخـلافـة عـنـه
فـبـهـا صـار فـي يـديـكَ الـلـواء
أنـت مـصـبـاحُ فـي الـطـريـقـة تـرسٌ
مـلـجـأُ مـأمـنٌ وفـيـك الـرجـاء
مـظـهـرُ مـا درى الـحـقـائـقَ عـبـدٌ
غـاصَ فـي الـبـحـر واعـتـراهُ الـفـنـاء
نـائـبًـا فـي الـجـلال مـن قـال صـدقًـا
أو جـمـالٍ أو فـي الـكَـمـالِ سـواء
صـفـةٌ مـن صـفـاتِ أحـمـدَ عـبـدًا
مـظـهـر الإسـم رسـمـه الـمـعـطـاء
أحـمـدٌ أحـمـدٌ مـتـى مـا نَـظَـرْنـا
لـكْ، لـمـاذا اخـتـرت هـذا الـخـفـاء
أنـت ذا الـعـبـد ذا الـزمـانِ فـمـا لـلنْـ
ـنـاس تـعـمـى وهـا هـو الـسَّـقـاء

لا تـراهُ عـين الـشَّـقـاءِ مـن الـبُـغـ
ـضِ، ولـكـن تحـبُّـهُ الـسُّـعَـدَاء

يـشـهـدُ الـلـه أنَّـنـا مـن محـبِّيـ
ـكَ فـعـجِّـل خـلاصـنـا مـن شـقـاء

ولـسـانـي لـم يـألـف الـشـطـح قـطـعًا
بـل إلـى الـشـيـخ مـيْـلُـهُ لا الـسَّـخـاء

لـم أبُـحْ بـالـذي دريـتُ مـن المـشـ
ـرب، فـيـكـم مـن غـيـرتـي والـوفـاء

خُـصَّـنـي يـا أبـي بـشـيءٍ مـن الـفـتـ
ـحِ، قـريـبًـا يـزيـلُ عـنـي الـغـطـاء

وسـألْـنـا أبـا الـفـتـوح فـقـربًـا
مـنـك قـربًـا مـن الحـبـيـب رضـاء

ثُـمَّ يـومَ الـلـقـاءِ قـل يـا ابـن جـرْمـا
أنـت مـن فـوج سـيِّـد الـشُّـفـعـاء

سـيِّـدي خـادم الحـبـيـب عـرفـنـا
كَ، خـديـمـا بـك تـكـشـف الـغـمَّـاء

سـيِّـدي خـادم الـرسـول ومـن حـو
لِـكَ، أبـنـاء كـلـهـم عـلـمـاء

مـدَّهُـمْ مـا بـقَـيْـتَ مـن شُـرْب بـرهـا
م، يـكـونـوا مـن بـعـدك الخـلـفـاء

وسـألـنـاك فـي الخـتـام صـلاةً
وسـلامًـا لـسـيِّـد الأنـبـيـاء

وعـلـى الـصَّـحْـبِ كـلـهـم وبـنـيـه
وذويـهُـمْ والآلِ والأوفـيـاء

****

(٣)

أيـــا ظـــلّ مـــن هـــامَ الــفــؤادُ بـحُـبِّـه

أنــا مُـسـتَـظِـلٌّ جـئـتُ لـلـقـربِ سـائـلا

رأيـــتُ ظِـــلالًا عـمَّـتِ الـكـونَ جُـمـلـةً

ومَـن يـرو يُـغْـلِ الـغـرسَ فـي الـطـولِ كـامِـلا

ومـــا شَـــدَّ حـبـلٌ مـنـك إلاّ وقـــد عَـلا

ومَـن قَـطَّـع الأوصـــالَ يَـهْـوِي مِـنَ الـعُـلا

ولِـــمْ لا وأنـــتَ الـيـومَ مِـفْـتـاحُ فَـيْـضـةٍ

أبـو الـفـتـحِ إفْـتَـح لـي بِـــدَارِك مَـنـزلا

وأدْخِـلْـنِـي فـي فَـلْـذَةِ الـقـلـبِ أفْـنِـنِـي

فَـــنـــاءً بــه أبـقـى مُـطِـيـعًـا ومـاثِـلا

أمــامَــك لا مَـحْـجـوبَ مِـمَّـــا طَـوَيْـتَـهُ

مـن الـسِّـرِّ والأسْـــرارِ فـي الـســرِّ داخـلا

ومـــا خَـــطَّ إبـــراهـيـمُ خَـــطّ.....

سِـــواكَ فَـلَـمْ أشْـقَ بمـا أنـتَ حـامِـلا[1]

أجِـرْنِـي وأبْـنـائِـي صِـحـابِـي وإخْـوتـي

وَشَــيِّـدْ لـنـا صَـرْحًـا مَـنِـيـعًـا وفـاصِـلا

يُــؤمِّـنُـنـا حِـسًّـا ومَـعْـنَـى إحـاطَـةً

وألْـبِـسـنـا عِـــزًّا وبـالـمَـجْـدِ كَـلِّـلا

---

(١) هكذا ورد البيت وفيه نقص.

وأغْــدِقْ لنا الإصــلاحَ والــمُـلْـكَ والـغِـنَـى
وفـــي الـلـهِ كُـــلًّا ذاك بـالـلـهِ فـاعـلا
فـأقـسـمـتُ أن الـنَّـصـر جـاءَ حَـلـيـفَـنَـا
يُـبـايِـعُ عَــهْـدًا مِـنـه آنًـــا وآجِــلا
فــإن أمــرَ المِـقــدامُ فـي الحــالِ تَـنْـجَـلـي
كُــرُوبٌ يـراهـا الـبَـعـضُ مِـثْـلُ الـسَّـلاسِـلا
ومــا كــانَ أمــرُ الـشَّـيْـخ إلاَّ مُـسَـلِّـمًـا
لأقْـــدارِ رَبِّ الـعـرشِ مـا شــاءَ فـاعـلا
وإنِّــي أبِــي سَـكــرانَ بـالـشَّـوْقِ والـهَـوَى
لِــذاتِــكَ فـاسْـقِـنِـي كُـــؤوسَ الـشَّـمـائـلا
لألْــبَـسُ سِـــرًّا مـنـك يَـسْــرِي بـهَـيْـكَـلِـي
فـــأزدادَ مَـرقًـى فـي رِحــابِ الـمُـكَـمَّـلا
فــلا تَــنْــظُــرنَّ الـعـيْـبَ مِـنِّـي فـإنـنـي
عُـــيُـــوبٌ وأبـقـتْـنـي لـديـهـا مـكَـبَّـلا
وهــا جِـئْـتُ عُـريـانًـا مـن الخـيـر عَـلَّـنـي
أفـــوزُ بــإمْــدادِ الـصُّـفُـوفِ الأوائِـــلا
متَـى سـابَـقَ الــمُـدّاحُ فـي مَـدحِ أحـمـدٍ
أبــي الـفَـتْـحِ يَـلْـقَـونِـي أمـامًـا مُـسَـجَّـلا
وإن فـاتـنـي الـتَّـعْـبـيـرُ نَـظْـمًـا ومـنْـطِـقًـا
فـمـا كَــنَّ صَـــدْرِي مُــفْــردٌ لا يُـمـاثَـلا
فــمــاعَــرفَــتْ يـــرْوَ مِــن الـشـيـخ ظِـلَّـهُ
ففـي الـقُـربِ غـيـمٌ عــاتِمٌ (وهــو حـائـلا)
وقـــدْ رأتِ الآفــــاقُ أنـــوارَ ذاتِـــهِ
تُـضِـيءُ مَـصَـابِـيـحًـا إذا الـلـيل أُسْــدِلا

فإنْسًا وجنًّا قادَها النُّورُ في الدُّمى

فما شاهَدَتْ للقُطْبِ (ثانٍ مماثلا)[1]

وما قاطَنَ المَحْبُوبُ طَه مُصاحِبًا

سِواكَ فما الأيامُ تَدرِي ولا ولاَ

هناكَ مكانٌ يحصِرُ الأمرَ مطلقًا

تلاشت وذابتْ كلُّ أوهامِ سائلا[2]

فمَهْما سَرَى الإمْدادُ في الكونِ جُملةً

فأنْتَ لها عينُ الوِعاءِ المُغرْبِلا

فيا سيِّدي إغْرِفْ لنا شرْبة

من الحوضِ أرْوِنا بما (أنت نائلا)[3]

وامْلأ لُبِّي كُلَّهُ حُبَّ أحمدٍ

لأسْعدَ حَتْمًا بالذي جاءَ مُرسَلا

شَفِيعِي رسول اللهِ بَرهامَ مِصْعَدِي

وَتجَّانِي أُسْتاذِي وسَيْفِي على المَلا

بِهِمْ كُلُّهُم نَوَّرْتُ سِرِّي وظاهِري

فزال حِجَابِي لا تراني مُعُطَّلا

عليك صلاة الله ثم سَلامُهُ

صلاة بها أبقى عزيزا مُبجَّلا

عليك صلاة الله ثم سَلامه

من العبد جرمًا لا تراه تَخَاذَلا

عليك صلاة الله ثم سلامه

وآل وأصحاب كرام أفاضلا

مولد ١٤٢١هـ

---

(١) هكذا وردت في الأصل.

(٢) هكذا وردت في الأصل.

(٣) هكذا وردت في الأصل.

(ديوان دُرَرُ الحَقَائِق في مدحِ سَيِّدِ الخَلائِق تأليف محمد جرمة خاطر التجاني أنجمينا – تشاد)

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي الطاهر الزكي وعلى آله وصحبه وسلم ، الحمد لله الأول الآخر الظاهر الباطن.

نحمده إذ جعل محبة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم شرطًا مُلازمًا للإيمان وخير وسيلة لمحبته هي الإكثار من الصلاة عليه، ومدحه ومتابعتها في قوله وفعله، اللهم أدخلني في قلب الإنسان الكامل وحببني إليه صلى الله عليه وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه، اللهم حَبِّب إلينا كل من أحبه واجعل في قلوبنا البُغْض والعداوة لكل من لم يُحبه أو من نقص في شأنه.

أما بعد:

أيها القارئ لهذه الأبيات المتواضعة أستسمحك عذرًا لأن هذا الميدان له أصحابه ولكننا معشر المتصوفة ولو أن للبعض منا باعًا كبيرًا في الشعر وفنونه إلا وأن البعض الآخر لا تهمه القواعد الشعرية كما يهمه في الدرجة الأولى أن يعبر عن محبة تخالج صدره وشوق يحرق أحشاءه ولم يرتح إلا حينما يتلفظ بذلك – وأنا من هذا الصنف الأخير.

فإذا أردت أن تطرق أبواب العروض وقواعد اللغة فقد تلاحظ أخطاءً وأما إذا أردت السَّبح في بحار المعرفة فتجد ما تريد من سُكرٍ وصَحوٍ وفناءٍ ووجود وغيرها، لأنه شبت من فيضة الشيخ إبراهيم وممدودًا من أنوار القطب المكتوم والخاتم المحمدي المعلوم أبوالعباس أحمد بن محمد التجاني وتمسكًا بأهداب صاحب الوقت أحمد علي أبو الفتح فلا يخل صادق في محبة هؤلاء من مداخل ومخارج هذا الفن الصوفي ولله الحمد.

أخرج هذا الديوان القليل في قصائده الكثير في معانيه (دُرر الحقائق في مدح سيد الخلائق) أرجو من الله أن يجعله مقبولاً وسهلًا ومقروءًا.

****

(٤)

أجِـزْنِـي رَسُــولَ الـلـهِ فـي الــمَـدْحِ إنَّـنِي

ولــــوعٌ بـــأمْـــداحٍ تُـــزيـــنُ مـجـالِـسِـي

يـقـيـنـي بـــأنَّ الــيــومَ أمـــسٌ وقَـبْـلَـه

بـأنَّـكَ إنْ لـم تَـسْـمَـع المــدحَ قـاعـس[1]

ومـــا مَــــدَحَ الــــمُـدَّاحُ غَــيْــرَكَ إنَّـمـا

يُـخَـيِّـلُ لـلـغـاوِيـنَ تِـلْـكَ الــنُّــواوِسُ[2]

إذا مَــدَحَ الـوَلْـهـانُ لَـيْـلَـى وحُـسْـنَـهـا

يُـعَـبِّـرُ غَـصْـبًـا عَـنْـهُ عـن خَـيـرِ أنْـفُـسِ

تَـعَـلَّـقـتُ بـالـمَـحْـبُـوبِ طَـه وَحِــزْبِــهِ

أصـابـا فُـــؤادِي بـالـسِّـهـامِ الـعَـرائِـس

فَـحَـمْـدًا لـك المحـمـودُ حـمـدًا مـحـمَّـدًا

يـحـمِّـدُنـي فـي الحُـبِّ والـعـشْـقِ غـاطِـس[3]

وَأجْــعَــلَ أحْـــوالِـــي إلــهِــي وجُـمْـلَـتِـي

تُـشِـيـرُ إلـى أصَــلِ الـوُجـودِ الــمُـقَـدَّسِ

وَتَـغْـمِـرَ ذاتِـــي فـي الـمَـعَـانِـي جَـمِـيـعـهـا

أتـيـه هُـيـامًـا مِـثْـلَ إن كُـنـتُ مُـلْـبَـسِ

---

(١) هكذا ورد في الأصل.

(٢) هكذا ورد في الأصل وفيه إقواء.

(٣) هكذا ورد في الأصل.

وَتُـبـهِـرنـي الأنـــوارُ حَـقًّـا مُـغَـيَّـبًـا

بـلا صَـحْـوِ حَتّـى تَـنْـجَـلِـي آيـةُ الـكُـرْسِـي

وَإِنِّـــــيَ وَلْـــهـــانٌ لألْـــقـــاكَ سَـيِّـدِي

وإنْ كُـنْـتُ مَـسْـجـون الـحِـجـابِ الـعَـرَنْـدَسِ

لـتـغـسِـلَ قـلـبـي عـن سِـــواكَ وتـرْضِـنـي

حـبـيـبًـا خـديـمًـا ذلـكَ الـيـوم ذا عُـرس[1]

وَأوْرثَـــنِـــي الإحـســـانَ نـومًـا ويَـقْـظَـةً

لأبْـصِـرَ عَــيْنَ الـعِـيْنِ حَـقًّـا بـلا لَـبْـسِ

وَإنِّــــي رَســــولَ الـلّـهِ نـاديـتُ طـالِـبًـا

رِضــاكَ لِـتَـمْـحُـوَ لـي الـذُّنُـوبَ كـذا رِجْـسِ

وتَحْـقـيـقِ سَـعْـدِي بـالـسَّـعـادةِ والـهَـنـا

ونُـضْـرَةُ وَجْـهِـي دُونَ ضَـيْـرٍ ولا بـأس

وادْخِـلَـنـي الـجـنَّـاتِ حَـيًّـا ومَـيِّـتًـا

مَمـاتِـي مُـحِـبًّـا فـيـكَ عُـرْسَ الـعـرائِـسِ

جَـعَـلْـتُ رِكـابـي ورْدُ شـيـخِـي ومُخْـلـصًـا

أُصَـلِّـي عـلـى المَحْـبُـوبِ لا أخْـشَـى هـاجِـس

قـيـامًـا قُـعُـودًا واضْـطـجـاعًـا ومـاشـيًـا

يَـلُـجُّ لـسـانـي بـالـصَّـلاةِ وذا أُنْـسِـي

فَـظَـنَّ أُصَـيْـحـابـي رفـاقِـي وجَـيـرَتِـي

ظُـنُـونَ يَـرُونِـي صِـرتُ سَـكـرانَ واعـسـر

شـــواهـدُ ذاتـــي لا تَـــرَى غَـيْـرَ واحـدٍ

يُـديـرُ كُـــؤُوس الـــرِّزْقِ لـلـجـنِّ والإنْـس

هُــوَ الـقـاسـم المـعْـروفُ بـالـعـدْلِ بـاسـطًـا

يَـدَ الـخَـيْـرِ مـعْـطـاءً مِـنَ الـبـحـرِ أطْـلَـسِ

---

(١) هكذا ورد في الأصل.

فـأجْـعـلُ قِـسْـمِـي كُـلَّـهُ فِـيـكَ مُـخْـلِـصًـا
فـنـاءً وحُـبًّـا بـاجـتـنـابِ الـوسـاوِس

أشِـرْ لـي أشِـرْ لـي إنْ حَـضَـرْتُ زِيـارَةً
وإنْ لـم تَـغِـبْ قَـطْـعًـا بـكُـلِّ الـمجالِـسِ

أقِـلْـنِـي أقـلـنـي مِـن عُـيُـوبٍ وعَـثْـرَةٍ
فـإنِّـي فـقـيـرٌ لـلـشَّـفـاعـةِ لامِـس

وأطْـلِـقْ لِـسـانِـي بَـلْ جَـنـانِـي وخـاطِـري
تَـسِـيـلُ مـديـحًـا فـي جـنـابِ الـمُـرأَّسِ

حـديـثـي وأنـفـاسـي خـيـالـي وواردِي
يَـطـوفـونَ بـي حـولَ الـرَّسُـولِ الـمُـؤسِّـس

وَهَـبْـتُ حـيـاتـي لا أُبـالـي بِـغَـيْـرِهِ
وأودَعـتُـهُ ديـنـي وروحـي وأنـفـاسـي

خـواتـيـم أعـمـالـي وسِـرُّ طـريـقـتـي
وقـلـبـي ليـخْـيَـى كـلـمـا صـار يـابـس[1]

فـأوْدِعَ سِـرِّي ثُـمَّ لُـبِّـي وظـاهـري
لـطـائـفَ غـابَـتْ عَـنْ كـثـيرٍ مِـنَ الـنَّـاسِ

فَـفُـزْتُ بِـأنـوارٍ تـفـيـضُ وتـحـتـفـي
بِـجـيـشٍ مِـنَ الإلـهـامِ جَـرَّار هـامـس

ولـكـنَّ قَـدْرَ الـمُـصْـطفـى لا يُـحِـيـطُـهُ
كـلامٌ ولا أسـفـارُ كُـلِّ الـمـدارِس

فَـصَـلَّـى عـلـيـهِ الحَـقُّ فـي حـق قـدرهِ
وتَـقْـدِيـمِـهِ فـي الخَـلْـقِ أضْـوَا مـن الشَّـمسِ

****

(١) هكذا ورد في الأصل.

(٥)

سَلكتُ إلى سرِّ الحَقيقةِ إذْ بها

بُروقٌ ونُورٌ من بهاءِ المُطَهَّرا

بهاءٌ أعارَ الشَّمسَ نُورًا ومَدَّها

سِراجًا وللأقمار ضوءًا مُدَوَّرا

بهاءٌ له ذاتٌ وللغيرِ عارضٌ

جُفاءٌ كمثلِ الزَّبْدِ إن جاءَ عابرا

بهاءٌ به سَترُ القبيحِ وثَوْبهُ

ولولاهُ يلقى البعض بعضًا مُنكَرَا

بهاءٌ بِهِ الحَسْناءُ حَسَناءَ غادةً

ولولاهُ لا حَسْناءَ لا غادةً تُرَى

جَميلٌ بلا تَفْصِيلِ مِشْكاة كَونِنا

وَجُمْلَتُهُ في الأصْلِ قدْ كان جوهرا

فَمنهُ شُعاعُ الكائناتِ جميعَها

ومُطْلَقَ نورٌ ليس في حَيِّزٍ يُرى

ومنه اسْتمدَّ الظِّلّ إمكانَ عَيْنِهِ

ومنشور رقٍّ في كتابٍ مُسَطَّرا

فإن قُلْتَ كلًّا كان كُلًّا وجُزءَهُ

وإنْ قلت جُزءًا فهو أصلٌ بلا مِرا

فلا عبدَ إلاَّ العبدُ قالُوا به بلى

ولا رَبَّ إلاَّ الرَّبُّ فَرْدًا وقادِرا

ومُفْرَدُ كُلَّ النَّاطِقينَ أتى به

ومِن عِلْمِه عِلْمُ القدامَى وحاضِرا

فلا عَجْبَ إنْ ما طارَ صارُوخُ عَصْرِنا

ويُرسِلُ للأرْضِينَ صُورًا مناظرا

وما القولُ في المعراجِ مِنْ غَيْرِ طاقةٍ

مُحَرِّكُهُ مِن دُونِ نَفْطٍ به سرى

وكان أبُو حَفْصٍ يقُودُ جُنُودَهُ

وفي يَثْربَ مَوجُودُ مِن دُونِ أقْمُرا

ولا حَصْرَ للأمثالِ لا تُغْنِ حاجةً

بلِ الحُبُّ في المحبوبِ عَينٌ المُفَسَّرا

حبيبي رسُولَ اللهِ ياسين مُنذِرا

تفتَّتَ قلبِي في السِّراجِ المُبَشِّرا

تُجاذِبُهُ الأشْواقُ في كُلِّ رُتْبَةٍ

وفي نسبِ الأعيانِ إنِّي المُسَيَّرا

سَرَيْتُ وما السَّاري أنا في رِحابِهِ

وما ليس غيري جَلَّ شأنُ المُدَبِّرا

وما نِلْتُ ذي النَّفْحاتِ إلاَّ بحُبِّهِ

تطايرَتِ الأوصالُ لم أدر ما جرى

وهَلْ كان شيءٌ غيرَ حُجْبٍ تكاثَرَتْ

عليَّ وأوزار وما كنتُ أجْدَرا

مِـنَ الـنَّـفْـسِ والـشَّـيْـطـانِ والـلَّـهْـوِ والمِـرا

ولـغْـوٍ وفُـحْـشٍ كـان جَـهـرًا ومُـضْـمَـرا

وآفـــاتِ قَـلْـبِ يُـبْـغِـضُ الـغـيـر حـاسـدًا

وفِـيـه نِـفـاقٌ كَـيْـدُ حِـقْـدٍ تَـكَـبُّـرا

فـلا يـطـمَـعَـنْ مَـن كـان هـذا مِـثـالُـهُ

إلـى رُؤيـةِ الـمُـخـتـارِ ذَوْقًـا ومَـنْـظَـرا

ويـا حـسـرة الـمُـحـتـالِ يـقـضـي نَـهـارَهُ

ولـيـلاً ولا يَـــزْدادَ إلاَّ تَـحَـسُّـرا

فـكُـن مُـخـلـصًـا والـصِّـدقُ مـن بـعـدِ تـوبـةٍ

وكـن مُـسـتـقـيـمًـا واتَّـقِ الـلـهَ صـابـرا

وكُـنْ مُـطْـمـئـنًّـا تـشْـهَـد الحَـقَّ جَـهْـرَةً

فـراقِـبْ مَـعَ الأنْـفـاسِ تـلـقـاهُ حـاضِـرا

هُـنـا تـسـبَـحُ الأرْواحُ مـن غـيـرِ أجْـنُـحٍ

تـهِـيـمُ فـتَـجْـنـي وارِداتٍ خـواطِـرا

وتَـهْـبِـطُ فـي الحَـضْـراتِ طـيـفًـا مُـكَـرَّمًـا

صُـعُـودًا نُـزولاً مـثْـلَ طـيـرٍ مُـهـاجِـرا

فَـفَـرِّقْ لـتُـعـطـي كُـلَّ ذي حـقٍّ حـقَّـهُ

وخُـذْ مـا حـواهُ الـقـلـبُ بـالـعـقـلِ نَـوِّرا

وهـذا رسـولُ الـلـهِ مـولـودُ مَـكَّـةٍ

يـتـيـمًـا تَـرَبَّـى وهْـوَ فـي الـعِـزِّ غـامِـرا

وعـاش كَـكُـلِّ الـنَّـاسِ مِـن بـيـن أهـلِـهِ

ومِـثْـلـكُـمْ بـشْـرٌ يـقـولُ الـمُـبَـشِّـرا

وقـــال نَـبـيًّـا كُـنـتُ والـطـــينُ آدم

حـديـثٌ أتَـــى لـلعـلـمِ لا لـلـتـفـاخُـرا

وكُـــلُّ شُـــؤونِ الـــذَّاتِ فـيـه تـكـامـلـتْ

ومِـرآتـهـا ذاتِ الـرَّســولِ الـمُـطَـهَّـرا

وقـبُـلـتُ كـلُّ الـكـون قـبـلاً وآخــرًا

أنيَّـتـهـا فـي ذا الـكـتـابِ الـمُـحـرَّرا؟

تـلا فـي كـتـابِ الـلـهِ آيــاتِ حِـكـمـةٍ

تـــلاوةَ قـــرآنٍ كـــلامٍ مُـسـطَّـرا

بـه عَـلِـمَ المـخـتـارُ مُـذْ كـان دُرَّةً

شـريـعـةُ رُسْـلِ الـلـهِ تـلـكَ الـمُـبَـرَّرا

لإرســالِ جِـبـريـلٍ بـوَحْـي مُـنَـزَّلٍ

ولـــولاهُ مـا جـبـريـلُ كـان الـمُـحـاضِـرا

دَنَــا فـتـدلَّـى لـيـلـةَ الـقـدرِ جُـمْـلـةً

وتـفـصـيلِ آي الـحـقِّ فـي الـلـيـلِ مُـضْـمـرا

كـمـا كُـلّ شـيءٍ مـا خـلا الـلـه بـاطـلُ

كـذلـك مِـن بـعـدِ ابـنُ عَـدْنـانَ مُـدْبِـرا

فـلـمْ يَـخْـلُـقِ الـرَّحـمـنُ لـلـذَّاتِ غـيـرَهُ

فَـعَـبْـدُ ومـحـمـودُ صَـفِـيُّ مُـوزّرا

وحـمَّـدَهُ مِـن رُتْـبَـةِ الـرَّبِّ مِـنَّـةً

مـحـمـدنـا سـجَّـادُ لـلـه شـاكـرًا

هُـو الـشَّـاهـدُ الـمَـشـهـودُ فـي كُـلِّ رُتْـبـةٍ

وكُـــلِّ مـقـامٍ نِـسـبـةً مِـنـهُ أثْـمـرا

فـمـا سـاجـدٌ غـيـرَ الـنَّـبـيِّ مُـحـمَّـدٍ

وما صـامَ يـومًـا غـيـرهُ سـيِّـدُ الـورَى

ومـا جـاهَـدَ الـكُـفَّـارَ إلاَّ مـحـمَّـدٌ

وقـدْ نَـشَـرَ الإسـلامَ قـبـلاً وآخـرا

هُـوَ الـنُّـورُ يـسـرِي سـاقـيًـا كُـلَّ ذرَّةٍ

ولا يُـدركُ الإمْـدادَ غـيـرُ الـمُـصَـوِّرا

فـكـيفَ يـكـونُ الـمَـدْحُ مِـنْ أيـن بَـدْؤُهُ

ومِـن أيـنَ ذاكَ الـكَـيْـفُ مـن أيـن قُـدِّرا

تـذكَّـرَ لـي وَقْـتُ مَـعَ الـرَّبِّ قـالـهـا

فنُصحي إلـيـكَ الآن شَـمِّـرْ وسـافِـرا

تَـزَوَّدْ بـتـسـبـيـحٍ وإسـتـغـفـرِ الـذي

إلـيـهِ يـعُـودُ الـعَـبْـدُ حـتَّـى يُـجـاوِرا

وَصَـلِّ عـلـى المـخـتـار مـاضٍ وحـاضـرٍ

صـلاةً يـنـوبُ الحـقُّ فـيـهـا تَـذَكَّـرا[1]

هُـو الـذِّكْـرُ مـن ذِكْـرِ الإلـهِ صـلاتَـهُ

فـصَـلَّـى عـلـيـهِ الـدَّهْـرَ أبَـدًا وكَـرَّرَا

هُـو الـذِّكْـرُ إنْ لازمْـتَـهُ الـذِّكْـر سِـرُّهُ

فَـصَـلَّـى مَـعَ الأنْـفـاسِ حَـضْـرَهُ صَـوَّرا

واعـلَـمْ يـقـيـنًـا إنَّـه الأمـرُ صـادِرٌ

صُـدُورَ تَجَـلٌّ وهْـوَ أمـرٌ تـكـرَّرا

ونـادِي أبـا الـعـبَّـاس يـا أحـمـدَ الـوَرَى

أبـي الـغَـيْـضِ شَـيْـخِ الـكلِّ فـي الـكُـلِّ سـائـرا

---

(١) هكذا ورد في الأصل.

حقيقةُ عينُ الذّات فاضتْ وراثةً

ووارثُها المكتومُ بالختمِ عَبَّرا

خليفتُهُ خَتْمُ لِخَتْمٍ وخاتمٍ

فدارَتْ بلا حدٍّ فقَدَّمْ وأخَّرا

(وبَرْهامُ) عبدُ اللهِ عبدٌ حقيقةً

وإنْسانُ ذاتِ الإنْسِ خَلْقًا وجوهرا

وعاش فريدَ العصرِ قَبْلاً وآخِرًا

وعمَّتْ به الفَيْضا وشُرْباتُ كَوْثَرا

وخَلَّفَ أبناءً لجسمٍ ورُوحِهِ

هُمُ مِن شعاعِ الختْمِ سِرًّا ومَظْهَرا

شُيوخي شُموسُ الليلِ أصْحابُ بَهْجةٍ

مَدَارُ بُروجِ الكونِ فيهِمْ تبصَّرا

تَجِدْ فيهُمُ عَيْنَ التِّجاني وسِرَّهُ

فما غابَ عنَّا لحظةً مُذْ تَوَزَّرا

تراهُمْ كمِثلِ الطَّودِ لكنَّ سَيْرَهم

تسيرُ بِهِ الذَّرَّاتُ كُلاً وتَشْكُرا

فعمَّ بهم للخَلْقِ حمْدًا ونِعْمةً

وما لم يَفِضْ من سِتْرِهم قدْ تبخَّرا

هُمُ منهم الخُلفاءُ قطْعًا تواترُوا

فلا يطمعنَّ الغيرُ واللهُ قدَّرا

هُمُ السَّابِقُونَ السَّابِقونَ قرابَةً

هُمُ الثُّلَّةُ الأخرى بفَضْلٍ فَبَشَّرا

هُـــمُ مَــن أحـــبَّ الــلــه سِـــرًّا وجـهـرةً
فـنـابُـوا عَـنِ الحَـضَـراتِ حَـقًّـا بـلا مِـرا

إلــهـي بـخـيْـرِ الخَــلْـقِ حُـبِّـي مـحمَّد
سـألْـتُـكَ عِـرْفـانًـا أجِـرْنـي مُـبَـكِّـرا

وإنْ لـم أكــنْ أهـــلاً لـذنـبـي وعِلَّـتـي
فـأنـتَ كـريمٌ تُــبْ علـينـا لِـمـا جَـرَى

وسَـجِّـلَ إسْـمِـي بـنُ جَـرْمـا ومـن معي
مِـنَ الأهـلِ والأصـحـابِ حـتَّـى الأواخِـرا

عـلـيـه صـــلاةُ الــلـهِ ثُـــمَّ سـلامُـهُ
فـمـا ضَـرَّنـي هـذا الـمُـعـادِي ونـاكِـرا

عـلـيـكَ صـــلاةُ الــلـهِ ثـمَّ سَـلامُـهُ
يَـعُـمُّ جـمـيـعَ الآلِ والـصَّـحْـبِ مُـكْـثِـرا

****

(٦)

تـــعــرَّضَ لـــي فـــي كـــلِّ شـــيءٍ رأيـتُـه
جـمــالُ رســولِ الـلـهِ والــشَّــأنُ أرْفــعُ
فـمـا ذرَّةٌ فـي الـكـونِ إلاَّ مُـجـيـبـةٌ
لِـمَـنْ قَـسَّـمَ الايـجـاد وهْــوَ الـمُـجَـمِّعُ
فـمـا ظـهـرتْ لـلـعـين والـعـلْـمِ نُـقْـطَـةٌ
فـي حـيِّـزِ مـحـسـوسٍ ومـعـلـوم اجـمـع[1]
تــــدُلُّ عـلـى مـن خـلَّـفَـتْـه عِـنـايـةٌ
مِـن الـلـهِ فـي الـمـربـوبِ والـعـينُ تـابـعُ
وكـــلُّ كـمـــالٍ فـــي الـوجـــوه رأيـتُـه
يـدلُّ عـلـى ذاك الـشَّـفـيـعِ الـمـشَـفَّـع[2]
مـحـمـدُ عـبـدُ الـلـهِ مـحـمـودُ أحـمـدُ
طَــوَتْ ذاتُـــهُ كُــلَّ الـمـعـانـي الـجـوامِـعُ
فـمـا نــابَ عـنْ شــيءٍ سِـوى عـيـنِ ذاتِـه
تـقـلَّـب فـي الأزمـــانِ لـلـعـلـمِ مَـرْتَـعُ
فـمـا شـــاهَــدَتْــهُ غـيـرُ عـــينٍ مُـحـبَّـةٍ
تـــعــرُّفَ إيـــاهـــا حُـــمِـــدًا ونـــافـــع[3]

---

(١) هكذا وردت في الأصل.
(٢) هكذا وردت في الأصل.
(٣) هكذا وردت في الأصل.

ومــــا رحـــمـــةٌ إلا تمُـــرُّ بـبـابِـهِ

إلـــى كُـــلِّ مـــخـلـوقٍ ولـلـشَّـرِّ دافِـــعُ

ومـهـمـا بـلـغـتَ الـعـلـمَ فـي كُـنْـهِ ذاتـه

تـــدورُ بـلا حـــدٍّ وإنْ كـنـت طـامـــع[1]

فـحَـدُّكَ أنْ تـعـرفْـهُ عـبـدًا ومُـرْسَـلاً

ومـــا فـــوقَ ذا فـالـلـهُ أدْرَى ورافـــعُ

وقـــدْ صـــارَ لـي فـي ظِـلِّ أنـــوارِ ذاتِـــهِ

تجـلٍّ بـه أخـطُـو فـأمْـضِـي وأرْجِـــعُ

ومـهـمـا تـرانـي مُـقْـبِـلاً مُـدْبِـرًا مَـعًـا

فـــإنِّـــيَ عـــبـــدٌ لـــلأوامـــر طـائـعُ

وأشْـــرَبُ أنـفـاس الأثـيـرِ ونـاهِـمًـا

ثِـمـــارَ صـلاتـي لـلـنـبـي وهْـــو يـانِـعُ

وأمْـــرحُ فـي الأجـــواء إنِّـــي مـصـاحِـبٌ

لِـسُـحْـبٍ تُـصَـلِّـي والـرُّعـودُ رواكِـــعُ

وأرْحَـــلُ أحـيـانًـا مـع الـرِّيـحِ عـاصِـفًـا

نجـوبُ الـفـيـافـي والـنُّـجـومُ الـلَّـوامـعُ

تـصـاحِـبُـنـي فـي كُـلِّ هــذا مـحـبَّـتي

وصِـدْقـي وإخـلاصـي لـطـه الـمُـشَـفَّـعُ

فـكـمْ حُـسْـنِـه أفـنـى وأبـقـى مُـجـاهِـدًا

يـريـدُ عـبـورَ الجـسـرِ والـنُّـور سـاطِـعُ

فَـأحـمَـدُ رَبِّـــي أنْ أرانـــي حـقـيـقـةً

تـــدُورُ بـذاتـي وهْـــيَ لـلـحَـقِّ جـامـعُ

---

(١) هكذا وردت في الأصل.

وخلَّفتُ نفسي آمرًا عينَ ذاتها

فَصَلَّتْ فجاءَ الحمدُ والنُّور ساطِعُ

فأصبحتُ من هذا المقامِ مصلِّيًا

ولستُ أنا من صَلَّى والأمرُ واقِعُ

تقبَّلْ إلهي واعْفُ عنِّي وأرضِني

حبيبًا لِمَحْبوبِ لَدَيْكَ المُطاوِعُ

واغفرْ ذنوبي ما بقيتُ وعافني

مجيرًا من الأعداء وخُلْعِ الخوالعِ

فحسبي رسُولُ الله إنِّي التزَمتُه

رداءً يقيني ما حوتْهُ الوقائِعُ

عليك صلاةُ اللهِ ثمّ سلامه

مُحبُّكَ (جَرْما) جاء لله راجع[1]

عليك صلاةُ اللهِ ثم سلامه

وآلٍ وصَحْبٍ هُمْ شموسٌ طوالِعُ

عليك صلاةُ اللهِ ثم سلامه

قبولي به تمنعني كلَّ المطامِعُ[2]

****

(١) هكذا ورد في الأصل.

(٢) هكذا ورد في الأصل.

(٧)

تـوجَّـهـتُ لـلـحـقِّ الــوجــوهُ عَــنَــتْ لـه

هــو الحـــيُّ والـقـيُّـومُ فَـــرْدُ الجـلالـةِ

تـوجَّـهْـتُ مـن هــذه أصـلِّـي عـلـى الـنَّبي

مـــحـــمَّـــدٍ الأمِّـــــيِّ حـــيٍّ بـروضـــة

عـجـزتُ إلــهـي أنْ أصَـلِّــي وهـــا هُـنا

لِـسـانـي وعـقْـلِـي بَـــلْ شــهـودي بغيبة

فـصِـرْتُ أصَـلِّـي حـيـثُ كـانـت صـلاتُـهُ

صـلاتـي عـلـى حبِّـي وأصْـلِـي وغـايَـتِـي

بـهـا إجْــعَــلِ الــلـهُــمَّ نُـــورًا لِـسَـيِّدي

إمـامـي شـفـيـعـي مُـرْسَـلِ الحـقّ أُسْـوتـي

فـــإنَّ لـــه عَـيْـنًـا تــرانــي بـحـيـرتـي

لأخْـــتـــارَ لـفـظًـا مــن صـــلاةِ الـطَّـريـقـةِ

لجـــوْهَـــرَتـــي مِـــسْــكٌ يـفــوح عـبـيـرُه

وفــــاتِـحِ مــغْــلــوقٍ عـظـيـمُ الإشــــارةِ

فـلـمْ يَـبْـقَ لـفـظٌ مـن صـلاتـي عـلـى الـنبي

يُـعَـبِّـرُ عـن قـصـدي وشـوقـي ولـوعَـتِـي

فـسـلّـمـت تـسـلـيـمًـا أحــاكــي صـلاتـه

عـلـى الـنَّــاسِ كـي أحـظـى بـتـبـلـيـغ رغـبـتـي

بـهـا أسـتـعـين الـلـهَ فـي كُـلِّ خُـطْـوةٍ
إلـى الحـقِّ أخْـطُوهـا بـهـذي الفَـريضـة

فَـصَـلُّـوا عـبـادَ الـلـهِ مـثـلـي فـإنَّـنـي
صـلاةً وأنـتـم مـن صـلاةِ الحـقيـقـة

فـأنـتـم أنـا فـي الجـمْـعِ والحـقُّ شـاهـد
بـسِـرٍّ وإعـلانٍ وبـدءٍ وخَـتْـمَـةِ

تـفـرَّقَـنـا فـي الحـس بَـلْـوى وكُـلْـفـةً
ويـا ربِّ هـلْ كـلَّـفـتَ فـانٍ وجِـيْـفـةِ

بـبـاب أبـي الـزَّهـراء حِـبِّـي رسُـولـهُ
وقـفـتُ أُصَـلِّـي قـاصِـد الـسـرِّ منيتي

فـنُـوديـتُ مـن سِـرِّي ورُوحـي وقَـلْـبِـه
عُـبَـيْـدُ صـلاةُ الـعَـيْـنِ لـلـذَّاتِ نـالـتِ

فـهِـمْـتُ إشـاراتٍ بَـدَتْ مـن إشـارةٍ
إلـى ذاتـهـا لاحَـتْ وغـابَـتْ لـغـايَـةِ

فـصـلُّـوا عـبـادَ الـلـهِ مـن حـيـثُ أنـتُـم
أُمِـرْتُـمْ بـهـذا فـاشـرعـوا بـالمحـبَّـةِ

مـحـبَّـتُـهُ نجـوًى مـع الـقـلـبِ حِـكْـمَـةً
بـهـا تـعـرفُ الإنـسـانَ تُـدْخِـلْـكَ زُمْـرَتِـي

فَـصِـحْ أنـتَ مِـن جـهـلٍ وحُـجْـبٍ وظُـلْـمـةٍ
وأُدْخُـلْ طـريـقـي كُـنْ مـعـي فـي الـوظـيـفـة

تـنـلْ خـيـرَ دُنـيـا ثـمَّ أخـرَى جـمـيـعِـهـا
بـحُـبِّ نـبـيٍّ عِـلَّـةَ الـكـونِ آيـةِ

حبيبي رسولَ اللهِ ناديتُ طالِبًا

دُخولَ رحابِ القُدْسِ بالقُدسِ رِفْعتي

بِحَقِّكَ قدْرًا ثم مقدارِكَ الذي

خفاهُ الذي يُدركُ حقَّ الحقيقة

أجِرْنِي هَوى نفسي وعلِّمْنِي سرَّها

لأشْهَدَ مَنْ أخْفَتْهُ ظُلمًا وريبة

لأسجدَ للرَّحمنِ عبدًا مُطاوِعا

فلا سائلاً مسئولَ لا سُؤْلَ رغبتي

هنا إنتهَى سَيْري وللسَّيرِ عودةٌ

إليه يسيرُ الأمرُ في البدء خَتْمِتي

هنا إنتهَى سيري وأرجُوهُ وَقْفةً

لأرويَ لُبِّي ناهِمًا ألفَ غَرْفَةِ

هنا إنتهَى سيري هنا كانَ بدءُهُ

هنا كان عينَ العَينِ صِدقُ المَحَبَّةِ

هنا كان لي الإيمانُ أصْبَحْتُ مُولَعًا

ولهْفِي إلى الإحسان عينِ الشَّهادةِ

هنا إنتهى من حيثُ لابدّ سَيْرُنا

وكيفَ يكونُ السَّيْرُ والعِلْمُ نُقْطة

فلا كيف لا كَمّ ولا بدّ الانتها

فإن شئتَ صَلٍّ في فناءٍ وصَحْوةِ

فلمْ يبقَ إلا الحقُّ والحقُّ وحْدَهُ

سواه محالٌ في شهودٍ وغَيْبَةِ

فصلَّيْتُ مَحْبُوبًا مُحبًّا وها أنا
عرفْتُ من المحبوبِ بالحبِّ غُرْفَتِي

بفضلِ أبي العبَّاسِ هذا مرامُنا
نُحلِّقُ في الرَّوضاتِ في كلِّ جمعة

صلاتي على المختار نَهْمًا مَحبَّةً
وطوعًا لأمر الله من غير كُلْفة

على الآلِ والأصحابِ قصْدي تحيَّةً
صلاة وتسليمًا في سِرٍّ وجهرة

****

(٨)

أصلُ الوجودِ أبو الزَّهراءِ سيِّدُنا

محمَّدٌ سابقُ الأَزْلاتِ مولانا

طوَى معانيْ وأسرارًا وجُمْلَتُها

تَعَيَّنَتْ فَهْوَ للأكوانِ أوْطانا

هو الصِّفات تمعَّنْ فيه تعرِفْهُ

صَلِّ عليهِ وأكْثِرْ وامْشِ جَوْعانا

حتَّى تلاقيه نومًا أوْ مُشافَهَةً

تُصافِحُ الرُّوحُ رُوحًا أينما كانا

هذا الحبيبُ حبيبُ اللهِ من قِدَمٍ

صَلَّى عليه مُمِدًّا مَحضَ إحْسانا

محمدٌ أحمدٌ محمودُ حامِدُنا

حمدانَ تشْكيل إسْمِ الحمْدِ عِرْفانا

فَرَحْمَةٌ راحمٌ رَحْمانَ مِن أبدٍ

بالمؤمنين رَحيمًا آي قُرآنا

هذي صفاتٌ وأسْماءٌ ومَرْتَبَةٌ

عَمَّتْ خصائِصُها جِنًّا وإنسانا

وإنْ دَرَيْتَ فأعْيانُ الوُجودِ بها

ظهرن من عَدَمٍ لا تبق حيرانا

لا تـأخـذُ الـعـينُ إلاَّ قــدْرَ حـاجتها

لا زائــدًا فـيـهِ إسْــرافًــا ونُـقْـصـانـا

كُــلُّ الــوجــودِ مُـثَـنَّـى سِــرِّ خـالـقِـهِ

فـمـا تــراهُ سِــوَى أنْـثَـى وذُكْــرانـا

فـأُذْكِــرِ الـلـهَ لا تـفْـتَـرْ وكُــنْ معه

ولا تَـغِـبْ عـنـهُ فـي الأحــوالِ أحْـيانـا

تـكـنْ حـبـيـبًـا ومـحـبـوبًـا إذا صَـدَقَـتْ

مـنـكَ الـنَّـوايـا فـقـد يـكـسُـوك رِضْـوانـا

فـالْـزِمِ الـشَّـرْعَ واعـمَـلْ بـالـنَّـوافِـلِ لا

تَـغْـتَـرَّ بـالـقُـرْبِ قـدْ يـأتـيـكَ خُـسْـرانـا

فـكـم تـظُـنُّ قـريـبًـا وهــو أبـعـدُهـا

يـكـونُ مِــنْ ربِّــه بـالـسَّـلـبِ عُـرْيـانـا

حـسْـبـي إلـهـي وإيـمـانـي ومُـعـتـقـدي

أودَعـتُـهـا لـك إســرارًا وإعـلانـا

أسـلـمتُ وجـهـيَ فـي الـدَّارَيْـن أقْـبَـلَـنـا

أمًّــا وزوجًــا وأبـنـاءً وإخـوانـا

واغـفِـرْ لِجَـرَمـا أبـي مـا قـدَّمـتْ يَـدَهُ

ووالــديَّــهِ وأحْــبـابًـا وجـيـرانـا

وصَــلِّ رَبِّــي عـلـى الـهـادِي وعِـتْـرتِـه

أزكــى صــلاةً تَـعُـمُّ الجَـوَّ رَيْـحـانـا

****

(٩)

بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم صلِّ على سيدنا محمد الفاتح الخاتم الهادي ناصر الحق وعلى آله حق قدره. وهذه قصيدة: بطاقة تعريف في مدح صاحب الفيضة الشيخ إبراهيم بن عبد الله نياس:

هَبَّني الشَّوقُ إلى الهادي حبيبي وإمامي
فصباحي ومسائي هِمْتُ في هذي المعاني
لم أرَ الطَّلْعةَ بالحقِّ سِوَى كَنْزِ الزَّمانِ
فاضَ منهُ وإليهِ بعدَ تَتْريهِ المَكانِ

طَلْعَةٌ أبْرَزَتِ السِّرَّ جَلِيًّا لِلْعَيانِ
فَهْيَ للسِّرِّ إطارٌ ولِسانُ التُّرْجمانِ
إنَّما السِّرُّ حباها صُورَةَ الشَّيْخِ التِّجاني
فَهْيَ للفاتحِ عَينٌ وَهْيَ للخاتمِ ثانِ

أعْطَتِ التَّوْحيدَ مَعنًى لم يَكُنْ في الحُسبانِ
وهْيَ الكَتْمُ فَجاءَتْ ليلَ لَيْلٍ في الزَّمانِ
حَيَّرتْ كُلَّ فُحُولِ العِلْمِ في كُلِّ مَكان
عِندما أشْرَقَ في الغَرْبِ شُموسُ العِرفانِ

أبْــرَزَتْ حَـضَـرة طـه سِـرَّ سِـرَّ الأبــدانِ
جـاءَ فـي ثـوبِ بـلالٍ فـي بـلادِ الـعِـجْـمانِ
أعْـجَـزَ الـعُـربـانَ نُطْـقًـا بِـلِـسانِ الـقـرْآنِ
امْـدَحِ الـمُـدَّاحِ طُـرًّا سـال سَـيْل الـوِدْيـانِ

أطْـلـسُ الـعِـلْـمِ مُـحـيطٌ بـعُـلـومِ الأزمــانِ
فـاضَ بـالـفيضـةِ عَـمَّـتْ كُـلَّ أرْجـاءِ المكـانِ
أظْـهـرَ المـخْـزُونَ فـي الآيـاتِ حُـبًّـا بـتـفـانِ
أُسْــوَةً بِـالـحُـبِّ طـه خـيرُ سُـكَّـانِ الجِـنـانِ

إنَّـهُ العبدُ خـديمُ حَـضْـرَةِ الـشَّـيْخ التِّجانِي
أيْـنـمـا الـشَّـيْـخُ إمــامٌ فَـهْـوَ مَـن أمَّ أرانــي
أحمدٌ مِن أحمدٍ والحمدُ مِن هـذي المعانِي
دارَتِ الـحَـضَـراتُ حتَّى لا أرانـي مـا أرانـي

إنَّــهُ الـهـادِي وهــذا رابــعٌ عـنـدَ الـتَّـدانِـي
مَـجْـمَـعٌ مِـنْ مَـجْـمَـعٍ فـي مجمعِ العبدِ مُـزانِ
آدَمُ الأسمـاءِ والأوْصـافِ مَـضْـمونُ الحِسانِ
رحْـمـةٌ للـنـاسِ جـاءتْ مِـن تَـجَـلِّ الـرَّحـمانِ

فَـتَـحَ الـلـهُ بـه أرْجــاء كُـلِّ الـبُـلْـدانِ
جـالَ حَـولَ الأرضِ بالتَّوْحيدِ مثلَ الطُّوفانِ

نُضرةٌ للدِّينِ هامَ كُلَّ هذا الهَيَمانِ
لَمْ تنم عيناهُ يومًا تاليَ السَّبع المَثَاني

إنَّني جئْتُكَ مِسْكِينًا بفَقْرِ الحَفَيَانِ
ماشِيًا مَشْيَ الهُوينا عاجِزًا أمري دمان
لابِسًا جِلْبابَ هَمٍّ وذنوبٍ وظِعانِ
عاريًا مِن صالحِ الأعْمالِ حِمْلِي قد أعياني

أنتَ يا بَرْهامُ وصْلي ودفاعي وأماني
أنتَ ذرعي وسِلاحي أنت تَرْسِي وعَناني
أنتَ حَصْنِي مِن صُروفِ الدَّهْرِ بلْ أنتَ سِناني
إنني جِئتكَ مِسْكِينًا بِفَقْرِ الحَفْيانِ

أنتَ عبدُ اللهِ والعبدُ قريبٌ مُتدانِ
رَقِّني في الدِّينِ سَلِّكْني طريق العرفانِ
لا تعامِلْني بما ليَّ من عُيُوبٍ وهوانِ
بَلْ أجِرْني وأقِلْني وأدْخِلْني في الضَّمانِ

خيرةٌ في الزوج والزوج مُثنًّى ليس ثان
هُوَ منها وإليها نفسَها ما ثَمَّ ثان
ثُمَّ سُكْنَاهُ إليها حَبَّها حُبًّا مُصانِ
بينَ إمْدادٍ وإيْجادٍ سَرَى فَيْضُ المعاني

إنّـي ادّعيتُ الحـبَّ إنْ لـم أكُ خـطّـاءً مُـدان
عندما هبَّتْ ريـاحُ الصُّـبْحِ أخْليتُ المكان
كذَّبَتْني خُطْوتـي نحوَ الـهوَى مـاضٍ وآنِ
ألـهِمنِي يـا إلـهي الحُـبَّ في غـوثِ الزَّمانِ

حبِّبني للرسولِ الـمُجْتبَى عالـيَ الشّأنِ
لا تُـفارقْ مُقْلتـي عـنْ ذاتِ عـينِ الإحْسانِ
كُلَّما فَكَّرْتُ فيـهِ ازدَدْتُ شَـوْقًـا ومَعَانـي
ألـبِسنِّـي حُـبَّـهُ يـا ربِّ ثـوبًـا حُـلّـتانِ

ألـزمنِّـي دائـمًـا أعـتـابَ شَـرْعِ القـرآن
عَـمِّـرْنْ قلـبي بتقوى بصفـاءِ الإيمـانِ
إجْعلَنِّي خـادِمًـا عبـدًا لـعبدِ الرحمن
أدْخِلَنّي رَحْمَـةً منكَ جِنـانَ الـرِّضْوانِ

****

(١٠)[1]

أيـا أحـمـدًا مِـن أحـمـدٍ قُـمـتَ داعـيـا
وقـد سَـمِـعـتْـكَ الـصُّـمُّ والـبُـكـمُ عـالـيـا

لـكَ الـلـيـلَ سِـرْنـا والـنَّـهـارُ مُـتـابِـعٌ
نجـوبُ الـفـيـافـي فـي طـريـقِـكَ سـاعـيـا

سَـمِـعْـنـا نـداءً يـمـلأ الأرضَ والـسَّـمـا
فـهـا أحـمـدُ الـيـرْواوي كـان الـمُـنـادِيـا

لـهُ المـجـد فـي هـذا الـطـريـق خـلـيـفـةٌ
بـلا ثـانـي فـلْـتـخْـرَسْ شـفـاهُ الـمُـعـاديـا

أفـي الـلـه شَـكٌ أمْ بـسـيِّـدِ خـلـقِـهِ
فـهـذا أبـوالـعـبـاسِ لا تَـنْـحُ نـائـيـا

مَـنـيـعُ إذا استمسكْتَ بـالـسَّـلْـسلِ الـذي
أبـوالـفـتـح يـسـقـي كُـلّ صـاحٍ وفـانـيـا[2]

عـلا فـوقَ فَـوْقَ الـفـوقِ فـي مِـنْـبَـرِ الـعُـلا
يُـنـادي أنـا المـقـصـودُ هـذا زمـانـيـا

لـه دانـتِ الـدُّنْـيـا فـأعْـرَضَ زاهِـدًا
ويـعـطـي عـطـاءَ الـرِّيـح مـا فـيـهِ مـن رِيـا

يَـمـيـلُ إلـى الـضُّـعـفـاءِ يـصـحـبُ جُـلُّـهـم
ومـا وَطِـئَـتْ قَـدْمـاهُ قَـصْـرًا لـوالـيـا

---

(١) في مدح الشيخ أبو الفتح أحمد علي اليرواوي السلام عليك أيها الشيخ ورحمة الله وبركاته

(٢) هكذا ورد في الأصل.

كما إنَّهُ في حضْرةِ الرَّبِّ غارِقٌ

دوامًا فلا تُلْهيه أمْوالُ مُعْطِيا

كما (كولخ) فاسٌ مدينةُ يثربٍ

ضرائحِهُم تدعوهُ يمشي مُلَبِّيا

أيا من هواهُ الذِّكْرُ والذِّكْرُ حالُهُ

خَرَقْتَ الطِّباقَ السَّبْعَ بالذِّكْرِ داعيا

يؤمُّك بالمقصودِ جمْعُ ومُفْردُ

فتُوردهم بحر الفُيوضاتِ دانيا

هَلُمَّ إلينا نخْرقِ الجَوَّ والسَّما

بذكرٍ وتسبيحٍ لنرقى العواليا

أيا مُعْرضًا أو مُنكرًا أنتَ غافلٌ

وفي قلبك المسكينِ عُشُّ الملاريا

لنا فيضةٌ تجري وبَرْهامُ درغُها

أبو الفتح يَسْقيها وللخيرِ ساعيا

شَربْنا هوانا وهْوَ ذِكرُ وطاعةُ

وحُبٌّ وإخْلاصُ لعله المناديا

يُكالُ إلينا السُّوءُ والشَّتْمُ والأذَى

فتحرقها الأنوارُ واللهُ راضِيا

خِصالٌ لها عِشْنا ونبقَى لأجْلها

عبيدٌ وخُدَّامُ مَدى الدَّهرِ ساريا

وَجَمْتُ أبي فارْفَعْ لنا السِّتْرَ بُرْهةً

متى ما عَرَفْتُ الوجهَ هذا مُرادِيا

رحـيـمٌ مُـنـيـبٌ صـانـعُ الـخـيـرَ دائـمًـا

صَـفُـوحٌ إذ اخْـتـرتَ الـتَّـواضُـعَ راضـيـا

جِـمـاك أيـا شـيـخـي أتـيـتُـكَ راجِـعًـا

أُهَـــرْوِلُ عـنـدَ الـعَـودِ مـرفـوعَ عـالـيـا

مَتَى ما دهـاني الـدَّهْـرُ دِرْعِـي سَـوَادُكُـم

وسَـيْفي حَـضُـور الشَّيْخ كالـبرقِ ماضيا

تـشـادي تُـنـادي يـا سـلامُ تـعُـمُّـنـا

سـلامًـا كـفـانـا الـمـوتُ والـشَّـرُّ داهـيـا

أيـا أيـهـا الـشَّـيْـخُ الـمـهـيـبُ دُعـاءَكُـمْ

رجَـونـا بـه تـعْـمـيـمَ سِـلْـمٍ وعـافـيـا

لـكَ الـشُّـكْـرُ إذْ ا اخـتـرتَ (تـشـادي)

مُـضـيـفـة جـزاك إلـهـي فـوقَ مـا نـالَ داعـيـا

هُـنـا يـنـتـهـي الـتـعـبـيـرُ إنـي مُـقَـصِّـرُ

وصَـفـحَـكُـمُ إنْ نـلـتُ هـذا جَـزَائِـيَـا

****

حسين إبراهيم أبو الذّهب[1]

(١)

[مجزوء الوافر]

سلامٌ أرضَ مطلوبِ
سلامٌ غرسَ محبوبي[2]
سلامٌ لك من قلبي

سلامي كلَّ أوقاتي
ولا زالت تحياتي
توافيك من الحُبِّ

وبالأشواقِ أمداحي
وفي الأمداح أفراحي
وتسليتي من الكَرْبِ

متى أدنو من اللُّقيا
متى أسعدُ بالرُّؤيا
فيا شوقي إلى القُرْبِ

---

(١) حسين إبراهيم أبو دهب (١٩٤٣ - ١٩٧٩) شاعر تشادي، وهو من ضحايا الحرب الأهلية، ويغلب على شعره النزعة الصوفية والمديح النبوي. وشعره لم يطبع، وقد عثرت على مخطوطتين له الأولى: في المديح النبوي، والأخرى: في مدح الشيخ أحمد التيجاني ويلاحظ أن المخطوطتين يغلب عليهما طابع المنظومات.

(٢) مخطوطة «حسين إبراهيم أبو دهب» «غوث القلوب في مدح صاحب الفيض المسكوب».

إلـــى (كُـــولِـــخْ) فــكــم ســـاروا
أحــــبَّـــائــــي وقـــــد زاروا
ربــيـــبَ الـــعــجـــمِ والـــعـــرب

هـــو الـــبـــدرُ إبـــنْ إســحـــاق
هـــو المــشـــهـــور فـــي الآفـــاق
هـــو المـــوصـــوف بـــالـــعُـــجْـــب

زعـــيـــمُ الـــديـــن فـــي الـــدنـــيـــا
لـــه فـــيـــنـــا الـــيـــدُ الـــعـــلـــيـــا
فـــلا تجـــحـــدْه بـــالـــكـــذب

فَـــسَـــلِّـــمْ يـــا أخـــا الحـــســـدِ
لـــكـــي تُـــهـــدَى إلـــى الـــرُّشـــد
وَكَـــــي تـــرقـــى إلـــى الـــرُّتَـــبِ

فـــذا إرثُ الـــتِّـــجـــانـــي بـــدا
بـــنـــور الحـــــقِّ ثـــم هـــدى
إلـــى نـــور الـــهـــدى الـــوهـــبـــي

فـــنـــحـــمـــدُ ربـــنـــا الـــهـــادي
حـــبـــانـــا فـــيـــضَ إمـــــدادِ
بـــلا حـــــولٍ ولا سَـــبَـــبِ

فـــإنَّ الـشـيـخَ مِـفْـضـالٌ
لــه فــي الـكــلِّ أفـضـالُ
ســوى مَــن كــان فــي غَـضَـبِ

ألا يــا طــالــبَ الـرَّحـمـن
عـلـيـك خـلـيـفـة الـتِّـجـانـي
وكُــنْ فــي غــايــةِ الأدبِ

وبَــجِّــلْــهُ ووقِّــرْه
وَعــظِّــمــهُ وقــدِّره
بــذا تَــدْنــو مــن الأربِ

وإيَّــاكَ الــتــعــرُّضُ فــي
أمــورٍ سِــرُّهُــنَّ خـفـى
فـكـن فــي الـصـدق فــي الـدَّأبِ

إذا مــا كــنــت تجـهـلـه
ومــا كــنــت تَحْـصُـلـه
فــطــالــعْ لــذة الـكـتـب

فــكــم لـلـشـيـخ تـألـيـفْ
عــلا كــل الـتـصـانـيـفْ
لـمـا فـيـه مِــنَ الـذَّهَـبِ

غلبت معاشرًا صافوا
وأعطوا الأمر إنصاف[1]
وألقوا حُلَّةَ اللَّعَبِ

أبو إسحاقَ لا ثانِ
له والله في الآن
بفضل العلم والنسب

سما في الخُلْق والخِلَق
بدا بالنور كالفلِقِ
فلم يحكيه ذي شَنَبِ

مليحٌ شكلُهُ فَخْمُ
رؤوفٌ كلُّهُ كَرَمُ
زكا كالتين والعنب

زَكا أجداده القُدما
فكل جدوده عَلَما
وما فيهم يُعَدُّ غبي

أتى من عنصرٍ طاهرْ
بأمرٍ فائقٍ باهرْ
من الأستارِ والحُجُبِ

---

(١) هكذا ورد في الأصل.

فكانَ الغوثُ في العصر
وغيثُ العلمِ لا المطر
ولـيٌّ لم يكنْ بِنَبي

له بانَتْ كراماتُ
وكم جاءَتْ علاماتُ
تحيَّر فِكْرُ كلٍّ أبي

تسلَّمنا لما هُو في
تخلينا عن العنف
فأسكننا من النَّصَب

عشقناهُ على البُعْدِ
ونَرْعاهُ على العَهْدِ
وظَنُّ الخيرِ لم يَغِبِ

ومن ينعتْه بالشَّرِّ
سعى بالظَّنِّ للضُّرِّ
ومنه الرأيُ لم يَصُبِ

أيا شيخي ويا سندي
ويا كهفي ومعتمدي
ويا كنزي ويا حُبِّي

فـــأنـــتَ الــقــصــدُ فـــي غــرضـــي
وأنــــــت الأُنْـــــــسُ فـــــي مــرضـــي
فـــــــــداوي الـــقــلـــب يـــا طـبِّـــي

عـــلـــيـــكَ تحــيــتـــي أبـــــدًا
تـــعـــمُّ الأهـــــــلَ والـــولـــــدا
وتــشــمــلُ ســـائـــر الحُـــجُـــب

مــــدى الأريــــــاحِ مـــا هــبَّــتْ
ومـــــا مــــرَّ الحــيـــا صَـــبَّـــتْ
وقــــال الحُـــــبُّ مـــن حُـــبِّ

مـــديـــحـــي فـــيـــك يـــا هـــادي
يـــســـامـــي كُـــلَّ إنـــشـــادِ
ومـــــا يُـــبـــديـــه ذو لُـــبِّ

فـمـا مِـــثْــلُــكَ فـــي الـنُّــصْــحِ
ولا مــثــلــك فـــي الـــمَــنْــحِ
فــأيــن الــشــمــسُ مـــن شُــعُــبِ

فــــاقـــبَـــلْ فـــيـــك أبـــيـــاتـــي
واقــــضـــي كـــلَّ حـــاجـــاتـــي
وبَـــلِّـــغـــنـــي إلــــى الـــقُـــرْبِ

أنا تلميذك الجاني

أنا في حُبِّكَ الفاني

وفي أمداحكم طَرَبي

فألحِقْني بأصحابكْ

وفي أخيارِ أحبابكْ

وقل لي أنت من صحبي

وعند الموتِ دارِكْني

وفي الميزان باركني

وأنقِذْني من اللَّهَبِ

فإنك قد ضَمَنْتَ جنان

لمن يهواكَ بعد أمان

وعندي غايةُ الحُبِّ

ولم أطلب سواكَ خليلْ

ولم أجعل سواك دليلْ

من الأعجامِ والعُرْبِ

****

(٢)

[الطويل]

إلى طيبةَ المختار عندي من الهوى
شديدٌ وقد أخلى جفوني من الكرى

فليلي طويلٌ مظلمٌ مِنْ بُعادِهِ
وجسمي ضعيفٌ من بُعادٍ ومن أسى

وما طابَ لي أكلٌ ولا لذَّ مشرب
وكيف يطيبُ الأكلُ والشربُ للحشا

وجسميَ مرهونٌ بذنبٍ مُقيَّدٍ
بعيدٍ عن المحبوب باقٍ على النَّوى

وسار رفاقي حيث جدُّوا بكلما
أُتوهُ وخلُّوا عن غرور وعن هوى

وقاموا بليلٍ مخلصين فخلَّصوا
نفوسهمُ مِن كلِّ ملهًى ومشتهى

ونمتُ بليلي لم أبالِ بحالةٍ
كأني على أمنٍ ولا أمنَ للفتى

ألَنْتُ فراشي والوسادةَ والغطا
وأحميتُ جسمي من عناءٍ ومن أذى

ولا فكرةٍ لي لو على قدرِ لحظةٍ
بتخليصِ رَوْحي وهو أرفعُ مستوى

ظَلمتُ كثيرًا حيث أرخَصْتُ غاليًا

نفيسًا وأغليتُ الذي يلْقَه البلى

وما الجسمُ لولا الروحُ ما كان لحظةً

فأولى بروحي أن أخَلِّصَ أولى

فموتٌ قبيلَ الموتِ والعيشُ بعده

وعيشٌ بلا موتٌ هو الموتُ لا غروى

فلا راحةً للخائفين حقيقةً

وتلغي أُهَيْلَ الجهل في لذة الهوى

عصينا ولم نبكِ مِن الخوفِ مرةً

وكان علينا الحقُّ أن نلزمَ البُكا

ونضحكُ مَسْرورين في كلِّ بُرهةٍ

وذلك مِن موت الفؤاد الذي قسا

رضيتُ بعيش البُهْمِ لا عيش عاقلٍ

وكيف بهذا العيشِ يا إخوتي الرِّضا

ألا نظرةٌ مِن خالقِ الأرض والسَّما

تُغيرُ هذا الحال أو تكشف الغِشا

وتُذْهِبُ عني كلَّ سوءٍ وقبحه

وتلبسني أنواء حُلْيٍ مِن التُّقَى

فما قصدُ هذي النفسِ إلا بليَّتي

أعوذُ بربِّ العرشِ منها على المَدَى

أعوذ بربي خالقي وهو رازقي

مِن المارد الشيطان إذ قصْدُه الغِوى

أقـــولُ غـــدًا مــنــي المـتــاب وكـــم غـدٍ
وما زلت في فعل المعاصي وفي الخطا

أظـاهــرُ بــالـخـيــراتِ دهـــري وأخـتـفـي
ذنـوبًـا عـظـامًـا لـو تـبـدَّت عـلـى الـورى

قـلـونـي جـمـيـعًـا مـا ألـــمّـوا بمـجـلسـي
ولـكـنَّ ربـــي يـسـتـر الـعـيـب إن عَـرَى

فـهـم يـحـسـبـون الـخـيـر مـنـهـم تـقـرُّبًـا
ولـيـس أخـــو جـهـل بـأمــرٍ كـمـن دَرَى

فـــأولــى بـنـفـسـي أنـنـي الـيـوم عـالـمٌ
بـكـلِّ سِـقـامــي أن أُفَـتِّــش عــن دوا

يـــريـــدون مـــنـــي كـــلَّ حـــينٍ دواءهـــم
وإنِّـــي ومَـــن يـطـلـبُ مـنـي عـلـى سـوا

ولـو كـنـتُ ذا حَـــذْقٍ لخـلَّصـتْ مـهـجـتـي
مِـن الـــدَّاءِ داءِ الـغِـشِّ إذ عـنـدهـا ثـوى

لـهـذا تـــرى مـنـي الــزمـــانَ تـسـتـرًا
لأنـــيَ مـشـغـولٌ بـنـفـسـي عـن الـسـوى

رأيـــتُ جـمـيـع الـسَّـالـكـين تـهـذَّبـوا
نـفـوسَـهُـمُ عـن كـل مـلـهًـى ومـشـتـهى

وإنـــيَ وانٍ قـاصـرُ الـسـعـي راقـدٌ
فـلا رُشْـــدَ لـي حـيـنًـا لخـيـرٍ ولا قِـوى

أيـــا رب بـــالــهــادي الأمـــين مـحـمـد
وبـالـصـحـب والآل الـكـرام ذوي الـهـدى

تُبلِّغني أقصى مرامي بمكةَ
وتُعطي مُرادي في المقام الذي أوى
إليه خليلُ الله برهام داعيًا
بكلِّ دعاءِ الخير فاستقبل الدُّعا
محمدُ مختارٌ مِن الخلق مصطفى
وخاتمُ كلِّ الرسلِ داعٍ إلى الهدى
أتى بكتابٍ مِن حكيمٍ مبينٍ
فأرشدَنا للحقِّ عن غيره نهى
عَرَفْنا به الحقَّ القديم حقيقةً
ولولاهُ لم نعرف من الحقِّ بالنُّهى
جزى الله عنَّا كلَّ خيرٍ محمدًا
وصلى عليه الربُّ تعدادَ مَن هدى
محمدُ محمودٌ لدى كلِّ عاقلٍ
محمدُ معصومٌ مِن الذَّنْبِ والخَطا
محمدُ معروفٌ لدى كلِّ عالمٍ
محمدُ مِن خيرِ البرايا بلا افترا
محمدُ محمودُ المقام وإسمه
قرينٌ لإسم اللهِ في العرش والسما
ومَن قالَ ربِّي اللهُ بالحقِّ إنه
يقولُ رسولي المصطفى وهو مُنتقى
وواجبُ حب الله جلَّ جلاله
وحبِّ رسول الله فرضٌ على الورَى

أحـــبـــكَ يـــا خـــيـــرَ الأنـــــام مـــحــمـــدٍ

فـــجُـــدْ لـــي بمـــا أهـــواهُ شـــربًا وبـــالـــروى

وهـــب مـــهـجـتـي يـــا مـــصـطـفـى الـلـــه قـربـةً

لتشفـع لـي يـا صـاحـب الـحـوض والـلـوا

عـلـيـك صــــلاةُ الـــلـــه فـــي كـــلِّ لحـظـةٍ

وآلٍ وأصـــحـــاب دوامًـــــا عـــلـــى الـمـــدى

****

عباس محمد عبد الواحد[1]

(١)

[البسيط]

شـهـرُ الـصـيـام إذا أحـيـاهُ محتسبٌ
أتـــاحَ لـلـنـفـسِ خـيـرًا غـيـرَ محدودِ

إذ فـيـه تَـسـتـجـلـبُ الأرواح قـوَّتـهـا
بـالـصـوم والـنُّـسـكِ أو تـسـبـيـحُ معبود

---

(١) عباس محمد عبد الواحد (١٩٤٤ - ٢٠٠٢) ، شاعر تشادي ولد في مدينة «أبشة» . وبدأ تعليمه بحفظ القرآن الكريم وانتقل إلى مدينة «بلتن» حيث كان أبوه يعمل إمامًا للمسجد الكبير ومعلمًا للعلوم الدينية وعاد الشاعر مرة ثانية إلى مدينة أبشة فالتحق بالمدرسة الثانوية العربية الفرنسية ثم التحق بمعهد المعلمين ونال الشهادة الثانوية المزدوجة. ثم سافر إلى العراق والتحق بقسم اللغة العربية في كلية الآداب جامعة المستنصرية، وعاد إلى وطنه ليعمل مدرسًا ثم ناظرًا، ثم مديرًا للشؤون الدينية إلى أن توفاه الله سنة ٢٠٠٢م.

وقد تضافرت عدة عوامل أسهمت في تكوين شاعرية شاعرنا المحافظة أهمها كما تجلى في شعره: النشأة الدينية، وعشق اللغة العربية وآدابها، وقد ترك الشاعر ديوانًا طُبع في أثناء بعثته في العراق بعنوان «الملامح»، وكتب مقدمته الدكتور «عادل جاسم البياتي، ومحمد حسين آل ياسين». وقد أثنيا على الديوان، وما فيه من شاعرية متفتحة وشعور حي، وإحساس ينبض بالحياة.

يقول عنه الدكتور محمد حسين آل ياسين «... قرأت ديوان الملامح للأخ الشاعر (عباس محمد) أحد أدباء تشاد العزيزة، فرأيته حافلاً بالشاعرية العذبة ومضمخًا بأريجها الحلو، ووجدت قصائد متسمة باللطف والرقة بعيدة عن التكلف مجانبة للتصنع نابعة من إحساس مرهف صادق، فهي بنت تجاربها الواقعية التي عاشها الشاعر بتفاصيلها الذاتية والجماعية». وأود الإشارة إلى أن القصائد التي سوف أسجلها للشاعر بعد هذه السيرة الذاتية لم ترد في ديوانه، فهي عبارة عن قصائد مكتوبة بالآلة الكاتبة، وحصلت عليها من الشاعر قبيل وفاته إضافة لديوانه وهي ست قصائد «في رحاب رمضان – من وحي الأسى – رثاء الشيخ زكريا حسين – إلى خادم الحرمين الشريفين – الشاذلي صالح – بزغ النور». وقد نصحني أستاذي الدكتور أحمد محمد عوين بكتابة الديوان؛ لتعم الفائدة بعدما أن تم طباعته من قبل في العراق مطبعة أسعد ١٩٨٣م في سبع وأربعين صفحة من الحجم المتوسط.

مقابلة تمت بيني وبين الشاعر في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بتشاد في ٢٠٠١/٥/٢٥م وانظر مقدمة ديوانه «الملامح» تقديم د.محمد حسين، ط. أسعد، بغداد، ١٩٨٣م ص١١.

تـــروي ثـقـات عــن الـمـخـتــارِ مـرشـدنـا

مــا جــاء عـنـه بمـــوثـــوقِ الأســانـيـد

بـــأنَّ فـيـه يُـــرى الـشـيـطـانُ مـعـتـقـلا

بـــين الـســلاسـل فـــي أيــامــهِ الـسُّــود

وفُــتِّــحَــتْ فـيـه أبـــوابُ الـجـنــانِ وقَــدْ

أعـــدَّ لـلـنـفـس أقـصـى غــايــةَ الـجــود

ولـيـلــةُ الـقــدر تـبـقـى فـيـه كـامـنـةٌ

لـكـنَّـهــا بـقـيـت مـــن دون تـحـديـد

والـــروحُ تـنـزلُ والأرواحُ تَـصْـحَـبُـهـا

لـمـطـلـعِ الـفـجـرِ قـــلْ لــلـه مـــن عيد

أمـنـيـةُ الـنـفـس أن تـحـظـى بمـغـفـرةٍ

مـــن ذَنْـبـهــا ودعـــــاءٍ غــيــرَ مـــردود

مــــولايَ عـنـدك وصـــلٌ غـيـرُ مـنـقـطـعٍ

نـــرجـــوهُ مـنـك وبـــــابٌ غــيــرَ مـســدود

أَعِـــدْ إلــى المسـلـمـيَن الـيـومَ وحـدتـهُـمْ

واردْ لــهــمْ كُـــلَّ مـســلــوبٍ ومـفـقـود

وافْـــشِـــلْ مـخـطـطَ مــن يـبـغـي تـفـكـكـهـم

بــشـــنِّ حـــــربٍ وتـــرويـــعٍ وتـنـديـد

والـجـيـل فـاحـفـظـه مــن فـكـرٍ يـسـمِّـمُـهُ

بـنـهـجِ أســلافــهِ الـغــرِّ الـصـنـاديـد

واحـفـظـهُ مــن خـطـرِ الإلـحـــادِ مـنـتـشـرًا

ومـــن مـــخـــاطـــرِ تـنـصـيـرٍ وتـهـويـد

فـالـكـفـرُ عـنـد جـمــاعـاتٍ مـضـلـلـةٍ

تـــرى لـــه حـــقَّ تـصـديـرٍ وتـوريـد

****

(٢)[1]

[الوافر]

لدى أفريقِيَا شعبٌ توالتْ
عليه عواصفُ الدنيا عتيًّا

لقد فتكتْ به الويلاتُ فتكا
وأسقتهُ كؤوسُ الغَمِّ ريًّا

وكبَّلَهُ البلاءُ بكلِّ رزءٍ
فراحَ يعيشُ والبلوى سويًّا

ففر البِشْرُ يوم غزاهُ مَدٌّ
مِنُ الصحراء يطوي الأرض طيًّا

فَزَّجَّ الجمع أفواجًا وألقى
به في عمقِ هاويةٍ شجيًّا

فما استثنى ولم يَسْتَثْنِ شيخًا
يَقُلُّ عصاهُ أو طفلًا بريًّا

ولم يُرَ منه قَطُّ أشدَّ بأسًا
أشدَّ ضراوةً وأشدَّ كيًّا

فمن للبائسِ المنكوبِ غوثًا
سريعًا إذ دعا «عطفًا عليًّا»

---

(١) تاريخ كتابة هذه القصيدة يرجع إلى عام ١٩٨٥م، وكانت المناسبة المجاعة في أفريقيا، وقد قدمت السعودية مساعدات إلى المحتاجين عن طريق مشروع سمي مشروع العون المباشر وقد لعبت هذه الطريقة دورًا كبيرًا في تخفيف الآلام أما العون المقدم عن طرق أخرى فلم يصل إلى أهدافه. وقد نشرت هذه القصيدة في مجلة رابطة العالم الإسلامي ثم في مجلة جامعة الإمام، وعرضت أيضًا في التليفزيون السعودي، وشاهدها كثير من الناس، وفي القصيدة إشارة إلى سباق التسلح بين الكتلتين آنذاك.

وقد شَغَلَ الأخَ العصريَّ هَمٌّ
وحلمٌ باتَ يرتادُ الثُّريَّا
فحوَّل نعمةِ الرحمنِ حريًا
وشكَّل للورى خطرًا جليًّا
لينعمَ بالتفوق في سباقٍ
يدومُ على منافسه قويًّا
ويحلمُ لو رآهُ الناسُ ربًّا
غدا بالأرض جبارًا عتيًّا
وأن العالم المرعوب يصغي
لما يمليه أو يبقى جثيا
صدى صوت الضمير عن المآسي
يُرَدِّدُ عند سامعه دَوِيًّا
فهبتْ نسمةُ الآمالِ لمَّا
غدا عطفُ القلوبِ به حَفِيًّا
لذا أخذتْ بساعده أيادٍ
تمدُّ لمثلهِ عونًا سخيًّا
وأجداها يدا فهدٍ، سيبقى
لواء الدين خفاقًا عليًّا
تعهَّدَ مدَّه وأصر أنْ لا
يكونَ لعهدهِ إلاَّ وفيًّا
تعيشُ أيا مليكَ الشرقِ عدلاً
تراعي الحقَّ عملاقًا ذكيًّا
وتبقى رائدًا وتقودُ شعبًا
غنيًّا في مبادئِهِ أبيًّا

****

(٣)[1]

[البسيط]

عرفتكَ يا أخي شهمًا ذكيًّا
عرفتُ بأنَّكَ الرَّجلُ المثالي

عرفتكَ عبقريًّا لا يُجارَى
عرفتكُ صالحًا حَسَنَ الفعال

عرفتكُ مؤمنًا سمحًا أبيًّا
وداعيةً إلى ربِّ الجلال

عرفناكَ التقيَّ فلا تبالي
بما يفضي إلى قيلٍ وقال

رزينًا لا تفيضُ القولَ إلاَّ
لدرسٍ أو جوابٍ عن سؤال

عفيفًا صابرًا برًّا قنوعًا
بما يأتيكَ من كسبٍ حلال

عرفتك بحرَ علمِ الدين لمَّا
غمرتَ النَّاسَ بالفيضِ الزُّلال

عرفتك عالمًا في كلِّ فنٍّ
سموتَ فكنتَ مُنْعَدِمَ المثال

فَفُزْتَ بسمعةٍ بيضاء فاقتْ
رواءَ البدرِ في شَرَفِ الكمال

---

(١) رثاء الشيخ زكريا حسن كان عالمًا بالعربية والعلوم الدينية وكان ورعًا تقيًا عاملًا وكان عضوًا في اللجنة الإسلامية لجمهورية تشاد.

أديــــــبٌ أنــــتَ فــــذٌّ أريــحــيٌّ
مــلــمٌّ بــالجــمــيــل مــن الخــصــال

رفــيــعٌ والــتــواضــعُ فــيــكَ دأبٌ
يــقــرُّ لــك الجــمــيــعُ بــلا جــدال

شــريــفَ الــنــفــس لا تــخــشــى مــلامًــا
عــن الــنُّــصــحِ الجــمــيــلِ ولا تــبــالــي

فَــوا أســفًــا عــلــيــك فــقــد تــداعــى
لــنــا ركــنٌ هــوى تحــت الــرِّمــال

تــخــطــفــكَ المــنــونُ وأنــتَ فــيــنــا
مــثــالٌ لــلــتَّــودد والــوصــال

إذا مــا قــلــتُ إنَّــكَ رمــزُ حِــلْــمٍ
أقــولُ الحــقَّ فــيــكَ ولا أغــالــي

فــوا أســفــا لــفــقْــد الــعــلــم أنــا
فَــقَــدْنــا مــطــلــبًــا صَــعْــبَ المــنــال

لأنَّ غــيــابَ أهــلِ الــعــلــمِ حــتــمًــا
ســيــودي بــالــعــلــومِ إلــى زوال

هِــيَ الــدُّنــيــا الــتــي نــأوي إلــيــهــا
ونــحــن نجــدُّ فــي طــلــب المحــال

ســرابٌ لا حــقــيــقــةَ فــيــه أصــلاً
فــهــل تُجْــدي مــطــاردةُ الــظِّــلال

وإنَّ الــعُــمْــرَ مــهــمــا طــالَ فــيــنــا
فــإنَّ المــوتَ عــاقــبــةَ المــآل

عــزائــي يــا أخَــا الإســلامِ.. إنــا
أُصــبــنــا الــيــوم بــالــدَّاءِ الــعُــضــال

****

(٤)[1]

[البسيط]

مشاعرُ الودِّ والعرفانِ نبعثُها
إليكَ فهْي من الأعماقِ تشتعلُ

لقد عرفناكَ عملاقًا تناطُ به
زعامةَ الدين نِعْمَ القائدُ البطل

أعدت ما كان للإسلام من شرف
بين الشعوب فعاد الجرح يندمل

فكنتَ مفخرةً للمسلمين كما
أصبحتَ مستندًا لاذتْ به دُوَلُ

وليس يجعلُ منّا أن دولتَكُم
ترعى الذي قد بَنتْه القادة الأول

قادوا الأنامَ بإيمانٍ وقوتهم
عزمٌ يواكبهُ في سيرهِ العمل

وهُمْ أسودُ الورى لله دَرُّهُمُ
لهُمْ مواقفُ مضروبٌ بها المثل

خاضوا الملاحمَ أبطالًا ورائدهُمْ
قلبٌ تشرَّدَ منه الخوفُ والوَجَلُ

فكلُّ فردٍ بهم إنْ سِمْتَهُ عَلَمٌ
يصح أنْ قيل عنه الشَّامِخُ الجبل

---

(١) قيلت في إحدى المناسبات الإسلامية العالمية.

إن جـاهـدوا فـلأجـلِ الـلـه صـولـتـهُـمْ

أو أمـسـكـوا فـلأجـلِ الـلـهِ مـا فـعـلـوا

حـتـى بـنـوا دولـةً عـظـمـى ولـيـس لـهـم

فـي حـفـظـهـا مـقـلـةٌ بـالـنـومِ تـكـتـحـل

فـهـابَـهـا كـلُّ جـبَّـارٍ لأن لـهـا

قـيـادةً لـكـتـابِ الـلـه تَـمْـتَـثِـل

فـهـذه شـيـمـةُ الآبـاء واضـحـةٌ

لـلـنَّـاس فـهـي لـكـم بـالإرثِ تـنـتـقـل

يـا عـاهـلاً فَـرْعُـه يـسـمـو إلـى زُحَـلٍ

وأصـلُـهُ لـعـمـيـقِ الـمـجـدِ يَـتَّـصِـل

ومـن لـه سـمـعـةٌ بـيـضـاءُ قـد ظـهـرتْ

كـالـبـدرِ حـين يُـرى بـالـنـورِ يـكـتـمـل

اقْـبَـلْ تـحـيـةَ وفـد الـشـاد مـنـبـعـثًـا

لـلـحـجِ فـهـو لـه الـمـقـصـودُ والأمـل

نَـزفُّـهـا لـولـيِّ الـعـهـد ثـانـيـةً

فـهـو الـذي لا يُـرى فـي أمـرِهِ الـكـسـل

****

(٥)

[البسيط]

أقسمتُ والقولُ من تأكيده القَسَمُ
أنَّ الفضائلَ بين الناس تَنْقَسِمُ

للبعضِ حظٌّ وبعضٌ قلَّ موهبةً
وبعضهُمْ حظُّهُ في القسم مُنْعَدِم

فخصَّ من بينهِمْ أستاذُ معرفةٍ
وشيخُ علمٍ تجلَّتْ عندُهُ الحِكَم

هذا هو الشَّاذلي صرحٌ يشادُ به
وقمةٌ تتهاوى دونها القِمَم

حوى من الحظ قِسْطًا لا تزاحمُهُ
أترابُهُ وهو في أقرانِهِ عَلَم

أكرِمْ به عالمًا قلَّتْ نظائرُهُ
ذو همةٍ قَصُرَتْ من دونها الهِمَم

إنْ جئتَهُ زائرًا تلقاهُ مبتسمًا
مهذِّبِ النفسَ بئرٌ ماؤُهُ شَبِم

فما خلا البئرُ من روادِ منهلِهِ
فدرسهُ بجموعِ النَّاسِ مزدحم

إرثٌ أتاهُ من الآباءِ مكْرمةً
فهم كرامٌ تناهى فيهمُ الكَرَم

أبـــوهُ صـــالــحُ ذو عـلـمٍ يمـيِّـزهُ

مـن غـيـرهِ الـلطفُ والأخـــلاقُ والـشِّـيَم

طَـلْـقُ المحـيَّـا تـقـيٌّ مـخـلـصٌ وَرِعٌ

وصـــادقُ الـقـولِ بـين الـنـاسِ مُـحْـتَـرَم

تـــراهُ إمَّـــا مـقـيـمًـا فــي تـنـسكـهِ

أو كـان فــي يــده الـقـرطـاسُ والـقـلـم

ولـــم يـــفــرِّطْ بـحــقٍّ فـــي تـعـامـلـه

مــعْ مـسـلـمٍ فـهـو بـــالإسـلامِ مـلـتَـزِم

رحـمـاكَ يـا ربِّ رمـسًـا ضَــمَّ أعـظـمـه

يـومًـا يـحـاسـبُ فـيـه الـعُـرْب والـعَـجَـم

****

(٦)

[الكامل]

وُلِدَ الهدايةُ يومَ مولدِ أحمدٍ
والعدلُ فانتظمتْ بها الأشياءُ

إذ كان مجتمعٌ يُبَدَّدُ شملهُ
فوضى ففيه تشتُّتٌ وجفاء

لا شرعَ لا منهاجَ فيه وإنما
في القومِ دينٌ شَرْعُهُ الأهواء

والإلهُ المعبودُ إمَّا صورةٌ
يختارها أو آلةٌ خرساء

والأمنُ معدومٌ فكلُّ قبيلةٍ
تسطو عليها الغارةُ الشَّعواء

ومشاعرُ الأحقادِ يُذْكي نارَها
بين القلوبِ تنابُذٌ وهجاء

هذا يقولُ لذاكَ إنَّ قبيلتي
سادتْ وأنتم أعبدُ وإماء

والحقُّ مُلكٌ للقوي يُرَى فلا
يرضى بأَنْ تسعى له الضعفاء

والواجبُ الأسريُّ يخلعه الذي
لم تكتنفْهُ شهامةٌ وإباء
إن أنجبتْ زوجُ الفتى ذكرًا فقد
تلقى الوجوهَ تُنيرها السَّراء
ويكادُ يقطعُ قلبَهُ غضبٌ إذا
وضعتْ بأنثى في بنيه نساءُ
فيدسُّها تحتَ الثرى موءودةً
أو سامَها بالذُّلِّ حيثُ يشاء
فكأنَّهُ بينَ البناتِ وبينه
أو كلِّ أنثى نقمةٌ وعداء
أَوَلَمْ يكنْ بينَ النساء وبينه
زوجية وأمومة وبناء
أعمالُ إجرامٍ يزيِّنها له
شيطانه وجهالةٌ عمياء
فتكاثفَتْ ظلماتها زمنًا وقد
طالتْ عليهم ليلةٌ سوداء
فإذا الهلالُ يلوحُ فيهم نورُه
شهرُ الربيع فتختفي الظَّلماء
ليلٌ تشرَّفَ قدْرهُ فكأنَّه
بين الليالي غادةٌ عذراء
إذ كان إيذانًا لعهد ينقضي
ويليهِ عهدٌ كلُّهُ أضواء

ضوءُ الهدى والحقُّ جاءَ به الذي
أوراهُ فامتلأتْ به الأرجاء
لما غدا بدرُ الهدى متكاملاً
في الأربعينَ وتمَّ فيه رواء
قامَ الرسولُ على الأنامِ مبشرًا
برسالةٍ كانت لها أعداء
من قومهِ إذ قال قوموا وَحِّدُوا
ربًّا لديهِ النَّفْعُ والضَّراء
واستهجنوا الأوثانَ فهْي سفاهةٌ
وضلالة يرضى بها السفهاء
وترفَّعوا عن فعل كل رذيلةٍ
يا قومُ فهي لدينِكُمْ إزراء
قالوا أتيتَ لنا بدينٍ ما لنا
علمٌ ولا عَمِلَتْ به الآباء
هذي أساطيرُ الأوائلِ أو كما
كَتبتْ على أنماطِهِ الشعراء
فرمَوهُ بالكذبِ الذي لا ينبغي
بمقامهِ واستحكمتْ غلواء
عادوه بالمكر العنيف فأوقدوا
للحرب نارًا ما لها إطفاء
لكنَّ هذا ما ثناهُ عن الذي
يسعى لعزَّتِهِ ولا الإيلاء

حتى أتى يومٌ يرفرفُ عنده

في نصرةِ الدين الحنيف لواء

فأقامَ مجتمعًا قواعدُ صَرْحِهِ

يبني عراهُ ترابطٌ وإخاء

لا فرقَ بين - ملونين ومن - له

في لونِ تلكَ البشرةِ البيضاء

الناسُ في نظر الشريعةِ كلُّهُمْ

في الواجباتِ وفي الحقوقِ سواء

****

(٧)

وقفة في وارا[1]

[الكامل]

«وارا» وقَفْتُ على ربوعكَ ساعةً
فاكتظَّ قلبي هيبةً وجلالا

لاحتْ معالمها لديَّ بعيدةً
فقطعْتُ قبلَ وصولها أميالا

فإذا بقلعتها بَدَتْ وكأنَّها
أهرامُ مصرَ رونقًا وجمالا

تحوي من الفنِّ الجميلِ روائعًا
فدهشتُ من تلك الروائعِ بالا

شادَتْ عباقرةُ الفنون قصورها
ويدُ الملوكِ تمدُّهُمْ أموالا

حتى غدت أولى القلاعِ بأرضها
قدمًا وباتَتْ للفنون مثالا

ومن الغرائبِ أنَّ هيئة قصرها
مضتِ القرونُ بها ودامت حالا

عكست علينا مجد أجدادًا سموا
فوق الثريا عزةً ومحالا

---

(١) من ديوان «عباس محمد عبد الواحد» الملامح - قصائد - بغداد - مطبعة أسعد.

ما طافَ ساحتَها العريقةَ سائحٌ
إلا استكانَ لفنِّها إجلالا

بهرَتْهُ هيبتها فأصبح ينطوي
ذاتَ اليمين تلفتًا وشمالا

مَنْ لَمْ يشاهد ما ذكرتُ بنفسه
ظَنَّ الظنون وكَذَّبَ الأقوال

أو شكَّ في تلك الحقيقةِ قائلاً
«كادت تكون خرافةً وخيالا

ما ذاكَ بالقول الصحيح وإنما
نسبوا أباطيلاً لها وخيالا»

واليوم لم تَرَ حولها شخصًا ولم
تَرَ دونها نصبًا ولا تمثالا

فخلتْ مرابِعُها الجميلة والتي
ظلَّ البهاءُ إزاءَها يتلالا

وترى الوحوشَ تجوبُ في عَرَصاتها
وترى حيال بنائِها أطلالا

رمزٌ يذكر عهدَ إرشادٍ مضى
نورًا وأنجب قادةً أبطالا

عهدُ الفتى عبد الكريم المرتضى
كان التقيَّ العادلَ المفضالا

أرسى دعائمَ سلطةٍ قامت على
نَشْر الهدى فَتَحَمَّلَ الأثقالا

وأضاءَ في نشرِ الديانة عمرَهُ
في الله حتى حُقِّقَتْ آمالا

العدلُ سادَ على جميعِ ربوعها
والظلمُ قَطَّعَ جسمَهُ أوصالا

ويدُ المنايا استأثرتْ فيه وقد
ولّى وخلَّفَ بعدهُ أعمالا

وضريحهُ ما زال مقصدُ كلِّ مَنْ
يرجو الإله به ندًى ونوالا

كتبت يَدُ التاريخ في صفحاتِهِ
حدثًا يُخَلِّدُ ذكرَهُ أجيالا

****

(٨)

أنَّةُ الفراق

[البسيط]

غـــادرتُ مـوطـنَ آبـائـي وأجـــدادي
مـخـلِّـفًـا عـنـده أمـــي وأولادي

تـركـتُ فـيـه أنـاسًـا لـيس لـي بَـــدَلٌ
عنـهـم ورؤيـتـهُـمْ شـوقـي وإسـعـادي

فـهـم حـمـايـةُ فـكـري مـن تـشـرُّدِهِ
وهُـــمْ أحـاسـيـسُ أحـشـائـي وأكـبـادي

أكـــادُ أفـقـدُ وعـيـي حـين أذكـرهُـمْ
ونـاظـري بـات فـي دمـعٍ وإسـهـاد

☆☆☆☆

رأيـــتُ وجـهـكِ يـا أمــاهُ يـغـمـرُهُ
دمـعُ غـداةَ الـنـوى عـن مـوطـنـي (شـاد)

يـلـتـفُّ حـولـكِ إخـوانـي وعـائـلـتـي
حـيـرى فـأوجـمـنـي غـمِّـي وأنـكـادي

فـصـرتُ أطـرقُ رأسـي حـين أرهـقـنـي
مـشـاعـرٌ نـبـضـتْ قـلـبـي بـتـرداد

وقـلـتُ فـي سـهـوةِ المـغـمـى وقـد أخـذتْ
تـرنـو إلـيَّ بـقـلـبٍ فـارغٍ صـادي

أماهُ هذا وداعي اليوم فانتظري

لي عودةً بالمنى مِنْ بعد إيفادي

إنَّ الأماني التي ما زلتُ أطلبها

تقضي عليَّ بأسفارٍ وأبعاد

عنكم وما زالت الآمالُ تدفعني

للمجدِ فارتقبي يا أم أنجادي

☆☆☆☆

فارقْتُها وتركتُ القلبَ مرتهنًا

لها وواصلتُ أسفاري بإجهاد

مرسيلِيا وإلى باريس رحلتنا

ومنه توًّا إلى أرجاءِ بغداد

أرضُ الأُولى بلغوا شأوًا وقد تركوا

للناس آثارَ تاريخٍ وأمجاد

أرضُ الرشيد ومأمونٍ ومعتصمٍ

وأرضُ من ملأ الدُّنيا بإرشاد

للوافدينَ إلى بغدادَ مغتنمٌ

ونائلٌ جلَّ عن حصرٍ وتعداد

وأنَّ لي في حمى أعلامها أملاً

في العلم والود من جمع وإفراد

أرضُ العراق أراني اليوم مغتطبًا

في العلم والودِّ من جمعٍ وإفراد

وأن أرى فيك شعبًا باتَ منفتحًا

للزائرين ومضيافًا لمرتاد

ففي محيّاهمُ آنستُ بارقةً

للضّيف تحكي وميضَ العارضِ الغادي

☆☆☆☆

معلميَّ أرى منكُمْ مصارحةً

تريحُ قلبي وتبقي سِرَّ إرفادي

مناهلُ العلم والآداب أنَّ لكُمْ

فيها مشاهيرَ كتّابٍ ونقاد

فما خَلَتْ أرضكُمْ من شاعرٍ لَبِقٍ

عبر العصورِ ومن أقطابِ رواد

آمالُ قلبي أرى منكم أساتذتي

ما قد رأيتُ لكم أيامَ إيفادي

أرجو دوامًا لجوِّ الودِّ مشتركًا

كي آخذَ العلمِ عنكم يا بني الضّاد

****

(٩)

[الكامل]

حسبي فخارًا في سجلِّ مفاخري

ومنايَ في ماضيه أو في الحاضرِ

إن نِلْتُ من كفِّ (البياتيِّ) الذي

أهدى إليَّ كتاب علمٍ فاخر

ديوانَ أشعارٍ يُعَزُّ منالُهُ

من فيضِ بحرٍ لا يَجِدُّ لعابر

☆☆☆☆

أفلا يَحِقُّ ليَ الثناءُ عليكَ يا

سيل المعارفِ والخضمِّ الزَّاخر

سِرُّ البراعةِ أنتَ مصدرُ نَبْعِها

ومليكُ ناصيةِ الغريب النَّادر

فإذا نَثَرْتَ فأنتَ أفضلُ كاتبٍ

وإذا قَرَضْتَ فأنتَ أحسنُ شاعر

شمْتُ الرزانةَ فيك خلقًا ثابتًا

أملَتْهُ فلسفةُ العراق الثَّائر

☆☆☆☆

لِينُ الجوانبِ والتواضع شيمةٌ

زانتْ عُلاكَ ولم تكنْ بالقاصر

فالبدرُ في سَمْتِ السماء مكانه
ونراهُ في وجهِ الغديرِ الفاتر

تلك المشاعرُ عن رضاكَ أكُنُّها
وحفظْتُها لك في عميق الخاطر

أرعى جميلكَ ما بقيتُ ولم أكن
يومًا بما منحتْ يداكَ بكافر

****

(١٠)

أفريقيا الثائرة

[الخفيف]

شـعـبُ أفـريـقـيّـا المـنـاضـلُ يبقى
فـي كـفـاحٍ وغـارةٍ شـعـواءِ

ضـد مـسـتـوطـنٍ طـغـى سـامـه الخسـ
ـفُ بـعـنـفٍ وقـسـوةٍ وجـفـاء

ضـد تمـيـيـزه المـشـين ومـا حا
كَ لـه مـن مـخـاطـرٍ وشـقـاء

كـم رأى لـلـمـسـتـوطـنـيَن عـيـونًا
سَـكَـرَتْ بـالـغـرور والخـيـلاء

ورؤوسًـا تـأبـى وتـرفـضُ أن تَـفْـ
ـقَـهَ إلا بـلـهـجـةِ الأنـكـاء

لـغـةُ الـنَّـارِ فـهـي أجـدرُ أن تـو
صِـلَ قـولاً بـأُذْنِـهِ الـصـمّـاء

فـيُـلَـبِّـي نـداءَ شـعـبٍ يـريـدُ الـ
ـعـيـشَ فـي مـأمـنٍ مـن الأرزاء

رافـضًـا فـكـرةَ الـتَّـمـايـزِ بـالـعُـنْـ
ـصـر، والـلـونِ رفـضـةَ الإيـذاء

فـلـه الحـقُّ فـي الـبـقـاء سـعـيدًا
نـائـبًـا مـن مـخـاطـر الـضَّـرَّاء

وبعيدًا عن التحيُّز توًا
قًا، إلى خَلْقِ ثورةِ الإنماء
آملاً أن يشيدَ صرحًا منيعًا
للمعالي والعزةِ القَعْساء
خطّةُ السيرِ والقرائن تُبْدي
أنّهُ في جَراءةٍ وذكاء
فهنا تظهرُ العوائقُ ممّا
دبَّروهُ بحنكةٍ ودهاء
باتَ في رجله النشيطة شوك
شلَّ ركبُ المسير بالإبطاء
إن أفريقيا شمالاً وشرقًا
وجنوبًا وسائر الأنحاء
جسمُ فردٍ ما مسَّهُ السوءُ إلا
باتَ يسري في سائرِ الأعضاء
يا بنَ أفريقيا الفتيةِ قاوم
إنَّنا في غنًى عن الإغراء
لَقِّنِ الغاصبَ المريعَ دروسًا
بشفاهِ البنادقِ الخرساء
فلأفريقيا عليك ديونٌ
أدِّ عن حقِّها بكلِّ وفاء
كي يصير الجنوبُ حرًّا طليقًا
بعد أنْ كان خافِتَ الأصداء

والـــــذي نــــــارُهُ طَــغَـــتْ وألـــمَّـــتْ

فـــانـــزوى دَوْرُ فـــرقـــة الإطـــفـــاء

فـاكـشـفِ الـــــدَّاءَ ســـوف تـعـلـم حـقًّـا

أنَّـــــــه مِـــــن تـــــلاطُـــــمِ الأهــــــواء

ثُـــمَّ عَـــجِّـل فـمـا عـلـيكَ ســوى الـبحـ

ـثِ ســـريـــعًـــا عــــن وصـــفـــةٍ ودواء

واسـتـعـنْ بـالـصـديقِ لا مـن أتـى بـالـزْ

ـــــزُورِ فـــي ثَـــــوْبِ خِـــلَّـــةٍ وإخـــاء

كــيــف تــرجــو دواءَ دائِــــك ممـن

هـــو فـــي الأصــــلِ مــصــدرُ الأدواء

إن يــكــنْ مــا يــقــولُــهُ الــيــومَ حــقًّــا

عــــن قـضـايـا أفـريـقـيـا الـــســـوداء

فـــلـــمــاذا ومــــا الـــمــبــررُ فــي دعْـــ

ـــمِ، نــــظــــامِ الجـــنـــوبِ بــــالإيـــواء

إنَّ دعــــوى الإخـــــاءِ يـنـقـضُـهُ الـصِّـد

قُ، وإن أكَّـــــــــــدوهُ بـــــالإيـــــلاء

فـالـصَّـديـقُ الـصَّـدوقُ فـي لـونـه الـثـا

بـــــتِ، لا فــــي تـــلـــوُّن الـحـربـــاء

فـمـن الجـبـــنِ أن نـحـابـيـه أو نُـصْـ

ـــغـــي لـتـلـك الـمـشـاعـرِ الجـوفـــاء

بـل عـلـيـنـا المـضـيُّ فـي الـسـيـر والـمطْـ

ـلَـــــبِ عـــبـــرَ الــمــعـــالـــم الـــوضَّـــاء

وحـــدةُ الـصَّــفِّ وحـــدةُ الـقــولِ والخـطْـ

طَـــــةِ، حـــــالًا ووحـــــــدةُ الآراء

نـتـنـاسـى مـــا فــــاتَ مـــن حـمـلاتٍ

ســـاهـــمـــتْ فـــي تَـــعَــكُّـــرِ الأجــــواء

فـــالــنـــزاعـــاتُ والـــتَّـــنـــاحـــرُ لا تـخــ

دِمُ، إلَّا مـــصـــالـــحَ الأعـــــداء

فـــبـــذا نـسـتـعـيـدُ مـــا ضـــاعَ ظـلـمًـا

وبـــــذا نمـــتـــطـــي ذُرا الجـــــوزاء

ســوف يـأتـي الـيـومَ الـــذي نـكـتـبُ الـتـأْ

ريـــــخَ، عـنـهـا فـــي صـفـحـةٍ بـيـضـاء

****

(١١)

دور العلم والأدب

[البسيط]

غـــذُّوا الـنـفـوسَ بمـا تحـويـه مـن أدبٍ

وحــكــمــةٍ فــهــي لــــلآدابِ تـفـتـقـرُ

فـهـي الـنـقـاءُ لـهـا ممَّـا يـشـينُ بـها

وإنَّـــهـــا هـبـةٌ تـقـوى بـهـا الـفِـكَـر

تسمو بـهـا الـنَّـفـسُ حتى أوج رفعتها

ودونـــهـــا لحـضـيـض الــذُّلِ تَـنْـدَثـر

لــولا الـعـقـول ومـا حـازتـه مـن أدبٍ

وحـكـمـةٍ لاسـتـوى الإنـسـانُ والـبـقـر

فـقـوتُ عـقـلـكَ آدابٌ تـلـمُّ بـها

إذا غـنـمـت فـحـقًّـا إنـه الـظَّـفـر

نِـعْـمَ الـثَّـراءُ ثـراءٌ لا تحـسّ لـه

خـوفًـا مـن الـلِّـص أو يـخـفـيـه محـتـكر

فـمـا أخـفَّ ومـا أحـلـى حمـولـتـه

إذ إنـه خـيـرُ مـا يُـعـطَـى ويـدَّخـر

أمَّـا الـعـلـوم فـفـي أبـحـاثـهـا قـيـمٌ

فـيـهـا الإنـارة والـغـايـاتُ والـثَّـمـر

فـيـهـا خـفـايـا مـن الأسـرار يكشـفـهـا

ذو هِـمَّـةٍ بـاتَ يـسـتـقـصـي ويبتـكـر

لـكـنَّـهـا تجـمـعُ الـضِّـديـنِ لاعـبـةً

دورًا تَـعَـادلَ فـيـه الـنَّـفـعُ والـضَّـرر

أمـا مـنـافِـعُـهـا الـعـظـمـى فـلـيـسَ لـهـا

حَـدٌّ ولـيـس لـهـا عَـدٌّ فـيـنـحـصـر

تحـقَّـقَ الـيـومَ مـا كـنـا نـقـولُ لـه

خـرافـةً ومـن الأوهـامِ يـعـتـبـر

غـزو الـفـضـاءِ تـتـمُّ الـيـومَ تجـربـة

لـه ويُـرتـادُ فـي أجـوائِـهِ الـقـمـر

وسِـرُّ مـا فـي خـبـايـا الـكـون تـكـشـفُـهُ

فـي دقـةٍ مـركـبـاتٌ عـنـدهـا صـور

ومـا تـقـدمـهُ تـلـكَ الـعـلـوم فـلـن

يـسـتـغـنـيَ الـنـاسُ عـنـهـا أيـنـمـا حـضـروا

أمـا الـتـحـدث عـن أضـراره فـلـقـد

بـدا عـلـى عـصـرنـا الـذريِّ يـنـتـظـر

إذ أظـهـر الـيـوم شـرًّا كـان مـسـتـترًا

فـأحـدق الخـوف بـالإنـسـان والحـذر

فـمـا أعـدوهُ لـلـويـلاتِ إن بـقـيـتْ

لا بـدّ يـومًـا مـن الأيـامِ تَـنْـفَـجِـر

ولا مـجـالَ لأمـنٍ مـن مـخـاطـرهـا

مـا لـم تَـزَلْ فـهْـي لا تُـبـقـى ولا تـذر

قـلـبُ ابـن آدم صـلـبٌ فـي تـعـامـلـه

أو قـلْ إذا شـئـتَ وصـفًـا إنَّـه الحجـر

فما الذي كان يرجو أن يعودَ له

من صنع أسلحةٍ تفنى بها البشر

صنعُ السِّلاح جديرٌ أن يحققه

لأنهُ غايةٌ أو أنَّهُ الوَطَر

إنَّ الملايينَ ممن ساءَ طالعهم

في العيش أو شُرِّدوا في الحرب أو هجروا

ديارهُمْ فقدوا المأوى وقد لجأوا

فماتَ أو ضاعَ من جرائه أُسَر

لو خصصتْ نفقات الكتلتين لهم

عونًا لصارتْ على الفاقات تنتصر

وسادَ في الكون حُبٌّ من تعاظمه

يَفْنى العداءُ فلا يبقى له أَثَر

لكنْ هوى النفس بات اليوم منتصرًا

على العقول فكادَ العقلُ ينتحر

وباتَ عالمُنا مما يهدده

على شفا جُرُفٍ يهفو به الخطر

****

(١٢)

دار الفتاوى

[البسيط]

عقدت لجنة الفتوى الإسلامية في العاصمة التشادية أول مؤتمر لها حضره ممثلون من شتى أنحاء المحافظات للجمهورية وكان الهدف من وراء ذلك إتاحة الفرصة للمؤتمرين لمعالجة القضايا المتعلقة بالدين وأهمها مسألة ثبوت الهلال في رمضان ومسألة التربية في الطرق الصوفية، فكانت النتائج إيجابية وقد قرئت هذه القصيدة في دار الإذاعة التشادية من قبل اللجنة.

دارُ الفتاوى ودارُ المجمع الباني
تألفتْ من بني قومي وأوطاني

إنَّ الذي قدَّمتْه اليومَ من مِنَحٍ
ثمينةٍ لذوي دينٍ وإيمان

كانت وما بَرِحَتْ تبدي نتائجها
على الورى دون إجحافٍ وحرمان

تعطي الرُّدودَ بفضل الله وافيةً
عبر الأثير بإيضاحٍ وتبيان

عون المدبر ترجو أن يحالفها
في أمرها فهو حقًّا خيرُ مِعْوان

واليوم قد عملت في عقد مؤتمرٍ
أتى نتيجةَ تفكيرٍ وإمعان

شعارُهُ أن يقومَ المؤمنون بما
يرضي الإله فيرضيهم بغفران
وتركْ ما أضعفَ الإسلامَ من حسدٍ
وما إلى ذاك من غلٍّ وإضغان
المسلمونَ جميعًا في تآلفهم
وفي التوادُدِ في سرٍّ وإعلان
كالعضو يؤلمهُ داءٌ فصار له
جسمُ الفتى منه في غَمٍّ وأحزان
واللهُ قال بحبل الله فاعتصموا
فالكلُّ ما بين إخوانٍ وخلاّن
ومن برامجه موضوعُ تربيةٍ
كما تناول من موضوع رمْضان
الصومُ قاعدةُ الإسلام نعلَمُه
أو أنه الرُّكن من مجموعِ أركان
له مزايا تزكي نفس محتسب
من الخطايا وتنشيطٍ لأبدان
تفتحتْ فيه أبوابُ الجنانِ وذا
شهرُ يُسلْسَلُ فيه كلُّ شيطان
وليلُ قَدْرٍ لديه باتَ مكتمنًا
ليلٌ تعطرَ من روحٍ وريحان
وللملائك تجوالٌ بليلتِهِ
لمطلعِ الفجرِ في أرجاءِ أكوان

تَحتَّمَ الصومُ في أمرين إن وجدا
رؤيا تَحقُّقُ أو إكمالُ شعبان

للاختراعاتِ دورٌ ليس ينكرُهُ
عقلٌ وقد سهلتْ شأنًا بإمكان

فالطائراتُ التي عمَّتْ منافعها
وآلةٌ أرسلت صوتًا لآذان

وما إليها فقد أبدى وأنجزها
للناس عصرُ صناعاتٍ وعمران

وكلها نِعَمُ الباري إذا حُسِبَتْ
عَدًّا وذا لم يكنْ في وسع إنسان

تلك الوسائلُ قد أضحتْ مقرِّبةً
وجهَ البسيطةَ في قاصيه والدَّاني

لذا فلو أنَّ في أقطارنا ثبتت
أهلَّةٌ وكفى في الشَّرْعِ عدلان

أو أنَّ في المغرب الأقصى تشاهدها
جماعة أو بدت في شرق سودان

فما على المرءِ إلا أنْ يصومَ بما
تقرُّه سادةٌ تفتي ببرهان

ولا يجوزُ لشخصٍ أن يفندَهُم
أو أن يسيءَ فيرميهم ببهتان

أمَّا التَّصوفُ فالقرآنُ مرجعُهُ
وسنَّةٌ نسبوها لابن عدنان

فمن أرادَ الهدى فليُمسِ متَّبعًا
ما أوضحَ الشَّرعُ في آياتِ قرآن

فتلك صوفيةُ الإسلام واضحةً
بنى عليها أولو علم وعرفان

إذ قسموا النفس سبعًا في مراتبها
في كلِّ طورٍ لها ما ليس في الثاني

أمارةٌ وهْي أوليها منسقةٌ
وهذه هي نفسُ الفاجرِ الواني

وعُدٌّ لائمةً منها وملهمةً
بذي مكارمِ أخلاقٍ وإحسان

ومطمئنةُ إيمانٍ وراضيةُ
أحكام ذي الطول من حُلوٍ وأشجان

مرضيةٌ وهي من نالت بطاعتها
من المهيمن في الدُّنيا برضوان

واستوفِ عدّك تتميمًا بكاملةٍ
فتلك نفس تخطَّت كُلَّ ميدان

ومنْ يَدَعْ ملةَ الهادي وسنّتَهُ
أو شرعَهُ باءَ في الدُّنيا بخسران

****

(١٣)
ساحة المسجد

زار الملك فيصل جمهورية تشاد وعلى إثر الزيارة قرر بناء أكبر جامع في أنجمينا العاصمة التشادية، فوافته المنية قبل إتمامه.

ثم أتم المشروع الملك خالد بن عبد العزيز كما هو مقرر وبمناسبة افتتاحه اشترك عدد كبير من مختلف الدول الإسلامية ومن المشتركين فيه الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر، وبهذه المناسبة كتبت هذه القصيدة والتي نشرت في مجلة الدعوة الإسلامية التي تصدر بالسعودية، وقد نشرت القصيدة في عدد ٦٦٥ في رمضان عام ١٣٩٨ هجرية.

[البسيط]

يا ساحةَ المسجدِ الميمونِ مركزهُ
ومعهدًا لفنونِ العلم والأدبِ

أصبحتَ مَقْصِدَ ركْبِ الوافدين إلى
رحابِ أرضٍ وقاها اللهُ من كَرَب

نستقبلُ اليومَ في أبهى مظاهرنا
طوائفًا من بقاعِ الوطن العربي

شكرًا لرابطةِ الإسلام إذ بعثَتْ
للاحتفالاتِ وفدًا خيرَ منتدب

كما يشاركنا في عيد مسجدِنَا
وإن يرى فيه وَضْعَ الدين عن كَثَب

فمرحبًا بقدومٍ طالَ موعدُهُ
فقد رجوناهُ وقتًا غيرَ مقترب
ما أنتمو يا حماةَ المسلمينَ سوى
مواطنينَ أتَوْا في ثَوْبِ مغترب
أواصرُ الدين والتاريخ تجمعُنَا
في ركنِ حصنٍ منيعٍ غير مضطرب
والدِّينُ جسرٌ ودار الناس قاطبةً
يَضُمُّ مختلفَ الأجناس والنَّسب
من كان في المغرب الأقصى مساكنه
ومن يقيمُ بأرضِ الصِّين أو حَلَب
تَضُمُّهُمْ في رحابِ الله رابطةُ الْـ
إسلام لا عروة الأنسابِ والحَسَب
إذ لا يرى الدِّين فرقًا في مبادئِهِ
فزال ما كان بين الناسِ من حُجُب
وهكذا أثبتَ الإسلامُ قوتَهُ
في الأرض راسخةَ الأركانِ والطَنَب
يا قلبَ أفريقيا السوداءِ يا وطني
أرضُ الجدودِ حماكِ اللهُ من عَطَب
ساقتْ إليكِ يدُ الأقدارِ عارفةً
فَنلْتِها دون جهدٍ منكِ أو تَعَب
إذ زاركِ الفيصلُ الميمونُ طلعتُهُ
محقِّقًا لك ما ترجوهُ من أرب
لمَّا رأى ذلك العملاقُ أنَّ لنا
ما كان في غايةِ الإلحاحِ والطَّلب

أرادَ في الحالِ أن يبني مساجدَنَا
وأنْ يمدَّ يدًا بالعونِ والرَّحْب
أكرمْ به من زعيمٍ لا مثيلَ له
كانت مواقفُهُ تدعو إلى العَجَب
دعامةٌ ظَلَّ للإسلام حين غدا
يوهي دعائمَها هونٌ من النَّصَب
وذَبَّ عن دينهِ المستهزئينَ ومَنْ
يرنو إليه بعينِ السَّخْطِ والغَضَب
لكنَّ فاجعةٌ كبرى مروعة
تمسي القلوب بها في غمرة اللَّهب
إنَّ المنيةَ لمَّا حانَ موعدُهَا
قد سارعت وبشيءٍ غير مرتقب
رحماكَ يا ربِّ رمسًا ضَمَّ أعظمه
واكتب له يا كريمًا حُسْنَ مُنْقَلب
لمَّا أتى خالدٌ من بعده أخذتْ
تزولُ عنَّا دواعي الخوفِ والرِّيَب
إذ تمم اليوم مشروعًا وساقَ له
مساعداتٍ من الأموالِ والنشب
أضفْ إليها عطايا ليس يَحْصُرُها
ما جاء في قالب الأوزان والخُطَب
جزاهُمُ اللهُ خيرًا عن تَفَرُّغِهِمْ
لدينِهِ ووقاهُمْ شَرَّ مُحْتَرب

****

(١٤)[1]

[الوافر]

صـيـاحـاتٌ تـوالـتْ أو مـكـاءُ
بِـعَـبْـراتٍ يـهـيـجـهـا الـبـكـاءُ

لـتـنـدبَ فـي كـآبـتـهـا فـقـيـدًا
وتـحـزنُ حـين آلمـهـا الـبـلاء

تَـوَارى فـي حـمـى الـرحـمـن نـوحٌ
ولاقـى حـيـثُ طـالَ لـه الـلّـقـاء

بَـكَـتْـهُ بـأرض أبـشـيٍّ رجـالٌ
وأطـفـالٌ وتـتـبـعـهـم نـسـاء

أصـابـهُـمْ الـذُّهـولُ فـيـا لخـطـبٍ
أمـاطَ الـصَّـبـر فـانـقـطـعَ الـعـزاء

لـفـاجـعـةٍ تـلـمّ بـهـم فـأوحـتْ
بـأشـجـانٍ قـرائِـنُـهـا عَـنـاء

أتـيـت لـهـم أيـا عَـلَـمًـا تـسـامـى
بـإنجـاز يـحـقُّ لـه الـبـقـاء

ولـيـسَ مـن الـغـريـب ولـيـس بِـدْعًـا
إذا ارتـاعـوا ولـيـس لـهـم هـراء

لأنـك كـنـتَ ركـنًـا قـد تـداعـى
فـأوشـكَ مـنـهُ يـنـهـدمُ الـبـنـاء

---

(١) رثاء الشيخ نوح محمد الأمين (من علماء مدينة ابشى).

ومنهلُ طالبي التعليم حقًّا
«وبحرٌ لا تكدِّرُهُ الدِّلاء»
ونبراسٌ تزولُ به الدَّياجي
ونورُ البدر تَمَّ لهُ رواء
حَمَلْتَ لواءَ نشر الدين حبًّا
لوجهِ الله فارتفعَ اللِّواء
وراحتُكَ السخيةُ كم أنالَتْ
ثراءً لا يضارعُهُ ثراء
ثراءُ العلمِ لا أعني حطامًا
على كفٍّ يبدِّدُهُ العطاء
فَللعلماءِ بين الناسِ فضلٌ
فكان من الإله لهُمْ ولاء
وأن لهم قيادةَ كلِّ أمرٍ
وإرشادِ الأنامِ وهُمْ رعاء
وفضلك بين أربابِ التفاني
وأهلُ العلم ليسَ لهُمْ خفاء

****

(١٥)[1]

[البسيط]

قلبي تُخالجُهُ الأحزانُ والكَدَرُ
ولوعةٌ باتَ منها الدَّمعُ ينهمرُ

فقدتُ خلاًّ وفيًّا كنتُ معتمدًا
عليه فانتابني الأشجانُ والضَّجَر

ماتَ الذي حَسُنَتْ في الناس سيرتُهُ
فكان بالحلمِ والأخلاقِ يَشْتَهِر

ماتَ التقي الذي لم يسعَ في عملٍ
إلا وكان له التفكيرُ والنَّظَر

طَلْقُ المحيا قويٌّ في إرادتِهِ
وفي المكارهِ والضراءِ يَصْطَبِر

قد كانَ في الخير ركنًا يستعانُ به
واليومَ أصبحَ هذا الرُّكنُ ينكسر

وكانَ للحق عونًا في مواقفِهِ
لا ينثني عنه مهما ناله خَطَر

إن قال في النصح قولًا غيرَ مكترثٍ
فطالما صاحبتْ أقوالُهُ الفِكَر

ففارقَ الأهلَ والأصحابَ عن مرضٍ
قد طالَ فيه وأوهى جسَمَهُ الكبر

---

(١) رثاء المرحوم عبد الله يونس المجيري، وهو شاعر ليبي الأصل عاش في مدينة أبشى - تشاد وكان رئيسًا للجالية الليبية في هذه المدينة، وافته المنية في أواخر رمضان عام ١٣٩٨هـ.

إن المنيّةَ جسرٌ فوقَ هاويةٍ
فكلُّ ما فوقها لا شَكَّ ينحدر

فيابن يونسَ كم أظهرتَ موهبةً
عظمى وحالفكَ التوفيق والظفر

تركت للقوم آثارًا مخلدةً
في الشِّعرِ إذ في معاني الشِّعر تَبْتَكر

ففي مدارس (أبشيٍّ) ومعهدها
بانت قصائدكَ الغراءُ تنتشر

فصارَ ذِكْرُكَ فينا خالدًا أبدًا
وإنَّنا بكَ بين الناسِ نَفْتَخِر

قضيتَ نَحْبَكَ في شهر الصيام لكي
تنالَ ما كنتَ عند الله تَنْتَظِر

ندعو لكَ اللهَ أن يعطيكَ مغفرةً
وجنَّةً مُدَّ فيه الظِّل والثَّمر

لكي تجوسَ وترعى في خمائِلِها
وأنتَ عن كلِّ ما تخشاهُ مغتفر

من كان في هذه الأوطانِ مسكنُهُ
أو كان في ليبيا قد جاءَهُ الخبر

عن موتِهِ فأنَا حقًّا أشاطرُهُ
ذاكَ الشعور الذي ما زال يَسْتَعر

آهٍ أُرَدِّدُ آهاتي مكررةً
إذ لا مَرَدَّ لِمَا قد ساقَهُ القَدَر

****

(١٦)[1]

[الكامل]

لذوي المكارم شيمةٌ وإباءُ
وفضيلةٌ وسماحةٌ وسخاءُ

ورجاحةُ العقل السليم فهذه
هبةُ الإله وكلُّها آلاء

أثني على أهل الضمير لأنهُمْ
للبائسينَ مسرةٌ ورجاء

وأخصُّ منهم بالثناءِ محمدًا
رجلًا تداعى عندهُ الضعفاء

والوافدونَ متى أقاموا عندَهُ
لا يشعرون بأنَّهُمْ غرباء

يقري الضيوفَ فكل ركنٍ شاهدٍ
للبيت فيه من الطعام إناء

رجلُ السماحةِ والديانةِ والوفا
تبدو عليه الشَّارَةُ البيضاء

وله مزايا لا تُعَدُّ لحاسب
ومزيد فضلٍ ليس فيه خفاء

---

(١) محمد إدريس كنانة (هو أحد التجار المشهورين والمعروفين بالكرم والسماحة في التشاد).

الـكـلُّ يـعـلـمُ مـا شـمـائـلُـهُ كـمـا اعْـ

ـتـرفـتْ بـفـضـل سـخـائِـهِ الأعـــداء

هـــو خِـــلْـــقَـــةٌ تـركـتـه آبـــاءٌ لـهُ

فـــتـــوارثـــتْـــهُ بـــدورهـــم أبـنـاء

****

عيسى عبد الله

عيسى عبد الله شاعر تشادي معاصر مجدد ولد سنة ١٩٤٨ [1] في مدينة أبشة شرق تشاد، وعاش فترة كبيرة من حياته في السودان وليبيا، وحصل على الشهادة الثانوية في السودان، والتحق بكلية الآداب جامعة الخرطوم سنة ١٩٦٨، إلا أنه لم يكمل تعليمه الجامعي، فانضم إلى صفوف جبهة التحرير الوطني التشادي المعروفة باسم «فرولينا»[2].

وله العديد من القصائد الشعرية المبعثرة، وجمع جُلّها في غلافين الأول تحت عنوان «باقة من لباقة» والآخر تحت عنوان «حذو ما قالت حَذَام» إضافة إلى ملحمته الإسلامية «كشف المطمورة عن أبيات مغمورة في نجوى نور المعمورة» وهي في باب المديح النبوي.

ويعد الشاعر من رواد التجديد في الشعر التشادي لغةً وصورًا وموسيقا، وذكر لي الشاعر في إحدى جلساتي معه في النادي الأدبي:

«أنا دائمًا أحاول أن أكتب الموضوع في القالب الذي أظنه يناسبه أكثر، ولكن هناك أشياء يناسبها شعر التفعيلة وأشياء يناسبها الشعر الحر، لكن في التجديد أبواب كثيرة وحاولت أن أطرقها، وعندما أفكر في الموضوع أفكر جيدًا في القالب الموسيقي الذي أحبه للعمل الأدبي، وأنا أعتقد أن الخليل بن أحمد قد وجد اثنين وعشرين بحرًا ستة منها للبحور المهملة وستة عشر للبحور المشهورة. أما البحور المهملة فأنا أستخدمها.

---

(١) لقاء تم بيني وبين الشاعر في النادي الشعبي التشادي بأنجمينا في ٢٠٠١/١/٢٤م.

(٢) ثورة فرولينا: وتسمى جبهة التحرير الوطني التشادي أسست عام ١٩٦٦ وهي حركة تحريرية لمقاومة النظام القائم وانخرط فيها معظم الشباب التشادي وتغنوا بها وبأهدافها.

أما كشف المطمورة فهي على «المتدارك/ فاعلن» وأعطيت نفسي فيها بعض الرخص وأعني الناحية العروضية، حيث اعتبرت فَعْلن مساوية لفعِلن بكسر العين». فالشاعر صاحب جرس موسيقي جذاب اكتسبها من نشأته البدوية.

على أية حال فإن شخصية الشاعر الثورية التحررية، وتركيبته السوسيوثقافية وكثرة ترحاله في عديد من الدول، كل ذلك صنع شاعرًا فريدًا استحق أن يكون رائد التجديد في الشعر التشادي.

وذكر لي في لقاء آخر معه أن ثمة عوامل ساعدت في تكوينه الشعري وميله للتجديد أهمها[1] «المحفوظات المدرسية، والمكتبات، وعشقه للغة العربية، وحضوره الحفلات والمناسبات الرسمية، والجمعيات الأدبية، وثورة فرولينا».

ويغلب على شعره النزعة الفكرية لكثرة كتاباته عن الثورة والوطن والمجتمع وما فيه من آمال وآلام، فهو يشبه العقاد شعرًا وحياةً، يفكر بالشعر ويشعر بالفكر.

(من ديوان «عيسى عبد الله» - حَذْو ما قالت حَذَامِ! - «ديوان شعر») من كلمات بين يدي ديوان «حذو ما قالت حذام» للشاعر عيسى عبدالله.

ليست بمقدمة

إذا رغب القارئ الكريم في أن يبدأ مطالعته بمقدمة مني لهذا الديوان، فعليه أن ينتقل إذًا إلى القصيدة القصيرة التي تحمل اسمه فإنها أصلح لتقديمه - بل لتقديم شعري كله! - من هذه الكلمات ... بالرغم من أن الترتيب الألفبائي الذي آثرته لما جمعته هنا من قصائد قد قضى لها بالموضع الذي هي فيه.

أما هذه الكلمات التي بين يدي القارئ الكريم فإنما هي محاولة مني للقيام بحق له - أو لها - أحسّه عليّ: هو الحق في شيء من التوضيح، فإن كان هو - أو كانت

---

(١) لقاء تم في النادي الثقافي الشعبي بيني وبين الشاعر. مارس ٢٠٠١م.

هي – ممن يرون هذا الحق مضيا في قراءتهما إياها، عسى أن يجنيا منها بعض الفائدة وفق ما يهويان: فالقارئ، والديوان بين يديه، هو الحاكم بأمره (أعني بأمر نفسه أو نفسها).

الجمع

ظللت أنظم الشعر منذ فترة مبكرة من عمري، ولكنني لم أسع قط من قبل إلى جمعه في شكل ديوان، بل كان لي موقف سلبي من هذه المسألة – حتى في وجه مساعٍ بذلها إخوة تشاديون وسودانيون وليبيون فيما سبق – مفضلًا أن أتركه مبعثرًا هكذا، ليجمع – إن كان فيه نفع – عقب وفاتي. ولم يكن هذا الموقف يمنعني من نشر بعضه في بعض الصحف والمجلات، خاصة في تشاد وليبيا، أو من تقديم شيء منه أمام التجمعات ومن خلال الإذاعات فيهما؛ كما لو يسقني إلى التردد في مد من يطلب نسخًا من قصائدي المحفوظة بما طلب.

هذا الموقف السلبي من الجمع ربما اتخذته حرصًا مني على ألا يطغى الأدبي في حياتي على الثوري (مع إدراكي أنهما متكاملان وليسا متناقضين)، أو لعله يعود إلى نزعة تطهرية ساذجة كامنة في أعماقي، أو إلى رواسب أخرى يعلمها الله وحده! أو قد يكون مرده ببساطة إلى التهرب من النقد، أو حتى من مواجهة النفس!.. مهما تكن علة ذلك الموقف فقد ظللت به متشبثًا إلى وقت قريب «رغم إيماني بأن إنتاج المبدع ينبغي أن يوضع في خدمة مجتمعه»، ولكن عوامل طرأت تضافرت مع أخرى تصاعدت وثالثة تصاعد الإحساس بها لتدفعني دفعًا إلى العدول عنه كما يبرهن إخراجي هذا الديوان، ومن هذه العوامل:

– أنه قد استحكم أمر أزمة «الندرة»: أعني قلة المتوفر من الإنتاج الأدبي التشادي باللغة العربية بين أيدي قرائها؛ وهو أمر لا يخفى ضرره المزدوج: إشاعة «القحط» الثقافي وتعميقه من جهة، وإضعاف حجة القائلين بأصالة العربية لغة وحضارة وواقعًا في هذه الديار من جهة أخرى.

– أنه قد استفحل أمر الغثاثة. فقد تكاثر الغث من المواد المنشورة فيما يعرف في تشاد مجازًا بالصحافة العربية؛ وتلك المقدمة عبر البث الإذاعي المحلي بالعربية، ومن خلال وسائط تعميم أخرى؛ وهي أمور ينتج عنها – من بين ما ينتج – أثران لهما خطورتهما البالغة: عرض صورة هزيلة مشوهة لثقافتنا في مواجهة ثقافة متفرنسة أرقى مظهرًا وأقوى حضورًا؛ وإبراز نماذج بائسة يتأثرها ناشئتنا في غياب البديل الذي يقتدى به.

– أنه قد تجلت بصورة أوضح، بعد الاستقرار النسبي الذي تحقق في تشاد، ضرورة التعجيل بإعادة إدماج هذا القطر في محيطه الثقافي العربي الواسع: فاعلًا ومنفعلًا، مؤثرًا ومتأثرًا، آخذًا ومعطيًا؛ ولن يتم ذلك إذا كتم كل من أهله العربية في تشاد ما عنده من علم أو إبداع: واجبهم هو – على الأقل – أن يسايروا دور الإخوة من العرب الآخرين في إغناء الحياة الثقافية والتعليمية والفنية العربية بالبلاد (وهل تخفى المجهودات المشكورة المصرية والسودانية والسعودية والخليجية الأخرى والليبية والمغربية والجزائرية؟).. وأن يعتبروا ذلك واجبًا عينيًّا على كل فرد، كي تتسارع خطا النهضة المرجوة، فإن من لوازمها التفاعل الصحي مع بقية أجزاء الوطن العربي؛ وأقل ما يفعله الفرد من أهل العربية في تشاد – إن كان مبدعًا – هو العمل على جعل الحصول على إبداعه متاحًا أمام دائرة أوسع!

– أنه قد بدأ، منذ سنوات، في جامعتي انجمينا والملك فيصل بانجمينا توجه محمود نحو الاهتمام بدراسة الأدب العربي التشادي. وقد أسس لمادته فيهما الأستاذ الدكتور/ عبد الله حمدنا الله، وساهم في ريادة الطريق معه الأستاذ الدكتور/ محمود العزب، ثم سار على خطاهما ثلة من الأساتذة الأجلاء. منهم الدكتور/ محمد فوزي مصطفى صاحب أول كتاب مطبوع عن الاتجاه الإسلامي في الشعر التشادي... وقد قام المذكورون – وزملاء لهم آخرون لا يقلون عنهم دأبًا وتجردًا – بالإشراف على عشرات البحوث الجامعية في الأدب العربي بتشاد ومناقشتها إلى جانب إخوانهم من

الأساتذة التشاديين. نصوص الأدب العربي التشادي قد أصبحت إذًا موضوع دراسة وتحليل ونقد في جامعات تشاد، فهل يستقيم ذلك مع بقاء هذه النصوص مبعثرة غير مجموعة وغير محققة؟

- أنه قد كان من آثار ذلك التوجه توجيه الطلاب إلى أن يجعلوا مواضيع بحوثهم الأدبية واللغوية - في الجامعتين المذكورتين، وفي ثالثتهما، إن شاء الله، ذات الاسم الذي تفتخر به الثقافة العربية في تشاد، عندما تصل إلى تلك المرحلة - مواضيع تشادية. ولما كنت مهتمًا بأنني رائد الاتجاه التجديدي في الشعر التشادي المعاصر فلقد انعكس ذلك التوجه عليّ نموًّا كبيرًا في طلب نسخ من قصائدي تتنوع بتنوع البحوث، ويتزايد الطلب بتزايد الطلاب في مرحلة التخرج ومراحل الدراسات العليا.. فكان لابد، توفيرًا للوقت والجهد والمال على الجانبين، من أن أسعى إلى جمع شعري إسهامًا مني في هذا الجهد المبارك الذي ترعاه إدارتا الجامعتين وأساتذتهما وطلابهما.

- أنه قد تبين، مع ازدياد المدارس العربية وتلك التي تدرس باللغتين ومع الارتفاع الملحوظ في عدد الجمعيات الثقافية وفعالياتها، قوة تعلق الأجيال الجديدة بالأدب عمومًا والشعر منه على وجه الخصوص، لتبرز حركة شعرية متوثبة في تشاد. ومن حق هذه الحركة الشعرية المتوثبة على الجيل «المخضرم» من الشعراء والنقاد وسائر الدارسين أن ييسروا لها سبل الاستفادة من رصيدهم الإبداعي والمعرفي كي تبنى عليه وتتجاوزه.

إن توفر الإنتاج الأدبي الوارد من بقية أجزاء الوطن العربي ظاهرة إيجابية وعامل مهم في تغذية الحركة الشعرية الراهنة في تشاد، ولكنه لا يلغي ضرورة الاستفادة من الرافد المحلي إلى أقصى حد: فإن هذه الحركة لا ينبغي لها أن تنبتّ من جذورها، بل يجب عليها أن تنطلق من «خصوصيتها» و«محليتها» لكي يكون لها طعم ولون هما من مبررات وجودها أصلًا، ومن عناصر تحولها - إن شاء الله - إلى مصدر إثراء للأدب والثقافة العربيين على النطاق القومي.

حينما صح العزم مني، بناء على ما قدمت، على أن أشرع في المهمة، جابهتني صعوبتها.. بل تعذُّرُ الوفاء بها على الوجه الأكمل: ذلك أنه يفترض فيما يُجمع أن يكون موجودًا في حال تشتت، والواقع أن هذه الصفة لم تكن تنطبق إلا على جزء مما نظمت؛ ويبقى الكثير منه مفقودًا، فلا هو في الذاكرة، ولا هو مقيد في وسائل الحفظ الأخرى! أما ذاكرتي فلا تعينني مطلقًا على حفظ أشعاري، ولا تكاد تستحضر إلا ما نظمته منها في ظروف خاصة – كظروف السجن حيث تحظر الأوراق والأقلام – وحتى هذا فإنما تستحضره في الغالب جزئيًا. وأما وسائل الحفظ الأخرى – وهي أساسًا الأوراق عندي – فلقد عَدَتْ عليها العاديات وأضاعتها سني النضال والمطاردة لاسيما أثناء عهدي طاغيتي السودان وتشاد: نميري وهبري، لا سقى الله أيامهما.

لذا كانت حصيلة مسعاي: الكثير مما نظمت خلال العقد الأخير إلى جانب القليل القليل مما نظمت قبله، وذلك لأن اعتمادي في الجديد كان على الأوراق المحفوظ جلها، أما في القديم فقد كان على الذاكرة المضيِّعة!.. ولقد كانت تسعفني أحيانًا بالبيت والبيتين أو السطر والسطرين ثم تحرن، وتجود أحيانًا بأكثر من ذلك، وقلّما تكملها قصيدة. فرأيتُ أن أصرف النظر عمل قلَّ عن خمسة أبيات أو أسطر؛ وأن أختار مع ما زاد عن ذلك أحد سبيلين: إما أن أورده كما هو، وإما أن أقوم بما يشبه عملية ترميم الآثار عليه.

ولا ريب في أن النتيجة – في الحالة الأخيرة – لا تنطبق على الأصل انطباقًا تامًا، ولكني أجتهد في أن أجعلها أقرب ما يمكن إليه. وقد عقّد من هذه العملية أنه يكون لديّ – ساعة الكتابة الأولى للنص الشعري – أكثر من تصور مبدئي، فربما أختار تصورًا ما وأسجله على الورق بينما تختزن الذاكرة أو اللاوعي غيره. وربما أكتب البيت أو السطر بصورة معينة ثم أجري عليه تعديلاً مرةً ومرتين وثلاثًا حتى تكون صورته الأخيرة مختلفة تمامًا عن صورته الأولى؛ ويختلط الأمر عليّ عندما أحاول استحضار ما قرّ قراري عليه ما لم يكن مسطرًا أمامي!

الاختلاف إذًا واردٌ بين صورة القصيدة هنا وصورتها المنشورة من قبل إلا إذا توفرتُ على نسخة من الإصدارة التي نُشِرَتْ فيها لدى شروعي في الجمع؛ وهو ما كان مستحيلًا في أغلب الأحيان. فمن استطاع الحصول - مثلًا - على عدد مجلة «سلام» التشادية الذي ظهرت فيه «إجهاض» عام ١٩٨٠م لمس فرقًا ولا بد بين صورتها هناك وصورتها هنا؛ وهي نفس الملاحظة التي سيلاحظها من يقارن بين «يا أسمرا» في هذا الديوان و«يا أسمرا» المنشورة في أحد أعداد مجلة «البلاغ» اللبنانية عام ١٩٧٤م أو ١٩٧٥م. وهذان مثالان فقط لما تسببه عملية إعادة البناء المشابهة - كما أسلفت - لعملية ترميم الآثار من تغيير.

إن العمودي عندي ينقسم إلى عدة أصناف:

١- فهناك العمودي «المحض»، الملتزم بالقواعد العروضية، المندرج تحت بحر من البحور الستة عشر المعروفة، وهو كثير في الديوان.

٢ - وهناك العمودي الذي يوافق الصنف الأول في كل شيء عدا الالتزام بالقواعد العروضية، متمردًا على قاعدة منها أو أكثر، كما هو الحال في «أي صحو».

٣ - وهناك العمودي الخارج على البحور الستة عشر في صورها المستقرة، المنظوم على الصورة النظرية المفترضة لبعضها؛ تلك الصورة التي «اكتشفها» أوحد العربية ومنشئ العلمين الخليل بن أحمد الفراهيدي عندما صمم الدوائر الخمس، مبينًا أن العرب لم تنظم عليها. فهذا الصنف خارج عن البحور ولكنه ملتزم بالدوائر، مثل قصيدتي «ما لم» و«بلا إذن».

٤ - وهناك الصنف الذي يشاركه في خروجه على البحور المعروفة وفي كونه ضمن الدوائر الخمس. أعني الصنف المنظوم على أوزان البحور المهملة التي «اكتشفها» الخليل، رحمه الله، من خلال عملية فك الدوائر، وبيّن أيضًا أن العرب لم تنظم عليها. ومثالها في هذا الديوان قصيدة «وداعًا للرواغ».

٥ - وهناك «العمودي» خارج على البحور والدوائر معًا، الملتزم رغم ذلك نظامها الموسيقي من وزن وقافية. وهو كثير في هذا الديوان.

والمسافة بين أول هذه الأصناف وآخرها قد لا تقل عن المسافة بين آخرها وشعر التفعيلة؛ فلماذا اعتبر إحدى المسافتين ولا اعتبر الأخرى؟ يكفي أنه – عندي – شعر كله لكي أضمه بين نفس الغلافين!

السطور الفارغة والهوامش

يلاحظ القارئ الكريم وجود سطر فارغ يفصل بين الأبيات في كل القصائد: يفصل أحيانًا بين مجموعتين من الأبيات، وأحيانًا بين بيتٍ وآخر أو بين بيتٍ وعدة أبيات أخرى.. فلا يسبقن إلى ظنه أن في الأمر «سنسرة» أو أن ذلك دليلٌ على سقوط أبيات أو سطور من القصيدة.. كلا، وإنما هو نظامٌ أتّبعه يشير إلى اكتمال جزئية معينة من الفكرة أو المعنى يحسن الوقوف عنده هنيهة أطول من هنيهة الوقوف بين كل بيتٍ وآخر، أو بين كل سطرٍ وآخر؛ وقد وجدت أن ذلك يساعد على إيضاح المعنى المراد في ذهن القارئ، وأنه يساعد أكثر في إلقاء القصيدة. وآمل – وأنا أتّبع هذا النظام – ألا يساهم، من حيث لم أرد، في إغلاق «الاحتمالات المفتوحة» التي ينبغي أن يكون فضاء القصيدة المعنوي محملًا بها! ولو لم أكن حريصًا على إبقاء هذه الاحتمالات لناقضت نفسي وأنا أحاول أن أجوب «الممكنات التي لم تتحقق» – أو لم تتحقق على نطاق واسع – في دنيا الأوزان كما أجوب الممكنات التي تحققت فأصبحت بحورًا مألوفة (والتي يحسب البعض أن ذلك يمنحها قداسة لا تجيز المساس بها أو الزيادة عليها).

وفقنا الله وإياهم، وسخرنا – مأجورين بإذنه – لخدمة هذه اللغة التي نحبها، ونحب أفصح من تكلم بها، صلى الله عليه وآله وسلم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين!.

أنجمينا، يناير ٢٠٠٤

****

١ - رَدُّ فِعْلٍ

[المتقارب]

ومَــنْ لـم يَـخَـفْ مـن زئـيـر الأُسُـودْ

فَـمَـا بـالمـبـالـي طَـنِـينَ الـذُّبـابْ؟

وإنّـي لَـروحٌ لمـعـنًى يـسـودْ

بـهـذا الـتُّـراب وفـوق الـسَّـحـابْ!

وإنّـي لـقـلـبٌ وفـيٌّ ودودْ،

وإنّـي لـعـقـلٌ فـتـيٌّ عـجـابْ!

سـخـيٌّ كـدنـيـا تـضـمُّ الحـشـودْ،

وحَـيٌّ كـكـونٍ تحـدّى الخـرابْ!

وإنّـي لأُعْـيـي لـسـان الحـسـودْ:

فـأنّـي أُعَـنَّـى بـأدنـى اضـطـرابْ؟

خور طقت الثانوية

(قرب الأبيض)، ١٩٦٦م.

****

٢ - إجهاض؛[1]

يتوازَنُ أَطلس[2] فوق الحوت، يُقلُّ الدّنيا كالتّابوتْ...

... رغمَ المستنكرِ أطلسُ باقْ!

والحمل ثقيلٌ مثل الذّكرى عند الثّكلى في الأعماقْ؛

بطر الإنسان يزيد الحمل فيرفسُ أطلس ظهر الحوتْ؛

والحوت الطّافي وسط اليمّ يعيش النّفيَ مع الإرهاق...

ضجرًا إذ ينفث – كالنّافورة – في الدّنيا حمم الكبريت

وشعور اليأس مِنَ الأنساق!

.. فتخدُّ النّفثة في المعمورة هذا الطَّلَّسْمَ المنحوت:

«لا إنسانيّة في الإنسان سوى المرصودة للإغراق!»

انجمّينا.. أم بيروت؟

☆☆☆☆

ترقب الغِربانُ – في الأجواء – أنْ يستحكمَ الطّاغوت

شأن مسعى غرفة التّجّار باسم الدّين والأفكار والأجناس والأعراق

والألى قد شرّعوا التّطفيف في المكيال والميزان: كلّ الطّاقم الممقوت...

(١) المناسبة: خلال حرب الأشهر التسعة يونيو ١٩٨٠م.

(٢) أطلس: الثور الأسطوري الذي يحمل الأرض على قرنه.

كلّه يدعو بما يرويه عن هاروت أو ماروت[1]...

راجيًا أنْ تُصبح الأعياد ميدانًا لبيع مراسم التّأبين والتّكفين والإحراق...

ثم تُدْحَى أعينُ الأطفال أحجارًا من الياقوت...

☆☆☆☆

حيث البارودُ جوار القوت متاحٌ في كلّ الأسواق!!

انجمّينا.. أم بيروت؟

☆☆☆☆

ساد مسٌّ يشمل الأيّام والأهواء والأحداق...

مُذْ بِيعَ الجوعُ في الحانوت!

..مُذْ تعرّتْ نُخبَةٌ عاشت مدًى مستورةً بالتّوت...

واستطابت حجّ أوروبا لأجل الجنس والأوراق:

منهم الآتي خبير القطر في القانون.. والأستاذ في اللاهوت!

في تعرّيهم بأن الكُلَّ جزّارٌ للحم الكادح المبهوت...

☆☆☆☆

وبلا إشفاق!

انجمّينا.. أم بيروت؟

☆☆☆☆

يا لوعدٍ كافي الإهلال بدرًا لوَّنَ الآفاق...

كان عند النّاس مثل الماء...مثل القوتِ:

بشرى أُجهِضتْ بالصّاعق الموقوت:

---

(١) هاروت وماروت: الملكان ببابل، المذكوران في القرآن الكريم، اللذان يعلّمان الناس السحر.

بضع أفراسٍ من الأخشاب جالوتيّة[1] الألوان باريسيّة الأشداق!

فلنباشر بحثنا عن غوثنا طالوت...

عن سنا شمسٍ بظهر الغيب يصحو ضوؤها المكبوت...

كي ننَقّى - إنْ وجدناها - من الإذعان والإملاق...

من نهار الحاضر المستوحش المبتوت

منْ فِرارٍ في اللّيالي ينشد السّلوى بواق الواق...

مبتغانا سلّم المستقبل المنعوت...

.. في معاني تلكم الأسطورة السّحريّة الإشراق!

....

امض بلّغ كلّ بازوكا غدًا: «كُفّي عن الإطلاق!»

☆☆☆☆

وستستغني

عن أطلسَ ثَمَّ ظهرِ الحوت..

عضلاتُ انْجمّينا وقُوى بيروت!!

****

(١) جالوتية: نسبة إلى جالوت الذي قتله نبي الله داود عليه السلام. وطالوت: معروف في نفس القصة.

٣ - إلى مَتَى؟!

حياتنا ... إلى متى ..

نعيشها تماوتا:

فندمن التلفّتا،

ممكّنين مَنْ عتا؛

ودائمًا مؤقّتا!..

إلى متى؟ .. إلى متى؟؟.

إلامَ نبدأ السُّرَى بمُصلحٍ

فننتهي - لدى الضُّحى - بطاغيه..

..«معظّمٍ» و«ملهَمٍ» ولا يطيـ

ـق مِنْ حناجرِ الجموعِ لاغيه؟

وأين في وُلاتنا مَنِ استوى

فلم يعد يصول كي نناغيَه؟

و«فرقة النّجاة»[1] - إن تهيّأت

لها كتائب الشّراة مصغيه...

إذا بها - بُعَيْدَ بذل جهدهم -

مضلّةٌ مِنَ الفئات باغيه

مليئةٌ تعنّتا!

إلى متى؟ .. إلى متى؟؟

(١) فرقة النجاة: إشارة إلى الفرقة الناجية الوارد ذكرها في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. الشراة: هم المعروفون في التاريخ الإسلامي بالخوارج.

مِـــنَ المحـيــطِ لـلـخـلـيـجِ كـم ســرى،
وكــم أتـــاكَ، مــن حــديــثٍ غــاشـيــه...
بـــأمَّـــةٍ قـــدِ اســتــقــرَّ بـؤسـهــا
لأنَّـــهـــا تجــنَّــبــت تــلاشــيــه!
وثَـــــمَّ حــــاكـــمٌ عـــلا بــثـــورةٍ
يـلـوحُ - بـعـد مــدَّةٍ - بــلا شـيـه:
مـــلامـــح الـــصَّـــلاح مـــثَّــلــتْ بـهـا
طـبـيـعـةٌ تــنــرجـســتْ وحــاشــيــه...
تــصـــايــحــتْ بـــرســمـــه مـــفـــكَّــرًا،
فـصـيَّــر المـفـكِّـريــن مــاشــيــه...
ليعلفوا التَّهافتا!
إلى متى؟ ... إلى متى؟؟

وتمــضــغ الـــكـــلام فـــي تحــذلــقٍ
جـمـاعـةٌ عـلـى «الـيـسـار» راسـيــه...
عــن «المـكـاسـب العـظـيـمـة الــتــي...»
لــعــلَّــهـــا لخـــادمـــات آســـيـــه!
ويــطــرب الــزَّعــيــم - فَـــهْـــوَ، دائــمًــا،
وجـــالـــدُ عُـــمَـــيْـــرَةً[1] ســواسِــيـه -
فـتـعـتـري «يــســـارهـــم» زيــــادةٌ،
تُـحـجِّـر الـقـلـوب وَهْـــيَ قـاسـيـه...
فـلا يُـكَـفْـكِـفـونَ دمـــعَ شـعـبـهـم،
ولا تــعـــي عــقــولُـــهـــم مـأسـيـه
وقد تَفَرْعَنَ الفتى!
إلى متى؟ ... إلى متى؟؟

(١) جالد عميرة: ممارس العادة السرية.

ويظهر الفتى لكم، مُتلفزًا،
إذا فتحتم الجهاز ثانيه!...
وقد يَحُلُّ في جدار مسجدٍ،
وقد يُطِلُّ من إزار زانيه
ويوم مهرجانه يرى مُمَثْ
ـينًا على سواعد الزَّبانيه
فإنَّه - وحقِّه! - لَمُولَعُ
بوجهه، مطالعٌ معانيه!..
لذا تمثَّلَتْ رسومه له
مرائيًا[1] على الدَّوامِ دانيه..
وحيثما تلفَّتا!
إلى متى؟... إلى متى؟؟
وَرُبَّ جاهلٍ يلي كعاهلٍ،
فيأخذ البلاد نحو هاويه...
فلا يزيدُنا المآل حكمةً،
ولا نُصيخ للدّروس داويه:
ولم يزغه أنّ قلبه عمٍ
ورأسه - كما استبان - خاويه!
وكم (ذوي فضيلةٍ!) تجمَّعوا
وكلّهم مهيَّئٌ فتاويه...
فبايعوا المعفرتا!
إلى متى؟... إلى متى؟؟

---

(١) مرائيا: جمع مرآة.

ومـثـلـمـا تـعـالـوا تـشـاعـروا،

فـكـلٌّ واحــدٍ أبـو الـعـتـاهـيـه!

وجـلُّـهـم تـطـرَّقـوا - تـصـوُّفًـا!-

ورغـم ذاك فـالـقـلـوب لاهـيـه..

وهـمُّـهـا الـنُّـقـودُ دون وازعٍ

تـلـمُّـهـا حـريـصـةً مـبـاهـيـه:

فـكـثـرةٌ عـلـى الـهـوى تـنـافـرتْ،

وقـلَّـةٌ عـن الـضَّـلال نـاهـيـه...

لـيـفـتـح الـصَّـفـاء سـكَّـةً بـلا

سـيـولـةٍ، وشـارع الـكَـراهِـيَـه...

مُعبّدًا مسفلتا!

إلى متى؟ ... إلى متى؟؟؟

(نظمت - أولًا - بانجمينا في ١٩٩٨/٥/٣٠م

ثم روجعت بانجمينا ودربالي في مارس/أبريل من عام٢٠٠٠م)

****

٤ - رفاقي[١]

[الوافر]

رفاقي يولدون ضحَى..

وفورًا تُلْهَمُ الأطيار ذاك الشّدو والمَرَحا،

ويغفو البرعم الوسنان – لم تمسح نداهُ اليدْ –

ولكنْ يوقظ الإشراق جَفنَ الكادح المجهدْ:

فقد آن الضّحَى فصحا

لِيُفْنَى يومُه في كدٍّ..

كأنَّ الكدّ غولٌ قد نفى أيَّامه ومحا..

كما قد غال – أيضًا – ليله المُسْوَدَّ

وأمسى يطحنُ المخضرَّ من أحلامه كَرَحَى

– وفيها مشهدُ الآلاف آلت أنّها لابدَّ..

لها من أن تذيق الظّلم ما اجْترحا..

ليبقى عدلُها الأوحدْ! –

وجاء الغولُ مكتسحا

صلاة العيد في المشهدْ

ليقتاد الغد المرجوّ نحو المحبس الموصدْ،

وبابُ السّجن ما انفتحا:

---

(١)(مقدمة قصيدة طويلة تمجد نضال الشعب الفيتنامي وشعوب كمبوديا ولاوس في وجه الإمبريالية، ولم يبق منها في الذاكرة – بعد ضياع النص المكتوب – إلا هذه السطور!).

فما من مهجةٍ تستنشق الفرحا،

وما من مخرجٍ يوجدْ..

سوى السِّندان والمبردْ..

سوى كدٍّ عدا الآلام ما منحا:

فقط نحو القنوط نحا!

ولكنْ فجأةً يولدْ..

منِ اشْتاقت إليهم خضرة الدّنيا لتنشرحا

وملح الأرض أيضًا والسَّحاب ليبدأا في العدٌ!

....

رفاقي يولدون ضحى،

وظهرًا يطلقون الغدْ!

(المنطقة الرئيسية)

في الريف التشادي المحرر. ١٩٧٢م

****

٥ - النّوم في عَيْنَيْ وَطَنٍ

كان آدمو عبد الرحمن أحد أبطال الثورة التشادية. ولد البطل الراحل عام ١٩٤٩م ثم نشأ بالسودان، حيث التحق بصفوف جبهة التحرير الوطني التشادية (فرولينا FROLINAT) قبل أن يبلغ الثامنة عشرة، فكان من الرعيل الأول من فدائيي فرولينا الذين واجهوا النظام الدكتاتوري الرجعي العميل المدجج بالسلاح في الستينيات مسلحين بالإيمان والرماح والسكاكين وقليل من البنادق الأثرية! .. وظل الفقيد مناضلًا صلبًا أكثر من ٢٦سنة حتى قضى نحبه قبل شهرين بعد صراع مرير مع المرض: مات فقيرًا – إلا من الإيمان! – لأنه آثر الباقية على الفانية فلم ينضم إلى قطيع الحذاق وأغنياء الحرب رغم استطاعته ذلك لو أراد! وظل عمره كله يعض بالنواجذ على مبادئ الثورة الشعبية: معتصمًا بحبل الله، مؤمنًا بالجماهير، متمسكًا بتوجهه العروبي الواعي المنفتح.

توفي في ٦ أكتوبر– اليوم ذي الدلالات في تاريخنا القومي المعاصر – بطرابلس الغرب؛ بينما توفي المناضل الفلسطيني خالد الحسن (أبو السعيد) في اليوم التالي بالمغرب الأقصى بعد صراع مرير أيضًا مع المرض... وقد ظل الفقيد – الذي كان أحد مؤسسي «فتح» – رافضًا اتفاقية غزة/ أريحا وما تمخضت عنه حتى قضى نحبه: فكان من خير أعماله خواتيمها.

ألا رحم الله الراحلين الخالدين، النائمين في عيون الوطن، واللذين غادرانا في زمان الحصار والانكسار!... وليرحم الله تعالى أمتنا التي قضى عليها بأن تعيش هذا الزمن!!

(١)

هل من زرادشت النّبوءات التي هزّتْ زمانًا فاجعًا سمْج المزاحْ؟

أم هل أتتْ من قول صوفيٍّ وقد أضحى مع المكنون سرًّا واحدًا في «كنْ!» توارى لا يُباحْ!

أم من كتاب الكشف مخطوطًا بدمع القهر مفتوحَ الكُوى لمّا يُسَد؟

أم هل سواهم – واهمًا، مهما يكن! – قد قال إن الفجر في إفريقيا أو في بلاد الشّرق لاحْ؟

أنّى له؟... إنّي أرى غردون[1] إذ يسعى إلى الخرطوم – كالأفعى – بحبلٍ من مسدْ...

كيما يشلّ الرّوح أو يقتادها مسبيةً سبيًا كما كان الجسدْ!!

إنّي أرى!.. والنّاس – أهل الكدح – في بغداد[2] صيدٌ مستباحْ...

من خلفهم «قلب الأسد»[3]!...

فالأفق سمٌّ سدّه دفق النّباحْ!

أما صلاح الدّين فالسّوّاح قد باعوه من سادات أحياء الحمى تعويذةً ضدّ الحسدْ:

إذ كان ملقًى في أريحا شلو تمثال هوى مسترجعًا عهد البطولات الّذي ولّى وراحْ...

---

(١) غردون هو تشارلز جورج قوردن أو غردون باشا عسكري بريطاني خدم في الإدارة الاستعمارية بالسودان إبان العهد التركي وهو آخر الحكام التركيين/ الخديويين على السودان في تلك الحقبة الاستعمارية المنتهية بمقتله وانتصار الثورة الشعبية الإسلامية تحت قيادة الإمام محمد أحمد المهدي وخليفته السيد/ عبد الله بن محمد تورشين عليهما رضوان الله.

(٢) الإشارة هنا إلى معاناة الشعب العراقي من جزاء استمرار الحصار المفروض عليه.

(٣) المعنى هو ريتشارد قلب الأسد «العاهل» البريطاني المشهور بمشاركته في الحملات الصليبية.

حتّى شراه الآلُ بالدُولار بَخْسًا... (وفق آليّات سوق الانفتاحْ!)...

مِنْ أجل أنّ الحقّ في الدّنيا كسدْ!!

إنّي أرى!.. والقدس ظلٌّ كامنٌ في ظلمة الإمكان ظلَّ اليأس يقصي عنه طاقات الصّباح:

فالعالي يعلو فوق رأس العُرْب مأذونًا له، نشوان، موعودًا بحقّ الاصطباحْ!!

إنّي أرى!.. لكنّ بنغازي تظلّ اليوم أيضًا دونها في الجوّ[1] سدٌّ ثُمّ سدْ:

فالشّاطئ المزعوم للفاشست شطًّا[2] رابعًا قد صار محظورًا على الأطيار خطًّا للرّواحْ...

والطّائر المخضرُّ مقصوصُ الجناح!!

إنّـي أرى!.. أمّا جنوبًا، بعد هاتيك الـذُّرَى، فالماء في شـاري[3] - نهير الجنّة الأحلى! - فسدْ:

منسوب بول العسكر الإفرنج[4] أمسى ثُمّ أعْلى من نُفاياتِ البِطاحْ...

والنّهرُ طفلٌ جائعٌ: مهما دنا ثَدْيٌ لَسَدْ!

لا غرو أنّ العصرَ عصر الانبطاحْ!!!

(٢)

يا مُحصيًا أوراق[5] أمريكا.. أيا مستقصيًا - في التّوّ - فتواها لدى أيّ اقتراحْ...

---

(١) الإشارة هنا إلى الحصار الظالم المفروض على الشعب العربي الليبي.

(٢) كان الفاشيون الطليان يزعمون أن الساحل الليبي هو الشاطئ الرابع لإيطاليا والذي لابد من إعادته إلى بيت الطاعة!

(٣) شاري: هو أهم أنهار تشاد والمغذي الرئيس لبحيرتها.

(٤) إشارة إلى القوات الفرنسية المرابطة بتشاد.

(٥) الإشارة هنا إلى الجملة الزاعمة أن ٩٩٪ من أوراق الحل بيد أمريكا.

زُوِّجْتَ خضراء الدِّمَنْ؟

أم أنتما خدنان لمًّا في سفاحْ؟؟

إن تعتزم نيلاً بها شيئًا[1] من الحقّ المتاح اليوم يخطئْكَ الفلاحْ،

أو تَشُكُ أنّ الطّالبين الحقّ كُلًّا كاملاً هم أمّةٌ من غير أصحاب الفِطَنْ...

فاللهُ خيرٌ حافظًا؛ لا يأخذ المولى وسَنْ!

(٣)

يا خالدًا رغم الرّدَى – مثل المُنادَى «آدمو»!– : دُمْ في تحدّي القلب أغلال الكُساحْ!

دُمْ في دمٍ يَروي فِلَسطين الّتي أحببتَها لا يَسْأَلُ النّاسَ الثّمنْ!

دُمْ في رهانٍ رابحٍ: راهنتَ في إيمانك المعصوم بالرّؤيا على أنّ الزّمنْ...

في صالح الحقّ المُزَكّى بالرّوايات الصّحاحْ:

عن ناسفٍ للنّفس وسط الغاصبين الشُّقْرِ عن طفلٍ وأحجارٍ رماها في مُحيطٍ قد أسنْ...

عن عالَمٍ قد كان ديومَ التّنامي مدمنًا حتّى تَمطّى فيه صَحْوٌ باضطراد الإنديا حْ!!

نَمْ رابحًا، نَمْ... ما على مَنْ أحسن المسعى ختامًا من جُناحْ:

إذْ بعدما سَجَّلْتَ سطرًا خاتمًا: «ليست أريحا غايتي، بل بُغيتي كلّ الوطنْ!»...

استدرك التأريخ سطرًا: خالدٌ، يا خالدًا نجل الحسن!...

ثُمَّ استراحْ!!!

---

(١) إشارة إلى قول الشاعر المبدع الراحل أمل دنقل في درته الرائعة «لا تصالح»...:
(... فخذ – الآن – ما تستطيع: قتيلًا من الحق... في هذه السنوات القليلة...).

(٤)

الحقُّ مضمونُ التّقاضي...(أفصح المظلوم قولاً أو رطنْ!)...

ما دام مسودًّا بأبطالٍ ودانات فِصاحْ!

ما دامت الخُطْوات تقفو آدمو النَّوّاهَ في أنْقَى لُسُنْ:

«أوطاننا إنْ تفغر الجُلّى لها يومًا فمًا، لو لم لكن نحن الفِدا عنها فمن؟!»

لكنّ عبد الحق[1] – شيخ العلم – مُذْ أمَّ العلا مستشهدًا لم يعتنق ذكراه نوطٌ أو وشاحْ!...

إيهٍ، أيا مستصرخًا، إيهٍ! أليس العصر عصر الانبطاحْ؟؟

(٥)

كَلاً ورَبِّ النّاس! بل عهدٌ لتأجيج الوغى؛ ليس الوجعْ...

إلا مخاضًا: فالغد الآتي سيبدو رأسه المرجوّ حتمًا بين طيّات الجِراحْ!

العهد – والأيّام حُبلى! – عهد شاكا[2]: جاء والمختار والقسّام بشرى هَبَّةٍ مثل الرّياحْ...

في مرّها كلّ المآسي تُقتلعْ،

(لله درُّ الواهبين العمر مهرًا في سَماحْ!)

بل عهد جيلٍ غاضبٍ لمّا رأى الإفرنجَ في الحارات آلى جاز ما ألاّ يُدَعْ...

راياتُ جيل الانبعاث الحاضر المقفوِّ تُنسى أو تقعْ،

---

(١) المعنى هنا هو الشيخ الشهيد عبد الحق السنوسي الترجمي؛ أحد علماء تشاد الأفذاذ وشاعرها المجلي الذي قتل شهيدًا على يد الاستعمار الفرنسي إلى جانب عشرات العلماء الآخرين في مذبحة «الكبكب» الشهيرة وذلك في إطار حملة المستعمرين الرامية إلى القضاء على الثقافة العربية الإسلامية في تشاد وتصفية رموزها: بغية نفي تشاد نهائيًا من الوطن العربي الذي هي جزأ لا يتجزأ منه.

(٢) شاكا: ملك الزولو الذي سار على خطى دنقسوايو فبنى أول دولة حديثة وطنية في جنوب أفريقيا أما المختار فهو شيخ الشهداء الغني من التعريف وكذلك عز الدين القسام.

راياتُ روّادٍ روَوْا أوطانهم مجدًا، وفيهم آدمو النّئي لدى وقت الطّمعْ...

لكنّه السَّبَّاق فزَّاعًا إذا ضجَّ الصِّياحْ!

هل آدمو المقدام في وقت الوغى يُلقِي السِّلاحْ؟...

(وهو الّذي قد كان يَلْقَى جيش أعداء الحمى والرّاجمات الصُّمِّ تَصمي بالدّواهي والهلعْ...

... يلقاهُ في صحبٍ له ما عندهم غير الرّماحْ!!)

هل آدمو المقدام قد ألقى السّلاحْ؟؟

لمّا رأى السّاحات – والأيّام حبلى! – منجباتٍ للبدعْ؛

لمّا رأى إسراع دار العُرْبِ – تطبيعًا، فتتبيعًا! – إلى الكفر البَواحْ؛

(فالدّار – كلّ الدّار – بيروتٌ، وصدعُ الصّفّ كم يغري العِدَا بالاجتياحْ!)...

لمّا رأى المنظومة الشّرقيّة الحمراء جثمانًا مُسَجّى ليس يحييه النّواحْ؛

والقلب – قلب الثّائر المهموم – حسّاسٌ: لئن أعيا الجزع...

فالغمُّ قد أعياه جدًّ، فاضطجعْ!

نَمْ يا أبا المصريّة[1] المصروع من همٍّ على الإنسان والأوطان، نم لا تخش أن يُرخى الكفاح!!!

طرابلس، في ديسمبر ١٩٩٤م

****

---

(١) «المصرية» هو اللقب الذي أطلقه البطل الفقيد آدمو على وحيدته.

٦ - مُسْتَفَادِي

[الرمل]

اهْـمـلـونـي إنْ دُعـيـتـم لارتـفـادِ:
يـومُ مـثـلـي لـيـس إلا يـوم فـادي!
إنّمـا الجـوع احـتـجـاجـات المـعِـي
هـيّـنٌ إخـراسـهـا بـالإعـتـفـاد[1] !
لا يـبـيـتُ الحـرّ مـدفـوعًـا بـهـا:
إنَّ مـن حـرّيّـة الحـرّ الـتّـفـادي!

وانْـطـلاقـي فـي جـهـادي لـم يـكـن
- مـطـلقًـا - مـن أجـل أدنـى مـسـتـفـادِ،
مـا أردت الـغُـنْـم نَـيْـلـي شـهـوةً
مـن طـعـام أو شـرابٍ أو سـفـادِ
.. لا! .. ولا لبسي «قـرنـبـوبـو»[2] كما
شـرّ طـيـرٌ ريـشـه بـعـد الـصّـفـادِ

كـلُّ هـذا مـسـتـفـادٌ مـنـقـضٍ!
إنّمـا الـغُـنـم الّـذي فـوق الـنّـفـادِ
مـن لـدنّ الـلـه فـضـلاً مُـنـجـيًـا
يـوم لا خِـلٌّ يـحـامـي أو يُـفـادي!

انجمينا، ٢١/١٢/٢٠٠٣م.

****

(١) الاعتفاد: أن يغلق أهل البيت بابهم على أنفسهم حتى يموتوا جوعًا وهو أمر كان في العرب من يفعلونه إذا ضاقت عليهم سبل العيش.

(٢) قرنبوبو: زي فضفاض معروف موطنه الأصلي غرب إفريقيا لكنه انتشر في تشاد أيضًا ولبسه يدل في العادة على النعمة والشرف.

٧ - للمفتدى أبدًا...![1]

[البسيط]

طالتك - مثل ذراع الأخطبوطِ - يَدُ
حتى شُلِلْتَ، وعزَّ المُدُّ والمددُ
تلك العجاف من الأعوام كم سحقتْ
من مهجةٍ، ومشت بالكيِّ تتَّئِدُ
سامتْ ربوعكَ تجريدًا ومخمصةً
ماذا - بربِّك - أبقت منك يا بلدُ؟؟

جاءَتْكَ بالعَلَق المكثار فانغرستْ
يأجوج تفصد إذْ مأجوج تزدردُ...
مستعمرون أتَوا مِنْ كلِّ ناحيةٍ
كي يُرْكِعوك... وأنتَ الصَّامد الصَّمدُ!
يا ليتهم رحلوا حين انتفضتَ ولمْ
تأخذْ أماكنهم (بِشمركةٌ[2]) جُدُدُ!

لا حبَّذا فئةُ الأخلافِ من فئةٍ
تهوَى الغُلولَ، سَدَاها الغِلُّ والحَسدْ!
عُمْيُ القلوبِ كمَن للشَّرِّ يدفعهُمْ
حكمُ الغريزةِ أو ما تفرز الغُدَدُ،

---

(١) وهي أول قصيدة ينظمها الشاعر عقب عودته إلى تشاد في نهاية اغتراب دام خمسة عشر عامًا.

(٢) بشمركة: القوات الكردية في شمال العراق، استخدمت هنا كناية عن قوات الفئات والأجنحة المتناحرة في تشاد.

مِـنْ بـعـض مـا سـرقـوا أقـواتُ عـائـلـهم،

والـعيشُ فـي ثِـقـةٍ مـن بـعـضِ مـا وأدوا:

أعـيـا مـوائـدهـم إنـتـاج بـيـدرنـا

لـكـنّ مـطـعـمنـا الإحـراجُ والـكَـبَـدُ!

صـرنـا ضـيـوفَ ثـرانـا، نشتهي كِسَـرًا

مِـنْ خبزنـا، وهـمُ الـعـادون، قـد جـحـدوا!

جَـوْعـى نُـعَـلَّـلُ بـالآتـي وقـد بَـطِـنـوا:

بـئـس الـمـخـدَّر لـلـمـسـتـضـعـفـيَن غَـدُ!

لـكـنَّـكَ الجـبـلُ المـوهـى قـرونـهـمـو

لـمَّـا نطقتَ ولـم يمـحُ الـصّـدى أحـدُ...

فـاسـتـنـهـضـتْ لـبَـنـيـكَ الـذِّكـريـاتُ رؤى

مـاضـيـكَ يمـلـؤُهُ الإيمـان والجَـلَـدُ:

مـاضٍ مـضـتْ عَـزَمـاتٌ مـنـك فـيـه، فما

لانـتْ قَـنـاتُـكَ أو أوهـاكَ مـضـطـهِدُ،

لـمَّـا هُـديـتَ تَـهـادَى الأمـس منبعثًا

.. طُوبَى لمن سَلَكوا المِنهاجَ حين هُـدوا!

غَـرُبْـتُ عـنـك زمـانًـا لـم يَـكَـدْ يَـرنـي

إلاّ حـلـيـف عـنـاءٍ يـومُـه الأبـدُ،

والـيـوم يُـرجِـعـنـي شـوقـي، فـهـأنـذا

- مستدركًا عُمُري، مسترجعًا - أَفِـدُ!!

بـعـدَ الـغـيـابِ أنـا آتٍ وبـي مَـقْـتـي،

آتٍ بـأَجْـوِبـتـي... آتٍ ومُـجْـتَـهِـدُ،

آتٍ إليكَ كما يأتي الخريفُ وبي
شوقٌ ووعدُ عطاءٍ مثلما يَعِدُ!
فالعودُ أحمدُ، والآمالُ ليسَ تَهي
ما دُمْتَ مُشْتَعِلَ الوجدان تتّقدُ...
...ترنو إلى زمنٍ يُدني مَطامحنا:
لا عَيْشَ يهنأُ والأحلامُ تبتعدُ!

لهفي عليكَ - وأنتَ المفتدى أبدًا -
إذ يعتريك علينا الهمُّ والكمدُ،
لسنا - بدونكَ - إلاّ وهْمَ باصرةٍ!
نحن الظّلال، وأنتَ الرُّوحُ والجسدُ!
أنتَ المُجسِّدُ للإنسان منطلقًا
والمُنْجِبُ النُّجَباءَ الغُرَّ إذ تلدُ
تبقى وأهلُكَ لا تُلْقَى ببارقكم
مهما جرى، وجُفاءً يُذْهِبُ الزَّبدُ،
أُسُّ اليقين بأنَّ الله ناصِرُنا
راسٍ على سُنَنٍ لله تضطردُ!
انجمينا في ١٩٩٩/٣/٣م

****

٨ - تمَادٍ!

[الرجز]

هل نحنُ في بلادِنا نَقودُ؟

أم، يا تُرى، تقودُنا النّقودُ؟

قد أسْلَمَ القيادَ مَنْ تَحَرَّى

عونًا... وإنْ تلطَّفَتْ عقود:

ما لازم الإعانةَ اشْتراطٌ

إلا اسْتوى المُعَانُ والمَسُود!

والمستمدُّ جَيْشَ مستبدٍّ

جُندًا لها بِذِقْنِه الجنود،

ما مِنْ حمايةٍ تَقِيهِ ذُلاًّ

يسخو به العريفُ والعَقيد!

والقاصدونَ - مثلنا - أخاهُم

كَمْ عومِلوا كأنَّهُم عبيد!

...ثُمَّ اسْتفزَّهُمْ - كما كوانا -

مَنٌّ يزيدُ ما لَهُ حدود!

كَـــمْ غـــرَّنـــا، بمــــالٍ غــيــره، مِـــنْ
مُـــبــدٍ صــفًــا وقَـــلْــبُـــهُ حــقــودُ...
سَـــرعـــانَ مـــا اسْـتـبــانَ فـاكـتـشـفـنـا
أَنَّـــا لِـــغـــايٍ[1] غــيـرنــا وَقُـــوْدُ:
بـــــاغٍ يُـــريـــدُ سـلـبَـنَـا بـقـايـا
حُـــرِّيَّـــةٍ هـــي الّـــتـــي نــريـــدُ،
والـــبــغــيُ كـــالـــسَّـــمــومِ: لا قـــديمٌ
يـــغـــذو، فـيُـجـتـنـى، ولا جــديـــدُ!

لـكـنّـمـا الـجـــديـــدُ إنْ أتـــانـــا
مِـــنْ قـــابِـــلٍ فـجُـلُّـنـا يَـــعــودُ:
لـو بـعـضـنـا اجْـتَـلاهُ جِـلـوَ صـحـوٍ
فـــالأكـــثـــرونَ دائـــمًـــا رُقـــــودُ،
يُـغـريـهُـمُ الـعـمـيـلُ بـالـتَّـمـادي
وهـــمًـــا بــــأنَّـــهُ سـيـسـتـفـيـدُ؛
والـــنُّـصــحُ فـــي الـعـمـيـلِ مـسـتـحـيـلٌ:
إنَّ الـعـمـيـل بـالـعـمـى مَـقُـــودُ!
مَـــنْ بـــاعَ بـعـضَ روحـــه فـــأثْـــرَى
لَـيْـسَ الـذّكـيُّ، بـل هـو الـمَـكِـيـدُ...
يمـضـي عـلـى خُـطـا عـجـوزِ سـوءٍ
لا تـتـركُ الخـنـا ولا تَجـيـدُ...
قـــد أنـفـقـتْ شـبـابَـهـا تـبـاغـي
حـتّـى ذَوى، فـلـم تَـــزَلْ تـقـودُ،

(١) غاي: جمع غاية ومثلها آي جمع لآية.

والإتّجــــــارُ بــالــنُّــفــوسِ أمــرٌ

مِمَّــا يلــي - فـيـدمـن - الـبـلـيـدُ!

ويْــــلٌ لــكــلّ بــائــعٍ وشــارٍ

سـعـرُ الـضّـمـيـرِ مـنـهـمـا زهـيـدُ!

والــويــلُ لـلـشُّـعـوبِ حـيـنَ تـعـنـو

لـلـمـغـريـاتِ!... إنَّـهـا الـقـيـودُ!!

انجمينا، في ٢٠٠٣/١/٣٠م

****

٩ - مددا!

[المتدارك]

..في عين الأبعدِ خمسٌ مثل نصال[١] مُدَى!

..خمسٌ في عينٍ أضمرَ صاحِبُها الحسدا!

بلد البدويِّ - ورأسُ الحربة أزهرها - نجبتْ،

ومضيُّ الأعصرِ لم يَمنعْها أبدا...

أنْ تحتضن الأيتام، وأنْ تلدا...

...أنْ تفتحَ نافذةً للوافد، أو أن تمنح أو تعدا؛

وبحقٍّ رواق صُلَيْحٍ[٢] ما كذبتْ:

وهَبَتْ وحبتْ، فَسبتْ وصَبَتْ،

وَأَبَتْ لعقيدةِ أُمَّتها إلاّ الرَّشَدا...

وأبت لثقافتها المرضا

فَسَخَتْ بضمائرها ومنائرها وحرائرها وعمالقةٍ ملأوا الأَرَضين صدى

برضا

لتمصَّ معاديَها مضضا

وتمدَّ مُرابطنا مددا

مددًا... مددًا... مددا!!

---

(١) خمس مثل نصال مدى: إشارة إلى القول الشعبي المصري «خمس في عين العدو» والذي يقال إذا خيفت العين.

(٢) صليح: إشارة إلى رواق الصليح التشادي في الجامع الأزهر الشريف.

وبهيّة[1] ملءُ مُلاءَتِها بركات عطاءٍ آثَرَ واضطردا

– كعطاء الغيثِ النَّافعِ – يرفدُ مجتهدا

فَيَضانَ النِّيل، ليَتَّحدا

مع فِعْل قوى حيويّتها، فَتُخَلَّدُ ملحمةً كُتِبتْ:

هي ملحمةُ الإيمان: فإنّ حفيدة حتشبسوتَ على الإيمان ربت

مُذْ كان العالَمُ في الظُّلُماتِ يفتّش، مفترضا..

أنّ الأرواحَ إذا خرجتْ من عالَمِنا تحتاج الخدمةَ والعُددا!

... وإلى التّوحيد – لباب ديانة أخناتون – طبت..

متفرِّدةً، ومجرَّدةً للرّبِّ قصائد حُبٍّ فوق ولاءٍ قد مُحِضا!

.. وبهيّة قدّمتِ الأبناء من الرُّهبانِ لملكةِ الحمل الموعودِ فِدا!

.. ثُمَّ احْتملتْ علم الإسلام مجاهدةً، ومجدّدةً، وبه وثبتْ،

وإلى العلياءِ سعتْ لتثبته، فَعَلا وثبت!!

مددًا ... مددًا ... مددا!

بلد البدويّ – وأعشقُها بلدا،

فكنانةُ أرض مكوّننا عُشِقتْ، كالجنَّة، واجتذبتْ! –

نثرتْ مكنون كِنانَتها، وتخيّرتِ النّبلاء نبال هدى،

وعلى ثقةٍ رمت العربيّةَ في وطني بمُفردَها، فشدا..

وبعالِمِها، فأضاء معاهدنا أمدا!

مددًا ... مددًا ... مددا!

أرأيتَ الغرسَ، ربيب الضوء، وكيف نبت؟

... أو كيف منابته تتطلّع للإشراق غدا؟؟

---

(١) بهية: إشارة إلى مصر تابع في استعمالها شاعر العامية المصري المبدع أحمد فؤاد نجم.

مددًا ... مددا،

سعي (العزب المحمود)[1] سيبقى سرَّ تفتّقها زهرًا، وثمار متابعةٍ، وندى،

لكنْ نَغَماتُ قصائده ومودّتنا وسماحةُ نفسٍ عن إحساسٍ ما حُجِبَتْ..

وسنا خُلُقٍ وتُقًى بمرابعنا زمنًا ومضا..

في عزِّ تألُّقِها ذهبتْ:

أتراهُ تأبَّطها ومضى؟

.. فليحصِ إلى ما يحمل تمجيدًا من قومي قاطبةً يتجاوز كلَّ مَدَى،

فجميعُ عشائرنا لَهَجَتْ بالشُّكْرِ، وما نَشَبَتْ

أنْ لاذتْ بالمحروسةِ مُلْتَحَدا:

كَبَلَى وقُلا وبني حسنٍ وكَشامرةً ورُنقا وعِمَرْ[2] وتِدا؛

ولْيُخْبِرْ أمَّ الدنيا أنَّ بلادي قد طلبتْ ..

منها عنه عوضا،

ومواصلةً – بتجرُّدِها – لزيادتنا مددا!

مددًا ... مددًا ... مددا!!!

انجمينا، في ٢٧/٧/١٩٩٧م

****

(١) د.محمود العزب: أستاذ مصري أوفد للعمل في جامعة تشاد.

(٢) أسماء قبائل وبطون وعشائر تشادية.

١٠ - صَبُوحُ

[المتقارب]

(نظمت تحية لرفاق المعتقل الذين نقلوا من «حوش الطوارئ» إلى «المديرية» - وكلاهما من أقسام سجن كوبر - وأرسلت إلى المعنيين عبر الجدار الفاصل بين القسمين) السجن العمومي بالخرطوم بحري ١٩٧٦م.

صَبُوحُ المساجين[1] ما عاد خمرًا
فما لي أراهم يفيضون بِشْرَا؟
وما بالهُمْ يرقبون الثُّريَّا
مدى كلِّ ليلٍ .. أيرجونَ أمرا؟

أجَلْ! إنّهم - في سواد اللّيالي -
يغضّون عينًا ويُبْقُونَ أُخْرَى..
لِئَلاّ يناموا فيُقْضَى عليهم
بأنْ يُحْرَموا نفحةَ الخير فجرا:
ففيها صبوحٌ وفَوْحٌ زكيٌّ
ألا ما أُحَيْلاهُ فوحًا ونَشرا..
يروِّي أوامًا، ويشفي سقامًا،
ويحيي عظامًا، ويَنداح طُهرا،

(١) المساجين: ليس المراد بهم المعتقلين السياسيين فهؤلاء اعتبرهم أسرى بل عنى بالمساجين المحكومين في جرائم الحق العام الذين كان بعضهم في نفس السجن وكان بعضهم يقوم بخدمات التنظيف ويختلط بالمعتقلين السياسيين.

تزيدُ «المديريّةُ» الخيرَ فيه
- كما قد تزيدُ الينابيعُ نهرا -
بِذكرٍ وقرآنِ فجرٍ عجابٍ
سرى في قلوب المساجين ذِكْرَى!

فيا إخوةً من وراء الجدار:
هُديتُمْ وفُزْتُمْ دعاةً وأسرى..
وإنّ الأسارى لذلٍ سواكُم!
بإيمانكُمْ يُرْغِمُ اللهُ كسرى!

بقيتُمْ ظهيرًا لحقٍّ تعدّتْ
عليه الطّواغيتُ حتّى يُقَرّا!
ودمتُمْ حماةً لمجدٍ تليدٍ
وبنيانَ عزٍّ سما واستقرّا..
برغمِ الأعادي! فطوبَى لبانٍ،
وطوبى لحامٍ، ومذخور بُشْرَى!
أيا حاملي دعوةَ اللهِ: لوذوا
بقرآنِكُمْ إتّكالاً وصبرا،
وكونوا لنا - بالدُّعاء المرجّى -
على كلِّ شرٍّ معينًا وظهرا:
فأنتم - لمشهود برٍّ وفضلٍ -
لكم دعوةٌ بالإجابة أَحْرَى!!

سجن كوبر «السجن العمومي بالخرطوم بحري»، ١٩٧٦م

****

١١ - يا أسمرا![1]

(تحية تجلَّةٍ وتقدير للثورة الإريترية، على أمل بزوغ النصر الوشيك!)

يا أَسْمَرَا

يا قريةً جميلةً .. يا أجملَ الْقُرَى،

يا مهبط الرّبيع .. بل يا جنّةَ الذُّرَى:

إليك - يا جميلتي! - أقدّم السَّلامْ،

من بقعةٍ شقيقةٍ أسطِّرُ السّلامْ،

أخطُّ أسطرا..

في صفحةٍ قد سوَّدَتْ - من أبلغ الكلامْ

مستفهمًا - بجملةٍ تليق في المقامْ

بجملةٍ - يا أسمرا -

كأنّها صاروخ «سَامْ»:

(مَنْ ظنّنا بضاعةً بالمال نُشْتَرَى؟)

فأصبح السّؤالُ إذْ سرى

أنشودة الورى

- عريضةَ اتّهام -

في وجه مَنْ يَرَى

تلالُكَ الأبيّة الشّمّاء لقمةً تُرامْ

في حلمه الحرامْ!

---

(١) واضح أنها نظمت قبل الاستقلال.

النّار تنتشرْ

فتعقمُ البذورُ بينما يُحْرَقُ الشّجَرْ،

النّار تنتشرْ

لا شيء إلاّ النّارُ والرّمادْ

على مدى البصرْ:

فقد أشْعَلَ الجنودُ كلَّ وادْ،

وصادروا المَطَرْ

من أجل أن يستنبتوا بـ «أُمْ حَجَرْ»

أوهام اتّحاد ..

من بعده ضُمَّ لإلغاءٍ، فهل يمرْ؟

الغدر والعقوقْ ..

بحثًا عن السّرابْ،

هل تذهب الحقوق

- عندَ استدامة الحريقْ -

دخان قشٍّ لا يُرَى بعد الذّهابْ؟

ليتَ النّجاشيَ القَديم آبْ ..

فأمّنَ المهاجرين خشية العذابْ،

وأطفأ الحريقْ،

وعالج الحروق؛

لكنّه - واحسرتاه! - في غيابْ،

وغابَ حكمُ العقل عن خَلْفٍ له يسوقْ

أجمل القرى إلى الخرابْ!

يا أسمرا:

سلامْ! ..

إلى الرّعاة والمزارعين أطيب السّلامْ ..

فصيلةً فصيلةً، معسكرًا معسكرا:

فالحُرّ لن يُضامْ

ما واجه العدوَّ ثائرًا مخطِّطًا وفاتكًا غضنفرا!

وقصّةٌ جديدةٌ تحيط بالحريقْ

وَقُودها الشّبابْ

في بلدةٍ عدوّها رأى لها التّبابْ

لكنّها تفيقْ:

يهزُّها ثوّارها بالنّار والبروقْ،

فيقهرون البرد والصّعيقْ،

ويفتحون ألف مدخلٍ لألف ألف شاب

وقد دَعَوْا: (يا فاتحًا أيلول[1]: لن يسدَّ أيَّ باب!)

وأمرهم مجاب:

(فلتصبحوا رفاقنا من مبدإ الطريقْ

- من أوّل اكْتتابْ -

رفاقَ مَنْ تنادَوْا ليعمروا اليبابْ:

فإنّهم هناك في ارْتقابْ

- ما بين لحظة القرارِ والمروقْ -

---

(١) فاتح أيلول: أول سبتمبر ١٩٦٣م تاريخ انطلاق الرصاصة الأولى في مسيرة الثورة الإرترية.

هناك عوّاتي[1] والصّحابْ،

وجبهةٌ تحرّرُ التّرابْ،

وموطنٌ تحريره شروقْ ..

يخطو إلى تحقُّقٍ في غاية الوثوقْ!)

النّارُ تنتشرْ

تدفِّئُ المنى ومن يرونها دمًا لِيُضْمَنَ الحصادْ!

النّار تنتشرْ

وإخوتي تعاونوا فجمّعوا الرّمادْ

في موكبٍ أغرٍّ

لأنّه السّمادْ

لموسمٍ، يرونه – مبشّرٍ ومزنةٍ ستنعش الشّجَرْ

فترجع البلادْ

مخضرّةً سعيدةً؛ وتحت ضحكة القمرْ

سيفرح البشرْ!

يا أسمرا

يا قريةً جميلةً .. يا أجمل القرى،

يا ساحةً – لا يُخيفها الصِّدام –

تزهو بتأريخٍ، وتحفظ العُرَى:

حيّي فمًا يقول للنّيام:

(لا وَقْتَ للكَرَى!)

---

(١) عواتي: الشهيد حامد إدريس عواتي قائد المجموعة المقاتلة الأولى لجبهة التحرير الإرترية.

.. وأنه لابدّ أنْ تُرَى

في كلِّ صبحٍ خطوةٌ إلى الأمام

تعزّزُ المؤشّرا:

سيسقط النّظام

لِيُبْتَنَى نظام

- يا أجمل القرى -

يقدّسُ النّظامْ

مصداقه حرّيّةُ الورى

في جنَّة الذُّرى!

طرابلس، ١٩٧٤م

****

١٢ - إمام (١)

[الهزج]

إمامُ البلْعِ والهبْرِ

يبيعُ الدّينَ بالتِّبرِ:

فلا في الزُّهد مذكورٌ،

ولا في العلمِ بالحَبرِ؛

وذو بطنٍ بلا قاعٍ

ولا شِبْعٍ ولا صبرٍ،

إذا ما أُودِعَتْ سُحْتًا

ثَوى منها إلى قبرٍ!

إمام الغِشِّ والزَّيفِ

حوى الألوان كالطَّيفِ:

نفاقًا عندما يبدو

فلا تسأَلْ عنِ الكيفِ؛

وإنْ تسمعْ فلا تطربْ

لطبلٍ فارغ الجوف،

أحقُّ الإنس أنْ يُرمَى

بفحوى آيةِ السَّيفِ!

إمامُ الخبثِ والمَكرِ

يُرائي النّاس بالذِّكرِ،

وللحكّام روّاحٌ:
يسومُ الرُّوح أو يُكري..
ويُفتي أنّهم أعلى
رشادًا من أبي بكرِ:
لهم بالحمد فيّاضٌ،
وينسى سجدة الشُّكرِ!

إمامٌ جاءَ بالمَيْلِ
وبالتَّطفيفِ في الكَيْلِ:
يجافي القِسْطَ مُذْ يصحو،
ويُقصيه العمى اللّيلي!
يقول: «الرّأس لي وحدي!»
وقد وافَى مع الذّيلِ!
لِجَنْيِ الشّكرِ حمّادٌ،
وحرُّ الجَريِ للخيلِ!

إمامُ الطّعنِ في غدرِ
هَوى مِنْ حيث لا تدري
... على ظهرٍ قدِ اسْترخَى
لودِّ الضّمّ للصّدرِ:
يهوذا يُسْلِمُ المغدو
رَ، مطبوخًا على قِدْرِ،

إذا اسْـتَـنْـجَـرْتَـه عـهـدًا
تـرى الـشَّـيـطـان فـي بـدرِ!

إمـامُ الّـلـوّ والّـلـيْـتِ
عـلـى مـا كـان مـن فَـوْتِ،
وكـلٌّ فَـائـتٌ ... إلاّ
زكـاةَ الـنِّـفْـطِ والـزَّيْـتِ
فـمـا مِـنْ مَـوْسـمٍ ولّـى
ولا سِـجَّـادَ فـي الـبـيْـتِ؛
لـوِ اسْـتـجـدى ولـم يُـلـحِـفْ
فـلـلـتَّـهـديـدِ بـالمـوتِ!

إمـامُ لا يَـرى عَـيْـبـا
سِـوى إفـراغـه الْجَـيْـبَـا!
عـنِ الـتَّـصـريـف مـصـروفٌ
بـرغـم بـلـوغـه الـشَّـيْـبَـا..
ويـتـلـو الـسّـعـر - صـرَّافًـا،
لأدنـى عـمـلـةٍ! - غَـيْـبًـا!
وأمّـا الـنَّـحْـوُ والـفـصـحـى
فـلـم يـكـتـمْـهـمـا الـرّيـبـا!!

انجمينا، في ١٩٩٩/٦/٢٨م

****

١٣ - سنكرا

[المتدارك]

دمعُ (واقادقو)[1] لم يزل دفقًا مثل سَيْلٍ جَرَى،

فَهْيَ - في كلّ يومٍ - تَرَى ..

ذكرياتٍ غدتْ من أساطير مأساتها أسطرًا:

في الصباح الموشّى خيوطًا سماويّة للّمع في مثل لون الذّهبْ،

أسطرا:

عند مرِّ المساء الأثيريِّ، أو عندما يستحيل الكَرَى ...

حين تشكو غياب المثيل المُجاري - على الأرض - تلك الشّهُبْ ..

عينُ (داقادقو) أوآنئذ لا ترى ماردًا من أساطيرها يلتهبْ:

بل ترى وجه قدّيسها (إذ وجوه النّبيّين لا تُنْتَحَلْ!)

فتنادي شرايينها في انْعكاسٍ لنبض القلوب التي ردّدتْ، لم تَهَبْ:

«سَنْكَرَا! سنكرا! ..

يا بْنَ إفريقيا! سنكرا!

يا منادًى إلى قمّةِ الخالدين الّتي تلتقي في زُحَلْ!

بل سليل المغنِّين للشّمس، يا سنكرا!»

غير أنَّ المُنادَى ارْتحلْ،

فاستقرّت على الأرض، من بعده، حول واقا سِنِيُّ المَحَلْ ..

والجفاف اعْترى ..

---

(١) وقادقو: أو واقا عاصمة جمهورية بوركينا فاسو (فولتا العليا سابقًا).

جُلَّ ما كان مخضوضرا ..

ضمن سوح القُرى ...

فالّذي قد ذهب ..

كان معنى (لُمُمْبا)[1] الّذي أدركته السُّحبْ ..

يومَ صبّتْ على عهده – وحده! – الْكَوثرا

(عهده؟ .. يا له مِنْ مَدًى مختزل!)

ثم صارت دخانًا . فما بلَّ – مِنْ بعدُ – ذاك الثَّرَى..

غيرُ دمعِ الُجماهير إذ تنتحب:

«سنكرا! ..

يا هِرَقْلَ الّذي لم يَزَلْ..

باقيًا مِنْ مُهِمّاته نصفُها، واعْتزلْ! ..

يا حُضورًا تكثّف منذ الأزل ..

في غيابٍ نزل ..

بالملايين منّا نزولَ النُّوَبْ!»

كنتَ يا سنكرا

– يا دليل الأُلَى يَعْشَقونَ الذُّرَى –

كانبثاق المُنى في فؤاد الضّليل الّذي بالرِّمال اكْتحَلْ ..

فوق صحراءَ كُبرى ترامتْ سُؤالاً بدا، آنفًا، دون حل!

كنت يا سنكرا

بعض ترياق إفريقيا ضدّ سمِّ الدَّجلْ:

وَعْيَ مستضعفي عالَمٍ راكضٍ، في غرورٍ، إلى حيثُ لا مُنْقَلَبْ!

كنتَ يا سنكرا

---

(١) لمبا: باتريس لمبا رئيس وزراء الكونغو كنشاسا عند استقلالها وزعيمها الشعبي الذي اغتاله الاستعمار والخيانة.

في اعْتِراك المساكين[1] عند الحدود الكَذُوبات روحًا سرى ..

من بطولات أجدادهم، ثائرا،

ما اعْتراكَ الوَجَلْ ..

لا! ولم يغْمِ إيمانك الوحدويَّ الْغضَبْ!

كنتَ يا سنكرا

.. في بناء الطريق الحديدي[2] رمز الجهادِ الّذي قد تحدّى الأَجَلْ!

.. في قلوبِ الْمُقْودِينَ للخلف مستقبلاً إنْ يدوروا له يقتربْ!

.. في لجان الدّفاع[3] المَسيحَ الّذي أمْرُه المُرتجلْ ..

كان يُحيي مَواتًا وَمَوْتَى، ويستنطق الأعصرا ..

عن معادٍ أجلّ ..

لا عنِ الثّأرِ، يومًا، إذا ما صُلِبْ!

كنت فينا ومازلت يا سنكرا

عُنفوانًا إلى اليوم...

ما تُنادِ القضايا يُجِبْ:

ما فقدنا سِوَى وجهك المحتجب ..

والرُّكونِ المريح إلى قدسيّةِ ما بيننا من عُرَى ..

ثُمَّ بعضِ البراءة أيضًا! مَضَى كلٌّ ذا في عجل ..

تاركًا موضعًا في الحنايا بإفريقيا مستقرًّا لبعض الخجل،

بينما صرتَ يا سنكرا ..

فوق كيد الإخاء وفوق التّناسي، وفوق العجب ..

---

(١) اعتراك المساكين: الحرب الحدودية بين فولتا العليا ومالي وكانت أول ساحة يشتهر فيها النقيب توما سنكرا على نطاق واسع.

(٢) الطريق الحديدي: طريق القطار الذي بني بالجهد الذاتي والمبادرة الشعبية تحت توجيه سنكرا.

(٣) لجان الدفاع: التنظيم السياسي الذي أنشأه سنكرا باسم «لجان الدفاع عن الثورة».

من موالين قد أنكروك ثلاثًا وما صاح ديكٌ صحا بعد، بل وانْبَرَى ..

ناطقٌ باسمهم «يَشْجُب» الضّعف - يعني الأسى! - في الرّجل!

دمتَ مستنهضًا من بكى، داحضًا من «شجب» ..

دمتَ يا مَنْ حفظناك تجسيدَ حُلمٍ عزيزٍ على الرّبِّ أنْ يُقْبَرَا:

وهْجُه سَرمدِيٌّ يلفُّ الورى ..

عزفُ قيثاره[1] توأمٌ للحداء المحرِّض طاقاتِ كلِّ النُّجُبْ ..

أو قسيم الرِّجل! ..

فعله فعل جيشٍ لَجِبْ ..

يومَ يقتاد قومي مِنَ الإستكانة مهما جرى ..

في انْطلاقٍ جريءٍ إلى ما يَجِبْ!!

انجمينا

(بدئ في كتابتها أغسطس١٩٩٧م

ثم أكملت في فاتح يونيو ١٩٩٨م)

****

(١) كان سنكرا يعزف على الجيتار وفعل ذلك أمام الجموع ليعلم المطربين كيف يغنون للوطن بدلًا من الاستغراق في الغناء للحبيبة.

١٤ - آيُ صَحْوٍ

[الرمل]

مـا بـقـصـرٍ كـان فـخـري واعْـتـزازي،

بـل بـيـوت الـطّـين نخـري «والـكـوازي»[1]

حـيـث تـلـقَـى كـلَّ ريـفـيٍّ عـزيـزٍ

مـؤمـنٍ بـالـبـذل مـن قـومٍ عـزاز

يـعْـشـقـون الـوحـدةَ الـكـبـرى خـيـارًا،

لا شـعـارًا تـحـتـه تُـخْـفَـى الـمـخـازي

يـلـمـسـون الـحـقَّ مِـنْ خـلـف الـدَّعـاوَى،

بـيِّـنٌ فـي سـمـعـهـم وقـعُ الـنّـشـاز!

مـا اسْـتـوتْ تِـرْبـان فـي عـين فَـحْـلٍ:

هـذه عـجـزاء، والأخـرى تُـبـازي!

رغـم تـلـفـازٍ لجـوجٍ لـم يَـفُـتْـهُـمْ

أنَّ أمـريـكـا لَـوَتْ رأْسَ الـجـهـاز!

إنَّ واشـنـطـنْ وقـد رَبَّـتْ عُـجـولاً -

أُشْـرِبَـتْ فـي الـقـلْـب عـجـل الإنْـجـيـاز:

.. فـاسـتـمـالـتْ ثُـلَّـةً، لـكـنْ لـقـومي

فِـطْـرَةٌ لـم يَـعْـرُهَـا أيُّ اهْـتِـزاز:

مـا فِـلَـسْـطـينُ الّـتـي يَـهْـوون أرضًـا

عـنـدهـم، بـل إنَّـهـا مَـغْـزى الـمـغـازي

---

(١) الكوازي: جمع «كوزي» بالعامية التشادية ويعني كوخ.

.. والألى قد حاصروا الأقصى رُماةً

ثَمَّ بالقُفّازِ في وجه الحجازِ،

هم - وإنْ كانوا كأهل القصر شكلاً -

أنكروا تطبيع سِرْبٍ بُرجوازي!

لو ليالٍ بالملمّاتِ ادْلهمَّتْ

فاختبرْ - إذْ أنتَ في ضعفٍ - وراز:

أسرعُ الآتين هم، أمَّا سِواهم

فالعجالَى عند غُنْمٍ وانْتِهازِ!

ضلَّ سعيًا مَنْ تَحاشَى ظلَّ طُورٍ

مستظلاًّ مِنْ هَجِيرٍ بالحَرازِ!

هؤلاء الخضرُ هم مِلحُ الأراضي،

هم - إذا ارْتَجتْ - أساسُ الارْتكاز؛

هم فدائيّون في وجه الأعادي:

يَحرسون الرَّبْعَ مِنْ عادٍ وغازِ!

لا تسلْ عن سرِّهم! فالسِّرُّ حبٌّ

يجعل الإنسان حيًّا بامْتياز!

للحياة الأصل ماءٌ .. غير أصلٍ

- يقتضيه الحيُّ في الدنيا - مُوَازِ:

دونما حرِّيَّة ما مِنْ حياةٍ،

بينما اسْتغنت عن الماء الجوازي!

إنْ يكن في النّاس مَنْ يرضَى بضيمٍ

فالأَبِيُّ الحُرُّ يَأبَى أو يجازي:

شـأنَ زلـزالٍ طـوى مـغـزى أريـحـا،

وانـتـفـاضِ الأرض ضـدَّ الانْـغـرار!

أدعـيـاءُ فـي بـنـي يـعـقـوب جـاءوا

مِـنْ شَـتـاتٍ لانـغـراسٍ واحـتـزاز:

هـل لإسـرائـيـلَ مـن نَـسـلٍ رَمَـتْـهُـمْ

فـي فـجـاج الأرض حـمّـى الاكـتـنـاز؟

لا! .. ولا صـنّـاع صـهـيـونـيّـةٍ مِـنْ

قـاتـلـي الأطـفـالِ قـصْـدَ الاحـتـرار!

لـيـس مِـنْ أسـطـورةٍ تـكـفـي كـحـكـمٍ

بـالـرَّدَى أو غـصـبَ حـقٍّ واخْـتِـيـار..

إنَّمـا المـسـتـعـمـر الأرض ادّعـاهـا

مـلـجـأ الـشُّـذّاذِ مِـنْ أفـران غـاز..

ثُـمَّ بـثَّ الـغـرب - فـي فـحـوى حـقـوقٍ

قـيـل لـلإنـسـان! - فـتـوى بـالـجـواز:

تـلـك فـتـوى الاغـتـصـاب الـفـظّ جـاءتْ

ضـمـن آلـيّـات فـنّ الابـتـزاز!

لا يـسـمّـى المـرءُ إلاّ مـا تـراءى

مـاثـلاً حـقًّـا لـه أو فـي المـجـاز،

نـحـن أطـلـقـنـا عـلـى الإحـسـان اسـمًـا،

هـل نَـحَـتْـنـا نـحـن أم هـم لـفـظ «نـازي»؟

إنَّ مَـنْـحـوتًـا عـلـى الأحـجـار أبـقَـى

مِـنْ نـقـوشٍ فـوق لـوح الأُرْدُوازِ!

حـسـبـهـم يـومـان فـي الـتّـأريـخ ذكـرى

فـيـهـمـا درسـان مـن بـيـن المـغـازي:

مـا تـلا الأحـزاب درسٌ مـسـتـفـادٌ...

كـالّـذي أبـقـتـه بـدرٌ فـي الـطّـراز:

ذاك يـــومٌ كـــان فـــي الأيّـــامِ بـــدرًا

فـيـه ســـوقٌ لا كـمـعـنـى ذي الـمـجـاز!

يـا أبـا سـفـيـان: لا مَـنْـجَـى لـعـيـرٍ،

والـنّـفـيـر الـيـوم، أيـضًـا، لـلـبـوازي!..

وانـتـفـاضـات الأراضـــي أيُ صـحـوٍ،

مـسـتـحـيـلٌ وضـعـه فـــي الاحـتـجـاز!

.. فـالجـهـادُ المـسـتـمـرُّ الآن روحٌ،

والخـلـود الحـقُّ مـوتُ الـكـامـكـازي[1]

انجمينا - في١٣/٢/٢٠٠١م

****

(١) الكاميكاز: المتطوع الانتحاري الياباني الذي يموت وهو يدمر هدفًا معاديًا.

١٥ - عصا موسى

[المتدارك]

(ألقيت في الأمسية الشعرية التي تخللت أعمال ندوة «الدراسة التقابلية والمقارنة بين اللغة العربية ولغات الساحل الإفريقي» وهي ندوة نظمتها منظمة الجامعة العربية للتربية والثقافة والعلوم وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية متعاونتين مع جامعة انجمينا، في الفترة من ٢٨: ٣٠/١٠/٢٠٠٢م بوزارة الخارجية والتكامل الإفريقي في انجمينا).

أوَ نُعطي الآخَرَ تقديسا...
ويحاكي الآخرُ (نرسيسا)؟

هو طبعٌ صاغ رُؤَى كلٍّ،
وغدا في الرّوح تضاريسا!

ستفيضُ الكأسُ بما تحوي،
ويزيدُ المفلسُ تفليسا!

ونظلُّ الدهرَ تأسّينا
بإمامٍ عانقَ قسّيسا!

نتعاطَى ألسنةً تثري،
ونعيشُ الوحدةَ ناموسا...

زرعَ المستعمرُ في خُبثٍ
جِيَلاً تستلهم إبليسا

فجموعٌ تُبْهَرُ بالكوكا،
ودروسٌ تحمل فيروسا

وَغَدُ قد بيع فِدَا قرضٍ
وَجِلَ التّكشيرة مهووسا،
وطبيبٌ يحتلب المرضَى
وبيسرٍ يُرْسَمُ قدّيسا؛
وصليبٌ عُلّقَ تأليفًا،
وينافي الفعل هُدى عيسى!
قِيَمٌ تستهدف تكييفًا
لنُغَذّي المنطق معكوسا!
معكم لن تسقطَ أو ننسى،
وسيأبى البيرق تنكيسا:
فَلأنْتُمْ مِنْ فئَةٍ جاءت
بجواب النّهضة مدروسا؛
فأرتْنا عَوْلَمَةً تجدي،
وأَرَتْ في العَوْلَمَةِ السّوسا:
صدقتنْا الرّؤية والرّؤيا،
وَدَنَتْ كي تبعد كابوسا!
ولئن، في الشّرق زَهتْ شَمسٌ
بعروسٍ قد «نفض الكيسا»[1]..
فهنا للضّادِ بكم عُرسٌ
وضياءُ كُرِّسَ تكريسا!
شعراء البلدة قد لاقوا
ألقًا في النّدوة محسوسا..

---

(١) نفض الكيسا: يطري العروس في السودان بقولهم «العريس نفض الكيس» كناية عن كرمه ومبالغته في توزيع العطايا.

بــبــيـــانٍ، أُبْـــــــدِعَ، ســحــريٌّ

يـــدع الــمُـسـتـعـصـيَ مـأنـوسـا!

وبمـــوســيــقـــى ســمــقــت نــســقًـا

كــصــروحٍ تُــذْهــشُ بـلـقـيـسـا![1]

فـسـمـعـنـا الْخُـــلّـــص: لا رومـــا

وفـــرنـــســيِّـــين، ولا روســــا!

سـيُـبـــاحُ الــيــوم إذا قـمـنـا

بــحــديــثٍ يــبــدأ مــهــمــوسـا:

«هِـــمَـــمٌ هــبّــت وســعــت حـتّـى

قـــرعـــتْ بـــالـــنّـــدوةِ نـاقـوسـا،

عـــمـــلٌ قـــد مـــاثَـــلَ نـــيّـــاتٍ،

فـسـقـى مـا خُـــلّـــدَ مـغـروسـا!»

ويـضـيـف الـقـائـل: «مـــا أسْـمَـى

سَـــرَيـــانَ الـشّـعـر إذا قـيـسـا!..

وقــصــيــد الّــلــيــلــة بــاقــاتٌ

ضــمــنــتْ لــلــصّــامــت تـنـفـيـسـا:

فـــأتـــى الحـــــادون بــــآيــــاتٍ؛

وأتـــى عـيـسـى بـعـصـا مـــوســـى!»

انجمينا، في ٢٩/١٠/٢٠٠٢م

****

(١) بلقيس: ملكة سبأ زمن نبي الله سليمان عليه السلام.

١٦ - دعوا هؤلاء!

[الطويل]

شبابٌ عَناهُمْ – بعد خُلقٍ – تخصّصُ،

وبعضُ قضاياهم خمورٌ ومَرْقَصُ:

فريقٌ على دينٍ ودرسٍ ودعوةٍ،

ولِلآخَرِ الإدمانُ ثُمَّ التَّلصُّصُ؛

هنا الالتزامُ الْحقّ حبًّا وغيرةً،

وتُهْوَى، هناك، القهقرَى والْتَملُّصُ..

فأيُّ الفريقين المرجَّى لنهضةٍ

إذا البوق نادَى .. والقدامَى تقلَّصوا؟

سؤالٌ «رجال الأمن» أخفَوْا جوابه

بهمسٍ عنِ «الإرهاب .. يعني» وبصبصوا!

فما لِلْغَيارَى يا «حماة الشّعب» – أمرُهم

على رأس مشبوهاتكم ليس ينكصُ؟

لماذا نراكم حيثما سار مُلْتَحٍ

وأنتم على آثار من سار شُخَّصُ؟

.. ومندوبكم ساعٍ إلى كلِّ مسجدٍ،

وقرب الزَّوايا في اللّيالي مقرفِصُ؟

كأنَّ اللحَى تخفي سلاحًا يخيفكم!

تعالَوْا بأمشاطٍ إليها لتفحصوا..

فـإنْ شَـذَّ شـكلٌ غير مـرضٍ فشذِّبوا،
وإن رابَـكُـمْ طـولٌ فـحفُّوا وقصِّصوا!
.. ولا تستعيدوا مسرحيّاتِ أعصرٍ
خلت، فالتزام النَّصِّ أرخَى وأرخصُ!
وأمَّـا الحجاب المستحيُّ فخِرقةٌ:
خذوها، فجسّوا، واغسلوها، ومصمصوا ..
وقوموا بفحصٍ معمليٍّ مكرَّرٍ
عليها، يرغْكم كيف طاش التَّربُّص:
فَمَنْ جُلْنَ فيها ناشئاتٌ على تقًى،
وديعات طبعٍ، لسن ممّن ينغِّصُ؛
فخلُّوا بزينـاتٍ يـراهـنَّ جنده
- كإخوانهنَّ الغرِّ - حقٌّ محصحص
دَعُـوا هـؤلاء الرَّهط، إذْ إنَّهم دَعَـوْا
إلى أفضل الغايات، لكنّهم غُصُوا!
فـإنْ يُكْتَشفْ للأمن خرقٌ فغيرهم
بتدقيقكم أحرَى: تحرَّوْا ومحِّصُوا!
أَجُنَّ الّذي ظنَّ الغيارَى عصابةً،
وأنَّ السَّكارَى على الأمن أحرصُ؟
ألم يأْنِ للإيمان أنْ يستميله؟
بلَى! فَهْوَ في الإنسان ينمو وينقصُ!
ومَنْ كان، قبل الصُّبح، سرباله الدُّجَى
فإنَّ السَّنا، بعد اللّيالي، يقمِّصُ!
وَمِنْ فضل مولانا، تعالَى، قبوله
متاب الّذي يأتيه والقلب مُخْلِصُ!
انجمينا، ٢٠٠٣/١٢/٢٤م

****

١٧ - مالم

(في ذكرى رجل المبادئ والمواقف المعلم الراحل/ أمينو كانو، المثال السياسي النيجيري - بل الإفريقي - الفذ!).

بَليّتُنا ذئابُ تطبّعٍ! مَعِطُوا،
فعمّ الأفْق - من فَتَكاتهم - قَحْطُ
إداريّونَ أو متسلّطونَ ذوو
نفوذٍ، أصله الإفرنجُ، أو شُرَطُ
وقادةُ عسكرٍ، وحُثالةٌ - بُعِثوا
جباةً - لا يؤدّون الّذي اخْترطوا
ومِنْ زعماءَ - مزعومين - مبدؤهم
متاجرةٌ، وكلُّ حديثهم سَقَطُ..
ومنحرفينَ كانوا في شَغاف قلو
بِنا، زمنًا مضى.. لكنّهم شَحَطُوا..
إلى خلفٍ بُداةٍ كم يحيّرني
تبجُّحُهُمْ بما سقفوا وما بطلوا!
لأوربّا، إذا حجّوا، تيمّمهم:
ففيها تُوضَعُ الأسلابُ والخُطَطُ
يرومون الأمان لدى مصارفها،
على أنّ الأمانة عندهم غلط!!

وفاحتْ ريحُ نفطٍ من منابعنا،

فكالورمِ الخبيثِ إذا بهم نفطوا

إذا لاقوكَ إذْ للرحلة انْطلقوا

بَدَوْا وكأنَّهم خلف الأغا[1] أُرَطُ!

فإنْ سرقوا فهم في السرقة اعْتنقوا

ديانتهم، فأمر أبرّهم فُرُط

وإنْ غدروا فتلك سجيّةٌ شُهِروا

بها، لا فلتةٌ طرأتْ ولا فَلَط!

وحول فجورهِمْ حدَثٌ ولا حرجٌ:

سدومُ لهم وعامورا[2] هما النَّمَط!

لحاهُمْ والعمائمُ شابهوا بهما

أئمَّتهُمْ، وتُسْبَغ كلّما جلطوا:

فتلك عمائمُ الفُسَّاق، واقْتُطِعَتْ

ليُخفىَ تحتها الخسران لا الشَّمَط،

وقد خُلِطوا، كما سيطتْ أئمّتهم،

بمِسواط الفضائح ثَمّ، فاسْتَوَطوا!

هم القطط السِّمّان المزدراة أتت،

وقد خرجت من الصَّفَحَات، تسترط

ومُنذئذٍ تعدّوا رسمَ مسخرةٍ

تشكّله خطوط الحبر والنُّقط:

تنمّرت الدُّمَى قِططًا وقدوتها

«دَرَاكُولا»، ولكنْ صوفها قَطَط

---

(١) الأغا: لقب تركي. أرط: جمع أرطة وهي تسمية تركية بمعنى فرقة عسكرية.

(٢) سدوم وعامورا: قريتان تذكر التوراة أن الله تعالى دمرهما عقوبة لأهلهما المفسدين وهما قريتا قوم لوط.

وفــي الـوطـن الّــذي ذبـحـوه فـانْفـضـحـوا

يمــوت الــكــادحــون لـتـسـمـن الـقِـطَـط!!

أَسِــفْــتُ عـلـى ضـمـائـر لـم تَـعُـدْ ذممًـا

إذا مُــسَّــتْ بِمــرّ الــرّيــح تَـنـكَـشِـط:

ضـمـائـرُ بـعـضـهـا عـربـيّـةٌ نَـتَـنَـتْ،

وإفــريــقــيّــة بـالـطّــين تـخـتـلـط...

فَــرُحْــتُ أجــوب ذاكــرتــي أسـائـلـهـا:

«أمّــا فينا - حديثًا - سيّدٌ مَـجِـط؟...

وهــل عَـقِـمَـتْ - عـلـى أيّـامـنـا - دُوَلٌ

ورثــنــاهــا، فـمـا نَجُـبَـتْ لـنـا خُـلُـط؟»

فــلاحَ «أمــينُ كـانـو» لـي، فـمـن وجـعـي

بكيتُ وكم بكتْ «مالْم»[1] - أسًى - خِبَط:

«فـمـالـم» كـان فـي «كـانـو»[2] مُعَلّمها

ومَـعْـلَـمَـهـا الّــذي يـزهـو بـه الـوَسَـطُ

زعـيـمُ الـقـوم إيـثـارًا، وتـضـحـيـةً،

وبـــذلاً دائـــبًـــا: يـعـطـي ويـغـتـبـط!

قَـد اسْـتَـوْحَـى «الـتّـلاكـاوا»[3] ، فمثّلها،

وهـــمّ الآخــريــن تـكـسّـبُ خَـبِـط...

كـحـدّ المــاس قـد كـانـت بـصـيـرتـه

وهــم عُــمْــيٌ، غـشـاء قـلـوبـهـم زلـط!

(١) مالم: لقب أصبح رغم شيوعه في شمال نيجيريا كالعلم على الحاج أمينو كانو رحمه الله واللفظ تحريف لكلمة «معلم».

(٢) كانو: أو كنو أكبر المدن في شمال نيجيريا وأكثرها راديكالية سياسية وهي معقل الفقيد الذي ما كان ينافسه فيه أحد.

(٣) تلاكاوا: البسطاء الكادحون بلغة الهوسا وكان «مالم» - المدافع القوي عن حقوقهم - كثير الترداد لهذه الكلمة.

تحـدّى، لـم يَـخَـفْ، مسـتعـمرًا شرسًا

ومـا أثـنـاه، فـي إقـليـمـه، الـسّـخَـط!!

ولمّــا نـيـلـتِ الحــرّيّـــةُ ارْتـفـعـتْ

عـقـيـرتـه بــــرأيٍ قـلّـمـا يَـبِـطُ:

فلـم يفـهمْـهُ أهـلُ الحكم – مـن عُـقَـدٍ –

شِـمـالاً أو جـنـوبًا: وَفْـقَ مـا ارْتـهـطوا

فـقـاد مـخـالـفـوه الاتّحـــاد إلـى

شَفا جُـرُفٍ ... كذلك يصنـع الشّطَطُ!!

وجــاء الـعـسـكـر الحـكـام فـامْـتـخـطو

ه، بين الأسْـيُفِ القُضْب الّتي امْتخطوا!

وقُــلِّــدَ سـلـطـة الأرزاق حـين جـرت

بـنـيـجـريـا سـيـول المـــال تـنـهَـبِـط:

فـلـم يـرْهـا غـنـيمـتـه الـتـي كـسـبتْ

يــداه! فـإنّمـا هُـوَ خـــادمٌ نـشـط...

وسـيّـده هـو الـشّـعـب الّــذي، أبـدًا،

يـراه كـمـا رأى أسـنـانـه الـمُـشُـطُ...

فـمـا أثــرى! ومــا أَلْـهَـتْـهُ عـن مُـثُـلٍ

عَـقـاراتٌ، ولا دورٌ، ولا خِـطَـطُ!!

... ولـم يَـتَـقـاضَ يـومًـا نِـسبـةً مِـئَـويـ

يَـةً لِـيُـجِـيزَ عـقـدًا شـابَـهُ رَقَـطُ..!

ولــم يُـنْـفِـقْ، لمتعـتـه، الـنّـقـود على

شـريـكـةِ مـوبـقـاتٍ فـرغُـهـا سَـبِـطُ!

فلمّا غادر الكرسيّ غادره

سجالٌ للعلا - بالحقّ! - مُفْتَرَطُ!

وظلّ على مبادئه يجسّدها

وينشرها، وبالمعروف ينبسط!

إلى أنْ طلّتِ الأحزاب ثانيةً

وثمّةَ حزبه الجذريّ منخرط:

يناضل للتّلاكاوا بلا كللٍ..

لكي يسترجع الحقَّ الّذي غُمِطُوا!

وفي التّرشيح كان «أمينُ» فارسهم

بمِضْمار الرّئاسة ساعيًا يَخِطُ..:

ترشّح للرّئاسة كي يسخّرها

لمجتمعٍ تكاد عراه تنفرط!!

فأعيا الطّعن فيه منافسيه عدا

تجنّبه الضّرائب حسبما لغطوا..

فلمّا فُتِّش الموضوع بان لهم

أمينُ القوم كيف يلي وينضبط:

فممّا تُقْتَضَى عنه الضّرائب لم

يكُنْ في مِلْكِه سَقَطٌ ولا لَقَطُ!..

وما ملكت يداهُ سوى ضرورته،

كأيِّ مزارعٍ ممّنْ بِهِ ارْتبطوا..

فلم يدفع عُشُورًا فوق ما دفعوا،

وما هضم الحسابَ، ولا هُمو قسطوا!

ومـــا لـــم يـرتـهـن مـــا لَــمْ قضيَّتهم

فـكـيـف يـلـمّ أمـــــوالاً ويـلـتـقـط؟

بـــخٍ!... لـلـهِ أنـت! فـقـد ضَـرَبْـتَ لنا

مـثـالاً يـحـتـذيـه الـعُـرْبُ والـنَّـبَـطُ:

فَـنَـلْ - وعـلـيـك رحـمـة ربِّـنـا - مِـنَـنًـا،

فقد ألجمتَ نفسك إذْ كَفَتْكَ «قَطُّ!»

ولـــو أنَّـــا تمثَّـلـنـاك مـــا ارْتحـلـتْ

رؤوس الحكم لـلإحسان تَـخْـتَـبِـطُ،

ولا اسْتَبْقَى بـه - سفهًا - سياحتهم

هـنـا وزراء ســوءٍ دأبـهـم نُـطُـطُ..

يـــحــوزون الـكـمـالـيّـات فـــي بـذخٍ

ومـيـزانـيّـةُ الـتَّـعـلـيـم تـنـضـغـط!

مـضَـى «مـالـم» ولـم يـأخـذ بمسلكهم

ومـا اسـتـهـوتـه أسـفـارٌ ولا بُـسُـطُ...

ومـــات أمـــينُ كـانـو زاهـــدًا وَرِعًـــا!

غيابك - يا أمـينُ - حضور مَنْ سقطوا!

ولـكـن كيفما غضبوا أَوِ انْتبهوا

فـلـيـس تـشـابِـهُ الأمـثـولـةَ الـفُـوَطُ:

لـئـن أخـلَـوْا بـيـوت المـال مـن عَـرَضٍ

فـفـي «مـا لـم» لأهـل مـروءةٍ فَـرَطُ!..

ومـنـهـجـه سـيُـنْـصَـرُ! فـالـرّحـيـم يَـرَى،

ويـنـشـر لُـطْـفَـهُ مـن بـعـد مـا قـنـطـوا!

انجمينا، في ١٦/٨/١٩٩٧م

****

١٨ - دالٌ بَعْدَها نُقْطَة

[المتدارك]

دكتوراهُ! يا لُقْطَةْ

حيث النّاس مُشْتَطّةْ!

فيكِ الْبعض كم غالَى

سعيًا... أو فَبِالنَّطّه..

فاحتازتْكِ أفرادُ

في التَّصنيف هم خَلْطَه!

أهلُ الدَّالِ أنواعٌ:

منهم نافعٌ رَهطه..

علمًا فوق أخلاقٍ

أعلَى فيهما ضَبْطَه

لا يختالُ في تيهٍ،

سمحٌ، نادرُ السَّقطه

إنْ أفتَى فترجيحًا

كان المحتوى شرطه

لم يجعلْ «أنا عندي

في هذا ...» له خُطَّه!!

والإنتاجُ عنقودٌ

زكّى المْجتني خَرْطَةْ!

... أيضًا منهمو (مسيو)

عقٌّ العنق بالرَّبطه

قالوا: «سيِّدٌ!» ، قلنا:
«تتلوها، هنا، قِشْطَةْ![1]»
أمّا الآيةُ العُظمى
فالمغرورُ كالقِطّه...
ملءُ النفسِ تعقيدٌ
والأخلاقُ منحطّه
حتّى الاسمُ قد أمسَى
«دكتورًا» بلا حِطّه!
إنْ تحططْ فسادِيٌّ
قد سعّطتَه الشّطّه
لو ناديتَ لم تذكرْ
دالاً بعدها نُقطه...
أضحَى عاريًا حتّى
دائي الموتِ بالجَلْطه!
لو صحّحتَه يومًا
تلكم عنده الغلطه
فَهْوَ العالمُ الأولَى
بالمفتاحِ و«الشّنْطَه»:
لا تجرؤْ فتستفهمْ
عن أمرٍ قدِ اخْتطّه!
هل في العلمِ ألقابٌ
قامت دونه شُرْطَه...
فالزُّلَفى لها حكرٌ
لكنْ للورَى ورطه؟

(١) سيد... قشطة: يدعى القرد بالعامية المصرية «سيد قشطة».

لا تحفلْ بتقييدٍ
إنَّ القيدَ ذو سَخْطَه...
إلاَّ في فرنسا إذْ
قيدٌ أضحك البطَّه[1]!
رُبَّ القيد - فلتدركْ
معنَى هذه الضَّغْطَه -
ليس العلمُ مرماهُ
أو ما فيه من غَبْطَه:
فالأبحاثُ أجراها
في بحثٍ عن السَّلطة؛
ما زادته في الرّؤيا
أو في العلم من بَسْطَه،
فَهْوَ الآن في أُفْقٍ
صنوُ الصَّانعِ «الأُسْطَه»...
أو كالسَّارح الراعي
أو بيّادة الأُرْطَه!
هادينا وإيّاهم
لا تُغْييه «سَلْ تُغْطَهْ!»
فلنسألْهُ تخليصًا
التَّيَّات من خُلْطَه:
إخلاصًا يقي المسعَى
- مهما نُمتحنْ - خَبْطَه!

انجمينا، في ١٥/٨/٢٠٠٢م

****

---

(١) قيد أضحك البطة: إشارة إلى الدورية الفرنسية الساخرة «لو كانار انشيني» أي البطة المقيدة.

١٩ - لحقّ الرّضيعة![1]

(١)

[المتقارب]

كوابيسُ – أمستْ مِنَ الواقعِ الآن فينا – فظيعَهْ:

ففي كلّ يومٍ تحومُ الصّقور السّريعه[2]...

تغطّي المْدَى؛ والطّرائدْ ...

نساءٌ ترمّلنَ، أو أمنياتُ البنات الوديعه؛

ومستشفياتٌ، وروضات طفلٍ تغنّوْا بحُلْوِ الْقصائد ..

وما لُقِّنوا أنَّ من فوقهم شرُّ صائدْ:

فلم يحتموا من زمان الفجيعة:

كما لم يَفِدْهم لجوءٌ إلى مجلس الأمن مِنْ بعدُ أدنَى فوائدْ؛

فهل ثَمَّ من ملجأٍ يُرتَجَى غيركم سنّةً – في اعْتقادٍ – وشيعه؟

كفافُ المْوائدْ ...

عفافُ الْخرائدْ ...

مَصيرُ الْمجدّين في مصنعٍ للنّضائد ...

---

(١) (ألقيت في حفل التضامن مع شعب العراق الذي أقامته رابطة الطلبة التشاديين خريجي العراق بانجمينا في مبنى وزارة الخارجية).

(٢) الصقور السريعة: طائرات «التحالف» التي تحلق فوق منطقة حظر الطيران بالعراق.

وحقّ الرّضيعه ...

- على صمتِها - في حليبٍ وبعضِ الوسائدْ ..

ومعنَى مُصَلّى وحوزات علمٍ وديرٍ وبِيعه ...

ونهجٌ يفي بانْدحار المكائد ...

ألاَ كلّ هذا سَيبقى لديكم وديعه:

فإمّا حَفِظْتُم - برغم الشّدائد -

وصنتم، فكنتم - كأجدادكم - في الطّليعه...

وإمّا رَوَتْ عنكم الألسن الشّامتاتُ الْحدائد:

(تخلّت قريشٌ، فذَلّتْ ربيعه؛

وكانت قريشٌ إذ ما نَوَتْ نَصرَ إخوانها مستطيعه!)

(٢)

على بُعْدِ ميلٍ منَ البصرة اليوم كم من صريعه ...

ومن ياسرٍ مبتلًى يشتكي صارعيها إلى الله! كم من سُمَيَّهْ ...

تعاني صنوف العذاب المُريعه ...

ولم تشترك في اجْتياحٍ ولا في وقيعه،

كما أنّها لم تبايع أميّة ...

ولم تَدْعُ يومًا إلى غيرهم: لم تكن فاطميّة ...

ولم تتخذ من أبي مسلمٍ مَرشدًا. لم تَصِرْ ذات يومٍ صنيعه،

ولكنّها اسْتهدفتْهَا الصّقور الّتي أطلقتْها الْحَمِيَّه!

ومن هؤلاء السّميّات، من بينهنّ، انْبَرتْ في انْفعالٍ سميّه ...

بفحوى مقالٍ ونجوَى سؤالٍ مُحالٍ إلى إخوة السّالميّه:

(أشِقّاءَنا منذ ما قبلَ أنْ يظهر النّفطُ أو أنْ نُضيعَهْ ...

وقبلَ اخْتراع الورَى طائراتٍ على حاملاتٍ منيعه!...

وإخوانَنا بعد ما قد تُرَى خُردةً في مهاوٍ وضيعه!...

بني أمِّنا ما رَوَى الدّهر: «يا دار ميّه..»!

هَبُوا الحاكم الفرد ضلّتْ به الحاكميّه.

فهل لانْتقامٍ من الحاكم الفرد تُلغى العُرَى الآدميّه؟

وهل هوجة الرّيح في قسوةٍ مرّةً حجّةٌ لاغْتيال الطّبيعه...

وتبخيس كلّ المعاني الرّفيعه؟؟)

مجافٍ لفطريّةِ الْعدل وأد الولائدْ،

وليل اجْتِرار التّشَفّي سوى طوطميّه!...

كشأن الحديث الّذي ردّدَتْه المذيعه...

مرارًا عن المُلهَمِ المُفتدَى والجموع السّميعه...

أوِ الْمَجْلس المُصْلَتُ الحظر عن حكم شرعيّةٍ من كلام الجرائد:

فشرعيّة المجلس الفظّ إمّا عَرَتْها عَميّه...

وإمّا اعْترتها بقايا جنوحٍ إلى أكل لحم الأَناسيِّ بائد!

فيا أيّها المبصرون الّذين استشفّوا الخديعه...

خيوطًا بدت عنكبوتيّةً من وراء الذّريعه...

وخلف الّذي يُدَّعَى من عقائد:

إذا ما انْعتقتم، لدى الاستجابات، من عقدة الموسميّه...

فقد توقفون الدّموع الّتي تغرق الأعظميّه!!

ويا مَنْ رأوا أمنهم في موالاة مَنْ لا يوالي الشّريعه ...

مِنَ الطّغمة الأعجميّه:

إذا خائفُ رامَ شيطانةً بُغْيَةَ الأمنِ يومًا ضجيعه ...

على شِرعةٍ قمقميّه ...

فما رامَ أمنًا إذن لو تقصّى ولا لذّةً، بل سرابًا بِقِيعَه ...

وباع القضايا بلا أيّ عائد!

فعودوا – هُدِيتُمْ! – إلى سكّةٍ ليس فيها مصائد

وَأَنْهُوا الْقطيعه!!

انجمينا، في ١٦/١/٢٠٠٠م

****

٢٠ - خَلَفُ الصَّحابَةِ!

[الكامل]

أتُـرَى الـزّمـانُ وعـى الحـوادث أم غَفَا

فـرأى الـزّواهِـرَ قـرنَ أفضـلِ مصطفَى..

يـتـسـابـقـون إلـى الـفـدا بـنـفـوسـهِـمْ

فَـسَـهـا وسـطَّـر شـأنـهـم مـتـلـهّـفـا..

فـحـسـبـتَـهـم فِـئَـةً مـعـاصـرةً قَـفَـتْ

خُـطُـوات مَـنْ رسـمـوا الـطَّريـق ليُقتفى..

وطـفـقـتَ تـعـجـب مـن فَـلاَح شـبـيـبـةٍ

تَبِعوا الـوجـوه على الـصِّـراط.. وهـم قفا؟

فـلـشـدَّ مـا بـعُـدتْ ظـنـونُـكَ نجعـةً

بـك أن تـرى خَـلَـفَ الـصّـحـابـة خُـلَّـفـا!

أتجـود، بـعـدُ، بمـثـلـهـم فَـتَـراتُـنـا؟

تَـرِبَـتْ يَـداك! دعِ الـتَّـمـنّي، قـل: «كـفـى!»

وَهِـمَ الـزّمـان! فـكـذّب الحُـلُـمَ الّـذي

حَـفِـظَـتْ صـحـائـفـه الـغـداةَ تعـسُّـفـا!

قـسمًـا لـقـد صـدق الـزّمـان! ومـا حكى

قـصـص الـبـطـولـة لحـظـةً مـتـكـلّـفـا!

ولـئـن رمـقـتَ صـفـوف إخـوة «سـيّـدٍ»

لحضـرت سـاعـة جـيـش أحـمـد أو جـفـا..

وسمعت قول: «بخٍ بخٍ!» وتشهّدًا،

وشهدت هرولةً تذكّركَ الصّفا..

فشهدتَ، ثَمّ، على الصّحائف أنّها

كتَمتْكَ من نبأِ القبيل مشرّفا!

ولعلّها خَشِيَتْ عليك تندُّمًا،

وعلى عيونك أن تعود فتذرفا:

فَلَرُبَّ منفطرٍ فؤاده رقّةً،

ونجيِّ معركةٍ يموتُ تأسّفا!

ولأخسرُ العبرات ما سلب الحِمَى

بَصرَ المرابط والثّغور على شَفَا!

فَصُنِ المدامِع: إنّ هذه ثلّةُ

يرث التُّرابَ جنودُها ليريّفا..

ويُساق مَنْ لَقِيَ الشّهادة منهمو

متضمِّخًا جهة الجنان مضيِّفا..

فَتُرَى مفتَّحَةً لهم غرفاتُها

وتقول: «هَيْتَ لكم جناي!» تلطّفا

ثكلتْكَ أمُّكَ إنْ تركتَ سبيلهم

وسلكت من طُرُق الضّلالة مدلفا:

فلأيّ وسوسةٍ تراك مجانبًا

أثر الّذي تبع «المعالم» واكتفى:

كسبَ النّهار مباركًا، فإذا مضى

سجد اللّيالي راجيًا متخوِّفا؛

ويــعــودُ فــي ثــبــج الأحــبّــة قــاهــرًا

جِــيَــلَ الــعِــدا: مــتــحــيِّــزًا، مــتــحــرِّفًــا!

فــيــواصــلــون، وفــي الإلـــه تــواصــلــوا

سُــبُــلَ الــسَّــلام مــضــتْ لــتَــنْــصُــرَ مصحفا؛

ويــكــبّــرون.. فــكــم تــصــاغــرتِ الــدُّنــا!

ويــهــلِّــلــون .. فــهــل تــرى وثــنًــا نَــفَــى؟!

.. وَلَــكَــمْ تَــلَــوْا! فــإذا الــسّــكــيــنــة أُنْــزِلَــتْ

ذكـــر الــمــهــيــمــنُ حــزبــه الــمــتــزلّــفــا..

فـــإذا دعـــا الــثَّــقــلــيــن ربُّــهُــمــا وقــد

ســعــد الــدُّعــاة بــشــارةً وتــشــوّفــا..

هــتــف الــمــعــانــد: «ويْ كــأنّ صــنــيــعــنــا

أثـــرٌ تــقــادم! وي كــأنّــه قــد عَــفَــا!»

صــدق الــرّســول! وفــرقــة الــجــبــروت لن

تـــدع الــعــنــاد قُــبَــيْــل ذلـــك مــوقــفــا

فــهــلُــمّ خــنــدقــك الــمُــعَــدّ عــلــى تــقًــى

ولــمــدفــعٍ أمـــر الـــهــدى أن يَــقْــصِــفــا

مــع فــتــيــةٍ قَـــــدَروا الــمــهــيــمــن قَـــدْره:

وبـــذاك مــا اتّـــخــذوا الــوســيــلــة زخــرفــا

فــعــســاك تُــمْــنَــحُ - لا أبــا لــك - ودّهـــم

فــتـــزور كــوثـــر مَـــنْ دعـــاك لــتــغــرفــا

خــســئَ الــمــخــالــفُ إذ يــعــارض أمـــرَهُ

ويـــــرومُ يــدخــل ديـــن ربّـــك مــتــحــفــا!

فـمـحـمّـدٌ عـلـنًـا دعــاك لِـمـا مَـعَـا

شَــكَ دونـه أبــدًا يـظـلّ مـزيّـفـا..

أتُــراك مـسـتـمـعًـا نــداءَهُ تـابـعًـا

فـئـة الـدّعـاة؟ بـهـم، إذنْ، تـتـشـرّفـا!

فَـمَـنِ المُـجـدّدُ لـلـرّسـالـة بـيـرقًـا

خَـلِـقَـتْ سـوى نـفـر الـهـدى لـتـرفـرفـا؟

مـتـكـاتـفـين عـلـى الـنّـوائـب فـطـرةً،

مـتـآلـفـين سـلـيـقـةً وتـثـقُّـفـا..

متحـالـفـين عـلـى الـكـتـاب، فـلـم يُـرَوْا

مـتـجـانـفـين لـمـا يـريـب تَجـنُّـفـا!

بـهـم الـتّـقـدّم لـلـبـلاد وأهـلـهـا،

فَلِـمَ الـتّـأخُّـر والـنُّـكـوصُ كَـمَـنْ جـفـا؟

أَوَ بـعـد مـا حـكـم الـعـزيـزُ بـعـزِّهـم؟

تـعـس الـمـفـضَّـلَ أن يـظـلّ مـزعـنـفـا!!

سجن كوبر «السجن العمومي بالخرطوم بحري» ١٩٧٦م

****

٢١ - فديت العيون![1]

[المتقارب]

«ثـــوانٍ!» .. ومـــدّتْ إلـــى الـهـاتـفِ
يــدًا بـضّــةً، قـلـتُ: «بــل سَــوّفــي!
ســأبـقـى شـــهــورًا هـنـا كـلّـمـا
حـبـانـي زمـانـي بـعـذرٍ يـفـي:
فـمـا كــان يُمْـلِـي قـدومـي سـوى
مـحـيّـاكِ هـــذا!.. ألـــم تـعـرفـي!»
وكـــم لـوحــةٍ شــدّت الـنّــاسَ مِـنْ
ديـــارٍ تـنـاءَتْ إلـــى الـمـتـحـفِ
وتـلــك اضْـطِـنـاعٌ وهـــذي دمٌ
وروحٌ أضـــاءت لـمـسـتـكـشـف
وعـيـنـان مـــا فـيـهـمـا جـنّـتِـي
فـقـطْ، بـل ونـاري ومـا قـد خـفـي!
حـنـانـيـك يـــا فـتـنـتـي لـوّمِـي
بـيـانًـا: فـهُـدْبـك ذا مـتـلـفـي
وإنّـــي ضـعـيـفٌ أمـــام الـمـهـا
فــلا تـقـتـلـيـنـي جـــزافًـا!.. قـفـي!
قـتَـلْـتِ الـشّـكـاوَى بـإهـمـالـهـا
فـكـان احْـتـكـامـي، فـلـم أُنْـصَـفِ

(١) طلبت إليّ موظفة الاستقبال الجميلة المهذبة أن أجلس، ثم رفعت سماعة الهاتف كي تتصل بالأستاذ لتبلغه بوصولي، مخاطبة إياي أثناء ذلك: «ثواني فقط، وسامحنا يا أستاذ!

فـيـمّـمْـتُ حـسـنًـا عـلـيًـا - طغى

يـريـد الـوغـى - رافـعًـا مـصحفي

وسـلّـمـت أمـــري لـعـيـنـيـك، لا

نجـت مـنـهـمـا عـين مـسـتـعـطـفِ!

فـديـتُ الـعـيـونَ المـــراض الّـتـي

تُـعَـنّـى فـــؤادي، ولا تـكـتـفـي

ورغــم الـعـنـاء الـتـزمـت الـهـوى:

شـبـابـي مـعـيـنـي عـلـى مـوقـفـي!

وإنّ الـصّـبـا - لـو نـعـي! - لحظةً

سـريـعًـا - كـمـرّ الـصّـبـا - تنطفي

وتـبـقـى لـنـا ذكـريـــاتٌ، فـهـل

تـريـديـنـهـا مُـــرّة المـرشـف؟

دعـيـنـا لِـعَـيْـشِ الـصّـبـا بـهـجـةً

مـعًـا، لا تـصـدّي وتـسـتـنـكـفـي!

طرابلس ١٩٧٤م

****

٢٢ - تفوّقوا

[الكامل]

زينُ الشّباب نجابةً وتفوّقا

يا مَنْ قَلَوْا عبثًا أعاق وعوّقا:

جيد النّجاح زها بكم وتطوّقا!

بشبيبةٍ، وهُمُ النّجوم، تألّقوا

بدأوا الصّعودَ من السّحاب وحلّقوا

والقلب ثَمَّتَ بالعطاء معلَّقُ:

لا خاملٌ معهم ولا متسلّقُ

هِمَمُ مَآثرها الأصالة مطلَق

ولذلك اجتنبوا الدخيل وطلّقوا

إنّ الهُوِيّةَ لا تُنال تسوّقا!

ببلادِنا انْتفض الأصيل تمرُّدا

لمّا أُريد لها التّفرنجُ مَوْرِدَا!!:

أبتِ الخُضوعَ، وقاومتْ لتغرّدا

عربيّة لُغة، فأعجزَتِ الرَّدَى!

لم يُلْقَ، قَطُّ، شبابها متشرّدَا

بل ظلّ ممتلئَ الْقُلوب تجرُّدَا

ولبذل كلٍّ جهوده متشوِّقَا!

فـتـفـوَّقـوا... وإلـــى الأمـــام تـقـدّمـوا

وإذا تـكـاثـرتِ الـسّـــدودُ فـهـدّمـوا:

مَـهْـر الـعـلا عَـــرَقٌ تـدفّـق أو دَمُ

لا تـبـخـلـوا بـهـمـا الـغَـداةَ فـتـنـدمـوا

يُـبْـنَـى بـكـم وطـنٌ ويُـنْـقـذُ مـعـدمُ!

فـتـفـوَّقـوا ... لـتـعـمَّـقـوا ... ولـتـخـدمـوا:

نُـصِـرَ الـمـؤصَّـل حـيـث عـالـج أو وَقَـى!

انجمينا، ٢٠٠١/١٢/٢١م

****

٢٣ - كيد الفرنجة[١]

[البسيط]

الغيثُ يوسِعُ رمل (امْ كامل)[٢] بللا
في كلِّ موسم خصبٍ، كلّما انْهملا

ينثالُ منهمرًا بالدَّمع يمطِّره
كي لا يجفُّ دَمٌ في عمقِهِ ارْتحلا

قد رمَّلتْهُ يد المستعمرين به
والدَّار رمَّلها أنَّ المسيد[٣] خلا...

من ظاهرين تُقاةٍ، كلُّهم عَلَمٌ
بالعلم والأدب العالي رسا وعلا..

تاقوا إلى الملأ الأعلى مجاوَرَةً
واسْتصحبوا سِمَتَيْنِ: الْوجد والوجلا!

نحو السّماء سَعَوْا، راجين رافعها
مرقًى بمغفرةٍ تكفيهم السُّبلا!

(بامْ) كاملٍ تركتْ تلك الدماء ثرًى
- سالتْ عليه خميس المرتقى[٤] - خَضِلا..

بَيْنَا هُناكَ غدت مسكًا، ومصدرها
في جَنَّةٍ تَخِذُوا فردوسها نُزُلا؛

---

(١) ألقيت بمناسبة الذكرى الثالثة والثمانين لمذبحة «الكبكب» في الاحتفال الذي أقامه النادي الثقافي الشعبي التشادي تحديدًا لها بمشاركة اتحاد الجمعيات النسائية التشادية الناطقة باللغة العربية واتحاد شباب المستقبل مساء ٢٠٠٠/١١/١٥م بمقر النادي وذلك في إطار التعبئة لأجل المؤتمر الجامع الأول حول وضع اللغة العربية في تشاد.. وروجعت القصيدة فأدخل فيها شيء من التعديل في ٢٠٠١/٨/٢١م.

(٢) ام كامل: وينطق بهمزة وصل: وادٍ في أبتشة على ضفته قتل شهداء الكيكب وفيه دفنوا رحمهم الله تعالى.

(٣) المسيد: وفيها لغتان أخريان: المسيك والمسيج: الكتّاب أو الخلوة حيث يدرس التلاميذ القرآن ولعلها محرفة عن «المسجد».

(٤) خميس المرتقى: كانت المذبحة يوم الخميس ١٩١٧/١١/١٥م.

قد شارفتْ حِجَجًا تسعين مذ سُفكتْ

فَاسْتنجزتْ عِدَةً ... واسْتوقدت مُثُلَا..

ما جرَّ كُبكب «جيرارٍ»[1] جرائره

إلاّ ليطفئها فيهم فتنخذلا!

لكنّها حَفَزَتْ من بعدهم هِمَمًا

ما سفّهته فقط، بل زادت الشّعَلا!

خَتْمُ المحرّمِ[2]، شهر الله، كان لهم

ختمًا، تبارك مولًى قدَّر الأجلا:

حصْدًا تلا دورة العام الّذي بدأوا:

في ستّةٍ وثلاثين الحصاد غلا!

كانوا الكواكب في أبّشَةَ اجْتمعت

أنوارهم لمعتْ، لم تعرفِ الْمللا

لو جُودِلوا فكما قد جودِلتْ رسلُ

والنّاسُ أكثرُ شيءٍ في الدُّنا جدلا!

فيهم أئمَّتُهَا دينًا بما رُجِمُوا

لينًا، وأوحدهم فنًّا إذا هدلا:

يبكي لياليَ سلطان[3] مضى فمضت

حينًا، وينشد برقاويّةً غزلا...

---

(١) كبكب جيرار: الكبكب أو الساطور هو الأداة التي استخدمت في المذبحة وجيرار هو الضابط الفرنسي الذي أمر بها.

(٢) ختم المحرم: ٣٠ صفر ١٣٣٦هـ هو على الأرجح تاريخ المذبحة، قصيدة «الرمي» تجعله بحساب الجمل يوم ٢٧ محرم ولكن يوم ٢٧ محرم من ذلك العام يصادف يوم إثنين كما أنه لا يوافق ١١/١٥، الذي جاءت به الوثائق الرسمية والخطأ في حساب أيام الشهر الهجري أقرب منه في أيام الشهر الإفرنجي مع تأريخه بالقمري؛ فافتراض الخطأ في الأخير أقرب أما إذا أيد تحديد اليوم من أيام الأسبوع التاريخ الإفرنجي فإنه يكون من القوة بحيث لا يقاوم.

(٣) ليالي سلطان. برقاوية. دولاب الزمان: إشارة إلى أبيات من مطولة الشهيد/ عبد الحق السنوسي الرائعة المعروفة باسم النونية الكبرى.

أو شـادِيًـا - بـأسًـى - يـرثـي مـعلّمه

حـيـنًـا، فـيلـهـج[1] بـالـنِّـبْـراس مُـنْـفَـعلا

يـا شـاعـرَ الـزّمـنِ الـقـاسـي وسـابـقـه:

طـالـتْ بـنـا حـقـبٌ نـسـترفـد الأمـلا...

راجـين - مثلك - دولابَ الـزّمـانِ عسى

يـأتـي بـهـم - وبـكـم! - لـكـنّـه مـطـلا!

للـغير مـا ارتـهـنـوا، ربُّـوا ومـا وهـنـوا

فـي الخير، وامـتـهـنوا مـا يبعث الـدُّوَلا؛

مِـنْ بـعدهـم لُـغَـةُ الـضّـاد الّـتي عَـهِـدوا

لـم يُمْـسِ مـعـهـدهـا نِـسْيًـا ولا طـلـلا...

بـل ظـلَّ يـكـلأُ فـي الأجـيـال ذاكـرةً:

إنَّ الـلّـسـان هُـوَ الإنـسـانُ مـخـتـزلا!

إنْ عُـوِّضَـتْ بـأُخَـيْـرَى كِـلْـيَـةٌ مرضت

فـالـذّات ممـتـنـعٌ تـعـويـضـهـا بِـكِـلَـى!

لـيس الـوُجـودُ سـوى ذاتٍ مُـوطّـنـةٍ

تُـثْـرَى أصـالـتـهـا، لـم تُـلْـتَـمَسْ بَـدلا...

مِـنْ غـيرهـا تـتـوخّـى خَـيْـرَ مـا اخْـترعوا

أمّـا الـهـيـام بـكـلِّ الأجـنـبـيِّ، فـلا!!

إنّـا - كما احتضن الحاسوبُ حاضرَنا -

نَـهْـوَى الـنّفيرَ وحـفظَ الـلّـوح[2] وَالـكَـوَلاَ:

---

(١) فيلهج بالنبراس: إشارة إلى سينية الشهيد/ عبد الحق السنوسي في رثاء شيخه/ محمد النبراس.

(٢) النفير: قيام الجماعة بمساعدة فرد أو أسرة في عمل يخصهم كحرث أو حصاد وبناء بيت..إلخ. حفظ اللوح: استظهار القرآن عن طريق كتابته على ألواح خشبية وترديده. الكول: أقراص تصنع من أوراق نبات يحمل نفس الاسم بعد تخميرها ثم تستعمل في الإداء ولها طعم ورائحة مميزتان وفائدة غذائية كبيرة.

فـي الـنّـفـس لا عـقـدٌ، والْـقَـلْـبُ مـتّـحـدٌ،

من «كَـوْلَـخٍ» «فـنـواديـبـو»[1] إلــى «كـسـلا»،

إذْ قَـبْـلَ أنْ يَـفِـدَ الـتّـنـمـيـط عـولـمـةً

مـا كـان عــالَـمُ عـبـد الـحــقِّ مـنـعـزلا...

لا مــن ســـواه، ولا مــن أمــر مـجـتـمـعٍ

حـاشـى!.. ولـم يَـرَ شـأن الـعـيـش مُـبْـتَـذَلاَ!

لـلـوحـدةِ انْـغـرسـتْ فـيـهـم - ومـنـذئـذٍ

فـيـنـا - مـغـالـبـة الــوِسْـــواسِ لـو فـعـلا:

فـعْـلُ الــوَسـاوِسِ فـعـل الـسـوس مـنـتـهـكًا

معنى الأخـوّة فـي «أبـدي»[2] و«دار سـلا»..

فـعـل الـدّسـائـس بـالأمـس الّـذي اصـطـنـعـت

فـيـه الْـفِـرِنْجَـةُ قـبـل الـكـبـكـب الـخـلـلا!

كـم هـيّـجـتْ إبــلُ «أبـــدي» بـمـهـلـكـهـا!

والمـعـتـدي مـــرضٌ قـد سـمَّـمَ الإبِــلا

الــشَّــكُّ مـقـتـلـنـا ظـــلَّ شـــكَّ أخٍ

فــي إخـــوةٍ مـحـضـوه الـــودَّ مـتَّـصـلا

لـكـنْ ألـيـس نـــرى جـنـدًا وقـاعـدةً

أحــرى بـذاك؟ تـجـيـب الـطّـائـرات: «بـلـى!»

إلْـــفــانِ حـولـهـمـا ألـــفٌ يـكـيـدهـمـا

هـل مـؤمـنـان هـمـا حـقًّـا إذا اقْـتـتـلا؟

---

(١) كولخ: المدينة المعروفة في السنغال؛ نواديبو: المدينة الموريتانية المشهورة؛ كسلا: المدينة المعروفة في شرق جمهورية السودان.

(٢) أبدي: بلدة في شرق تشاد؛ دار سلا: إقليم في شرق تشاد... وكان قد حدث فيهما سوء تفاهم بين البدو والسكان نتيجة نفوق إبل البدو بكميات كبيرة وشك هؤلاء في أن السكان يقومون بتسميمها ثم تبين بعد حدوث مصادمات أن السبب يعود إلى عدوى وبائية أثبت التحليل المعملي في «فرشا» وجودها.

إنْ كـان مِـنْ أَرَبٍ فـي الاحْـتـراب لنا

فَـلْـنُـجْـلِ مَـنْ زعـمـوا أنَّ الـعَـدوَّ جـلا!

... ولْـنُـعْـلِ مِـنْ لـغـة رسـمـيّـةً زُعِـمَـتْ

حـتّـى تـعـود غـدًا رسـمـيّـةً عـمـلا!

... مـن واقـعٍ قَـلِـقٍ هـيّـا إلـى ألِـقٍ:

فـالسّـعيُ مَـعْـبَـرُنَـا مـا بـين «مـن» و«إلـى»!

إذْ ذاك تـحـتـفـل الأرواح فـي فـرحٍ:

«مـرحَـى!.. فـثـأر ضـحـايا الكبكب اكتملا..

كـيـد الـفـرنجـة شـهـر الـنّـونِ، مُـنْـتَـصَـفًا،

مـن عـام سـبـعـةَ عَـشْـرَ الآن قـد بـطـلا!!»

انجمينا، في ٥/١١/٢٠٠٠م

****

٢٤ - لكرفي

[المتقارب]

أشَــهْــدُ مُـصَــفًّــى رقــيــقٌ يـسـيـلُ؟

أمِ الــــدُّرُّ إذ يـشـتـهـيـه الـفـصـيـلُ؟

أمِ الــرّيــقُ: ريــق الّــتــي لــم تــنــوّلْ

مُـحـبًّـا غـلـيـلاً، فـجُـنَّ الـغـلـيـل؟!

ألا مـــا حــــلا لـيـس هــــذا ولا ذا

ك، بـل مــاء وادٍ، جـرى سلسبيل:

مـيــاهُ لآزومَ[1] تجـري بـكَـرْفـي:

فـتـسـقـي دلـيـبًـا فـــداء الـنّـخـيـلُ،

وتَحْـــبـــوهُ مـــن سُـكّـرٍ ذابَ فـيـهـا،

وممَّـــا حـبـاهـا دعـــــاشُ بَـــــذُول..

فـشـا نـكـهـةً حُـلْـــوَةً مـا لـهـا في

سوى هـذه الأرض - حـصـرًا - مثيل!

رعــى الـلــهُ آزومَ! كـم مـن فـنـونٍ

بـشـطـآنـه الخُـضْـرِ لـيـسـت تَحُـــول:

شـذًى - كـالخـزامَـى - لـطـيـفٌ، وحسْـنٌ

بـــدا فــي خـــزامـــيّـــةٍ[2] يـسـتـمـيـل،

---

(١) آزوم: واد عريض يجري من السودان عابرًا شرق تشاد إلى جنوبها الشرقي؛ كرفي: وتنطق بكاف مفتوحة وراء ساكنة مرققة وفاء مكسورة؛ قرية ذات سوق كبير وإنتاج زراعي وفير ومناظر طبيعية خلابة ومراع ممتدة وهي ملتقى مهم للبدو والحضر تقع على ضفاف آزوم وتتبع إداريًا لإقليم دار سلا وترتبط سكانيًا أيضًا بإقليم سلامات وهي حاضرة قبيلة دقل.

(٢) خزامية: فتاة تنتمي إلى قبيلة خزام وهي قبيلة عربية معروفة في تشاد وفي عدة دول عربية أخرى.

وريفٌ وريفٌ، ونَوْرٌ طريفٌ

ومرعًى عطوفٌ، وصيدٌ يجول،

و«قندولُ عيشٍ»[1] طريٌّ ينادي

إذا نقته: «لا يُمَلُّ المليل»!

ومِنْ تحته قامةٌ في فصوصٍ

لذيذٌ سَدَى لبِّها، تستطيل!

ويغدو الأهالي لجني نهارًا

وعند اللّيالي تُدَقُّ الطُّبول:

تَلِمُّ القُرَى قرب أهل البوادي

فتهتزُّ - قبل الشَّباب - الْكهول!

وتُسْقَى لدى البدوِ مشروبَ خِصْبٍ

يصون الحجا، أين منه الكحول؟

بلادي جلالٌ، وسحرٌ حلالٌ

وماءٌ زلالٌ، وطرفٌ كحيل!

هي الرَّمزُ عندي، ومعنى المعاني:

غنًى في سخاءٍ، وفقرٌ نبيل!

وفيها نعيمٌ (ولي منه ريمٌ!) ،

وشعبٌ كريمٌ، وحظٌّ بخيل!

وما قد حَوَتْ أرضها - من مهاها

إلى قِرْدِها - في عيوني جميل:

فعشقي قُراها كعشقي الصحارَى:

مقيمٌ، ولا يعتريه الذُّبول،

---

(١) قندول عيش: القندول هو السنبلة والعيش هو الذرة عند أهل في الريف والبادية التشاديين وفي السودان أيضًا.

عـــلا عـــن أنـــانـيَّـــةٍ، فَـــهْـــوَ عـنـدي

لأهـــل الــقــرابـــات، طـــــرًّا، مـيـول؛

فـــإنْ يَـغْـلُ «شـــاري» بـقـلـبـي مـكـانًـا،

فـفـي الـقـلـب، أيـضًـــا، فـــراتٌ ونـيـل!!

لحـبِّـــي بـــــلادي سـأسـخــو دوامًـــا

بـجـهـدي وفـكـري ومـــا قـد أقـــول...

فـمـا الـعـمـرُ إلاّ جـنـاهــا! فـفـيـهـا

تُـــرَى كـالـثّـوانـي، وتُـعـطَـى، الـفـصـول!

وإعـجــاز أبَـتْـشَـــةَ[1] الْمـفـتـدي - فـي

رفـــاقٍ - ثـراهـــا أمـامـي دلـيـل...

وبـونـو الّـــذي خـــطَّ بـرنـامـجًـا مـن

نــقـــاطٍ ثـمـــانٍ إلـيـهــا نَـــؤُول:

فـنـقـفـو جــــلاءً، ونـرضَـــى ابْـتِـــلاءً

- ولاءً - إلــى أن يُـتــاحَ الـوُصـول

... وإلاّ فـكـالـبـاقـلانـيِّ نـمـضـي

فـــــداءً، فـقـد مـهَّـدَ الـــدَّرب جـيـل:

بـكـنـجـي وكــرفـــي وأوزو ومـلـفـي

وبـــالا[2]... وصــفٌّ، تَـوالَـى، طَـويـل؛

وإنّـــي - ومـثـلـي جـمـوعٌ تـنـامـتْ -

دعـانـي، فـلـبَّـيْـتُ، ذاك الـرّعـيـل...

ولـــمّـا انْـتـفـضـنـا تــداعــتْ صــروحٌ

بـإفـريـقـيـا، ثُـــمَّ فـــرَّتْ فـلـول!

---

(١) أبتشة: هو الشهيد إبراهيم أبتشة ١٩٣٨- ١٩٧٨م؛ بونو: هو الطبيب والسياسي التشادي الذي اغتيل في فرنسا عام ١٩٧٣ وكان من قادة الاتحاد الوطني التشادي وذا الأثر الأقوى في صياغة برنامج هذا الحزب بنقاطه الثماني والذي أصبح فيما بعد برنامج فرولينا السياسي كما أصبح الحزب نواتها رغم أن بونو لم يلتحق بها؛ الباقلاني: الزعيم الثوري التشادي الذي توفي في حادث مرور بليبيا في مارس ١٩٧٧م وقد كان من أبرز مؤسسي فرولينا... رحم الله الجميع.

(٢) كنجي وأوزو وملفي وبالا: بلدات في غرب تشاد وشمالها ووسطها وجنوبها على التوالي.

وإنَّا على العهد، حُبًّا وصدقًا

مع الأهل: هُوتو وتُتْسي وزُولُو[1]،

ويزكو التَّآخي مع الشَّرقِ فينا:

ذوو الضَّاد هم قومنا والقبيل،

إذا عُدَّ مَنْ يصطفيهم عميلاً،

فإنِّي إذَنْ، دون شكٍّ، عميل!

وإيثارُهم ليس أمرًا مُحالاً:

وِدادي فرنسا هُوَ المستحيل!

أحاكَى هواها لدينا أُناسٌ؟؟

مع المعتدي هل تماهَى قتيل؟؟

وكم قد - عَدَتْ - منذ كادت فسادت -

على أمسنا الحرِّ شرًّا يصول!

فأشرارها لا يحبُّون فينا

مُضِيًّا على ما اقْتضتْهُ العقول!

هُمُ اسْتعمرونا فعاثوا فسادًا

كما عاثَ وسط البساتين فيل!

مع المعتدين التَّعاطي حرامٌ،

وأمّا التَّماهي فَداءٌ وبِيْل،

موالاتهم كَاحتضان الأفاعي!

وتمدينهم شائعاتٌ تهول:

فهل نال أجدادُنا غيرَ حَزٍّ؟

وهل أحسنتْ غير ذاك النَّصول؟

---

(١) هوتو وتتسي: القبيلتان المعروفتان اللتان تقطن أغلبيتاهما في رواندا وبوروندي؛ زولو: القبيلة الكبيرة التي تسكن بالذات في إقليم الناتال وكذلك بعض أقاليم جنوب إفريقيا الأخرى.

وإنّــــي - مــع المـستـقـلّـين فـكـرًا -

لـمــاضٍ أُعَــــــزّي، فـمــا أسْـتـقـيـلُ؛

ولا شــأن لــي بـالـدُّمَــى حــين قـالـت:

«إذا الحــالُ حـالـت ومـالـتْ فـمـيـلـوا!»

إن اسْـتـهـدفَـتْـنـي مـسـوخُ الـنّـصـارَى

فـحـسـبـي إلــهــي، ونِــعْــمَ الـوكـيـلُ!

سـتـبـقـى بــلادي رؤًى فــي فــؤادي،

ويَـفْـنَـى الأعــادي، ويُـجْـلَـى الـدّخـيـلُ!!

انجمينا، في ١٩٩٧/٧/٢٩م

****

٢٥ - إمام (٢)

[الرجز]

الـــدِّيـــنُ لا رأيٌ ولا نُـــقُـــولُ

فـــي قـــريـــةٍ يـــؤُمُّـــهـــا جَـــهـــولُ:

لـــكـــنَّـــه الإبـــعـــادُ والـــتَّـــجَـــنِّـــي

والإحـــتـــكـــارُ الـــفـــظُّ والـــغُـــلُـــولُ!

... فـالشَّـيـخُ - فـي الأهـواء - دُنْـيَـوِيٌّ

مـسـتـأثـرٌ... مـسـتـكـثـرٌ... عَـجُـولُ...

والمِـــنْـــبَـــرُ الـــمـــرقـــاةَ: لا لأعـــلَـــى،

بـــل لـــلـــمَـــهـــاوي!... والـــهـــوى ذَلُـــولُ؛

فـــالـــقـــريـــةُ الـــحـــيـــرَى تـــهـــابُ مَـــنْ لا

يـــأتـــي سِـــوَى مـــا عـــابـــه الـــرَّســـولُ!

تـبـكـي ضـيـاع سِـيـبَـوَيْـهِ - مـهـمـا

أصْـــغَـــتْ لـخـطـبـةٍ لـــه - فـــحـــولُ!

لـــولا أبـــو جـــهـــلـــين لـــيـــس يُـــدْرَى

فـــأرٌ لَـــدَى الـــمـــقـــال وَهْـــوَ فـــيـــلُ!

قـــالـــوا: «أصـــولـــيٌّ!» فـقـلـت: (كـــلاً!

هـــذا وصـــولـــيٌّ!... فـــلا يـــصـــولُ...

...إلاّ لـجـمـع الـمـال فـي سـعـارٍ:

غـيـر «المـصـاري» مـا لـه أصـولُ؛

يُدْعَى إلى حقٍّ فلا يُلبِّي

إلاّ ومال الحقِّ يستميلُ!

والشَّيخُ - رغم بِطْنَةٍ - حسودٌ:

صِلٌ يضُخُّ السُّمَّ وزنَ كيلو!!

ما في أبي جهلٍ زيادةٌ مِن

غِلٍّ على «صِلٍّ» ولا فُضُولُ،

أمّا أبو جهلين - لو عرفتم -

فالمقتفي إبليس، لا يحولُ...

المدمنُ الأيْمانَ، مُستحلاًّ،

إذ أكْذبُ الأقوال ما يقولُ...

والمغلِقُ الأفْواهَ منذ دهرٍ

ما لم يَبِينُ عندها دليلُ...

كي تستحيل الدّارُ دارَ عُمْيٍ،

للعُورِ فيها رِفْعَةٌ وطولُ!

في كلِّ أرض الله هل رأيتم

دارًا كساها نورَها المغولُ؟

... (أم) - ثَمَّ - مقموعًا كقريةٍ قد

أمَّ الْوَرَى فيها الغداةَ غولُ؟

يا حبّذا لو أبعدتْه ريحٌ

للعيش حيثُ تُعْبَدُ الْعُجولُ!

... إذ لم يَعُدْ له هنا نصيرٌ

ممّن لهم، قبل الهوى، عقولُ:

أمّا الّذينَ استنفعوا فَعِيرٌ،

حتّى وإن لم تظهرِ الذُّيولُ!

ما مسخهُمْ إلا لحقّ علمٍ

قد ضيّعوهُ عندما أُنيلوا،

رانتْ على شِبْهِ القلوب فيهم

أوزار إصرارٍ؛ وقد تزولُ!

... فالتُّوبةُ النّصوحُ نرتجيها

منهم، وإلاّ جُرِّدَ الصّقيلُ!

آمنتُ بالهادي إلى صراطٍ

في غيرِهِ الخُسْرانُ والنُّكولُ!

انجمينا، في ١٩٩٩/٧/٢٠م

****

٢٦ - حَذْوَ «مَا قَالَتْ حَذَامِ»!

[مجزوء الرمل]

شَـــلَّ قـــومًـــا، فـــي انـــهـــزامِ،
ضـــربُـــهـــم تحـــت الحـــــزامِ:

نـــبـــوةُ الـــسَّـــيـــفِ الـــهُـــذامِ:
عـــلَّـــهـــا لـــيـــســـتْ بـــــذامِ!

غـــيـــر أنِّـــــي، خـــــوفَ ربِّـــــي،
مُـــسْـــتـــمـــرٌّ فـــي الـــتـــزامـــي!

أحـــتـــفـــي بـــالـــشَّـــعـــب طُـــرًّا،
لا بـــعـــبـــسٍ أو جُـــــذامِ؛

واتَّـــخـــذت الحـــقَّ أرضًـــا
لـــي «فـــمـــا حُـــمَّ اعـــتـــزامـــي»[1]!

واهـــــمٌ، بـــــل خـــاســـرٌ، مَـــن
ظـــنَّـــهـــا أرضَ الجـــــذامِ!

فـــاســـمـــعـــوا مـــنِّـــي - وُقـــيـــتـــم
سُـــبَّـــةً تـــبـــقـــى لِـــــزامِ! -

كـــــلَّ مـــــا يـــــرويـــــه شـــعـــري
(حَـــذْوَ «مـــا قـــالـــت حَـــذَامِ»!)[2]

انجمينا، في ٢٠٠٣/١/٢١م

****

---

(١) فما حم اعتزامي: تضمين من أبي الطيب المتنبي:

«فإن أمرض فما مرض اصطباري وإن أحمم فما حم اعتزامي».

(٢) ما قالت حذام: تضمين من وسيم بن طارق وقيل ديسم بن طارق وقيل لجيم بن صعب:

«إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام».

٢٧ - حزيران سِتّ وستّين

[المتقارب]

عيونُ اليَتَامَى...

نُحيباتُ صحوٍ، ولكنَّ عين المداراتِ عن شجوها غافله...

فكان التَّعزِّي لِزاما!!

عيون اليتامى – بحبٍّ تَنامَى –

روت أرضنا، والدَّمُ الحُرُّ من قَبْلُ أيضًا رواها سِجاما

لأجل اخْضرارٍ يحطُّ الرّؤى الْجافله...

بكنجي وفي شطِّ أزومَ أو حول «جارا» وفي دار تاما[١]!!

عيون اليتامى بِحُبٍّ تَنَامَى لجيل القُدامَى...

رأتهم شموسًا بدت من نيالا[٢] وشعّتْ ثلاثين حولاً تماما،

فكم بالبطولات كانت عقود السّنا حافله!

وكم تضحياتٍ لتذليل دربٍ ترامَى...

مدى الطّرف يعلو! وكم خطوةٍ جندلتْ مُستهاما!

على أنّ كيد المنايا ضلالٌ، فليستْ هي الكافله...

نضوبَ المُنَى: إنّ ينبوعها في صدور اليتامى...

كما في نُهَى وارثي ثورةٍ لن تضاما

إذا ردّةٌ غازلتهم تَناهَوْا ومرّوا كراما...

---

(١) كنجي: بلدة في غرب تشاد؛ جارا: بلدة في إقليم «قيرا» وسط تشاد؛ دار تاما: منطقة القبيلة المسماة «تاما» الواقعة في الشرق قرب الحدود التشادية السودانية.

(٢) نيالا: مدينة في غرب السودان انعقد فيها مؤتمر ١٩٦٦/٦/٢٢، الذي أسس فرولينا.

وظنّوهُ فرضًا، فليسَ امْتِلاك الهوى عندهم نافله!

شُمُوسُ البطولات ظلّتْ دليلاً هداهم ثلاثين عاما...

وتَبْقَى دليلاً دواما...

لِتُهْدَى لمستقبلٍ أخضرِ اللّونِ آتٍ خُطَى الْقافله!

سَتبقى دليلاً برغم السُّكَارَى بغشِّ النّصارى ومهما تَعَامَى...

موالو فرنسا خصومُ العلا سالكو الوِجْهة السَّافله...

ومَنْ لم يدانوا حزيران ستٍ وستّين إلاّ نياما...

وأحلامهم في ثيابِ الْعَمَى رافله!

حزيران ستٍّ وستّين أذكَى شموسًا تحدّتْ حدود اللّيالي فداما...

وشَمس السّكارى هِيَ الآفله!!!

انجمينا، ١٩٩٦/٦/١٧م

****

٢٨ - باب محنة

[مجزوء الرجز]

الفاتناتُ فُتْنَةْ،
تكفيه تلك فِتنه!
لو فوتهنَّ أَدْمَى
فالموت لو أَحَطْنَةْ...
بالمغرياتِ حتَّى
لم ينتفعْ بفطنةْ...
ثُمَّ امْتطينَ يومًا
- دونَ البِغالِ - مَتْنَةْ!
مَنْ عاش بعد لحظٍ
كالسَّيْفِ يَمْتَخِطْنَةْ؟
... أو صار للغواني
والغيد غيرَ بدْنَةْ؟
... قد يستفيدُ عيشًا،
لكنْ بِنَوعِ هدنةْ...
سرعانَ ما تَقَضَّى:
فالطَّبْعُ إنْ يكِدْنَةْ!

إنْ كان في «انْبسطنا»[1]
مُستَنْزَفًا بَسَطْنَه...

... للذَّبح كالأضاحي،
والجلد حان عَطْنَهْ!

... أو مِنْ بنات «شَقْوَا»
أشْقَيْنَهُ وشُقْنَهْ،

فاعتلَّ، لا بلوحٍ
يُشْفَى ولا بحقنهْ!

... أو كنَّ من «رضينا»
أرضينَهُ... فرُضْنَهْ:

حتَّى يَبِغْنَ، سرًّا،
للأفعوان حِضْنَهْ!

... أو في جنان «فَرْشَا»
مسترخيًا فرشنه،

فاقتيد «كِنْزَوِيًّا»[2]
مِنْ بعدما احْتوشْنَهْ

سل من ترهَّبوا، ومن
مَنْ صِدْنَ أو ربطنه:

«هل في النَّوى دواءٌ؟
أم في النَّوالِ بِطْنَهْ؟»

---

(١) انبسطنا وشقوا ورضينا وفرشا: من أحياء مدينة انجمينا.

(٢) كنزويا: يطلق على العسكري المتقاعد من الخدمة لفظ «كنزا» المنحوت من المقابل الفرنسي لكلمتي خمسة عشر وذلك لحدوث التقاعد غالبًا بعد ١٥ سنة من الخدمة العسكرية.

يـــأتـــي الجـــــواب: (كـــلـــتـــا

حـــالـــيـــكَ بـــــابُ مِـــحـــنـــهْ،

والأفـــــضـــــل الـــتّـــنـــائـــي

مـــا دُمْـــــنَ يـــحـــتـــرجـــنـــه؛

خـــــلّ الحـــســـان خِـــــلًّا!

وَلْـــتَـــنْـــسَ مـــا يُـــبِـــحْـــنَـــهْ!:

لـــلـــكـــهـــربـــاء جـــــذبٌ،

والمـــسُّ صـــعـــقُ شُـــحـــنـــهْ!)

انجمينا في ٢٧/١١/٢٠٠١

(١٢رمضان ١٤٢٢هـ)

****

٢٩ - للسّودان[1]

[الهزج]

حنيني اليَومَ ناداني
- مما قرَّ الطَّريدانِ! -

لمغْنى عزَّة[2] الغالي
ومثوى خير أخداني!

فيا مسرَى ابْتهالاتي
ومعراجي لغُمداني..

ومنطادًا لروحي إذْ
أنا شادٍ عُمُدَّاني..

لماذا صرتُ محجوبًا
أرَى من خلف أسدانِ؟

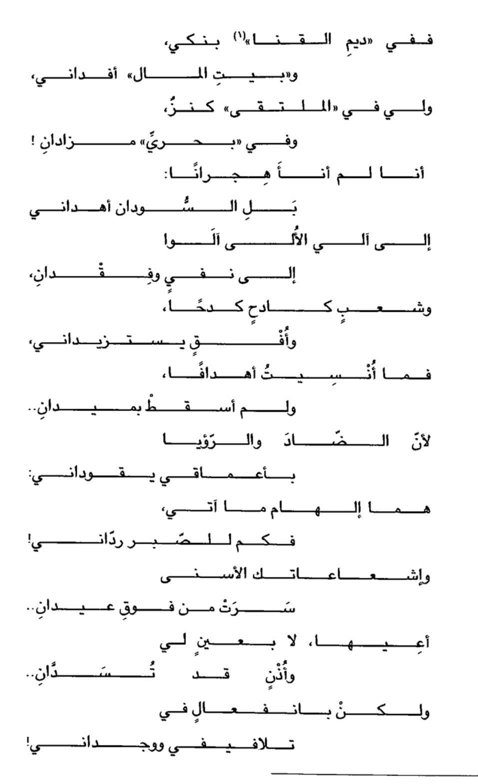
ألستُ النِّضوَ من شوقٍ
فنوع الغاي مبدان؟

وإنّي منك في يسرٍ
إذا نيلاك مدَّاني..

وأغنى الناس عن «ينٍّ»
و«دولارٍ» يُعَدَّانِ:

(١) (جزء من قصيدة «لمغني عزة» ألقي في أمسية شعرية نظمت ضمن فعاليات القافلة الثقافية السودانية بانجمينا عام ٢٠٠١ في النادي الثقافي الشعبي التشادي)

(٢) عزة: اسم علم مؤنث جعله الشاعر والمغني والمثقف السوداني البارز المرحوم/ خليل فرح رمزًا للسودان فتبعه هنا في ذلك.



ففي «ديمِ القنا»[1] بنكي،

و«بيتِ المال» أفداني،

ولي في «الملتقى» كنزٌ،

وفي «بحريٍّ» مزادانِ!

أنا لم أنأَ هِجرانًا:

بَلِ السُّودان أهداني

إلى آلي الأُلى آَلوا

إلى نفيٍ وفِقْدانِ،

وشعبٍ كادحٍ كدحًا،

وأُفْقٍ يستزيداني،

فما أُنْسِيتُ أهدافًا،

ولم أسقطْ بميدانِ..

لأنّ الضّادَ والرّؤيا

بأعماقي يقودانني:

هما إلهام ما آتي،

فكم للصّبر ردّاني!

وإشعاعاتك الأسنى

سَرَتْ من فوقِ عيدانِ..

أعِيها، لا بعينٍ لي

وأُذْنٍ قد تُسدّانِ..

ولكنْ بانفعالٍ في

تلافيفي ووجداني!

---

(١) ديم القنا: من أحياء الخرطوم؛ بيت المال: من أحياء أم درمان؛ المزاد: من أحياء الخرطوم بحري؛ والملتقى: هو «المقرن» أي ملتقى النيلين الأبيض والأزرق حيث يكونان نهر النيل وهو أهم المعالم الطبيعية للعاصمة المثلثة (كما يطلق على المدن الثلاثة المذكورة).

وقـــــولٌ مــنــك يـشـجـيـنـي،
ويـــــرويــــه الجــــديـــــدان:
(أنـــا الـــسّــودان: مـجـدي والــ
ـــهـدى عـــنـــدي أكـــيـــدانِ)
فـــفـــي إفْـــريـــقِـيـــا أسـعـى
بـــزيـــتـــونٍ وعـــــفــــدانِ،
وفـــيـــهـــا ربّمـــــا أُنْمَـــى
إلـــى عُـــــرْبٍ وكـــلـــدانِ!
وجـــلّ الـــعُـــرْبِ قـــد أضـحـوا
- مـع الـقـربـى - كـبـعـدانِ!)
فـيـا ســـــودان: دُمْ عـذبًـا
تـعـالَـى عـــن إمِــــــدّانِ،
فـــإنّ المـجـد - لـو يُـعـزَى
إلـــى قـــومٍ - لــســوداني!
ويـــا ســـــودان: أنـــت الـوجـ
ـــهُ إذ لـلـوجـه خـــدّانِ!
ويـــا ســـــودان: دُمْ جـسـرًا
إلـــى الخـــضـــراء أدّانــــي!
فـمـهـمـا - بـعـدُ - يـعـرونـي
سـتـبـقـى أنـــت نِـشْـدانِـي
.. ومـهـمـا ألـــقَ مـــن خَـلْـقٍ
وأخــــــلاقٍ ويُــــلْــــدانِ
.. فــنــادٍ لـيـس كـالـنّــادي!
ومـــرعًـــى لا كـــســعـــدانِ[1]!!
انجمينا، في ٦/٧/١٩٩٧م

****

(١) التعبير مأخوذ من المثل العربي «مرعى ولا كالسعدان».

٣٠ - ضوضاء!!

[الرمل]

تُدْفَعُ الموجات للآذان - فالضّوضاء فوضى لولبيّه،

دون إيقاعٍ ونسْقٍ - كاندفاعاتِ الْحُشَيْرات الغبيّه...

في أنوفٍ أو عُيونٍ من زوايا جانبيّه!

سوقُ هرْجٍ مثلَ برجٍ بابليٍّ خاصم المعنى دويَّه،

باخْتِلاطٍ لم يجدْ في العقل حيّه،

فيه رجمٌ بالشّعاراتِ الْوَجِيّه،

ثُمَّ زخّاتٌ نشازٌ ليس في الذُّكران تُحْصَى، وهي ليستْ انثويّه!

همهماتٌ ضيَّعتْ جنسيَّةً أخرى ولم تصبحْ تمامًا يعربيّه!

همهماتٌ هائماتٌ باحثاتٌ عن هُويّه!

همهماتٌ علّهم قد ترجموها عن لغاتٍ أجنبيّه!

(ليت شعري ما دهاهم هيّأوها كالهَوِيّه؟!)

ذلكم إبليسُ يدعو حزبَهُ للنخبويّه!!

عندنا - في هذه الأرض الضَّحيَّه -

عُقدةُ الإفرنج باضَتْ نحو بليونَيْ دُحَيّه...

فُرِّخَتْ كتّاب نظمٍ ... بل نصوصٍ بنيويّه:

استمع حينًا إليها في رويّة...

وَهْيَ تبدو في خيالٍ - لا علومٍ! - صِنْوَ متن الشّاطبيّه...

يظهر الْمبنى ركيكًا، والمعاني الطُّحْلُبيّه...

هرطقاتٍ فوضويّه:
خلطةٌ إنْ يستَمِعْ شيخٌ إليها أو صبيّه...
لم تحرّكْ فيه شيئًا!: كيف تُحْيي وَهْيَ لَيْسَتْ، قَطُّ، حيّه؟

ثَمَّ قانونٌ إلهيٌّ كشأن الجاذبيّه:
(لا نفاذُ عبر أقطار السّماوات العُلَا في مِرْوَحِيّه!)
... ليس غير الشّعر معراجًا إليها ما روى حسٌّ رويّهْ
- مِنْ هوى الحرّيّة الأسمَى، ومن طُهْرِ الطّويّه -
في هوى الأرض المسمّى، كلّ عصرٍ شاعرًا فحلاً نبيّهْ،
في عيونٍ مُشْرَعاتٍ من وراء المشربيّه،
أو شفاهٍ ضارعاتٍ حين يُلْقِيْنَ التّحيّه،
في قضايا مطلبيّه،
في جمالٍ مشتهًى... في عزّة النّفس الأبيّه،
في ظلام الظّلم... في آلام شعبٍ... في احْتدام المصلحيّه،
في جناياتٍ تفشّتْ بالصّفوفِ الثّانويه[1]،
في الرّؤى... في كلّ ما يستوقد الوجدان نارًا معنويّه،
خامة الشّعر الحياةُ اسْتدعتْ الإبداع حفزًا واسْتجاباتٍ سويّه...
لا الشّعارات الّتي تُحْظَى، هنا، بالأولويّه...
للدّواعي التّعبويّه!
(إذ بها صار الطّغاة الهوج معشوقي الجماهير السّبيّه...
وفق دعوى الكائنات المكتبيّه!)
هل صَدَى سبتمبر[2] الدّاوي بنورنبرج رأيُ الأغلبيّه...

---

(١) إشارة إلى انتشار العنف - بما فيه جرائم القتل - في المدارس خاصة الثانوية.
(٢) كان النازيون في ألمانيا يقيمون مهرجانهم السنوي في أول سبتمبر بمدينة «نورنبرج».

أم هم المبثوث من حالات هستيريا قويّه؟

هل قلوب النّاس، في الخرطوم، كانت مايويّه[1]...

أم تراها كذبةُ الثّعْبان في تكريس حيّه...

- فجأة - قدّيسةً أو مهدويّه؟؟

كلُّ ما يجري عيانًا ليس إلا مسرحيّه!:

إن يسمّوها جماهيريةً فالأمر، حقًّا، كسرويّه:

لا ولاةُ الأمر صُلاّحٌ، ولا ألواحهم بالموسويّه!

يا لبؤس القول لو أضحى صكوكًا بالياتٍ من تراث البابويّه...

تمنح الغفران مَنْ ضحّوا - لغاياتٍ غويّه -

بالملايين الضّحايا! يا لبؤس المنفقين العُمْرَ أسرى الدنيويّه!!

انجمينا، في ١٩٩٨/٤/٧م

****

(١) مايوية: نسبة إلى نظام مايو البائد الذي حكم السودان من ١٩٦٩ إلى ١٩٨٥م.

٣١ - يا حُماة العربية[1]

[مجزوء الرمل]

جاءكُمْ كلٌّ ضحيّة
سائلاً - بعدَ تحيّة -
كَيْفَ وَالعزمة حيّة
في حماة العربيّة
كيف تُقْصَى كسبيّة؟

أجدرُ المؤتمراتِ
بالرُّؤى والثَّمراتِ
عَنْوَةً منهمراتِ
إذ يخوض الغمراتِ،
جامعًا للقدراتِ
من شُداةٍ وسُراةٍ...
كالكُنوزِ الذّهبيّة
لانعتاق العربيّة!

لم تصر - قطُّ - قويّة
وحدةٌ دون هُويّة،

---

(١) نظمت في إطار التعبئة للمؤتمر الجامع حول وضع اللغة العربية في تشاد.

فـــادعـــمـــوهـــا بـــرويَّـــة
لا بـــدعـــوى الأبَـــويَّـــة
فـــي تـــشـــادَ الـــقـــرويَّـــة
والمـــراعـــي الـــبـــدويَّـــة
ابـعـثـوا الـــرُّوح أبـيَّـة:
أصّـــلـــوا لـــلـعـربـيَّـة!

لـيـس تُـغْـنـي الـكـلـمـاتُ
أنـــتـــمُ الـــيـــومَ حُـــمـــاة!
إنْ عَـــرَتْـــهـــا أزمـــاتُ
هـــدَّدَ الـــكُـــلَّ مَمَـــاتُ..
لا يـــداريـــه صُـــمـــاتُ:
فـــالـــعـــرى مـــتَّـــهـــمـــاتُ!
والـعـدوُّ: الـعـصـبـيَّـة ...
فـــي سـبـيـل الـعـربـيَّـة!

وحـــدةُ الـــدَّارِ مـــهـــمَّـــه،
مَـــنْ تُـــرَى يـــشـــطُـــرُ أمَّـــهْ؟
إن تـــصـــدَّتْ لـــلـــمَّـــه
تُـــنْـــقِـــذِ الْـــوَحـــدةَ أمَّـــة!
وحـــدةٌ دون مـــذمَّـــه،
عـــهـــدهـــا أوثـــق ذمَّـــه:
إنَّـهـا - بـعـدُ - صـبـيَّـه...
تحـت عـــين الـعـربـيَّـه!

انجمينا، في ٢٠/١٠/٢٠٠٠م

****

٣٢ - والنصر لنا !

[مجزوء المتدارك]

صُفُّوا المَنكِب   حَذْوَ المَنْكِبْ:

نُحْيِي ذِكْرَى   يَوْمَ الْكُبْكُبْ،

لَنْ نَجْعَلَهَا   دَمْعًا يُسْكَبْ،

لَكِنْ قُدُمًا   يَمْضِي المَوْكِبْ...

يَمْضِي حَتَّى   نَصِلَ الْكَوْكَبْ

مَعْنًى وَسَنَا
وظُهُورَ مُنَى
وَالنَّصْرُ لَنَا!

صَرْعَى كَتَبُوا   بِدَمٍ طِرْسًا،

وَشَهادتهُمْ .   كَانَتْ عُرْسًا..

عِنْدَ المَوْلَى   نِعْمَ المَرْسَى!

فَلَقَدْ فَازُوا   وَجَنَوْا غَرْسًا،

وفرنْسَا مَا   وَعَتْ الدَّرْسَا:

زَرَعَتْ فِتَنًا،
فَجَنَتْ إِحَنًا!
وَالنَّصْرُ لَنَا!

هُمْ فِي الدُّنْيَا أَيْضًا نُصِرُوا:

قُتِلُوا، لكِنْ لَمْ يَنْدَثِرُوا..

نَبَتُوا قِيَمًا لَمَّا بُذِرُوا...

وَالْيَوْمَ بَدَا مِنْهُمْ أَثَرُ..

فِي مُؤْتَمَرٍ وَمَنِ ائْتَمَرُوا

كَيْ لا يَزِنَا

صِفْرًا غَدُنَا!

وَالنَّصْرُ لَنَا!

عَرَبِيَّتُنا لَيْسَتْ قِشْرًا!

وَهُوِيَّتُنَا مَا إنْ تُشْرَى!

هِيَ إيمَانٌ فَهُنَا اسْتَشْرَى،

وَسَنَنْشُرُهُ أَبَدًا نَشْرَى،

هذا عَهْدٌ يَبْقَى بُشْرَى

لَنْ تَخْذِلَنَا:

فَالْبَعْثُ دَنَا!

وَالنَّصْرُ لَنَا!

يَا مَنْ أَنْتُمْ هِمَمٌ شَمَخَتْ:

هَيَّا نُنْجِي بَلَدًا مُسِخَتْ..

- وَثَقَافَتُهَا - حَينَ امْتُسِخَتْ

مِـــــنْ دُنْـــيَـــاهـــا لَــــغَـــةُ رَسَــــخَـــتْ

- مُـــتَـــجَـــذِّرَةً - دَهْـــــرًا وَسَـــخَـــتْ

بِـــالْـــعِـــلْــمِ هُــنَـــا..
قَـــدْ طَـــابَ جَـــنَـــى
وَالـــنَّـــصْـــرُ لَـــنَـــا!!

انجمينا،

****

٣٣ - أسئلة

مِنْ كُلِّ مَنْ يَنُوء تَحْتَ الصَّلْبِ أَوْ يَمُوتْ...

(فِي قَرْيَةٍ مَصْلُوبَةٍ مُشْتاقَةِ البُيُوتِ...

لِلْمطَمْئِنات مُذ غِيلَتْ) أَنَا أُرِيدْ...

رَدًّا سِوَى السُّكُوتْ...

عَلَى سَؤالٍ بَلِيدْ:

(هَلْ تَقْبَلُون نَفْيَكُمْ كَحُوتْ...

مُلْقًى بِمَهْمَهٍ بِلاَ حُدُودْ...

يَبْكِي الخيال الحرَّ وَالدُّعَاء وَالْقُنوتْ...

يبكي بلا دَمْعٍ ولا تصبّرٍ .. ودونَ قُوتْ؟

... هَلْ تَقْبَلُون صَلْبكُمْ كعبيد...

لَوْ طيِّبَ الصَّليبُ بِالْعُطورِ وَالزُّيُوتْ؟؟)

ما لَدْغَةٌ من أفعوانٍ مَسّ سُمّه رَدًى حَثِيثْ...

كَرضعةٍ إذْ يَجْتَنِي لِبَانَهَا الوَلِيدْ!

وَالْجَمْرُ إنْ تُرِدْ لَهُ الإبْقاءَ كَيْ يَعيشْ

فِي أيِّ تُحْفَةٍ فَسَادًا دَونَ أنْ يَبيدْ...

فَلْتَخْلِ جَوْفَهَا مِنَ المياهِ والْجَلِيدْ،

وَامْلأْهُ كَوْمَ رَوثْ:

«أَيْ مِثْلَمَا أضحى يعلّم الطُّغاةُ نَشْأَنَا الْجَدِيدْ!»

أَطْفالُنَا عجِينةٌ فِي مَخْبَزٍ خَبِيثْ...

وَالإمِّعَاتُ - قَبْلَهُمْ - مليون كوم دُودْ؛

هَلْ نَتْرُكُ الْعَجِينَ نهبًا للْيَدِ الْحَقُودْ...

تَلْهُو بِصَوْغِها كَمَا شَاءَتْ - فَلاَ بُحُوثْ

فِيمَا تعمّدتْ ولا حَدِيثْ -

لأنّها قد بدَّلَتْ بِكَلْبِها الْعَتِيدْ...

جرويُّها الْوَرِيثْ؟؟

يَا أَلْفَ أَلْفِ بِذْرَةٍ فِي أَبْرَكِ المروجْ!

يا أَنْجمًا تَوَهَّجَتْ فِي حُلْمِنَا الْبَعِيدْ!

يَا مُزْنَةً مَبْذولة العَطَاءِ .. وَالأريجْ!

يَا أَلْفَ أَلْفِ برْغْمِ يَدْعُونَهُ الشَّهِيدْ!

يَا مَنْ سَقَتْ أَرْوَاحُهمْ شُجَيْرَةَ الْخُلُودْ...

فَأَخْجَلُوا الضَّجِيجْ!:

(قَدْ جَاءَ مِنْ مَدِينَةٍ تَسْتَوْرِدُ الْعَبِيدْ...

قَوْم إلى بلادنَا وَقَدَّمُوا النُّقُودْ...

- يَشْرُونَكم! - فَلَوْ نَعُوجْ...

عَنْ دَرْبِكُمْ وَنَدْفِنُ الْعُهودْ...

هَلْ تَقْبَلُونَ بَيْعَكُمْ – يَا أَكْرَمَ الْحَجِيجْ...

لغير ربّ البيت واهب الحياة صادق الوعود...

– هل تقلبون ذلكم منّا... وفي جمود؟؟)

طرابلس الغرب – في أبريل ١٩٧٥م

****

٣٤ - عيدًا سعيدًا[1]

[الرجز]

حاشاكما أنْ تسكتا أو تقعدا
بل غرِّدا بالشِّعر حلوًا واشهدا

فالمنتدى - يرعاهُ ربِّي - قد رعى
حفلاً ثقافيًّا وأولاهُ النَّدى!

يا صاحبيَّ: اليوم عيدٌ أمّه
- في وحدةٍ - جمع إلى الخير اهتدى

أهلٌ: سواءٌ من جنوب القطر أم
من شاطئ البطحا أتوا أم من فدا:

جمع الشَّباب المُحْتَفِي لم يختلف
واستوعبوا درسًا غدا يبني الغدا:

إنّ الحزازات التي تفري الحشا
في المُسلمينَ اسْتلهمتْ فعل المُدى!

بلدانهم فيها الخلافُ اسْتحكمتْ
حُمّاهُ حتَّى خالف الصَّوتَ الصدى

فاسْتحدثتْ منهم مثالاً جارحًا
للمال والطَّاقات إذْ تُفنى سُدى!

في الصَّومِ قد أضحى لكلٍّ يومُهِ!
والعيد لمّا جاءهم ما وحَّدا!

---

(١) (أعدت كي تلقى في الأمسية الثقافية التي نظمها المنتدى الإسلامي/ مكتب تشاد بمناسبة عيد الفطر المبارك في ثالث أيامه عام ١٤٢٤هـ).

يــا حــبَّــذا لــو كـــان عــيــدًا جـامـعًـا

يُــذْنــي لأهـــل الــقـبـلـة المـسـتـبـعـدا

.. أو أنَّـــه كــانــتْ لـــه إطـــلالــةُ

عِــيــشــتْ بــوحْــدانــيَّــةٍ كــي يـشـهـدا

.. إذ ذاك قـــد يـــأتـــي إلــيــهـم عـــائـدًا

والــقـــدس والأقـــصـــى لــهــم لا لــلـعــدا!

يــا لـيـتـهـم عـــادوا إلـــى حــكـم الحـجـى

واســتــبــعــدوا عــنــهـم هـــوًى مـسـتـعـبِـدا

واسـتـنـتـجـوا أنْ لـيـس مـــنْ مـعـنًـى لِمـا

أدمـــى ســـوى تـعـطـيـل عـقــلٍ جُـمِّــدا

كــم مـــن هـــلالٍ، يـــا تـــرى، فـــوق الـثّـرى

يــجــري إذا ذاكَ اخْـتـفـى هـــذا بـــدا

.. كـــلٌ لـقـطـرٍ لا يُـــرى فـــي غـيـره؟

يـــا قـــوم! سـبـحـان الـــذي مـنـه الـهـدى!

نــرجــوه - بــعــد الحـمـد آلافًـــا - لـكـم

عــيــدًا سـعـيـدًا يـــا ضـيــوف المـنـتـدى

والـــلـــه يـــهـــديـــنـــا إلـــــى مـــرضـــاتـــه:

إنّ الــهـدى ذخـــرٌ لِمـــا بـعـد الــــرَّدى!!

انجمينا، في ٣ شوال ١٤٢٤هـ

الموافق ٢٧/١١/٢٠٠٣م

****

٣٥ - منية الحادي[1]

[الوافر]

صُرُوفُ الدَّهْرِ – فيمَا أَنْشَدَ الْحَادِي –
صنوفُ القَهْرِ قَدْ بَاضَتْ عَلَى شَارِي:
غَزَتْ تَيَّارَهُ الغَادي..
ليبقَى النَّهْرُ في جُوعٍ لِغَيْماتٍ وأمْطارِ؛
إلى أنْ صارَتِ الشُّطْآنُ سَهْلاً جُلُّه عَارِي،
وعَمَّ الغَمُّ في النَّادِي:

فبعضُ القومِ لاهٍ ثمّ بالتَّحْديثِ لَهْوَ الطِّفْلِ بالنَّارِ،
وظَلَّ البعْضُ مَشْلُولِينَ في غَارِ..
حَيَارَى بين مَتْنٍ فاسدِ المَعْنَى وتصحيحاتِ إسْنادِ،
وبعضُ زاغَ جِدًّا رَغْمَ أحزابٍ وأورادِ..
فما يَلْقَى سؤالُ الشّاعِرِ الأعمَى بتَاتًا أيَّ إنكارِ:
«ألاَ مَنْ يَشْتَرِي دِينًا بِدِينارِ؟»..
وعَدَّ الْبَيْعُ في العادِ!

.. إلى أنْ أقبلَ الثُّوَّارُ وانْصَبَّتْ مساعيهِمْ بإصرارِ..
تُقِرُّ المَبْدَأَ الْهادِي:
زواجُ بين عصْريٍّ لَهُ أُسٌّ ومَوْرُوثاتِ أَجْدادِ..

(١)(نظمت في مناسبة توديع الأستاذ الدكتور/ عبد الله حمدنا الله)

طَلاقٌ مِنْ صِراعِ الحَيْرَةِ الضَّارِي
هُوَ المَنْجَى، فيا مَرْجُوَّةَ الْحُرِّيَّةِ اخْتاري...
أَوِ انْقادِي!

فهبَّتْ كلُّها عَجلَى بعزمٍ غيرِ مُعْتادِ؛
وهبّتْ نَسْمَةٌ حُبْلَى مِن النِّيلَيْنِ وَالْوَادِي..
زَكَا مِنْ خَيْرِها السَّارِي..
دَعَاشٌ ينشرُ الْبُشْرَى، وغيثٌ يغمرُ الصَّادِي..
بفيضٍ مِنْ عَطَاءٍ دُونَ مِيعادِ،
بَرِيكِ الدَّفْقِ مِدْرَارٍ،
بِلاَ ضَنٍّ وَتسويفٍ، ولاَ مَنٍّ وتَعْدادِ..
هَمَى مِنْ عَزَّةَ الْخَضْراءَ في حُبٍّ وإيثارٍ!

فلمّا اخْضَرَّتِ الشُّطْآنُ بالضَّادِ
حَمَدْنا اللهَ جهرًا بعد إسرارٍ،
وأثنينا عَلَى جُودِ الأخِ الْجارِ!

عَلاَ التَّصْفِيقُ، ثمّ اسْتأنفَ الْحادِي:

غدتْ مُذْ ذاكَ أسرى عَزَّةَ الخضراءَ أشْعارِي...
ومِنْ عِيدانِ (إِيدِا) لنيِّلِ مِزْمارِي..
وسُكْرِي مِنْ أبي داؤودَ إذْ يشدُو: «أنا الشّادي!»..
ومِنْ نَقْرٍ عَلَى الطَّارِ؛
فعِشقي في الحَشا وارِي،

وبي مِنْ عَزَّةَ الْمَكْتُومُ والبَادِي..
وإيمانٌ بِتَعْقادِ!
وبي حزنٌ عَلَى مَسْرَى فَتَاها الْفَذِّ مِنْ دارِي:
لأَنَّا - يشهدُ الْباري! -
بضيف الله مشغوفون، لم نشبعْ، وسَرَّاجٍ وعَقَّادِ..
بدا في مُفْرَدٍ مقصودٍ وُرَّادِ!..
بعقلٍ يُدْمِنُ التَّفكيرَ نَقَّادِ،
وفكرٍ يقرِنُ السَّطْحيّ بالْعارِ..
لأنَّ السَّطْحَ خَدَّاعٌ، وفي الْعُمْقِ الغِنَى الْجارِي!

فَيَا غوّاصُ إنْ شَرَّقْتَ مُنْضَمًّا إلى أهْلٍ وأولادِ..
فلا تترُكْ هنا أهلاً بلا زاد!:

أليسَ الشَّمْسُ تأتي الْغربَ مِن شرقٍ لإمدادِ...
بطاقاتٍ وأنوارِ..
على تأبيدِ تَكْرارِ؟
فَدُمْ - يا مثلَها! - الْمِعْطاءَ والفَادِي..
تُحقّق مُنْيَةَ الحادِي!
فحقّقْ مَنْيَةَ الْحادي!

انجمينا ٢٠٠٢/٦/٢٤م

****

٣٦ - خِدنُ المَعالي

[الرجز]

أهــــلاً بـعـبـدِ الـلــه، فَــهْــوَ زائــرُ

هــلّــتْ لـــه، فــي دارنــــــا، الـبـشــائـرُ

إنَّ ابْــنَ عـبـدِ المحـسـنِ[1] الّــذي هـمَـى

إحـســانُــهُ هــامــتْ بــه الــسَّــرائــرُ..

.. فـالـعـالِـمُ الـتّـركـيُّ غـيـرُ مُـغْـلِـظٍ

قـــــولاً، ولا مِـــــنْ دونـــــه ســتــائــرُ!

مـا اسْـتـوحَـشَ الـدُّكـتـورَ مِـنْ مـعـاصـرٍ

فــي الخَـلْـقِ إلاّ الـظُّـلْـمُ والـصَّـغـائـرُ،

عـــــلاّمـــــةٌ، فـــي صـــــدرِه عـلـومُـه:

مـا لـيـس فـي الـصَّـدرِ الحـفـيـظِ طـائـرُ!

مـا إنْ دنـا، والـصَّـحـبُ، مِـنْ مـقـرِّنـا

حــتّــى شــعــرْنــا أنّـــهـــمْ مـنــائـــرُ!

الــــرِّفــــقُ فـــي أخـــلاقـــه ديـــانـــةٌ،

أمّـــا الـــهـوى فــي سـوقـه فَـبَـائـرُ!

خِـــدْنُ المـعـالـي؛ زانـــه تَـــوَاضُـــعُ،

تـهـفـو لــه الأبــصــارُ والــبـصـائـرُ؛

وهـــو الأمــــينُ الحـــقُّ فـــي أمـــانـــةٍ

كـم صـيـتُـهـا فــي الـعـالمـينَ سـائـرُ!

---

(١) عبد المحسن: هو الأستاذ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي عند زيارته النادي الثقافي الشعبي التشادي بإنجمينا في ٢٠٠٠/١/٢٢م.

مــا هــمَّــهُ إلاّ رضـــاءُ ربِّــهِ

إذْ هَــمُ مَــنْ تَـفَـرْنَجـوا الـشَّـطـائِـرُ:

شـتَّـانَ بــينَ الـقـابـضـينَ دينَـهـم

جـمـرًا ومَـــنْ مـقـبـوضُـهـم سـجـائـرُ!

يـا مـحـسنَ الأعـمـالِ: مـرحـبًـا!.. هُـنا

يــدعــو لــك الحـــرابُ والحـــرائـــرُ

إزرعْ بِــسُــوحِ الجـامـعـات وحـدةً

.. أنــت الّـــذي لـلـجـامـعـات ثـائـرُ..

.. وَارْبِــطْ – وُقِـيـتَ الـشَّـرَّ – خـيرَ أمَّـةٍ

بــالــودِّ حــتّــى تـسـلـمَ المـصـائـرُ..

.. إذْ ذاك، فـيـنـا، لـن تـقـومَ دولــةٌ

لـلـبـغـي، مـهـمـا دارتِ الـــدَّوائـــرُ!

واْقْــبَـلْ – أخـا الإسـلام – حـبَّ نخبةٍ

مِــنْ بـلـدةٍ فـيـهـا الـشُّـعـور ثـائـرُ..

تـرنــو إلــى مَـــنْ شــاركــوا لـسـانَـهـا

والإرْثَ. نِـعْـمَ الـقـوم والـعـشـائـرُ!

.. ظَـهْـرًا لأهـل الـضَّـاد فِـي انْـبِـعَـاثِـهِـم،

لـم تُـثْـنِـهِـمْ، عـن دعـمـهـم، خـسـائـرُ!

دامـــتْ أيـــادي الخـيـرِ مـسـتـمـرّةً،

يُـسـقـى بـهـا جـــذرٌ، هـنــاك، غـائـرُ!

انجمينا، ٢٠٠١/١/٢٢م

****

٣٧ - والملتقى يتسع[1]

[مجزوء الرجز]

نَجَاحُكُنَّ بَاهِرُ ... كَكُلِّ مَنْ يُسَاهِرُ

وَمُلْتَقَى يَشِعُّ مِنْ ... هِدَايَةٍ لَزَاهِرُ:

تُجَمْهَرُ الرُّؤَى لَهُ ... فَوَقْعُهُ جُمَاهِرُ،

يَرَى بِأَعْيُنٍ صَفَتْ ... كَأَنَّهَا الْمَجَاهِرُ..

فَهَلْ يَرَى ذوا قِلًى: ... مُضَلَّلٌ وَعَاهِرُ؟

عَلَى خُطَا مُحَمَّدٍ ... يَسِيرُ وَهْوَ طَاهِرُ..

بِمَخْبَرٍ مُمَيَّزٍ، ... وَمِثْلُهُ الظَّوَاهِرُ؛

كَدَوْرَتَيْنِ فَاتَتَا: ... فَهَذِهِ تُظَاهِرُ!

وَلُطْفُكُنَّ إِنَّهُ ... لَمُحْدَثٌ وَدَاهِرُ!

فَضَيْفُكُنَّ لَاهِجٌ ... بِشُكْرِهِ يُجَاهِرُ

ثَنَاؤُهُ يَفُوحُ مَا ... تَوَهَّجَتْ أَزَاهِرُ..

.. أَوِ انْتَشَتْ، فَأَطْرَبَتْ ... وَأَدْهَشَتْ، مَزَاهِرُ!

فَإِنَّكُنَّ طَاقِمٌ ... لِمَا يَعُوقُ قَاهِرُ،

لَدَى الْمَسِيرِ حَازِمٌ، ... وَفِي الرُّسُوِّ مَاهِرُ،

---

(١) المناسبة: نُظِمَتْ كي تلقيها الفتاة التشادية المشاركة في الدورة الثالثة لملتقى الشارقة العالمي للفتيات المسلمات الذي تعقده أندية الفتيات بالشارقة تحت رعاية رئيستها صاحبة السمو الشيخة جواهر بنت محمد القاسمي؛ حرم صاحب السمو حاكم الشارقة.

مُـــتَـــوْأَمٌ مَـــعَ الـنَّـــدَى، وَذَا لِـــذَا مُـصَـــاهِـــرُ؛

فَـــيَـــا لَـــــــهُ لآلِـــئـــا تَـــقُـــودُهـــا جَـــوَاهِـــرُ..

.. لِجَـــوْهَـــرِ الأُمَـــــورِ لاَ تَـــغُـــرُّهـــا الـــمَـــظَـــاهِـــرُ!

لَـــكِـــنَّ حُـــبَّـــنَـــا - كَـــمَـــا تَـــرَى الْـعُـيُـونُ - ظَـــاهِـــرُ:

عَـلَـــى الـصَّـــفَـــاءِ قَـــدْ نَـمَـــا، وَلِـــلْـــوَفَـــاءِ شَـــاهِـــرُ!

انجمينا، في ٢٠٠٢/٣/٣٠م

****

٣٨ - يا صباح الاخضرار

[مجزوء الرمل]

جـاءَ مِـنْ تِـلْـقـاءِ شَـارِي   صَــوْتُ أَوْلادٍ صِـغـارِ..

رَدَّدُوا لَحْـنًـا شَـجِـيًّـا   رَدَّ رِجْلِي عَنْ مَسَارِي،

فَاسْتَجاشَ الْقَلْبَ نَظْمٌ   مُسْتَقِيمٌ لاَ يُـدَارِي..

صَـاغَـهُ الأَطْـفَـالُ لَمَّـا   قَلَّدُوا سَجْعَ الْقَمَارِي:

(يَـا صَـبَـاحَ الإِخْـضِـرارِ   فِـي زَمـانِ الإِنْـكِـسـارِ:

أَنْـتَ نُـورِي! أَنْـتَ نَـارِي!   فِي مَعَانِيكَ انْصِهَارِي!

أَنْـتَ طَـوْرًا كَـالْمَـنَـارِ،   ثُمَّ طَـوْرًا ذُو الْفِقَـارِ..

فِي يَدِي يَوْمَ الْحِصَارِ...   عِنْدَمَا تَسْعَى الضَّوَارِي)

رَاعَنِـي الْـقَـوْلُ الْمُـقَـفَّى   لُـؤْلُـؤِيًّـا كَـالْمَحَـارِ..

جَـاءَ عَـفْـوًا وَارْتِجَـالاً،   بَلْ عَلَى غَيْرِ انْتِظَارِي!

لَـكِنِ اسْـتَـكْـثَـرْتُ فِـيهِمْ   فَـهْمَ مَـا غَـنَّـوْا جُـوَارِي،

عِنْدَ ذَا سَـاءَلْـتُ طِفْلاً:   «مَـا صَـبَـاحُ الإِخْـضِـرَارِ؟»

قَـالَ: «صُـبْـحُ الْـفَـاتِحِ الْمَعْـ   ـرُوفِ، فَـجْرُ الإِنْـتِصَـارِ!»

قُـلْـتُ: «تَـعْـنِـي نَـصْـرَ أَدْ   نَـى دَوْلَـةٍ مِـنَّـا وَدَارِ؟»

قَـالَ: «بَـلْ أَعْـنِي انْتِصَـارًا   عَـمَّ فِـي كُـلِّ الـدِّيَـارِ..

فَـهْـوَ فَـتْـحٌ عَـالَمِـيٌّ   قَـصْـدَ تَـحْـرِيـرِ الْـقَـرَارِ..

لانْـعِـتـاقِ الـنَّـاسِ طُـرًّا مِـنْ إسَـارِ الإضْـطِـرارِ!»

قُلْتُ: «فَاضْـرِبْ لِي مِثَالاً مِـنْ فِـعَـالٍ أَوْ شِـعَـارِ!»

قَـالَ: «بَـلْ أُعْطِيكَ زَوْجًـا دَافِـعًـا لـلانْـبِـهَـارِ..

مِـنْ مَـسَـاعِـي فَـاتِحٍ لَـمْ يَـأْلُ يَـوْمًـا فِـي الْـبِـدَارِ:

فَـهْـوَ نَـادَى أُمَّـهَـاتِـي: (قَدْ مَضَى عَصْرُ الْجَوَارِي!)

ثُـمَّ كَـالَ الْـعَـوْنَ لِلْعَا نِـي عَلَـى رَدِّ اعْـتِـبـارِ..

... أحْصِ كَمْ مُسْتَعْمَرَاتٍ فُـكَّ عَـنْـهَـا قَـيْـدُ عَـارِ!»

قُلْتُ: «فِـي هَـذَا حُـرُوبٌ وَانْـتِـشَـارٌ لِـلـدَّمَـارِ!»

قَـالَ: «إنَّ الْحَـرْبَ أَمْـرٌ عُـدَّ فِي حُكْمِ الطَّـوَارِي..

لَـمْ تـقـرِّرْهـا شُـعُـوبٌ، بَلْ قُوَى خَلْفَ الْبِحارِ!...

.فَـاتِحُ الـثَّـوْرَاتِ جَـهْـدٌ - قَصْدُهُ التَّغْيير - جَارِي،

لَـيْسَ حَـرْبًـا وَاغْـتِـيَـالاً، بَـلْ حـلُـولٌ بِـالجِـوارِ...

بِـذْرُ فِـكْـرٍ مُـسْـتَـنِـيـرٍ بُـثَّ فِـي ضَـوْءِ الـنَّـهَـارِ؛

رِبَّمَـا الـثَّـوْرَاتُ أُفْـقٌ ثُـمَّ مَـشْـرُوعٌ حَـضَـارِي...

هِـيَ إيمَـانٌ قَـوِيٌّ صَـدَّ طَـاقَـاتِ الـنُّـضَـارِ،

ذاك - يا عَمِّي - يَقِينِي فِـي عِـبَـاراتٍ قِـصَـارِ!»

قلتُ: «مَـا سِـرُّ الَّـتِـي غَنْـنَيْتُمُوها فِـي ابْـتِـكَـارِ؟»

قـالَ: «بِالذِّكْرَى ابْتَهَجْنَا مِثْلَ أفْـرَاحِ الـكِـبَـارِ!...:

مِـثْـلَ عِـيـدٍ فَـاتِـحِـيٍّ دَأْبُـنَـا تَـرْكُ الـشِّـجَـارِ..

الـغِـنَـاءُ الـعَـذْبُ يَـغْـدُو - كُلَّ عِيدٍ - فِي ازدِهارِ..

الـثُّــلاثِـيـنــيُّ هَـــذّا عِـيدُ عِــزٍّ وافْـتِـخَــارِ...

قـدْ يَــرَى إفـريـقـيـا تَـعْـ ـلُـو إلـى أعْـلَـى مَــدَارِ!»

قلتُ: «فَاسْلَمْ يَا صَغِيرِي مِـنْ سُـقُـوطٍ أوْ عِـثَـارِ...

فـي مـتـاهـاتٍ أصَـابَـتْ صَـانِـعِـيـهـا بِـالـدُّوارِ،

فـلْـتَـدُم ثَــوْرِيَّ فِـكْـرٍ، ثَــوْرَةً بِـالاِخْـتِـيـارِ..

انجمّينا، ١٩٩٩/٩/٧م

****

٣٩ - بَلِ الْخَيْرُ مِنْ سُلْطَانِه[1]

[الطويل]

شَـذًى أمْ شُـعَاعُ الشَّرْقِ مَا شَـاعَ مُنْعِشَا

عَلَى شَـطِّ شَـارِي فَاشْتَفَى الشَّـطُّ وَانْتَشَى؟

بـلِ الخـيْـرُ مِـنْ سُـلْطانِهِ فَــاحَ، مُـرْسَـلاً،

سَـرِيْـعَ السُّرَى مِنْ مَشْـرِقٍ لَيْسَ أطرشَـا..

يُـلَـبِّـي نِـــدَاءَ الْمُسْـتَـغـيـثـينَ مُـقْـدِمًـا،

وَهَــلْ يُـحْـجِـمُ الإشْـعـاعُ حَـتَّـى يُـحَـرَّشَـا؟

وأمَّـــا الْـقَـنـاةُ الْمُـنْـتَـقـاةُ فَـلَـجْـنَـةٌ

إغـاثِـيَّـةٌ صَـــارَتْ هـيَ الـقَـلْـبَ وَالْحَـشَـا

.. هِـيَ اللَّجْنَةُ المَشْهود فِي الغَوْثِ غَيْثُها،

إذَا مَـا هَـمَـى عِـنْـدَ الـمَـجَـاعـاتِ أَدْهَـشَـا:

طَـعَـامٌ و «فـيـتـامـيـنُـهُ» مِــنْ بَـشَـاشَــةٍ

بِـهَـا يُـغْـتَـذَى قَـبْـلَ «الـبـروتِـين» وَالـنَّـشَـا!

وأبـارُهـا فِـي الـرِّيْـفِ أَحْـيَـتْـهُ بَـعْـدَ أنْ

بَـلاَ غُـبْـرَةَ الـصَّـحْـرَاءِ حِـيـنًـا فَـأَوْحَـشَـا!

يَـجِـيءُ الْجَـــدَا مِـنْـهـا بِـلاَ مَــنٍّ اوْ أذًى،

وَتَـأتِـي هِـبـاتُ البـعْـضِ فِـي هَـيْـئَـةِ الـرُّشَـا:

---

(١) المناسبة: افتتاح مخيم لعلاج العيون في انجمينا ٢٠٠١/١٢/٢٨ ضمن المشاريع الخيرية للجنة الإغاثة لصاحب السمو الأمير سلطان بن عبد العزيز.

وَمَــنْ كـانـتِ الأخـــلاقُ فِـيـهِ اسْـتِـعـارَةً

فَـمَـا جــادَ بـالإحْـسـانِ إلاَّ مُـشَـوِّشَـا..

عَـلَـى سُـنَّـةٍ غَـيْـرِ الـتـي لَجـنـةُ الأمِـيـ

ـرِ سُلْطانَ سَنَّتْها .. فَرَاشَتْ، وَرَشْرَشَا!

هـنيئًا لَـهـا بـالـنَّـصْـرِ والأجْــرِ سُـجِّـلا؛

وبِـالـشُّـكْـرِ مَـكْـسُـوبًـا، وبـالـذِّكْـرِ قَـدْ فَـشـا...

وبِــالأصْــدِقــاءِ الآخـريــنَ الّــذيــنَ هُـمْ

حَـلـيـفٌ لَـهَـا ضِـدَّ الأعــادِي تَجَـيُّـشَـا:

فَـمِـنْ أرضِ بـاكِـسـتـانَ جَـــاءَتْ بِـنُـخْـبَـةٍ

مَشَتْ فِي تَصَدٍّ لِلْعَمَى حيْثما مَشَى..

تَـرَى أن تَــرَى الـعَـيْـنـانَ حَـقًّـا وواجِـبًـا

لِـكُـلٍّ عَـلَـيْـهَـا: كُـلُّ أعْـمَـى وَأعْـمَـشَـا!

فَـحَـظُّ الـعَـمَـى مِمَّــا هُـمَـا قَــدْ أعَـدَّتـا

زَوالٌ وشـيـكٌ بَـعْـدَمَـا كــانَ عَـشْـعَـشَـا،

وَمَـــا زالـتـا فــي الإنـتِـصـاراتِ ضِــدَّهُ،

وَمَـــا زالَ يَـوْمًــا بَـعْـدَ يَــوْمٍ مُـهَـمَّـشَـا:

فـــإنَّ الــعِــيــاداتِ الّــتـي قَــدْ تَـعَـدَّدَتْ

غَـدَتْ تمـنَـحُ الْخُـفَّـاشَ عَـيْـنَـيْنِ كَـالـرَّشَـا!

صـنـوفٌ مِـنَ الـتَّـطْـبِـيـبِ فـي مُـعْـجِـزَاتِـهـا

عِـلاجٌ لِـمُـعْـتَـلٍّ وأعْـشَـى وَأَخْـفَـشَـا...

عَـنِ الـصَّـدْرِ تـنْـفـي كُـلَّ يَــأْسٍ وظُـلْـمَـةٍ،

وَتَـسْـتَـبْـدِلُ الإبْـصـارَ لِـلْـعَـيْنِ بـالـعَـشَـا!

.. فَكَمْ مُقْلَةٍ قَدْ أُرْجِعَتْ ضِمْنَ مَحجِرٍ

وَمَا إنْ ثَوَتْ حَتَّى اسْتَعَدَّتْ لِتَرْعَشَا..

ومِنْ قَبْلُ كانتْ دُونَ حِسٍّ ولا رُؤًى

فأضْحَتْ تَعِي المَسْموعَ وَعْيًا مُبَرْقَشَا!

وكَمْ مِنْ عجوزٍ تُبْصِرُ النُّورَ -بَعْدَها-

وَبِنْتًا لَها.. كَيْ تَضْحَكَا ثُمَّ تجْهَشَا:

فإنَّ المسَرَّاتِ المُكِرَّاتِ فَجْأةً

يُعانِينَ مِنْ جهدِ التَّبَارِي تَعَطُّشَا...

فَيَطْلُبْنَ عَيْنًا في عُيُونٍ سَرَرْنَها،

فيُسْقَيْنَ مِمَّا جُدْنَ مَحْضًا وأغبَشَا!

وَكَمْ مِنْ كفيفٍ ضَاعَفَ الضُّرُّ فقرَهُ

تَعَافَى عَلَى أَيْدٍ أَكَبَّتْ فَرَيَّشَا..

.. فأمْسَى - وكنَّا قَبْلَه ثَمَّ - قلبُهُ

يَشِي مِنْ شعورِ الحُبِّ فيكُمْ بِمَا وَشَى..

ويَدْعُو لأهْلِ الخَيْرِ مِنْكُمْ بِجَنَّةٍ

أُعِدَّتْ لَهُمْ، طابَتْ رِيَاشًا وَمَفْرشَا،

وَفيها لَهُم مَا لاَ عَيونٌ رأتْ ولاَ

خَيالٌ رَوَى يَوْمًا ولاَ نَحْوَهُ اعْتَشَى!

انجمينا، ٢٨/١٢/٢٠٠١م

****

٤٠ - لسابع مرة!؟[1]

[الوافر]

إلـى الـشَّـهَـوات بـعضُ الـنَّـاسِ مـاضٍ

كـمُـفْـتَـرِسٍ سـريـعِ الإنـقـضـاضِ

يـطـاردُ لَـذَّةً تَـفْـنَـى وتُـفْـنِـي

وَجِـدَّتُـهـا دوامًـا فـي انْـخِـفـاضِ!

وحـيـنَ يَمَـلُّ صِـنْـفًـا مـا ويسـعَـى

إلـى عِـوَضٍ يـعـانـي فـي اغْـتـيـاضِ..

يُـضَـيِّـعُ مـالَـه، والـعـمـرُ يـجـري

بمـثْـلِ خُـطـاهُ نـحـوَ الإنْـقـراضِ،

فـيـتـرك هَـذه الـدّنـيـا مـديـنًـا،

مِـنَ الْحَـسَـنـاتِ مـطـويَّ الْـوِفـاضِ،

.. ويـذهـبُ حـيـثُ لا تـكـلـيفَ يمحو

بـه خَـطَـأً، ولا يـسـهـو الْـمُـقَـاضِـي!

ويـنـطـلـقُ الـمـعـزُّونَ انْـطِـلاقًـا:

فـلـم يَـتَـبَـقَّ غـيـرُ الإنـفـضـاضِ!

تجـنَّـبَ ذلـك الْمَـهْـوَى لـبـيـبٌ

يُـقـارِضُ رَبَّـه أَرْجَـى قِـرَاضِ،

---

(١) (ألقيت صباح الجمعة ٢٠٠٣/٩/١٢م في الحفل الذي أقامته لجنة الأمير سلطان بن عبد العزيز الخاصة للإغاثة (مكتب تشاد) بقصر ١٥ يناير افتتاحًا لبرنامج البصر (القافلة السابعة).. وهو برنامج تنظمه اللجنة كل عام بالتنسيق مع مؤسسة البصر الخيرية العالمية تحت إشراف وزارة الصحة العالمية بجمهورية تشاد).

وأدركَ أنَّـــه ربٌّ غـنـيٌّ

تَـنَـزَّه عـن ظـنـونٍ وافـتـراضِ

وأنَّ عِـيـالَـهُ فـيـهـم جـيـاعٌ،

وأنَّ بـدايـةَ الـكُـفْـرِ الـتَّـغَـاضِـي

فـهـبَّ يـسـاعـدُ المحـتـاجَ بـرًّا

يُـنَـالُ فَـيُـتَّـقَـى شَـرُّ انْـتِـفَـاضِ!

يُـقَـلِّـدُ لجـنـةً لـلـخـيـرِ خـاضـتْ

إغـاثـتُـهـا الـتّـقَـى حـقُّ الْخِـيـاضِ.

حَـبَـتْ بمـخـيـم إحـدى وعشـريـ

ـن منطـقـة فـعـادت لانتـهـاض

بـأمـرِ أمـيـرِهـا سـلـطـانَ ظَـلَّـتْ

تـذودُ عَـنِ الأيَـامَـى وَالْمِـرَاضِ

وقـد وصـلـتْ إلـى أَقْـصَـى الْـفَـيَـافِـي

قـوافـلُـهـا بـلا أدنـى انْـقـبـاضِ!

ومـاءُ بـئـارِهـا يُـحْـيِـي رعـاةً

«تـتـبّـر» لـلـمـواشـي فـي الحـيـاضِ

وتـبـذلُ لـلـيـتـامَـى فـضـلَ مـالٍ

فَـتَـكْـفُـلُ بـعـضَـهـم مـنـذُ الْمَـخَـاضِ!

وهـا هِـيَ تـفـتـحُ الـيـومَ احـتـفـالاً

يـبـشِّـرُنـا بـآمـالٍ عِـرَاضِ

أعَـادَتْـهـا عـيـونًـا مِـنْ عَـمَـاهـا

إلـى الـلَّـفَـتَـاتِ - تحـلـو! - والـغـمَـاضِ

فَـمِـنْ خـبـراءِ بـاكـسـتـانَ جـاءتْ

بـأنـبـغِـهـم.. ومِـنْ كُـلِّ الأَراضـي

.. لسابع مرَّةٍ مِنْ أجل حربٍ
تُشَنُّ على العمَى وَالإِبْيِضَاضِ،
وبالثَّمَرَاتِ مِنْ هذي المساعي
مؤسِّسُها الأميرُ الشَّهْمُ راضٍ،
مُوَفَّقَةً!.. جزاها الله خيرًا
عَنِ الهِمَمِ المُجِدَّاتِ المَوَاضِي!
لكتبِها ولِلْقَرْنِيِّ شكرٌ:
فقد تَعِبَا هنا دونَ اعتراضٍ!
وبوركَ في عطاءٍ قد تَنَامَى
مِنَ الْحَرَمَيْنِ يَهْمِي والرِّيَاضِ
فتلكَ مرابعُ الخيراتِ مَدَّتْ
أَيَادِيَها بَيَاضًا في بَيَاضٍ،
وثمَّ دماثةٌ تنسابُ منها:
فما عَرِفَتْ شعورَ الإمْتِعاضِ!
نعاهدها بأنَّا سوفَ نُبقِي
على صِفَةِ التَّآخِي والتَّراضِي..
فنحنُ أشعَّةٌ مِنْ شمسِ نجدٍ،
ونحنُ أحِبَّةٌ في عينِ ماضِي!!
انجمينا – في ٢٠٠٣/٩/١٢م

****

٤١ - الضَّادُ تَنْدُبُهُ!(١)

[الرجز]

فرضٌ عليكِ، أوجبُ الفروضِ،

يا أعينَ الرِّجالِ أنْ تفيضِي!

... اليومَ لن يهمَّ أنْ تواري

دمعًا هميتِ، بل على النَّقيضِ:

فليسقِ دمعُكِ الغزيرُ أرضًا

للحزنِ يومَ مُلكِه العَضُوضِ!

مَنْ غيرُ دامعٍ تَرَيْنَ أنَّى

عاينتِ في التِّلالِ والخُفُوضِ؟

هذي الوهادُ أهلُها دهاهمُ

هولٌ هوى بسهلِها الأريضِ،

فالقومُ - كالعلومِ - في ذهولٍ،

لا تكتفي العيونُ بالبضيضِ!

والشِّعرُ طائرٌ بلا حَرَاكٍ،

باكٍ على جناحِه المَهيضِ:

ماتَ الَّذي حباه لحنَ «وارا»!

وارى التُّرابُ مَعْلَمَ النُّهوضِ!

العالِم التَّقيَّ في تفانٍ،

والسَّمحَ إنْ قضى وإنْ تُقوضِي!

---

(١) (في رثاء العلامة - المغفور له إن شاء الله تعالى - عباس محمد عبد الواحد) وعباس محمد عبد الواحد شاعر تشادي من رواد المحافظين وله ديوان شعري من الحجم المتوسط عنوانه «الملامح ط.بغداد ١٩٨٣م».

النّاشد الرّقيّ غيرَ وانٍ،
والفارضَ، المفسّرَ، المَرْوضي!
بعضُ العلومِ بعدَه بئارٌ
آلتْ - بموتِهِ - إلى مَغيضِ:
فالشّيخُ كانَ واحدًا فريدًا
فيها رَمَى بسهمِهِ الرَّكوضِ،
لم تُعْيِهِ النّجومُ عندَ رصدٍ،
بل أعجزَ النّجومَ في الوميضِ!
قدْ وقّت الصّلاةَ فاستبانتْ،
والصّومَ لم يَدَعْهُ للغموضِ..
يرجو رضا الإلهِ في خشوعٍ،
مستغفرًا بهامسٍ خفيضِ!
عبّاسُ! مَنْ تركت للمغازي
والنّحوِ والحديثِ والقريضِ؟
هل قلت للجهالةِ: «اطمئنّي!
فالجوُّ قد خلا لكيْ تبيضي؟»
أنت الّذي دعوت مَنْ تَآخَوْا
في الضّادِ للسّداد لا الدّحوضِ...
تبغي لبيرقِ النّبيِّ رفعًا،
والبعضُ يبتغيه في الحضيضِ!
ما جاء عنك - قطُّ - غيرُ برٍّ
- يزهو به الرّوّاةُ - مستفيض..
لم تؤذِ عامدًا، وكيف يؤذي
حامي ذوي الجراحِ والرّضوضِ؟!

حِين انبرى الكرامُ للمعالي

خلَّوْا أذى الأنامِ للبَعوضِ...

فالعلم يغمر الورى بنفعٍ،

والجهلُ بالتَّرصّدِ البغيضِ!!

ما قصرتْ يداك عن عطاءٍ:

بالقضِّ قد وصلتَ والقضيضِ!

أثريتَ مِنْ جواهرِ المعاني

لكنْ زَهِدْتَ ثَمَّ في العُروضِ؛

أفشلتَ كيدَ مَنْ يكيد، تعفو!

كم كِيدَ للكريمِ.. ثُمَّ رُوضِي!

لم يتَّهمك بالنِّفاقِ فعلُ

أو تسعَ في تزلّفٍ مريضِ...

أوْليتَ سافكي الدِّماءِ ظهرًا:

فاللهُ جارُ كلِّ مستعيضِ!

للنَّفس قست كلَّما تشهَّتْ:

«لو قد أَمِنْتِ مَكْرَهُ فخوضِي!..»

... بين الأُلَى تلوّثوا وبيني

«لا تقربوا النِّساءَ في المحيض!»

لله - وحده - البقاءُ!.. إنَّا

سودًا لنا الغناءُ مثلَ بيضِ!

والله - لا يدومُ غيره مِنْ

حيٍّ - هُوَ الملاذُ للمَرُوضِ،

يــا ربّ فــاغــفــرَنَّــه بـفـيـضٍ

يُـغْـنـيـهِ يــومَ عـــزَّةِ الـــقـــروضِ...

واغـفــر لــه الـــذّنــوبَ! فـيــهِ شَـفَّــعْ

خـيـرَ الـــورى بـجـاهِــه الـعــريـضِ!..

واســـكـــب عــلـــى مـحــمــدٍ صـــلاةً

- والآلِ - سـرمـديّـةَ الـفُـيُـوضِ!!

انجمينا ٢٠٠٢/١١/٤م

****

٤٢ - رياح الخير[1]

[الكامل]

ضَحكتْ رياحُ الخيرِ وَهْيَ دوامِعُ:
فعيونُها للمُعْصِراتِ منابعُ

وهَبِيبُها لَمَّ الغمامَ وساقَهُ،
فسقى الثَّرى مِنْ عِينةٍ تتدافعُ

فإذا بِهِ في حُلَّةٍ مُتَلألِئًا
وبساطُه المفروشُ أخضرُ فاقعُ

وتزيّنتْ كلُّ السُّهولِ بعشبِها،
وتدفقتْ وديانُها تتقاطعُ

ودنا الفريكُ الحُلْوُ نحوَ هُواتِه،
وبدتْ مِنَ الخيرِ الجديدِ طلائعُ

وتضلَّعَ الأطفالُ مِنْ مَسَرٍ شَوَوْا،
فتسابقوا واستضحكوا وتصارعوا!

سببانِ سرَّاهمْ كما فرحتْ لنا
بهما قُرًى قد هلّلتْ وشوارعُ -

وهما الخريفانِ اللّذان توافقا
زمنًا!.. إلهي.. إنّ فضلَكَ واسعُ!

---

(١) ألقيت في الحفل الذي أقامته وزارة العمل الاجتماعي والأسرة بالاشتراك مع لجنة الأمير سلطان بن عبد العزيز الخاصة للإغاثة (مكتب تشاد) في قاعة وزارة الخارجية بانجمينا صباح الجمعة ٢٠٠٣/٩/٥م بمناسبة استلام الأولى من الثانية مساعدات غذائية لتوزيعها على المحتاجين وانطلاق قافلة اللجنة السادسة عشرة).

فخريفُ غيثٍ، ثمّ آخرُ مثلُهُ

- شبعت به الجوعى هنالك - راتع

حملَتْهُ أعتى الطّائرات هَديّةً؛

وبها الغياثُ النّاجزُ المُتسارِعُ!

وتواصلَ الخيرُ العميمُ مضاعفًا،

ومضى ندى سلطانِه يتتابعُ

.. بيدٍ توالى خادمَ الحَرَمَينْ في

سُنَنِ الكرام الغُرِّ لا تتراجعُ

.. وولِيَّ عهدٍ ظلَّ رمزَ مروءةٍ

وَهُوَ الأمينُ المخلصُ المتواضعُ

.. وبلجنةٍ ما للإغاثةِ فوقَها

أحدٌ علا: فالآخرونَ توابعُ

بذلتْ قِراها للورى علنًا، فقد

بَشِمَتْ عيونٌ بالقِرى ومسامعُ!

.. وبأمرِها سارتْ قوافلُ جمَّةٌ،

وتعدّدتْ للرّاكعين جوامعُ

وعلتْ خلاوي القارئين، ووَزِّعَتْ

كتبٌ، ومُدّتْ بالمياهِ مزارعُ،

ومضتْ إلى البيتِ الحرامِ جماعةٌ،

وَمِنَ اليتامَى كم تُعُوهِدَ ضائعُ!

وعطاؤها المخفيُّ ليس بضائعٍ:

أتضيعُ عندَ الكاتبينَ بضائعُ؟

مِـنـحٌ هَـمَـتْ مِـنْ مـحـسـنِـينَ نَـحَـتْ بهم

جـهـةَ المـسـاعـي الـطّـيـبـاتِ نـــوازعُ!

فـوقـاهـمُ الـــرَّبُّ الـرّحـيـمُ عـذابَـهُ

وحـســابَـهُ يــومَ الحـديـدُ مَـقَـامِـعُ

وأحـلَّـهـم دار الـــمُـقـامَـةِ مُـنْـعِـمٌ

مـتـفـضِّـلٌ - يـغـنـي ســواه! - ورافـــعُ!

.. وهَـــدى الإلـــهُ المـسـلـمـينَ بـهَـدْيِـهِ

وأعـــادَ فـيـهـم ريـحَـهـم لِـيُـقـارِعُـوا

ولـئـنْ شَــكَـوْا يـومًـا إلـيـه ذَهـابَـهـا

أفـمـا تـنـاسَـوْا نَـهْـيَـهُ وتـنـازعـوا؟

وعـــدوُّهـــم إرهـــابُـــه مـتـصـاعـدٌ،

ونـصـيـبُـهـم - فـي ظـلِّ ذاك - فـظـائـعُ

فــإن اهْــتَــدَوْا واسـتـعـصـمـوا بـكـتـابـهـم

وتــغـــيَّـرتْ نـفـسٌ.. تَـغَـيَّـرَ واقـــعُ!!

انجمينا - في ٢٠٠٣/٩/٥م

****

٤٣ - وَيْلُ العَمَى[1]

[الوافر]

حُـلُـولُ الـغَـوْثِ فِـي أيْـدِي الـضِّـعـافِ

هُـطُـولُ الـغَـيْـثِ مِـنْ بَـعْـد الْجَـفَـافِ!

كِـلا الخَـيْـرَيـنِ يُـنْـمِـي حَـيْـثُ يَـرْمِـي،

وَيَـحْـمِـي - حِـينَ يَـهْـمِـي - أَوْ يُـعافِـي!

لَـئِـنْ هُـدَّتْ مَـعَ الأمْـطـارِ بِـئْـرٌ

فَـقَـدْ لا يُـعْـجِـزُ الْـغَـوْثَ الـتَّـلافـي...

وَلَـكِـنْ فـي الـمُـغِـيـثـينَ اخْـتِـلافٌ:

فَـلَـيْـسَ الـكُـلُّ جَـوَّابَ الـفَـيـافِـي،

وأمَّـا الـعَـوْنُ فَـالـمُـعْـطَى صُـنُـوفٌ:

مُـلَـبٍّ لاحْـتِـيَـاجٍ، أَوْ جُـزَافِـي؛

وبَـعْـضٌ طَـيِّـبٌ حِـسًّـا ومَـعْـنًـى،

وَبَـعْـضٌ شِـيـبَ بِـالـسُّـمِّ الـزُّعـافِ!

عَـلَـى أنَّ الأمِـيـرَ الـشَّـهْـمَ نَـبْـعٌ

لِخَـيْـرٍ دُونَ شَـكٍّ أَوْ خِـلافِ:

فَـعَـبْـرَ الـلَّـجْـنَـةِ انْـثـالَ انْـثِـيـالاً

بِـغَـوْثٍ... لاَ شِـعـارٍ أوْ هُـتـافِ!

---

(١) المناسبة: ألقيت صباح الجمعة ٢٠٠١/٧/٢٧ بقصر ١٥ يناير في انجمينا خلال حفل افتتاح مخيم لعلاج أمراض العيون نظمته لجنة الأمير سلطان بن عبد العزيز الخاصة للإغاثة بالتعاون مع مؤسسة البصر العالمية ضمن برنامج مكافحة العمى في تشاد، تحت رعاية وزارة الصحة ... وقد أضيفت إلى القصيدة عدة أبيات في نفس اليوم عقب انتهاء الحفل ضُمِّنَتْ هنا.

غِـــــذاءٍ أَوْ بِــنــاءٍ فِـــي نَمَـــاءٍ،

وَمَــاءٍ - مِـنْ بِئـارِ الـعُـمْـقِ - صـافِـي..

وَهَـــذِي الـلُّـجْـنَـةُ المِـعْـطَـاءُ تـدعُـو

إلَـــى أَوْلَـــــى عِـــلاجٍ كُـــلَّ عَـــافِـــي،

فَــوَيْـــلٌ لِـلْـعَـمَـى مِمَّـــا أَعَـــدَّتْ

لَـــهُ مِـــنْ قُـــوَّةٍ مِـثْـلِ المَـطَـافِـي:

أَطِــبَّـــاءُ الــعُــيُــونِ الـعَـالَـمِـيُّـو

نَ، أَرْقَـــى الـقَـوْمِ أهْــلِ الإحْـتِـرافِ،

رَعَـــوْا بَـرْنَـامِـجَ الإبْـصَـــارِ! بُشْـرَى

لِـمَـنْ يَـشْـكُـو! وَرَبُّ الـنَّـاسِ شَـافِـي!

رأيْـــتُ الـنَّـــاسَ صَـــوْبَ المـــالِ تَـغْـدُو

لِجَـمْـعٍ وَاكْــتِـنَــازٍ وَاخْـتِـطَــافِ

..وعِـــزْرائـــيـــلُ مَـــا بـــالَـــى بِمَـــالٍ،

وَلاَ فِـي الـقَـبْـرِ مَـــرْءٌ غَـيْـرُ حَـافِـي:

إذَنْ فَـالـمَـالُ أوْراقُ اخْـتِـبـارٍ

إذا اسْـتَـغْـصَـتْ فَـلاَ وَقْـتُ إضـافِـي،

وَلَـكِــنْ بِـيْـنَـمَـا تَـعْـمَـى قُـلُـوبٌ

تَـعِـي أُخْـــرَى مَـــآلَ الإنْجِـــرافِ!

كـأنَّ الـنَّـاسَ - فِـي الـتَّـصْـنِـيفِ - نَـفْـطٌ

- هُـوَ المِـصْـفـاةُ - مِـنْ بَـرٍّ وَجَـافِـي!

.. وَلِـلإنْـسـانِ بـالإحْـسـانِ فَـرْزٌ

فَـفَـرْزُ الخَـامِ رَهْـنٌ بِـالمَـصَـافِـي!

ألاَ يَـا لَجْـنَـةً لِـلْـغَـوْثِ أَحْـيَـا

بِـهَـا سُـلْـطَـانُ أيْـتَـامَ الْمَـنَـافِـي:

بَـقِـيـتُـمْ تَحْـتَ حِـفْـظِ الـلَّـهِ ذُخْـرًا،

وَمَـا انْـفَـكَّـتْ أيَـادِيـكُـمْ تُـوافِـي..

.. ألـوفًـا نَـحْـوَكُـمْ مَـدَّتْ كُـفُـوفًـا،

وَلاَ تَـرْنُـو إلَـى غَـيْـرِ الْـكَـفَـافِ!

جَـزَاكُـمْ رَبُّـنَـا الـوَهَّـابُ خَـيْـرًا:

فَـمَـا تَجْـزِي عَـنِ الْخَـيْـرِ الْـقَـوَافِـي!

ألاَ فِـي الـنَّـاسِ كُـونُـوا أَهْـلَ صِـدْقٍ،

فَـأَمْـرُ الْـغَـشِّ دَوْمًـا لانْـكِـشَـافِ

وَأنْـتُـمْ مِـنْ بِـلادِ الـوَحْـيِ رَهْـطٌ

شَـغَـلْـتُـمْ مَـوْضِـعَ الإسْـمِ الـمُـضَـافِ

... بِـلادٌ خَـصَّـهـا فَـضْـلٌ، فَـمَـا فِـي

سِـواهـا مِـنْ وُقُـوفٍ أوْ طَـوافِ

كَـمَـا شَـعَّـتْ هُـدًى يَـدْعُـو فَـشِـعُّـوا

دُعَـاةً لِـلـتـآخِـي وَالـتَّـصَـافِـي

انجمينا - ٢٠٠١/٧/٢٧م

****

٤٤ - هِيَ العَشْرُ

[المتقارب]

هِيَ العَشْرُ لا غَيْرَ: عِقْدُ خَلاَ،

وعِقْدُ يُزَيِّنُ مُسْتَقْبَلاَ

وَعَقْدُ مَعَ الْحَقِّ أَنْ يُقْتَفَى

فَأَوْفَى، وَبِالمُعْجِزاتِ انْجَلَى!

هِيَ العَشْرُ، في المُنْجَزاتِ انْقَضَتْ:

هُدًى، أوْ فِدًى، أو غَدًا مُعْجَلا

.. ونِفْطًا إذَا النَّاصِرُ اسْتَبْشَرَتْ

بِتَصْدِيرِهِ زَغْرَدَتْ دُنْقُلا

كَهَذِي تَكُونُ السُّنُونَ الَّتي

تُحَيَّا وتُحْيِي... وإلاَّ فَلاَ

هِيَ العَشْرُ: أنْعِمْ بِعَشْرِيَّةٍ

حَمَتْهَا قُلُوبٌ غَلَتْ مِرْجَلا،

شَبابٌ تَحَدَّوْا قُوًى رَثَّةً

وَطُغْيانَ رَجْعِيَّةٍ مُخْجِلا

.. وَمُسْتَكْبِرِينَ اعْتَدَوْا بَغْتَةً

وَفِي خِسَّةٍ دَمَّرُوا مَعْمَلا

.. وَدَبَّابَةً لِلرَّدَى أُحدِثَتْ

بِدَبَّابِنَا.. دَبَّ مُسْتَبْسِلا

سَأَلْتُ الثُّرَيَّا: «أَلَمْ يَطْبَعُوا

خُطَاهُمْ عَلَيْكَ؟» فَقَالَت: «بلَى!

.وَلَكِنَّ أَقْدامَهُمْ تَعْتَلِي

مَقَامًا لِتَرْقَى إلى مَا تَلاَ»

فَيُبْلُونَ - كَالشَّمْعِ - أَجْسادَهُمْ

وَتَبْلَى اللَّيالِي بِهِمْ رُحَّلا

.. سِراعًا إلى جَنَّةٍ - عَرْضُها

كَعَرْضِ السَّمَاواتِ - بَعْدَ البِلَى

وَهُمْ وَحْدَوِيُّونَ، فِي مَعْشَرٍ

تَوَلَّوْا نَبِيَّ الْهُدَى الْمُرْسَلاَ

رِفَاقُ الشَّهِيدِ الزُّبَيْرِ انْتَقُوا

لِيَهْمُوا عَطَاءً قَدِ اسْتَرْسَلا

بِرَغْمِ الأُلَى أَرْجَفُوا مَوْهِنًا

مِنَ النَّيْلِ وَاسْتَعْمَلُوا الْمِعْوَلا

يَقُولُونَ: «سُودانُنَا قَدْ غَدَا

رَهِينَ الخُصُومَاتِ أَوْ مُبْتَلَى

... وفِي عَهْدِنَا كَانَ مُسْتَعْصِيًا

عَلَى النَّبْذِ لَمْ يَغْتَزِلْ مَحْفِلا

أَلَنْ يَصْدُقُوا، قَطُّ، فِي مَزْعَمٍ

كَمَا بالأكاذِيبِ جَابُوا الْفَلا

فَأَنَّى لِسُودانِ أيَّامِهِمْ
بأنْ يُدْمِنَ السَّيْرَ نَحْوَ العُلا
وأيْنَ الخِياراتُ كَانتْ... إذَا
بِهِمْ كَانَ بَابُ العُلَى مُقْفَلا
نُطيح بحُكّامِ عَجْزٍ لَهَوْا
إلى رُكْنِ مَا بَاحَ وَاسْتُبْدِلا!
فَطُوبَى لَها يَوْم أنْ أرْكَبَتْ
عَلَى الفَوْرِ سُلْطانَهُم ثَيْتَلا!

وشَقَّتْ - لِئلاَّ يُبَاعَ الحِمَى -
طَرِيقَ انْبِعاثٍ لَهُ مُذْهِلاً..
وشَعْبٍ وَجِيشٍ عَلَى كِلْمَةٍ
سَوَاءٍ قَدِ اسْتَلْهَمَا المُنْزَلاَ:
ومَهْمَا يُعِدَّاهُ مِنْ قُوَّةٍ
يُعِدَّا مَعَ الدَّانَةِ المِنْجَلا..
ورغْمَ الوَغَى لِلسَّلام ابْتَنَوْا
مِنَ الدَّاخِلِ الصَّرْحَ حَتَّى عَلاَ:

وإنْ مَنْقَلاَ وَاخْضِرارٍ زَهَا
.. إلَى الثَّغْرِ مُسْتَرْفِدًا مَنْقَلا،
ومِنْ سَنْجَكٍ رَنَّ طَنْبُورُهُ
.. إلى سُومِي فِي رَقْصَةِ الكَمْبَلاَ
شُعُورٌ - وَجِسُّ الهَوَى وَاجِدٌ -
بِفَجْرٍ جَدِيْدٍ بَدَا مُقْبِلاَ:
دمًا، ثُمَّ دمْعًا وَنِفْطًا معًا -
لِيُرْسِي وِفَاقٌ وَحُلْمٌ غَلاَ..

وفـــاقٌ لِـفَـجْـرٍ - فَـرِحْـنـا بِـهِ،
عَـلَـى بُـعْـدِنـا - إنْ رَسَـا أُكْـمِـلاَ،
فـلَّـمَـا انْـتَـبَـهْـنـا لأنَّـا - وقَـدْ
نَـأَيْـنَـا - اشْـتَـبَـهْـنَـا بِـحِـبٍّ سَـلا..
بَـكَـيْـنَـا كَـمَـا قَـدْ بَـكَـى شَـاعِـرٌ
فِـراقَ الـمَـوَلِّـي مِـنَ الأَشْـكِـلاَ!

وأمَّـا فِـرَاقِـي لَـكُـمْ - إخْـوَتِـي!
فَـمَـا عَـنْ نُـفُـورٍ، ولاَ عَـنْ قِـلَـى..
وَلاَ عَـنْ تَـأَسٍّ بِـمَـنْ كُـلَّـمَـا
نَـفِـيـرٌ دَعَـا صَـدٌّ وَاسْـتَـمْـهَـلاَ..
وَلَـكِـنْ رِبَـاطًـا عـلَـى فُـرْجَـةٍ
وَيَـبْـقَـى ولائِـي لَـكُـمْ أَوَّلاَ!!
انجمينا - ١٩٩٩/٨/٥م

****

٤٥ - أتيناكم

[الهزج]

أَتَـيْـنَـاكُـمْ... أَتَـيْـنَـاكُـمْ،
فَـحَـيُّـونَـا نُـحَـيِّـيـكُـم
وَلَـوْلاَ الْحَـبَّـةُ السَّـمْـرَا
ءُ، لَـمْ نَـحْـلُـلْ بِـوادِيـكُـمْ!
أَتَـيْـنَـاكُـمْ نُـرِيـدُ الْـوَصْـلَ
وِفْـقَ الـشَّـرْعِ وَالـسُّـنَّـة

فـرغْـمَ الـنَّـأيِ وَالأنْـوَا
ءِ، وَالأشْـواقِ وَالْـفِـتْـنَـه
عَـلَـى عَـهْـدِ الـهَـوَى الْـعُـذْرِيْ
يِ لَـمْ نَـبْـرَحْ بـلا ظِـنَّـه
لـعـلَّ الـعَـهْـدَ يـعـطـيـنَـا
بِـوادِيـكُـمْ غَـدًا جَـنَّـه
فَـحَـيُّـونَـا لِـكَـيْ نَـحْـيَـا
بِـسِـلْـمٍ فـي مَـغَـانـيـكُـمْ!
أتـيـنـاكـم فَـهَـلْ نَـلْـقَـى
سَـلاَمًـا مِـنْ فـتـاةِ الْحَـيْ؟

فَـــــإنْ حَـــيَّـــتْ صَــحِــبْـنَـاهَــا

بِـــهَـــا نَـــطْـــوِي الـــصَّـــحَـــارَى طَـــيْ

نـــــزفُّ الــــرَّكْـــــبَ لا يَــقْــطَــعْ

عُـــــرَى قَــــيْـــسٍ وَلَـــيْـــلَـــى شَـــيْ

وَإنْ تَــسْــكُــتْ عَــلِــمْــنَــا مِــنْ

حَـــيَـــاءٍ ذَاكَ لا مِــــنْ عَـــيْ

فــحــيُّـــونـــا عَــــنِ الْحَـــــوْرَا

ءِ، وَلْـــتَـــكْـــثُــرْ أمَـــانِـــيــكُــمْ!

أتـــيـــنـــاكـــم وَلَـــــولاَ الْحَـــبْـــ

ـــبَـــةُ الـــسَّـــمْـــراء لَـــمْ نَـــأتِ!!

... فـــإنَّ الحُـــسْـــنَ وَالإِشْـــرا

قَ، فِـــي الأزْهَـــارِ والـــنَّـــبْـــتِ...

... وَكُـــلَّ الخَـــيْـــرِ وَالإِنْمَـــا

ءِ، وَالـــبُـــشْـــرَى مَـــدَى الْـــوَقْـــتِ،

وَجِـــئْـــنَـــاكُـــمْ بِـــأوْفَـــانَـــا:

فَـــتًـــى يَـــعْـــلُـــو عَـــلَـــى الـــنَّـــعْـــتِ؛

فـــحـــيّـــونـــا يَـــتِـــمُّ الـــسّـــعْـــ

ـــدُ والـــنُّـــعْـــمَـــى تُحَـــيِّـــيــكُــمْ!

دار كجاسة، في ريف تشاد - ١٩٧٣م

****

٤٦ - لِيَخْلُدَ مَا تُشَيِّدُ!(1)

[الوافر]

بـقـاؤُكَ لا يمـدِّدُهُ مُـحـامـي:
فـعـمـرُكَ لـلـتّـنـاقـصِ بـانْـتـظـامِ!
وعـجـزُكَ عـن شـراءِ دقـيـقـتـينِ
يـسـاوي عـجـزَ طـالـبِ الـفِ عـامِ!
وتَـفْـطِـمُـك الحـيـاةُ ولـسـتَ تُـدلِـي
بـرأيٍ فـي الـرَّضـاعِ ولا الـفِـطـامِ..

وإنْ بَـنَـتِ الـيـدانِ قـصـورَ دنـيـا
بـدا فـيـهـا الـقـصـورُ عـن الـتَّـمـامِ:
مـتـى اسْـتَـوَتِ الـقـواعـدُ راسـيـاتٍ
سـرى الـسّـوسُ المـؤسّـسُ لانْـثِـلامِ!..

وحـيـث تـنـاطـحُ الـسّـحـبَ المـبـانـي
تـؤولُ الـنّـاطـحـاتُ إلـى حُـطـامِ:
فـمـا رفـعَ المـقـاولُ غـيـرَ وهـمٍ،
ومـا اصـطـنـع الـبـنـاةُ سـوى رُكـامِ!

(1) المناسبة: أعدت لكي تلقى في حفل للجنة الأمير سلطان بن عبد العزيز الخاصة للإغاثة (مكتب تشاد) بمناسبة الأحداث الثلاثة المشار إليها ضمن القصيدة.

ففيمَ - إذنْ - تُصِرُّ على سرابٍ؟

وأين الخلدُ؟ خلفَكَ أمْ أمامي؟

يسارعُ بعضُ مَنْ جَهِلوا فضلُّوا

إلى بحرٍ من الشَّهَوات طامي

وآنئذٍ يلوذُ مَنِ اسْتجابوا

لربِّ النَّاسِ بالهممِ العظام!

ليخلُدَ ما تشيِّدُ رُمْ مَقَرًّا

لَهُ دارُ الحقيقةِ والمُقامِ

تأسّ بلجنةٍ بيدٍ أغاثتْ،

وبالأخرى أَرَتْ سُبُلَ السّلام

تُمَهِّدُ للمئات سبيلَ حجٍّ،

وتأتي، في المجاعةِ، بالطَّعامِ

وفي صلةِ الأراملِ واليتامى

- وللخيراتِ - تسبِق أو تسامي

وفي رمضانَ أَطْعَمَتِ الْبَرَايَا

فطورًا بالتُّمُورِ وبالإدَامِ

إذا اقتتلَ الأحِبَّةُ حَوْلَ بئرٍ

سَقَتْ مِنْ راشدٍ وإلى خُزامِ

بمكّةَ والمدينةِ تُحْفَرَانِ،

وفي البئرينِ مقبرةُ الخِصَامِ!

وهَا هِيَ تبدأُ الفقرَاتِ حَفْلاً

بأعمالٍ مقدّمةِ المرامي

فجامعُ فَيْصَلَ العَلَمُ المُعَلَّى

تجلَّى الآنَ في بُسُطِ الكرامِ

ومَنْ فَرَشَ المساجدَ نالَ حظًّا

مِنَ الرّحمنِ فوقَ مُنَى الأَنامِ!

وثمّتَ جامعٌ، فتحوا، جديدٌ

على تقوى تأسّسَ للقيام

دَعَوْهُ تيمّنًا، وبدونِ شركٍ،

أبا ذرٍّ؛ فبوركَ في الأسامي!

وتُفْتَحُ للعلاجِ ثلاثُ دورٍ:

عياداتٌ مكمّلةُ النِّظامِ

جزى الملكُ المهيمنُ مَنْ بناها

ثوابًا لا يكفُّ عن التَّنامي!

شعورُ قلوبِنا فرحٌ وشكرٌ،

وبعضٌ منه يظهرُ في الكلام

وفي كَلِمي سأنْظِمُه عقودًا؛

فهل تُغْفَى إذا صمتتْ، حُزَامِ؟

فيا مِنَحَ الرضا بتشادَ: زيدي،

ويا أيّامَها القَلِقَاتِ: نامي!

أكِنُّ لجابري العَثَراتِ حبًّا،
وسلطان الأميرِ لَهُ احْتِرامي
ويا قرنيُّ دُمْ سَنَدًا لبالي
رسولِ البِرِّ مِنْ أرضِ الإمام
مُنَفِّذِ أمرِ مَنْ هطلت يداه،
وأنَّى سارَ قويلَ باهْتمامِ!
أُذَكِّرُكَ اسْمَ مُؤْتَمَرٍ نَنَادِي
إلى ثانيهِ عُطِّلَ بِاللجامِ
وأشكرُكم كما فعلتْ أُلوفٌ،
بَقِيتُمْ مفلحينَ على الدّوامِ!!
انجمينا، في ٢٦/٤/٢٠٠٢م

****

٤٧ - خيوط الجريمة؟![1]

[الطويل]

تَـلاَقَـتْ عَـلَـى غَـدْرٍ بِمَـغْـنًـى وقـيـمـهْ،
قـلـوبٌ كـأحـجـارٍ وأيـدٍ أثـيـمـهْ:

وطـاويـطُ لـيـلٍ خَـطَّـطَـتْ ثُـمَّ نَـفَّـذَتْ،
وَلِـلَّـيْـلِ آفـاتٌ، هـنـا، مـسـتـديمَـه!

جَـنَـتْ مـا جَـنَـتْ، مـثـلَ الأفـاعِـي، فَبَيَّنَتْ
مـتـى يـصـبـحُ الإنـسـانُ دونَ الـبـهـيـمـه!

بـلا أيِّ ذنـبٍ أَطْـلَـقَـتْـهـا رصـاصـةً
- على الـرأسِ، تعني القتلَ عمدًا - يتيمَه!

وسـاعٍ إلـى بـعـضِ الـزَّوايـا يـزورُهـا،
صـلاحًـا ونـورًا[2]، قـد أعـاقـتْ قُـدُومَـه؛

فـلـمّـا هَـوَى مـسـتـشـهـدًا مـاتَ مـحـسـنٌ
كـريمٌ أخـو ذكـرٍ لَـهُ الْـبِـرُّ شِـيـمَـه

.. يـرى نـفـسَـهُ الْـمَـغْـنِـيَّ بـالـفـعـلِ إنْ رأى
«نـداءً لأصـحـابِ الـقـلـوبِ الـرحـيـمَـه[3]!»

وأنَّـى لـه الـتَّـسـويـفُ والـخـيـرُ وافـرٌ
وإيـثـارُهُ الْـيُـسْـرَى وطـيـبُ الأَرُومَـه؟

فـمـا اغـتـالَ مَـنْ أرْدَوهُ نـفـسًـا بـريـئـةً
فـقـطْ إنَّـمـا اغـتـالـوا فُـيُـوضًـا وديمَـه!

---

(١) (في ليلة الجمعة ٢٠٠٣/٩/٢٦م جرى بانجمينا اغتيال رجل الأعمال والبر والإحسان السوداني الشيخ ابن عمر إدريس يوسف، رحمه الله).

(٢) إشارة إلى زاوية الشيخ/ صالح النور التي كان الفقيد متوجهًا إليها حينما تم اغتياله.

(٣) إشارة إلى باب في بعض الصحف يخصص لطلب المساعدة لذوي الحاجات.

وإبليسُ غشَّاشٌ[1]، نَعَمْ، لكِنِ الْوَرَى
عقولٌ؛ أيرضى العقلُ ألاَّ نَلُومَه؟
تَنَاءَى زمانٌ طالما صبَّ لَوْمَهُ
عَلَى صوتِ غِرْبانٍ وإبصارِ بُومَه!
وما العمرُ إلاَّ مَرَّةً عاشها فتًى
إلى اللهِ يمضي مؤمنًا ذا عزيمَه
.. ومِنْ بَعْدُ يَلْقَى خصمَهُ دونَ عصْبَةٍ:
قريبًا، أمامَ اللهِ، فصلُ الْخُصُومَه!
.. على أنَّ للأحياءِ حقًّا يصونهم
قصاصًا وتأمينًا، فأين الحكومَه؟
أليستْ عَنِ المشروعِ[2] مسؤولةً هنا
ومَنْ هَمُّهُ المشروع حتَّى يقيمَه؟
وشعبٍ يعيشُ العمرَ صيدًا مطارَدًا:
أمَا آن أن يُلْفَى فَيُكْفَى هُمُومَه؟
ومَنْ، ثمَّ، قد يكفيهِ إلاَّ حكومةٌ
عساها - بِجَدْوَاهَا - تفوقُ التَّمِيمَه!
ولا خيرَ فيها دونَ عطفِ الأُمُومَة!
وغطَّتْ - على عِلْمٍ - خيوطَ الجريمه
.. أوِ اسْتَهْتَرَتْ بالأمر، أو فيه ماطَلَتْ
كَصُنْعِ الْمُداري طفلَهُ كي يُنِيمَه:
فلا نومَ فينا بعدما عيل صبرُنا
ولا في مآلاتٍ، تراءتْ وخيمه

(١) «غشني إبليس» هو اعتذار كثيرا ما يردده مرتكبو الخطايا.

(٢) إشارة إلى مشروع مصفاة انجمينا الصغرى التي تعمل في إتمامها شركة الفقيد.

وليست دروبُ الحكمِ إلاّ لعينةً

تلوَّثْ وأخرى، تُحْتَذَى، مستقيمه!

إنِ الْحُكْمُ - حقُّ الحكمِ - إلاّ لربّنا،

ونعماؤه ظلَّتْ علينا عميمه،

سألناه رضوانًا يغطّي فقيدَنا،

ومسكًا - على قُرْبَى - يروّي كُلُومَه،

ويا أهلَ قطرينِ استَعَانوا بدمعِهم

وصبرٍ على إحدى الرّزايا الأليمه:

كما وحَّد الحزنُ الشقيقينِ وحِّدوا

مصيرًا.. مضى عهدُ الْحُدُودِ القديمه!

انجمينا - في ٢٠٠٣/٩/٣٠م

****

٤٨ - رنين

يَرِنُّ، يَرِنُّ، يَرِنُّ!

يرنُّ، يرنُّ كمطرقةٍ؛ ويرنُّ، يصلصلُ ليس يَكِلُّ!

يرنُّ كما تتصايحُ جِنٌّ:

دوائرَ مِنْ صخبٍ وصداهُ: يَطِنُّ فتكبرُ حينَ يطنُّ..

وتتّسعُ الْحَلَقَاتُ: يظلُّ يُجاوِبُهَا وتَظَلُّ؛

يَرِنُّ، يَرِنُّ، يَرِنُّ!

يرنُّ بجعبةِ مَمْتَحِنٍ ويَصِلُّ،

يرنُّ وبِالصَّدَمَاتِ يَشُدُّ

عَلَى الْقَلِقِينَ تَوَتُّرَهُمْ: فيثورُ فَتًى ويخرُّ مُسِنٌّ،

وبينَ مكالمتينِ يُضَيِّعُ حَلٌّ..

فيرسبُ ذو كسلٍ ومُجِدٌّ!!

يَرِنُّ، يَرِنُّ، يَرِنُّ!

ونجلسُ مجتمعينَ مَعًا فيرنُّ،

يرنُّ بصلصلةٍ متسلسلةٍ فنكادُ نُجَنُّ؛

يرنُّ، فَتُرْبَكُ جَلْسَتُنَا ونُشَلُّ:

فنحن – بفعلِ حراكِ ذَوِيهِ – أَقَلُّ،

يقومُ مَنِ الْتَصَقَتْ أُذُناهُ بهاتِفِهِ ويَنِدُّ..

تُلَوِّحُ منه يَدَانِ وتضحكُ سِنٌّ؛

فَنَرْجَعُ دونَ نِصابِ لوائِحِنا ونُرَدُّ..
نلوكُ دقائِقَنا، نترقبُ مَنِ جلسوا ونُعِدُّ
لكيْ نتعهّدَ جلسَتَنا، فإذا بجهازِ سواهُ يرنُّ!
يَرِنُّ، يَرِنُّ، يَرِنُّ..
كما يَتَنَحْنَحُ فوقَ يدٍ تتراعشُ غُلُّ!
يَرِنُّ، يَرِنُّ، يَرِنُّ..
نقيقَ ضفادعَ: تتعبُ واحدةٌ فتصنُّ
فتنطلقُ الْعَشَراتُ كأنَّ تَعَاقُبَهُنَّ قَضَاهُ سِجِلُّ
وصولتَهُنَّ على الْمُتَسَمِّعِ حَدُّ!!
وتذهبُ جلستُنا بددًا وتضلُّ
يُراوِحُ موعدُها – لِتُعاوَدَ – بينَ «أُؤَكِّدُها» و«أَظُنُّ»!

يَرِنُّ، يَرِنُّ، يَرِنُّ!
كأنَّ مِنَ الزّملاءِ هنالكَ مَنْ هُوَ ضِدُّ:
جيوبُ ملابسِهم تتحوّلُ أغمدةً، وتكنُّ
سيوفَ دِمَقْلِسَ إذْ يتنازلُ عدُّ..
ثَوَانِيَ؛ ثمّ تصلُّ؛
هواتفُهم تتبادلُ دَوْرَ مقتّلِنا، وتظلّ تصلُّ؛
تقسِّطُ مهلِكَ سائرِنا بِتَلاحُقِها، ولذلكَ فنُّ
– بمصلحةِ العقلاءِ يخلُّ! –
عليهِ بأرضٍ تَشَادَ بَنو مَدَرٍ نَشَأُوا ومَعَدُّ:
ففي الْوَطَنِ العَرَبِيِّ نُعَدُّ،
ولِلأزماتِ هُناكَ صَبَاحَ مَسَاءَ محلُّ!!

يَرِنُّ، يَرِنُّ، يَرِنُّ!

يرنُّ يفاجئ مُحْتَضَرًا، فيئنُّ؛

يرنُّ خلالَ جراحتِهِ ويزنُّ،

يرنُّ مُدًى تتخلّلُ غفوتَهُ وتقدُّ،

تهزُّ سَكِينةَ ما حقنوهُ فخدَّرَهُ وتهدُّ:

كأنّ جهنّمَ ثَمَّ تُطِلّ..

لها صخبٌ يتجلَّلُها، ومِنَ الدَّرَكاتِ يُشَنُّ؛

فأينَ نجاةُ مَنِ اخْتَرَقَتْهُ مباضعُ؟ كيف يقيهِ مصَدُّ

وما صَحِبَ الْعَمَلِيَّةَ سدُّ؟؟

وليسَ مِنَ الصّخبِ الْمُتَمَوْسِقِ ثَمَّتَ ظِلٌّ:

فها هُوَ هاتفُ بعضِ مَنِ اصْطَحَبُوه يرنُّ!

يَرِنُّ، يَرِنُّ، يَرِنُّ..

كما شَحَذَ الشَّفراتِ مِسَنٌّ؛

يَرِنُّ، يَرِنُّ، يَرِنُّ ..

يرنُّ كما تتصايحُ جِنٌّ؛

يَرِنُّ، يَرِنُّ، يَرِنُّ !!

(انجمينا ٢٠٠٢/٧/٩م)

****

٤٩ - يَاسينُ فيهمْ![1]

[المنسرح]

سِيقوا إلى حيثُ البِشْرُ والفرحُ،
واهًا لهمْ! إنَّ القَوْمَ قد ربحوا!

عند الّذي ما ضاعتْ ودائعُهُ،
قد زايلوا عهد الموت واطّرحوا!

واللهِ أحياءٌ عنده أبدًا:
يكسوهمُ الاطمئنان والفَلَحُ!

أُوتوا طيورًا خُضْرًا حواصلُها
مأوًى لأرواحٍ كم بها سَمَحوا!

ياسينُ فيهم - إنْ شاءَ خالقُنا -
شيخٌ شهيدُ، والصّدرُ منشرحُ!

أرضَى ويُرضَى: فالشّيخُ أحمدُ لم
يطمحْ إلى دنيا شأنَ مَنْ طَمَحوا..

بل كان أستاذَ الباذلينَ دمًا،
للحقِّ ما أعطَوْا ثُمَّ ما سفحوا!

يمضي إليك، اللهمَّ، في ثقةٍ؛
أنت الّذي منك المَنُّ والمِنَحُ..

يَمضي وقد أدّى فيك واجبَه:
ربّي الألَى حينَ البأسِ ما بَرِحوا،

(١)(في رثاء الشيخ المجاهد/ أحمد إسماعيل ياسين مؤسس حركة «حماس»)

غاياتهم إحدى الحسنَيَيْنِ فقطْ

إذْ تنجلي رؤياهم وتتَّضِحُ!

فاضوا حماسًا للدِّين كلَّفهم

ريًّا لأرضٍ كلٌّ به فَرِحُ!

إنْ تكفِ أقداحٌ فالقلوبُ كَفَتْ،

والقدسُ في القَلْبِ القُدْسُ أو رَفَحُ!

تَسقى «حماسُ» الأرضَ الدِّماءَ، فلا

ملَّتْ «حماسُ» السّقيا ولا القدحُ!

أمّا وقد زفّتْ روحَ قائدها

للخلدِ فالثّأر الآن مقترحُ:

ردًّا على استفسارِ المُسَائل: «هل

خافوا من المحتلّين أم صفحوا؟»

وَالْعُمْيُ - لا في الإبصارِ - أسكرهم

- لمّا رموا شيخًا مُقْعَدًا - مَرَحُ!

في سبعةٍ من أحبابه نُثِروا

غدرًا، على باب المسجد انطرحوا

فجرًا وقد نالوا بالصّلاة رضًا

من ربّهم! ما بعد الرّضا تَرَحُ!

راحوا ضحايا عدوان طائرةٍ

من صنع أمريكا، قد رمت فَمُحُوا!

صيدوا كآلافٍ لا سلاحَ لهم

من قبلهم غِيلوا ثَمَّ أو جُرِحوا!

ما هذه أخلاقَ الحروبِ ولا

آياتِ سلمٍ يا مَنْ لها جنحوا!

«هل دولةٌ أم هل دولتانِ هنا
نبني غدًا؟» والبازار منفتح!
أقوالهم - لولا أنّها طَرَقَتْ
موضوع جدٍّ - قلنا: «هِيَ المُلَحُ!»
أسرى العروشِ الوهميِّ أكثرُها
لن يدركوا أبعادَ الّذي شرحوا!
حُكّامُ ضعفٍ - يا شيخُ، ضِقْتَ بهم -
بالحرب ضاقوا، للصُّلحِ ما صَلَحُوا!
لا نقصَ فيهم إلاّ إرادتهم
- يا شيخُ - شُلَّتْ فالأمر مفتضَحُ
ما كنتَ مشلولاً، بل هُمُ انحصرتْ
آفاقُهم حتّى أنّهم كَسِحوا!
ثَبَّتَّ وارتاعوا، فزتَ وانتكسوا،
واليوم سابقتَ الضّوءَ وانبطحوا
تفدى فلسطين اللاّجئين، وهم
يفدون وهمًا؛ معبودهم شَبَحُ!
والمسجدُ الأقصى لا يحرِّرُهُ
إلا امتثالٌ للحقِّ إذْ يَضِحُ
مثلَ الّذي نرجو - دون تزكيةٍ -
أنْ قد بَلا شيخٌ سِرْبُهُ رُجُحُ!
يا ربِّ فَامْنُنْ واقْبَلْ شَهَادَتَهُ،
وانْصُر جهادًا قد عاشَ يَجْتَرِحُ!

انجمينا - في ٢٠٠٤/٣/٢٤م

****

٥٠ - كشف المطمورة عن أبياتٍ مغمورة في نجوى نور المعمورة

الْـــبَـــادِئُ بِـــاسْـــمِـــكَ مُـــؤْتَجِـــرُ[١]

وَبِـــحَـــمْـــدِكَ يَـــلْـــهَـــجُ مَـــنْ ذَكَـــرُوا؛

مِـــنْ ذَيْـــنِـــكَ[٢] يَـــصْـــحَـــبُـــنِـــي شِـــوَرُ[٣]

فَـــعَـــسَـــى يَـــأْتِـــي مِـــنْـــكَ الْـــفَـــجْـــرُ[٤]

وَعَـــلَـــى الْـــمَـــذْكُـــورِ بِـــهِ مُـــضَـــرُ

صَـــلَـــوَاتُـــكَ مُـــزْنٌ تُـــعْـــتَـــصَـــرُ[٥]!

بِـــوُجُـــودِكَ تَـــعْـــتَـــرِفُ الْـــفِـــطَـــرُ:

فَـــلِـــلُـــطْـــفِـــكَ فَـــيْـــضٌ مُـــنْـــتَـــشِـــرُ!

وَتُـــسَـــبِّـــحُ بِـــاسْـــمِـــكَ - طَـــائِـــعَـــةً -

أُمَمٌ لاَ يَـــعْـــرُوهَـــا[٦] ضَـــجَـــرُ:

طَـــيْـــرٌ، وَبَـــهَـــائِـــمُ هَـــائِـــمَـــةٌ،

وَجَـــمَـــادٌ أَخْـــرَسُ، أَوْ شَـــجَـــرُ؛

وَكَـــوَاكِـــبُ تَـــسْـــبَـــحُ فِـــي فَـــلَـــكٍ،

وَمَـــعَـــادِنُ تَـــفْـــتَـــأُ[٧] تُـــحْـــتَـــفَـــرُ

---

(١) مؤتجر: يطلب الأجر من الله تعالى.

(٢) ذينك: مثنّى ذاك.

(٣) شِوَر: متاع البيت.

(٤) الفَجَر: الجود، العطاء، كثرة المال.

(٥) مزن: سحب؛ تعتصر: تمطر، وهي المعصرات.

(٦) يعروها: يعتريها، يصيبها.

(٧) تفتأ: تظلّ.

وَدَقَائِقُ[1] لَيْسَ نُشَاهِدُهَا

بَيْنَا هِيَ فِينَا قَدْ تَكِرُ[2]

.. كُلٌّ - إلاَّ الثَّقَلَيْنِ[3]! - سَعَوْا

فِي الطَّاعَةِ، تَعْصِمُهُمْ أُسُرُ[4]!

أَمَّا الثَّقَلانِ فَمَا رَغِبَتْ

نَفْسٌ: يَسِرَتْ[5] أَوْ تَتَّزِرُ:

فَهُمَا فِي دَارِ بَلاَءٍ، إنْ

مَحَضُوكَ[6] عِبَادَتَهُمْ أُجِرُوا،

وَمَصِيرُ الأَشْقَى هَاوِيَةٌ،

حَيْثُ المُلْقَى مَعَهُمْ صَخَرُ:

يَبْقُونَ وَقُودًا لاَ يَفْنَى،

وَتُحَرِّقُهُمْ - أَبَدًا - سُعُرُ:

لاَ مَوْتَ يُرِيحُ ولاَ مَنْجَى،

وَلَظَى تَشْوِي.. بَلْ تَهْتَبِرُ[7]..

.. لِيَعُودَ الجِلْدُ يُغَذِّيهَا:

مَا يَنْبُتُ فَوْرًا يَنْصَهِرُ!

فَمَعَاذِي ثُمَّ مَلاَذِي لُطْفُ

كَ يَا رَبِّي، فَهُوَ الْعَصَرُ[8]!

---

(١) دقائق: كائنات دقيقة.

(٢) تَكِرُ: تسكن، تتخذ وكرًا.

(٣) الثقلين: الإنس والجن.

(٤) أسر: قيود.

(٥) يَسِرَتْ: يُسُرَتْ لليسؤى، تتّزر: ترتكب إثمًا وتكسب وزرًا.

(٦) محضوك: أخلصوا لك.

(٧) تهتبر: تقطّع.

(٨) العصر: الملجأ.

وَلَئِنْ أَعْدَدْتَ عَذَابَ لَظَى

فَلِوَازِرَةٍ، وَبِمَا تَزِرُ؛

كَمْ مِنْ قَرْنٍ عَجَّلْتَ لَهُمْ

لَوْ رَاعُوا الْقَصْدَ لِمَا ثُبِرُوا[1]

.. لَجُّوا فِي طُغْيَانٍ حَتَّى

عَنْ عَفْوِكَ أَقْصَاهُمْ زَوَرُ[2]!

فَبِعَدْلِكَ – رَبِّي – هُمْ هَلَكُوا،

وَمَضَوْا، لَمْ يَبْقَ لَهُمْ أَثَرُ

فَبَوَائِقُهُمْ[3] وَطَرَائِقُهُمْ

صَرَعَتْهُمْ عَائِدَ[4] مَا فَجَرُوا

وَظَلامُ الشَّكِّ تَقَدَّمَهُمْ

فَلَئِنْ وَرَدُوا فَكَمَا صَدَرُوا!

لَكِنَّ الرَّحْمَةَ قَدْ سَبَقَتْ

– بِالْفَضْلِ – عَذَابًا يَسْتَعِرُ

فَلَكَ اللَّهُمَّ الْحَمْدُ عَلَى

هَذَا وَلَنَا الْفَرْح الأَمِرُ[5]

فَبِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ

فَبِذَلِكَ يَفْرَحُ مُدَّكِرُ!

أَبْدَعْتَ الْكَوْنَ بِكَلْمَةِ «كُنْ!»،

وَتُقَدِّرُ فِيهِ وَتَقْتَدِرُ

(١) ثبروا: أهلكوا.

(٢) زور: ميل وانحراف.

(٣) بوائقهم: آثامهم والمهلكة.

(٤) عائد: جزاء.

(٥) الأمر: الكثير.

وَمَـــــلأتَ الــصَّــنْــعَــةَ آيَـــاتٍ

تَــهْــدِي الــثَّــقَــلَــيْنِ إذا بَــصُــرُوا

فَـــالـــذَّرَّةُ أَصْــغَــرُهَـــا شَــيْــئًـــا،

وَالـــــذَّرَّةُ – أيــضًـــا – تَــنْــشَــطِــرُ..

.. فَــتُــوَلِّــدُ طَــاقَـــاتٍ قُــصْــوَى

خَــيْــرًا أوْ شَـــرًّا تُمْــتَــصَــرُ[1]

تَـبْـنِـي – إنْ شَــاءُوا ذَلِــكَ! – أَوْ

فَــتُــدَمِّــرُ أَشْــنَــعَ مَـــا دَمَـــرُوا

فَــتَــكُــونُ زَوَابِـــــعُ مِـــنْ نَـــارٍ

إذْ يَـلْـتَـهِـمُ الـكِـبَـرَ الـصِّـغَـرُ!

آمَــنْــتُ بِـــكَ الـــلَّـــهُـــمَّ، وَفِـــي

آلاَئِــــكَ[2] تُــدْهِــشُــنِــي فِــكَــرُ!

والـــطَّـــاقَـــةُ أَنَّـــــى يَـــأخُــذُهَـــا

– فِــي حَـــالِ تَحَــوُّلِــهــا – مَــعَــرُ[3]؟

مَـــا آلِـــيَّـــاتُ تَحَـــوُّلِـــهـــا

مَــا غَــايَــتُــهـــا[4]إذْ تَــنْــشَــجِــرُ؟

وذُكَـــــاءُ[5] إلاَمَ تـــوفِّــرُهَـــا؟

مَـــنْ خَـــزَّنَـــهَـــا، فَــبِــهَـــا تَــقِــرُ؟

مَـــنْ غَــيْــرُكَ يَـــا رَبَّ الــشِّــعْــرَى

عَــبَــدَتْــهُ شُــمُــوسٌ أَوْ بُـــؤَرُ؟!

---

(١) تمتصر: تحلب، تستحلب.

(٢) آلائك: آياتك ونعمك.

(٣) مَعَر: قلة وتلاشي.

(٤) غايتها: منتهى أمرها.

(٥) ذُكاء: الشمس.

وَمَجَرَّاتٍ كُبْرَى تَسْرِي

فِي سُرْعَةِ ضَوْءٍ يَنْفَجِرُ...

.. بِفَضَاءٍ مَدَّ الطَّرْفِ بِلاَ

حَدٍّ، فَإِلَى أَيْنَ السَّفَرُ؟

الْعِلْمُ لَدَيْكَ! فَلاَ أَحَدُ

يَدرِي أَيَّانَ سَتَخْتَدِرُ[1]!

لاَ يَعْلَمُ غَيْرُكَ مَاذَا فِي

غَدِنَا يَطْغَى أَوْ يَنْجَزِرُ[2]!

وَدُنًى[3] تَتَقَزَّمُ فِي حُفَرٍ،

فَتَصِيرُ قُوًى تِلْكَ الْحُفَرُ

لاَ عَينَ تَرَاهَا بَلْ فِكَرٌ

وَحِسَابٌ، إِذْ كَيْفَ النَّظَرُ

وَالضَّوْءُ أَسِيرٌ فِي جِرْمٍ

لاَ يُفْلِتُ شَيْئًا أَوْ يَذَرُ؟

سُبْحَانَكَ رَبًّا قَدْ أَلْقَى

بِالسِّرِّ لِضَوْءٍ يُنْتَثَر[4]

وَلِمُسْتَوَيَاتِ وجُودٍ أو

أَبْعَادٍ رَاحَتْ تَنْتَبِر[5]!

أَبْعَادُ وُجُودٍ مُذْهِلَةٌ،

لَيْسَتْ فَوْضَى، لَكِنْ جُزُرُ!

---

(١) تختدر: تختفي، تدخل خدرها.

(٢) يطغى: يزيد؛ ينجزر: ينقص.

(٣) دنى: جمع دنيا، تتقزَّم: تتضاءل، وبالإشارة هنا إلى ما يُعرف بالثّقوب السّوداء.

(٤) ينتثر: يجذب بشدة.

(٥) تنتبر: تبرز وتعلو.

فَقَوَاعِدُ تَسْرِي فِي بُعدٍ
بِسِوَاهَا تَنْتَظِمُ الأُخَرُ
لَكِنَّ الْوَحْدَةَ نَامُوسٌ
فَوْقَ الأَنْسَاقِ[1] لَهَا عَجَرُ!
هَذَا عَنْ ذَاكَ - وإِنْ قَرُبَا -
بِقُيُودِ الحَيِّزِ[2] مُحْتَظِرُ
.. إِلاَّ مَا شِئْتَ - إِلَهِي - مِمْ
مَا يُسْتَثْنَى أَوْ مَنْ جَدَرُوا!
وَالْكَائِنُ فِي كُلٍّ مِنْهَا
لأُلُوفٍ أُخْرَى يَزْدَفِرُ[3]
سَيَّانِ نِظَامُ شَمْسِيٍّ
أَوْ مَا بِالْمُجْهِرِ يُجْتَهَرُ
فَالْكُلُّ مُرَكَّبُ أَجْزَاءٍ
تَحْوِيهِ كَمَا فَعَلَتْ أُطُرُ
ذَرَّاتٍ أَوْ جِينَاتٍ[4] أَوْ
حِزَمًا بِالقُدْرَةِ تَنْضَفِرُ!
عَجَبِي مِنْ كُلٍّ فِي جُزْءٍ
يَثْوِي، وَيَغِيبُ فَيُبْتَقَرُ[5]!
وَتَعَالَى اللهُ المُوجِدُ مِنْ
عَدَمٍ: لاَ الطَّبْعُ، وَلاَ الدَّهْرُ!

---

(١) الأنساق: النظم؛ عجر: ظهور وبروز.
(٢) الحيز: المجال المكاني والزماني.
(٣) يزدفر: يحمل.
(٤) جينات: مورِّثات.
(٥) يُبْتقر: تشقّ عنه البطن.

سُـبْـحَــانَـكَ - رَبَّ الـعِــزَّةِ - عَمْـ
ـمَـا قَـدْ يَـصِـفُـونَ إذا صَـعِـرُوا[1]!
مَـــنْ غَـــيْـــرُكَ يَـخْـلُـقُ مِـــنْ مَـــاءٍ
كُـــلَّ الأَحْـــيَـــاءِ، وَيَـبْـتَـكِـرُ
وَتَـــــدُومُ حَـيَـــاةٌ أَبْــدَعَـــهَـــا،
فَـــإِلَـى الأُنْـــثَـــى يـــأْوِي الـــذَّكَـــرُ؟
هَـــلْ غَـــيْـــرُكَ مِـــنْ أَحَـــدٍ يُـحْـيِـي؟
بَـــلْ فِـيـكَ الــقُـــدْرَةُ تَـنْـحَـصِـرُ!!
مَـــنْ هَـــبَّ لَـــهُ بَـــلَـــدٌ مَـيْـتٌ
- كَـالجِـيـفَـةِ - أَوْ عَـظْـمٌ نَـخِـرُ؟
مَـــنْ تَـعْـنُــو[2]طَـيْـرُ الجَـــوِّ لَـــهُ،
وَلِـهَـيْـبَـتِـهِ انْـــدَكَّ الحَـــجَـــرُ؟
هُـــوَ أَنْـــتَ فَـقَــطْ! لاَ شَـــيْءَ سِـــوَا
كَ لَـــهُ الجَـبَـرُوتُ أَوِ الْخَـطَـرُ[3]!
مَـــنْ يُـلْـهِـمُ بَـــالاً خَـــاطِـــرَةً
فَـــإِذا بِـالْـفِـكْـرَةِ تَـخْـتَـمِـرُ؟
كَـيْـفَ الـــرُّؤيَـــا تَـــأْتِـي؟ وَمَـتَـى
غَـــافٍ عَـــنْ وَعْـــيٍ يَـنْـبَـتِـرُ؟
مَـــا الـــوَعْـــيُ؟ وَمَـــا الـتَّـنْـوِيمُ؟ وَمَـــا
هُـــوَ كُـنْـهُ الـــرُّوحِ؟ وَمَـــا الـسُّـكْـرُ؟
لاَ يَـعْـلَـمُ مَـخْـلُـوقٌ شَـيْـئًـا
مِـــنْ ذَاكَ، قُـــصَـــارَاهُ الـــدَّجَـــرُ[4]

---

(١) صعروا: مالوا عن الحق.
(٢) تعنوا: تخضع.
(٣) الخطر: ارتفاع القدر والشرف والمنزلة.
(٤) الدَّجر: الحيرة والاندهاش.

أَمْـــرُ الـــرُّوحِ اسْـتَــأْثَــرْتَ بِــهِ؛
إذْ لَـيْـسَ لِـغَـيْـرِكَ يَـنْـسَـفِـرُ[1]
فَـتَـعَـالَـى جَـدُّكَ نَـافِـخُـهَا
فِـي طِـينٍ آفَـتُـهُ الْـبَـغَـرُ[2]!
وَنَـعُـبُّ الـمَـاءَ، فَـهَـلْ يَـصْـفُـو
بِـإرادَتِـنَـا أوْ يَـعْـتَـكِـرُ؟
مَـنْ سَـيَّـلَـهُ مِـنْ غَـازَاتٍ،
فَـهُـوَ الجَـارِي والمُـنْـتَـثِـرُ؟
مَـنْ ذَا يَـتَـحَـكَّـمُ فِـيـهِ إذَا
فِـي الجِـسْـمِ تَـغَـشَّـتْـهُ[3] الـدُّثُـرُ؟
مَـنْ مِـنَّـا يَـدْرِي مَـا يَـجْـرِي
فِـي دَاخِـلِـهِ أوْ يَـعْـتَـوِرُ؟
الـنَّـاصِـرُ أَنْـتَ، وَتَـعْـلَـمُـهُ؛
وَلَـنِـعْـمَ الـعَـالِـمُ، أيْ نُـصَـرُ[4]!
كَـلِـمَـاتُـكَ لَـيْـسَ لَـهَـا عَـدَدُ:
أَيُـعَـدُّ الـمَـاءُ أَوِ الـغَـبَـرُ؟
يَـتَـجَـلَّـى لُـطْـفُـكَ مَـشْـهُـودًا
فِـي كُـلِّ نَـوَاقِـصَ تُـجْـتَـبَـرُ[5]
.. فِـي كُـلِّ كَـمَـالٍ نِـسْـبِـيِّ
تُـبْـدِيـهِ لَـيَـالٍ أَوْ نُـهُـرُ

---

(١) ينسفر: ينجلي ويتّضح.
(٢) البغر: الشّرب بلا ريّ.
(٣) تغشته: غطّته؛ الدُثر: الأغطية.
(٤) ايْ نُصَر: يا ناصر.
(٥) تجتبر: تجبر وتصلح.

مَـــا مِـــنْ شَـــيْءٍ إِلاَّ خَـــضِـــلٌ[١]

بِـنَـعِـيـمٍ مِـنْـكَ، وَمُـنْـتَـورُ[٢]

وَيَــكَــادُ يَــقُــولُ: «خُــذُونِــي شَــا

هِــدَ إِثْــبَــاتٍ، إِنِّــي نَــكِــرُ[٣]!»

وَتَــكَــادُ الــنُّــعْــمَــى تَــنْــطَــقُ - فِــي

لَــسَــنٍ[٤] - بِــوُجُــودِكَ، وَالــعُــذرُ[٥]!

فَــبِــمَ الــعُــذْرَى لِــمَــنْ ارْتَــكَــسُــوا[٦]

وَلِــمَــنْ أَزْرَى بِــهِــمُ الــغَــرَرُ؟!

مَــعَ أَنَّ رِسَــالاَتِ الْمَــوْلَــى

ظَــهَــرَتْ فِــي الــعَــالَــمِ مُــذْ ظَــهَــرُوا

مِــنْ آدَمَ حَــتَّــى مُــوسَــى كَــمْ

مِــنْ مُــعْــجِــزَةٍ لاَ تَــقْــتَــسِــرُ[٧]؟!

وَأَتَــتْ - مِــنْ بَــعْــدُ - إِشَــارَاتٌ

بِــالــكَــلِــمَــةِ، تَــوَّجَــهَــا بَــكِــرُ[٨]

يَــحْــيَــى، وَلِــدَتْــهُ - إِذَنْ وَلِــدَتْ

بُــشْــرَى عِــيــسَــى! - عُــجُــزٌ عُــقُــرُ!

وَوِلاَدَةُ عِــيــسَــى دُونَ أَبٍ،

فَــسِــمَــاتُ نُــبُــوَّتِــهِ الْــكُــبَــرُ

---

(١) خضل: مبتل.

(٢) منتور: مصطبغ ومتلوّن.

(٣) نكر: داهٍ فطن.

(٤) لسن: فصاحة.

(٥) العُذُر: الأحوال.

(٦) ارتكسوا: ارتدّوا.

(٧) تقتسر: تجبر وتُكره.

(٨) بكر: صاحب بكور قويّ عليه، مبكر.

إِرْهَـــاصَـــــاتُ لِــبِــشَـــارَةِ أَحْـــ

ـــمَــدَ، وَالــبُــشْــرَى لاَ تَــنْــطَــمِــرُ!

وَالْـــوَعْــدُ مِـــنَ الــصُّــحُــفِ الأولَـــى:

هَــــــادٍ أُمِّـــــــيٌّ مُـــنْـــتَـــظَـــرُ!

وَأَرَدْتَ كَـــمَـــالاً لِـلــنُّــعْــمَــى،

وَبَـــــلاَغَ الــنَّـــاسِ: فَــقَــدْ سَــــدَرُوا

فَــــأَخَـــذْتَ بِـــأيْـــدِيـــهِـــمْ لَمَّــا

أَهْـــدَيْـــتَ الــرَّحْــمَــةَ تَـبْــتَـدِرُ

فَــبَــعَــثْــتَ بِــجِــبْــرَائِــيــلَ إِلَـــى

جَــبَـــلٍ فِـيــهِ الـــذِّكْـــرُ الْــعَــبِــرُ

إِذْ كَـــانَ الــرَّحْــمَــةُ فِـــي غَـــارٍ

يَــتَــحَــنَّـــثُ ثَـــمَّ وَيَـــنْـــحَـــدِرُ

(.. وَحِــــرَاءُ الْمَحْـــرَاةُ - الأخْـــرَى

بِــالخَــيْــرِ يُــنَــزَّلُ - والــقُــتُــرُ[1]

... فَــهُــنَــا ظَـــلَّ المَـــأمُـــونُ عَــلَـى

دَأَبٍ بِـــالخَــلْــوَةِ يَــجْــتَــمِــرُ[2])

فَــهُــوَ المُــتَــحَــنِّــفُ[3]، لَــمْ يَــعْــرِفْ

فَـــمَـــهُ إِشْـــــراكٌ أوْ نَـــتَـــرُ[4]!

تَـــدْعُـــوهُ أمِــيــنًــا - بِــالــتَّــعْــرِيــ

ــفِ - قُــرَيْــشٌ أَمْـــسِ وَتَــفْــتَــخِــرُ!

---

(١) القتر: الناحية والجانب.

(٢) يجتمر: يتبخّر، اي يكثر من الخلوة.

(٣) المتحنّف: المتعبّد على ملّة إبراهيم.

(٤) نتر: فساد

مِـــنْ دَعْـــــوَةِ إبْــراهِـيــمَ ويــشْـ

ـــرَى عِـيسَـى كَــانَ لَــهُ الْـبَـكَـرُ[1]

بَـــدَأتْـــهُ الـــرُّؤْيَـــا صَـــادِقَـــةً

بـاسْـتِـشْـفـافٍ لاَ يَـنْـكَـدِرُ

.. تَـتَـحَـقَّـقُ مِـثْـلَ الـصُّـبْـحِ ذَرَا[2]

فَـبَـدَا، حَـتَّـى انَ الـعَـفَـرُ[3]

فـأتـاهُ الـوَحْـيُ عَـلَـى قَـدَرٍ،

وَبِـأمْـرِكَ يَـأتَـمِـرُ الـقَـدَرُ!

وَأَمَـــرْتَ مُـحَـمَّـدًا الْـمُـهْـدَى

أَنْ يَـقْـرَأَ.. فَـانْـبَـعَـثَ الـطُّـهـرُ!

وَبِمَـبْـعَـثِ أَحْـمَـدَ قَـدْ فُـتِـحَـتْ

أبْـــوابُ هــــدَاكَ لِـمَـنْ كَـفَـرُوا

فَـهْـوَ الـمِـفْـتَـاحُ - عَـلَـيْـهِ صَـلاَ

تُـكَ، ثُـمَّ سَـلاَمُـكَ - وَالـشَّـبَـرُ[4]!

أَشْـبَـرْتَ عِـبَـادَكَ مِـنْـهُ سَـنًى

وَغِـنًـى وَمُـنًـى لاَ تَـهْـتَـوِرُ!

وَتَـلاَحَـقَ وَحْـيُـكَ فِـي نُجُـمٍ[5]،

وَرَسُـولُ الـرَّحْـمَـةِ مُـنْـبَـهِـرُ[6]

آيَـــاتٍ تَـتْـرَى أوْ سُـوَرٍ

أمْـسَـى يُـؤْتَـاهَـا الْـمُـضْـطَـبِـرُ

---

(١) البَكَر: التبكير، المبدأ.

(٢) ذرا: مرَّ سريعًا، ارتفع.

(٣) العَفَر: أول سقية سُقيها الزرع.

(٤) الشبر: العطية والخير.

(٥) نجم: قطع متفرقة.

(٦) منبهر: مبالغ، لم يدع جهدًا.

فَـيُـلَـقِّـنُـهَـا صَـحْـبٌ زُهُـرُ

مِـنْ فِـي[1] مُـهْـدَاكَ لِـيَـنْـجَـبِـرُوا

فَـجَـبَـرْتَ مَـصَـايِـرَ مَـنْ صَـارُوا

بِـكَ أفْـضَـلَ قَـرْنٍ يُـقْـتَـفَـرُ[2]

لِـلـذِّكْـرِ وَعَـوْا، لِـلـهِ سَـعَـوْا

لِـلْـخَـيْـرِ دَعَـوْا مَـهْـمَـا قَـدِرُوا

لِـلْـحَـقِّ رَعَـوْا لِـلْـكُـفْـرِ نَـعَـوْا

إِذْ أحْـيَـاهُـمْ كَـلِـمٌ ذَكِـرُ

يَـسَـعُ الأَرَضِـيـنَ - وَمَـا وَسِـعَـتْ! -

مِـنْ آيٍ لَـفْـظٌ مُـخْـتَـصَـرُ!

الْـغَـيْـبُ عَـيَـانٌ فِـيـهِ يُـرَى

وَهُـدَى الْـمُـتَـلَـمِّـسِ وَالْـخَـبَـرُ!

قَـصَـصُ الْـمَـاضِـيـنَ تُـزَيِّـنُـهُ،

وَدَوَاءُ الْـمُـهْـجَـةِ[3]، والْـعِـبَـرُ!

دُسْـتُـورُ حَـيَـاةٍ مُـكْـتَـمِـلٌ،

وَضَـمَـانُ نَجَـاةٍ مُـسْـتَـطَـرُ

وَشَـرِيـعَـةُ مُـجْـتَـمَـعٍ وَرِعٍ

يَـزَعُ[4] الْـمُـعْـوَجَّ، فَـيَـنْـأطِـرُ!

بِـلِـسَـانِ الْـعُـرْبِ أَتَـى دُرَرًا

فَـشَـفَـتْ وَتَـلألأتِ الـدُّرَرُ!

---

(١) في: فم

(٢) يقتفر: يُتَبع.

(٣) المهجة: الرّوح.

(٤) يزع: يكفّ عن الهوى؛ ينأطر: ينعطف.

حَـــــارَتْ قَـــــوْمٌ لَمَّـــا سَـــمِـــعُـــوا
جَــرْسًــا يَـسْـبِـي: هَــلْ هُــمْ سُـحِــرُوا؟
بَـــــدَأَ الـــــفـــــاروقُ تِـــــلاَوَتَــــهُ
بِـــحَـــمِـــيَّـــةِ كُـــفْـــرٍ تمـــتَـــئِـــرُ[1]
وَبِـــفِـــعْـــلِ مَـــــذَاقِ حَـــلاوَتِـــهِ
وَسُـــطُـــوعِ سَـــنَـــاهُ صَـحَـا عُـمَـرُ!
وَمَـــشَـــايِـــخُ مَـــكَّـــةَ قَـــدْ سَـــجَـــدُوا
لَمَّـــا سَـــمِـــعُـــوهُ، وَمَـــا شَـــعَـــرُوا
فَـــهُـــوَ الْمُـــتَـــحَـــكِّـــمُ إِذْ يُـتْـلَـى
فِـــي المَـسْـمَـعِ، لَـــوْ هُـــوَ مُـنْـفَـغِـرُ[2]
وَالـــهـــادِي الْحَـــقُّ إِلَـــى رُشْـــدٍ
- لَـــوْ قَـلْـبُ الـسَّـامِـعِ مُـدَّكِـرُ! -
بِـــشَـــهَـــادَةِ عَـــدْلٍ مَـــا زَالَـــتْ
تَـــطْـــوِي الأحـــقـــاب، وتَـــشْـــتَـــهِـــرُ:
مِـــنْ جِـــنٍّ قَـــدْ صُـــرِفُـــوا فَـــهُـــدُوا
لِـــلـــرَّنَّـــةِ[3]، فـــانْـــزَاحَـــتْ سُـــتُـــرُ!
نَـــفَـــرٌ مِـــنْـــهُـــمْ سَـــمِـــعُـــوا عَـــجَـــبًـــا،
وَإِذِ اسْـــتَـــمَـــعُـــوا شُـــدِهَ الـــنَّـــفَـــرُ
فَـــأَتَـــتْ فِـــي الـــتَّـــوِّ شَـــهَـــادَتُـــهُـــمْ
قُـــرْآنًـــا تَـحْـفَـظُـــهُ الـــعُـــصُـــرُ!!

(١) تمتئر: تعتقد العداوة.
(٢) منفغر: منفتح.
(٣) الرّنة: الصوت الحزين، والمقصود تلاوة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

بَـــارَى[1] فُــصَــحَـــاءَ الــعُــرْبِ، فَـمَـا

لِــبَـــيَـــانٍ لِـــســـانٍ يُـــحْـــتَـضَـــرُ؟

بُـــهِــتَ الـبُـلَـغَـاءُ فَـمَـا نَـطَـقُـوا:

مِـــنْ مَـــأمَـــنِـــهِ يُـــؤتَـــى الحَـــذِرُ!

وَالأَلْـسِــنَـــةُ الــهــمَــرَى[2] سَـكَـتَـتْ:

فَـلَـقَـدْ قُـطِـعَـتْ مَـنْـهَ الـعُـكَـرُ[3]!

عَـــجِـــزَ الـــعَـــرَبُ الأَقْـــحَـــاحُ كَـمَـا

أَعْـيَـا نَـفَـسَ الـغَـرْقَـى سَـــدِرُ[4]!!

لَـــكِـــنَّ عِـــنَـــادًا أَوْدَى بِـالـ

ـكُــفَّـارِ فَـمَـا تُـغْـنِـي الـنُّـذُرُ

وَمُـــعَـــانِـــدُ ذِكْـــرِكَ مَـغْـبُـونٌ،

تَـعِـسَ المُـتَـأَخِّـرُ والأَخِـــرُ[5]!

نَـتْـلُـوهُ، فَـنَـلْـحَـظُ فِـيـهِ رُؤًى،

وَتَـــلُـــوحُ لأَعْـيُـنِـنَـا صُـــوَرُ

وَنَـــعُـــودُ، فَـيُـحْـدِثُ مُـعْـجِـزَةً

تَـتَـجَـدَّدُ، لَـيْـسَـتْ تَـنْـدَثِـرُ!

لَمَّـــا قَـــرَأَ الــلَّــفْــظَــيْنِ هُـنَـا

- مَـثَـلاً - قَـــوْمٌ سَـبَـقُـوا ذَبِـــرُوا[6]:

---

(١) باري: تحدّى.

(٢) الهمرى: الصَّخابة.

(٣) العكر: جمع عكرة وهي أصل اللسان.

(٤) الأقحاح: جمع قحّ وهو الخالص؛ سدر: البحر.

(٥) الأخر: الأبعد المتأخر عن الخير.

(٦) ذبروا: فهموا.

غَرَفُوا، فَإِذا رُوَيَتْ هِمَمُ
- مُتَضَلِّعَةٌ[1] - بَقِيَ النَّهَرُ!

وَتَطَوَّرَ عِلْمُ مُكْتَسَبُ
نُسْقَى مِنْ أَشْطُرِهِ القُرَرُ[2]..

.. فَبَدَا - عَرَضًا! - فِي «نَنْقُصُها»
وَ«دَحَاهَا» مَعْنًى مُبْتَأَرُ[3]!

وَالمُحْكَمُ سَائِرُهُ كَلِمُ
أَبَدًا عَنْ خَبْءٍ تَنْقَشِرُ!

بَعَثَ الأَمْوَاتَ بِحِكْمَتِهِ،
فَوَفَاةُ القَلْبِ لَهَا سُؤَرُ[4]،

حِكَمٌ لَمْ تُهْمِلْ مِنْ شَيْءٍ،
أَيُفَرِّطُ فِي الكَشْفِ الوَهَرُ[5]؟

لَكِنَّ الفَهْمَ لَدَيْنَا مَحْـ
ـدُودٌ فِي الشِّدَّةِ مُنْدَجِرُ[6]:

وَكَذَلِكَ يُنْسَبُ نِسْبِيٌّ
لِلْمُطْلَقِ: عَجْزٌ مُنْكَسِرُ!

وَكَأَيِّنْ مِنْ إِعْجَازٍ فِي
مَعْنًى وَمَبَانٍ يَنْسَجِرُ[7]!

---

(١) متضلعة: منتفخة أضلاعها من كثرة الشّرب.
(٢) القرر: جمع قرّة، وهي الحسوة.
(٣) مبتأر: مخبًا، مدّخر.
(٤) سؤر: فضلات وبقايا.
(٥) الوهر: التوهج.
(٦) مندجر: مرخيّ.
(٧) ينسجر: يمتلئ أو يتوقد.

مَـــنْ عَـــدَّدَهَـــا فَـــلَـــسَـــوْفَ يَـنِـي،

وَعَـلَـيْـهِ الـعَـدُّ سَـيَـشْـتَـغِـرُ[1]!

والإعْـــجَـــازُ الـــبَـــادِي أثَـــرٌ

فِـي بَـــدْوٍ جَـــاءَ وَهُـــمْ نَـشَـــرُ[2]

فَـعَـشَـائِـرُهُـمْ كَـانَـتْ مِـزَقًـا،

فَـــإذَا عَـقَـــدُوا صُـلْـحًـا غَـــدَرُوا

كَـانُـوا فِـي جَـهْـلٍ: فَـالـدُّنْـيَـا

تَمْـضِـي قُـدُمًـا، وَهُـــمُ الأُخُـــرُ

أمّـــا الـــقُـــرْآنُ فَـبَـدَّلَـهُـمْ

بِـالجَـهْـلِ حُـلُـومًـا[3] لا تـغِـرُ

وسَـــلاَمًـــا بِـــالإشْـــرَاكِ: فَـهُـم

سِـلْـمٌ لـك – ربِّـي – قَـدْ بَـشِـرُوا،

فَـــإذا بِـــالـــبَـــدْوِ لـهـم رأيٌ

خَـضَـعَـتْ لِحَـصَـافَـتِـهِ الحَـضَـرُ!

وَمِـــنَ الـصَّـحْـراءِ لِـمُـلْـكِ الأرْ

ضِ، بـدا فِـي الـرَّمْـلَـةِ مُـنْـفَـجَـرُ[4]!

ذكـــرٌ – والـلـهِ! – لـهـم حـقًّـا!

صـدقـتْ كَـلِـمـاتُـكَ فـانْـتَـصَـرُوا!!

وَكِـتَـابُـكَ – ربِّـي – سَـلَّـحَـهُـمْ،

بَـلْ أصـلـحـهُـمْ، حـتَّـى[5] حَـدَرُوا

---

(١) ينى: يكل ويتعب؛ يشتغير العد: يكثر ويتسع ويعظم.

(٢) نشر: متفرقون بلا رئيس.

(٣) حلوما: جمع حِلم، وهو العقل والأناة، تغر: تمتلئ حقدا.

(٤) منفجر الرمل: طريق يكون فيه.

(٥) حدروا: أسرعوا.

وَعَجَائِبُهُ مَا زالَتْ فِيـ
ـنَا، ذَلِكَ إعْجَازٌ حَضُرُ[1]!

وَالـيَوْمَ تَوالى فِيهِ بُحُو
ثٌ، تَكْشِفُ عَمَّا قَدْ حَزَرُوا!

فَتَبَيَّنَ - مِنْ إحْصَاءاتٍ -
إعْجَازٌ حَرْفِيٌّ غُدَرُ[2]

قَسَمًا مَا كَانَ بِلاَ حَاسُو
بٍ، أوْ إلْهَامٍ يَنْسَبِرُ[3]

فَالأحْرُف - إذْ تَتَضاعَفُ فِي
مَتْنٍ - تَتَخَلَّلُهَا سِرَرُ[4]

أعْدَادٌ يُسْتَجْلَى مِنْهَا
تَرْتِيبٌ، لا وَضْعٌ نَثَرُ[5]

وَعِبَاراتُ لِتَكَرُّرِهَا
نَسَقٌ ذُو مَغْزًى، أوْ صَوَرُ[6]

وَإشَاراتٌ لا يَفْهَمُهَا
عَجْلَى القُرَّاءِ، وَلاَ الصُّبُرُ

فَإلَى أنْ تَأتِي كَاشِفَةٌ
سَيَظَلُّ بِهَا خَبْأً ثَمَرُ!

سُبْحَانَكَ يَا مَن أنزَلَهُ
حُكْمًا عَرَبِيًّا يَزْدَجِرُ

(١) حضر: الحاضر الجواب؛ ذو البيان.
(٢) غدر: بقية.
(٣) ينسبر: يدرك ويقاس.
(٤) سرر: جمع وجمعه أسارير: وهي الخطوط.
(٥) نثر: مشتّت، منتشر.
(٦) صور: ميل، أي لذلك.

إذْ لاَ يَأتِيهِ البَاطِلُ مِنْ

أَيِّ الجِهَتَينِ[1]، ولا يَتِرُ!

وَيُمَثِّلُ إعْجَازًا سَبْقُ

لِمَبَادِئَ أَنْكَرَهَا الغُمِرُ[2]

كَمْ لاَقَاهَا فِي البَدْءِ أَذىً

أوْ تَلْفِيقَاتٌ، أوْ سَخَرُ!

لَكِنَّ كِتَابَك محفوظٌ،

ومبادئه لا تَجْتَفِرُ[3]!!

جَعَلَ الحُرِّيَّةَ لِلإنْسا

نِ: أطِيعُوا المَوْلَى، أوْ فَذَرُوا!

جِنْسُ البَشَرِيَّةِ كَرَّمَهُ:

فَالواجِبُ والمُعْطَى دَرَرٌ[4]،

بَلْ حَرَّرَ كُلَّ كَرِيمٍ مِنْ

رِقِّ الأرْبَابِ، وَهُمْ هَدَرٌ[5]

فَالسَّادَةُ دِينُوا فِي النَّدَرَى[6]

وَالقَيْصَرُ أيْضًا والنَّعَرُ

فَمُدَارُ الأمْرِ عَلَى الشُّورَى،

وَمَنَاطُ السُّلْطَةِ مُؤْتَمَرُ!

---

(١) أيّ الجهتين: بين يديه ومن خلفه؛ يَتِر: ينقصه أو يدركه بمكروه.

(٢) الغمر: الذي لم يجرب الأمور.

(٣) تجتفر: تنقطع، أو تذل.

(٤) درر: متقابلة، على قصد واحد.

(٥) هدر: الذين لا خير فيهم.

(٦) الندرى: فيما بين الأيام.

رَفَـــعَ الـــقُـــرْآنُ بَـــنِـــي الإنْـسَـــا

نِ، وَفَـضَّـلَـهُـمْ، أَفَـمَـا فَـكَـرُوا؟

أعْـطَـاهُـمْ أَمْـــسِ حُـقُـوقًـا لَـمْ

يَـبْـلُـغْـهَـا لِـــلآنَ الـبَـشَـرُ!

بِمُـــسَـــاوَاةٍ قَـــدْ بَـشَّـــرَ بَـيْـ

ـنَ الـنَّـاسِ، فَـإنْ وَقِـــرُوا[1] شَـطَـرُوا!

عَـلِـمَ الأَخْـيَـارُ عَـجَـائِـبَـهُ،

فَـمَـضَـوْا يَـتْـلُـونَ، بِـهِـمْ ضُـمُـرُ[2]

وَتَـعَـضُّ عَـلَـيْـهِ نَـوَاجِـذُهُـمْ،

فَـيُـقَـرِّبُـهُـمْ إذْ هُـمْ شُـطُـرُ[3]

فَـتُـحَـدِّثُ فِـي المَـلأِ الأعْـلَـى

بِـتِـلاَوَتِـهِـمْ... عَـظُـمَ الـفَـخَـرُ!

فَـاجْـعَـلْـنِـي مِـنْـهُـمْ، مُـعْـتَـصِـمًـا

بِـكِـتَـابِـكَ، تَـرْفِـدُنِـي[4] دِرَرُ

وَاجْـعَـلْـهُ رَبِـيـعَ فُـؤَادِي - يـا

رَبِّـي - وَلْـيَـحْـدِقْ[5] بِـي خَـفَـرُ

بَـرَكَـاتُ فَـاضَـتْ مِـنْـهُ عَـلَـى

مَـنْ، صَـارُوا أَهْـلاً، فَـاشْـتَـكَـرُوا[6]

---

(١) وقروا: صمّوا؛ شطروا: صاروا شطّارًا، أي عصاة مارقين.

(٢) ضُمُر: هزال، أي من عكوفهم عليه وتدبّرهم معانيه وهمّهم بأمر الآخرة.

(٣) شطر: بعيدون.

(٤) ترفدني: تمدّني؛ درر: جمع درّة، وهي هطول الغيث أو كثرة اللبن.

(٥) يحدق: يحيط.

(٦) اشتكروا: نبتوا في أصول ما هو أكبر منهم.

وَاجْـعَـلْـنِـي فِـي أهْـلِ الـقُـرْآ

نِ كَـمَـا لَـزِمَ الْـقَـوْسَ الْـوَتَـرُ:

أَقْـفُـو شُـهَـدَاءَ عُـلاه.. فَـهُـمْ

فُـلْـجٌ حَـاكَـاهُـمْ مُـؤْتَـشِـرُ[1]!

وَلَـئِـنْ أتَـطَـفَّـلْ بَـيْنَ كِـرَا

مٍ، بَـاعُـوا أنْـفُـسَـهُـمُ فَـشُـرُوا

فَـمَـعَ الْـمُـسْـتَـحْـضَـرِ[2] قَـدْ يُـؤْتَـى

رِزْقًـا فِـي المَـأْدُبَـةِ الْحَـضِـرُ!

وَأقِـرُّ بِـأنِّـي لَـسْـتُ كَـمَـنْ

مُـلِـئُـوا بِـالْخَـيْـرِ.. أنَـا الـصَّـفِـرُ[3]

هُـمْ شَـعُّـوا إيـثَـارًا، لَـكِـنْ

- بَـدَلَ الإيـثَـارِ - أَنَـا أَثِـرُ[4]

وَإِلَـى لَـهْـوِي مِـنْ سَـهْـوِي لاَ

أَلْـوِي أَوْ يَـرْدَعُـنِـي قَـعَـرُ[5]!

لِمَـتَـاعِ الـدُّنْـيَـا بِـي شَـرَهٌ،

فَـأَنَـا بَـجِـرٌ[6] مَـجِـرٌ نَجِـرُ

وأغَـالِـبُ شَـيْـطَـانِـي حِـيـنًـا

وَمِـرَارًا ثَـمَّـةَ أَنْـدَحِـرُ!

---

(١) مؤتشر: متفلّج، يصطنع الفلج بين أسنانه.

(٢) المستحضر: المدعو؛ الحضر: دون دعوة، الطفيليّ.

(٣) الصفر: الخالي.

(٤) أثر: أناني.

(٥) قعر: عقل تام.

(٦) بجر: من يشرب ولا يرتوي، وبجر ونجر مرادفتان أو إتباع.

أَبْـتـاعُ الـيَـهْـيَـرَّى[1] سَـفَـهًـا

وَالْـبَـائِـعُ خَـصْـمٌ مُـقْـتَـشِـرُ[2]!

قَـدْ ضَـاعَ شَـبَـابِـي فِـي عَـبَـثٍ:

أَوَ بَـعْـدَ شَـبَـابٍ مُـعْـتَـصَـرُ[3]؟

يَـا وَيْـحِـي! أَيْـنَ أَنَـا مِـمَّـنْ

رَاضُـوا الأَمَّـارَةَ[4] وابْـتَـهَـرُوا؟!

مَـالِـي إلاَّ الـتَّـوْحِـيـدُ عُـرًى

فَـأَمُـتُّ إِلَـيْـهِـمْ وَالـذِّكَـرُ

.. وَأَمَـامَـكَ تَـسْـأَلـي بِـهِـمَـا

أَسْـتَـسْـهِـلُ[5] مِـنْـكَ، فَـهَـلْ أَعِـرُ؟

حَـاشَـاكَ - إِلَـهِـي! - أَنْ تَـأْتِـي

مَـنْ قَـامَ بِـذَيْـنِ، فَـيَـنْـفَـقِـرُ[6]!

.. وَإِلَـى حُـبِّـي إِيَّـاكَ أَضِـيـ

ـفُـهُـمَـا، فَـغَـسَـانِـي أَغْـتَـمِـرُ[7]!

فَـأُحِـبُّـكَ حُـبًّـا زَلْـزَلَـنِـي،

وَبِـحُـبِّ رَسُـولِـكَ أَعْـتَـجِـرُ[8]

وَأَنَـا - مَـعَ ذَلِـكَ! - ذُو قُـلٍّ،

وَقَـرِيـبُ[9] الـهِـمَّـةِ، مُـقْـتَـصِـرُ

(١) اليهيري: السّراب، الباطل.

(٢) مقتشر: متجرّد، عارٍ، أي ظاهر العداوة.

(٣) معتصر: العمر والهرم.

(٤) الإمارة: بالسّوء أي النفس؛ ابتهروا: جدّوا، أي في العبادة.

(٥) أستسهل: أصلب اليسرى والتسهيل لها؛ أَعِر: أصبح وعرًا، قاسيًا.

(٦) ينفقر: ينكسر ظهره.

(٧) أغتمر: يعلوني الماء ويغطيني.

(٨) أعتجر: أتعمّم، أي أتخذه عمامة.

(٩) ذو قلّ: لا أستكثر من العمل الصالح؛ قريب الهمة: أي في الطاعات.

فَأَعِنِّي - رَبِّ - عَلَى نَفْسِي
بِالقُرْبِ إذَا جَاءَ السَّحَرُ!
وَتَبَارَكَ مَنْ بُسِطَتْ يَدُهُ
لِيَتُوبَ مُسِيءٌ مُعْتَذِرُ
فَبِدُونِ التَّوْبَةِ لَنْ تَبْقَى
حَيْرِيَّ الدَّهْرِ[1] لَنَا دِيَرُ؛
وَالنَّاسُ - وبِالضَّعْفِ اتَّصَفُوا -
مَا إنْ ضَعفُوا حَتَّى خَسِرُوا!
إنَّ الإنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ
فَعَسَى إحْسَانُكَ يَنْثَجِرُ[2]،
إذْ نحنُ بَنُو مَاءٍ بَدْءًا،
جَافَانَا مُذْ ذَاكَ الْيَرَرُ[3]!
وَلَقَدْ أَسْقَطْتَ لَنَا حُجَجًا
بِالذِّكْرِ، فَرَاحَتْ تَنْضَمِرُ!
وَأَقَمْتَ عَلَيْنَا حُجَّةَ مُقْـ
ـتَدِرٍ فَأَحَاطَ بِنَا حَصَرُ..
وَالحُجَّةُ جَسَّدَهَا بَشَرٌ
مَشْرُوحُ الصَّدْرِ وَمُشْتَمِرُ
خُلُقًا هُوَ تَرْجَمَةٌ مُثْلَى
لِكِتَابِكَ يُدْرِكُهَا البَصَرُ

---

(1) حيريّ الدهر: أبدًا.
(2) ينثجر: ينفجر، ينبعث سائلا.
(3) اليرر: الصلابة.

قَدْ زَانَ سَجَايَاهُ الحُسْنَى

رِفْقٌ، ونَأى عَنْهَا خَوَرُ

بَرٌّ بِالنَّاسِ - يُسَايِرُهُمْ،

إلاَّ فِي مَعْصِيَةٍ! - يَسَرُ[1]

بِالنَّفْسِ يُوَاسِي لَوْ مَسَّى

أَدْنَاهُمْ مَنْزِلَةً عُسرُ!

يَسْتَفْهِمُ - قَصْدَ مُدَاعَبَةٍ

لِعُمَيْرٍ -: مَا فَعَلَ النُّغَرُ[2]؟

فَيُلاَطِفُ - فِي مِقَةٍ[3] - طِفْلاً

وَهُوَ المُنْشَقُّ لَهُ القَمَرُ!

دَمِثُ الأخْلاقِ، فَلَمْ يُسْمَعْ

أبَدًا لِلْخَادِمِ يَنْتَهِرُ

لَمْ يَرْضَ لَنَا عَنَتًا[4] أبَدًا

فِدَاهُ الأَنْفُس والبِدَرُ[5]!

لِلْحَقِّ تَجَرَّدَ.. لَمْ يَقْبَلْ

بِمُسَاوَمَةٍ، مَهْمَا وَأَرُوا[6]

فَرَفَعْتَ قَدِيمًا قُدَمَتَهُ[7]

لِيَكُونَ مُقَدَّمَ مَنْ عَبَرُوا..

---

(١) يسر: سهل، لين الانقياد.

(٢) النغر: طائر، والإشارة هنا للقصة المعروفة حينما كان صلى الله عليه وآله وسلم يسأل عميرا: يا عمير، ما فعل النُّغَيْر؟

(٣) مقة: محبة.

(٤) عنتا: مشقة.

(٥) البِدَر: جمع بدرة، وهي الكيس فيه ألف أو عشرة آلاف، والمقصود الأموال.

(٦) وأروا: هددوا وخوّفوا وأرهبوا.

(٧) قدمته: المقدمة هي السابقة في الأمر.

وَحَلَفْتَ لَهُ قَسَمًا حَكَمًا
فِي المُؤمِنِ لَوْ قَوْمٌ سَبَرُوا
لاَ مُؤْمِنَ إلاَّ مَنْ رَضِيَتْ
بِقَضَائِكَ نَفْسُهُ والنَّظَرُ!
مَعْصُومُ حِجىً، قَوَّامُ دُجىً،
بَكَّاءُ شَجِىً، لَكَ مُعْتَمِرُ!
فَعَلَيْهِ صَلاَتُكَ - خَالِقَنَا! -
وَسَلامُكَ، مَا تُلِيَتْ سُوَرُ
وَعَلَيْهِ صَلاةُ مَلاَئِكَةٍ
فَرِغُوا لِجَلالِكَ مذْ أُثِرُوا
وَعَلَيْهِ وآلِهِ مِنْ بَرَكَا
تِكَ أشْمَلُها، فَهُمُ الغُرَرُ
لَمْ يَسْأَلْ غَيْرَ مَوَدَّتِهِمْ
أجْرًا أَوْ شَيْئًا يُدَّخَرُ
مَعَ أنَّ مَآثِرَهُ العُظْمَى
يَعْيَا أنْ يَحْسَبَهَا الشُّكُرُ[1]!
كَمْ مَدَّ عُرًى! كَمْ رَدَّ قُرًى
عَنْ صَوْلَةِ إشْرَاكٍ تَحِرُ[2]!
كَمْ حِلْسُ[3] ثَرًى رَبَّاهُ سُرًى
فَإذا بِذُرَى وَهِيَ الوَطَرُ!

---

(١) الشكر: جمع الشَّكور.

(٢) تحر: يسممها الغلّ والحقد.

(٣) حلس: ملازم.

فـي الأمْـر يُـشـاوِرُ: لا اسْـتِـبْـدا
دَ، كَـإِمْـرَةِ قـومٍ قَـدْ أُمِـرُوا[1]
فـإذا مَـا مَـسْـأَلَـةٌ عَـرَضَـتْ
وَتَـعُـمُّ، يُـعَـمِّـمُـهـا الـنَّـضِـرُ
يَـدْعُـو لِـصَـلاةٍ جـامِـعَـةٍ
- أيْ مُـؤتَمَـرٍ - حَـيْثُ الخَـيْـرُ[2]..
.. فَـيَـبِـتُّ الجَـمْـعُ - عَـلانِـيَـةً -
فِـيـمَـا يَـخْـتـارُ وَيَـخْـتَـبِـرُ!
وَالـصَّـادِقُ كَـانَ يُـعَـلِّـمُـهُـمْ،
ويُـقِـيـلُ الـعَـثْـرَةَ إنْ عَـثُـرُوا!
أسْـقَـى فَـرَوَى، وَوَقَـى، وأوَى،
وَرَوَى فَـحَـوَى، فَـطِـنٌ عَـطِـرُ!
صَـهَـرَ الـصَّـلِـداتِ بِـتَـرْبِـيَـةٍ
وَبِـهِ الـبُـعَـدَاءُ قَـدِ اعْـتَـشَـرُوا[3]
وأدَارَ مَـدِيـنَـتَـهُ الـفُـضْـلَـى
بِمُـؤاخَـاةٍ لا تَـنْـتَـشِـرُ[4]
فَـالـدِّيـنُ الحَـقُّ مُـعـامَـلَـةٌ
تُـدْنِـي الـقَـاصِـينَ وتَمْـتَـشِـرُ[5]!

(١) أمروا: صاروا أمراء، أي حكموا.
(٢) الخير: المقصود ما يعرف اليوم بالخيارات.
(٣) اعتشروا: تعاشروا.
(٤) تنتشر: تنقطع.
(٥) تمتشر: تجمع الكلأ.

لَـــمْ يَـــسْـــعَ سُـــــدًى، بَـــلْ طَـــمَّ هُـــدًى

بِمَــــــدًى وَصَـــــــدًى عَـــجَــبٌ جَــهِـــرُ!

مُــنْـــجٍ بِـــنَـــدًى - والخَـــلْـــقُ غَـــدًا

غَـــرْقَـــى[1] كَـــمَـــدًا! - لَمَّـــا جَـــأَرُوا

بَـــسَـــطَ الحَـــرِّيَّـــةَ، فـاسْـتَـغْـشَـى

أَعْـــــدَاءُ الـــفِــطْـــرَةِ وانْــــذَعَــــرُوا!

أَعْـــدَى مِـــنْ لَـــيْـــثٍ إنْ حَـــمِـــيَـــتْ[2]

أَنْــــدَى مِـــنْ غَـــيْـــثٍ يَـــغْـــتَـــدِرُ!

قَـــدْ قَـــامَ يُـــجَـــاهِـــدُ فِـــيـــكَ جِـــهَـــا

دًا، ظَـــلَّـــتْ تَـــرْوِيـــهِ الـــسِّـــيَـــرُ

لاقَـــــى أعْـــــــــدَاءَكَ فِــــي غَــــزَوا

تٍ، تِـــسْـــعٍ لَـــيْـــثًـــا يَـــهْـــتَـــصِـــرُ

وغَـــــزَا مِـــثْـــلَـــيْـــهَـــا دُونَ قِـــتَـــا

لٍ يَـــفْـــدِيـــهِ الـــنَّـــفَـــرُ الـــظَّـــفِـــرُ

لَـــكِـــنَّ بُـــعُـــوثَ عَـــسَـــاكِـــرِهِ

وَسَـــرَايَـــاهُـــمْ لَمَّـــا نَـــفَـــرُوا

لَـــثَـــمَـــانِـــيَـــةٌ مِـــنْ بَـــعْـــدِ ثَـــلاَ

ثِـــيـنَ، انْـــفَـــقَـــرَتْ[3] فِـــيـــهَـــا الـــفُـــقَـــرُ!

---

(١) غرقى كمدًا: أي غرقى في عرقهم من الكمد، والإشارة لما يحدث في اليوم الآخر حينما لا يجرؤ غير سيّد ولد آدم صلى الله عليه وآله وسلم على سؤال المولى عزّ وجلّ أن يرفع عن الخلق.

(٢) حميت: أي الحرب؛ يعتدر: ينهمر.

(٣) انفقرت فيها الفقر: كثرت فيها الدواهي.

فَالطَّعْنُ ظِئَارُ[1] أُنَاسٍ قَطْـ

ـطِ بِدونِ طِعانٍ مَا ظُئِرُوا!

كَمْ جَالَدَ عُبَّادَ الدُّنْيَا

بِزَوَاجِرِ حَقٍّ فَانْزَجَرُوا!

فَأنِلْنَا - رَبِّ - شَفَاعَتَهُ

فِيمَنْ سُتِرُوا ثُمَّ انْسَتَرُوا،

وَاحْشُرْنَا دَاخِلَ زُمْرَتِهِ:

فَإِلَيْكَ تُسَاقُ غَدًا زُمَرُ،

وَارْزُقْنَا خِدْمَةَ سُنَّتِهِ

زُلْفَى[2] حَتَّى يَقِفَ العُمُرُ،

فَنِهَايَةُ خَادِمِهَا نِعَمُ،

وَنِهَايَةُ هَادِمِهَا سَقَرُ!

مِنْ شَرِّ عِبَادِكَ أقْوامٌ

مَكَرُوا بِالسُّنَّةِ، وامْتَكَرُوا[3]،

خَلَعَ الْجَانُونَ مُعَذَّرَهُمْ[4]،

وتَمَادُوا سَاعَةَ قِيلَ[5]: «قِرُوا»!

وَكَأنَّ الهَمْسَ دَوِيٌّ!.. إِذْ

مَا قِيلَ «قِرُوا» حَتَّى وَقِرُوا!

---

(١) ظئار: مدعاة للعطف والإمالة؛ ظئروا: عطفوا.. أي أن الحرب ضرورية لتقويم بعض الناس وإرجاعهم إلى جادّة الحق.

(٢) زلفى: قربى.

(٣) امتكروا: تَخَضَّبوا.

(٤) خلعوا معذرهم: أي لم يطيعوا مرشدا.

(٥) قروا: فعل أمر من الوقار.

بِنِفاقٍ كَمْ غَرَسُوا فِينَا

مِنْ مُبْتَدَعاتٍ أوْ نَشَرُوا!

وَعِبَادَتُهُمْ عَمَلٌ نَزِقٌ

فإذا رُزِقُوا فِرَةً[1] أَفِرُوا

وإذا رُزِئُوا يَوْمًا قَتَرُوا

فَلَبِئْسَ القَوْمُ وَمَا خَتَرُوا[2]!

هَجَرُوا خَطًّا مَحْمُودَ خُطًى،

وَبِدِينِكَ سُمْعَةً ابْتَهَرُوا

دِينٌ نَصَبُوهُ فَقَطْ شَرَكًا

لِلدُّنْيَا، بُغْيَةَ أنْ يَفِرُوا

فَأضاعُوا الآخِرَةَ الأَبْقَى،

وَسَتَهْلَكُ فانِيَةٌ غُدَرُ[3]!

رَبَّاهُ!.. ألاَ جَنِّبْنَا أَنْ

نُغْرَى بِمَهَالِكَ تَهْذَخِرُ[4]!

وَاهْدِ اللّهُمَ مَنِ انْخَدَعُوا،

وَاتْرُكْهُمْ حَتَّى يَنْتَسِرُوا[5]

وَلْيَخْتَرْ كُلٌّ ما يَبْغِي؛

فَهُما هَدَفانِ لِمَنْ خَبَرُوا:

دُنْيَا أخَّاذَةُ شَكْلٍ.. أمْ

زُهْدٌ وَمَعادٌ مُسْتَتِرُ؟!

---

(١) فرة: وفرا؛ افروا: نشطوا.

(٢) ابتهروا: اشتهروا دون حق.

(٣) غُدَرُ: غَدَارة.

(٤) تهذخر: تختال وتتبختر.

(٥) ينتسروا: ينفكوا وينحلوا مما يربطهم.

وَالنَّاسُ مَذَاهِبُهُمْ شَتَّى،
وَبِسُوقَيْنِ اثْنَيْنِ اتَّجَرُوا
لِلأَوَّلِ دَرْبٌ مَطْرُوقٌ،
والآخَرُ مَسْلَكُهُ وَعِرُ،
فَرِجَالٌ تَتْبَعُهُمْ خَدَمٌ،
وتُؤَرِّخُ سِيرَتَهُمْ زُبُرُ
وَعِبَادٌ غُفْلٌ[1] زُهَّادٌ
بِالحَقِّ سَرَوْا، لِلحَقِّ أرُوا
وَأرَى الحِزْبَيْنِ: فَمُنْطَلِقٌ
- يَدْعُو الرُّوَّادَ - ومُنْشَمِرُ
أفْعَى وَذُبَابٌ[2] فِي مَثَلٍ
لأولي الألْبَابِ... لِيَعْتَبِرُوا!
فَوَضَاعَةُ مَظْهَرِهِ عِسَلٌ،
وَنُعُومَةُ مَلْمَسِهَا خَطَرُ!
مَا كُلُّ ذَوَاتِ الدَّرِّ[3] قَرَى:
فَمِنَ اللَّبَنِ المُزْجَى صَبِرُ!
أَإِذَا - رَغَبًا - حُلِبَتْ بَقَرُ
أَكَذَلِكَ يُحْتَلَبُ العُشْرُ؟!
مَا أشْفَى مَنْ لَبُّوا دَعْوَى
أعْدَاءِ الزُّهْدِ، فَقَدْ جَخِرُوا[4]!

---

(١) غفل: غير معروفين.

(٢) ذباب: ذباب العسل، أي النحل.

(٣) الدر: اللبن؛ قرى: أطعم؛ المزجى: القليل.

(٤) جخروا: امتلأت بطونهم فذهب نشاطهم وانكسروا.

والــــزُّهْــــدُ طَــرِيـــقَـــةُ سَــيِّــدِنَـــا:

فَـــالـــسُّـــنَّـــةُ مَـــصْـــدَرُهُ الخَـضِـــرُ

والحَــــــقُّ مُـــبِـــينٌ لاَ يُـخْـفَـى

- إبْـلِـيـجَـاجًـا[1] - أوْ يُـحْـتَـجَـرُ!

يَـــكْـــفِـــي أمْــــــرانِ لِــــرَدِّ ذَوِي

لُــــبٍّ لِـلـسُّـنَّـةِ لَـــوْ فَـــسَـــرُوا:

الْــبِــشْـــرُ عَــلَـــى وَجْـــهِ المُحْـيِـي

دَرْبُ المَـــعْـــصُـــومِ، فَـــلاَ كَـــدَرُ

وَغِـــيـــابُ الــــرَّدِّ إذا سَــــأَلُــوا

مُـتَـنَـكِّـبَـهـا[2]: لِـــمَ يَـنْـتَـجِـرُ؟!

بِمُـحَـمَّـدٍ الــرُّسْـــلُ اخْـتُـتِـمَـتْ،

وَبِـسُـنَّـتِـهِ نُـسِـــخَ الــضَّـــرَرُ!

فَـلَـسُـنَّـةُ أحْـمَـدَ مُـنْـتَـجَـعٌ[3]

مُـغْـرٍ، مُـثْـرٍ، خَـضِـرٌ، مَـضِـرُ

يَـجِـدُ الــسُّــعَــدَاءُ مَــآرِبَــهُــمْ

فِـيـهـا، وَيُـفـارِقُـهُـمْ وَضَـــرُ!

أنَّـــى تُـسْـتَـقْـصَـى رَوْعَـتُـهـا

فِــي شِـعْـرٍ أشْـطُـرُهُ[4] نُــزُرُ؟!

وَالأبْـــيـــاتُ المَــغْــمُــورَةُ ذِي[5]

جَــهْــدٍ مَـنْـقُـوصٍ مُـبْـتَـسَـرُ

---

(١) إبليجاجًا: وضوحًا وإضاءة.

(٢) متنكبها: عادلًا عنها متجنبًا إياها.

(٣) منتجع: منزل في طلب الكلأ؛ خضر: غُضٌّ؛ مضر: إتباع.

(٤) أشطره: أبياته أو أثداؤه؛ نزر: قليلات الدر.

(٥) ذي: اسم إشارة؛ مبتسر: في غير وقته، غير مناسب.

فَـاغْـفِـرْ لِـعُـبَـيْـدِكَ نـاظِـمِـهَـا،

وَهُـوَ الخَـطَّـاءُ المُـفْـتَـقِـرُ

وَارْحَـمْـهُ بِـأحْـسَـنِ خَـاتِمَـةٍ،

كَـيْـلا يَـتَـصَـيَّـدَهُ الـشَّـرَرُ،

وَاجْـعَـلْ فِـي الجَـنَّـةِ مَـنْـزِلَـةً

لِـذَوِي قُـرْبـاهُ، وإنْ غَـبَـرُوا[1]،

وَاقْـبَـلْ - بـالـفَـضْـلِ! - قَـصيـدَتَـه،

مَـعَ أنَّ بِـضَـاعَـتَـهُ الـعَـوَرُ!

وَزِدِ الحَـسَـنَـاتِ لِـمُـنْـشِـدِهَـا،

وَلِـسَـامِـعِـهَـا، وَلِمَـنْ حَـضَـرُوا!

وَلِـسَـائِـرِ أمَّـتِـنَـا هَـذِي:

وَبَـرٌ[2] أوَاهُـمْ أوْ مَـدَرُ

وَانْـصُـرْ أهْـلَ الإسْـلامِ عَلَـى

أعْـداءِ الـدِّيـنِ إذِ[3] اشْـتَـغَـرُوا

وَعَـلَـى بِـدَعٍ، وَهَـوًى خَـافٍ،

وَخِـلافٍ جَـافٍ يَـشْـتَـجِـرُ!

وَحِّـدْهُـم - رَبِّ! - عـلـى سُـنَنٍ[4]

كَـيْ يَـعْـتَـدِلُـوا، وَلِـيَـزْدَهِـرُوا

لِـتَـكُـونَ - إلَـهِـي! - غَـايَـتَـهُـمْ،

فَـإلَـيـكَ المـنْـجَـى والـوَزَرُ[5]!

---

(١) وإن غبروا: وإن قدموا.

(٢) وبر آواهم أو مدر: أي بدوًا وحضرًا.

(٣) اشتغروا: تطاولوا وافتخروا.

(٤) السنن: الطريق والنهج والوجهة.

(٥) الوزر: الملجأ.

وَصَفِيُّكَ يُصْبِحُ قُدْوَتَهُمْ

فِي الخَلْقِ، لِئَلاَّ يَنْفَطِرُوا

وَاجْعَلْ تَنْزِيلَكَ شِرْعَتَهُمْ

وَمَلاذَ النَّفْسِ إذا حُصِرُوا

وَالهِمَّةَ إعْلاَءَ العُلْيَا[1]:

فَالكُلُّ جَوَادٌ مُدَّخَرُ

وَيَكُون الشَّأنُ جِهَادًا فِيـ

ـكَ عَلَى مَنْ ضَلُّوا أوْ دَعَرُوا

وَاسْتِشْهَادًا؛ حتَّى يُنْفَى

أعْدَاءُ الدِّينِ، وَيَنْبَذِرُوا[2]!

وَقِهِمْ بِكِتَابِكَ مِنْ فِتَنٍ

كَثُرَتْ، وَلْتُخْطِئْهُمْ[3] غِيَرُ

أَلْزِمْهُمْ سُنَّةَ أحْمَدَ كَيْ

تَتَعَهَّدهُمْ مهما صبرُوا!

هَذِي حَاجَاتِي أَرْفَعُهَا

- مَوْلايَ الفَرْد! - ألاَ فَمُروا

بِزِيَادَةِ سُؤْلٍ أرْجُوهَا

بَعْدَ الحُسْنَى، يا مُقْتَدِرُ:

بِجَلالِ بَهَائِكَ كَحِّلْنِي،

وَأقَارِبَ لِي بِالشَّوْقِ بُرُوا[4]

---

(١) العليا: أي كلمة الله؛ مدّخر: مهيّأ ومعدّ للجهاد.

(٢) ينبذروا: يتشتّتوا.

(٣) غير: أحوال الدهر المتغيرة.

(٤) بروا: رقّوا ونحفوا.

أَبَــــوَيَّ وإخْـــوانِـــي وعَـشِـيـرَ

تَــنَــا، فــالأهْــلُ هُـــمُ الأهَـــــرُ[1]!

وَبَـقِـيَّـةَ إخـوانِـي فـي الـلـهِ، فَـهُـمْ -

لِـــنْ اسْـتَـسْـقَـى - هُـــجُــرُ[2]!

لَـــكَ فِـــي الأُولَـــى حَـمْـدُ يَـهْـمِـي

غَـــدِقًـــا، ثَـــرًّا لاَ يَـنْـحَـسِـرُ!

والآخِـــــــرَةُ الحَـــمْــدُ الأسـنَـى

فِـيـهـا حـكْـرُ لَـــكَ مُـحْـتَـكَـرُ!

وَصَـــلاتُـــكَ - رَبِّ - عَـلَـى الـهَـادِي

لِـــصِـــراطِـــكَ دعْـــهـــا تَـنْـهَـمِـرُ

وَعَـــلَـــى أسْـــــلافٍ مِـــنْ رُسُـــلٍ،

سَـبَـقُـوهُ زَمَـــانًـــا وَأتَـــبِـــروا[3]

وَالــعِــتْــرَةِ[4]، والأَصْـــحـــابِ، ومَـــنْ

تــبِـعُــوا المَـعْـصـومَ ومَـــا فَـتَـرُوا

وَعَـــلَـــى إخْـــــوانٍ حَــــدَّثَ عَـــ

ــنْـهُـمْ، هُـــمْ فِـــي سِـكَّـتِـهِ أُسَـــرُ

غُـــرَبـــاءُ، وقَـــدْ قَـبَـضُـوا جَـمْـرًا

طُـوبَـى لَـهُـمُـو، فَـقَـدِ أُنْـتُـقِـرُوا[5]!

---

(١) الأهر: ما بطن من متاع البيت.

(٢) هجر: أحواض عظيمة.

(٣) إئتبروا: استصلحوا نخلهم واستزرعوا.

(٤) العترة: الآل عليهم السلام.

(٥) انتقروا: اختيروا واصطفوا.

حَـــمَـــدُوكَ، وأحْـــمَـــدُكَ الـلـهُــمْ[1]

مَ فـــغُــفْــرانًــا يَـــا مُــغْــتَــفِــرُ

غُــفْــرَانًــا - رَبِّـــي - غُــفْــرَانًــا:

فَــبِــلاَ غُــفْــرَانِــكَ أُجْــــتَــــزَرُ[2]!!

****

(١) اللهمم: اللهمّ، رسمت هكذا لاعتبارات عروضية.

(٢) أجتزر: اقطّع وأنحر، أي أعَذَّب.

عبد القادر محمد أبه[1]

١ - لك الله يا قدس

[البسيط]

أيـن الجـهـابـذُ فـي الإسـلام هـل قُـبـروا؟
أم ابـتـلـوا فـجـأة لـكـنـهـم صـبـروا

صـبـرًا يـكـاد يـكـون الـيـأس شيمته
فـأيُّ صـبـر لـنـا والـهـود إنـتـصـروا

يـافـا، وحـيـفـا، وبـيـت الـقـدس، مقدسنا
قـد دنَّـسـتْـه بـقـايـا الـهـود والـكـفـر[2]

---

(١) عبد القادر محمد أبه: شاعر تشادي ولد في سنة ١٩٦٥ في العاصمة أنجمينا وتخرج من جامعة تشاد المعروفة الآن باسم جامعة أنجمينا سنة ١٩٩٠م بعد أن نال الإجازة في اللغة العربية. ثم نال شهادة التأهيل التربوي «المتريز» من المعهد العالي للعلوم التربوية بأنجمينا، والمعروف بـ «اليوسيد».

ويعمل مدرسًا للغة العربية بالمعهد العلمي الإسلامي، ويعد الشاعر من رواد التجديد في الشعر التشادي، ومن الثائرين على الأوضاع الاجتماعية والسياسية في بلاده، وفي العالم العربي.

وله ديوان شعري بعنوان «إعصار في فؤاد» لم يطبع. ويتسم شعر الشاعر بطابع التجديد. يقول: وغالب شعري بالشعر الحر لأنه يسمح لي أن أعبر عن الانفعال بحرية أوسع.

وحيث إن الشاعر نشأ في العاصمة أنجمينا ولم يبرحها إلى غيرها من المدن إلا أن العاصمة - كغيرها من عواصم الدول الإفريقية - تعج بالمتناقضات، من حيث الأيديولوجيات والعادات والعصبيات واللهجات، إضافة إلى الحروب الأهلية الآكلة للأخضر واليابس، وذاقت تشاد وعانت منه في حربها الأهلية سنة ١٩٨٠م، لذلك فإن شاعرنا لم يشعر بالرضا، ولا عرف الراحة والسعادة، فراح يُفرغ طاقاته في كتاباته الشعرية.

ولا غرو أن نجد شعره يتسم بالقلق والتمرد والثورة، فاتسم شعره بالاتجاه التجديدي الثائر.

لقاء بمنزلي مع الشاعر في العاصمة أنجمينا في ٢٠٠٢/٢/٢٤م.

(٢) هكذا ورد في الأصل.

عـاث الـيـهـود فـسـادًا فـي مـواطـنـنـا
وقـتَّـلـوا قـومـنـا صـبـرا وقـد قـهـروا

وشـردونـا وذلـونـا وقـد عـلـمـوا
نـحـن الـذيـن لـنـا الـتـاريـخ معتبر

يـا أيـهـا المسجـد الأقـصـى الـذي سجـدت
بـأرضـه جـبـهـة الأصـحـاب بـل عُـمَـرُ

مـسـرى الـنـبـي رسـول الـلـه قـد طـهـرتْ
مـر الـعـصـور فـلا الـتـدنـيـس لا الـعـهـر

فـكـيـف نـتـركـهـا لـلـهـود تـرتـعـهـا؟
نـسـل الـخـنـازيـر بـالـتـوراة قـد كـفـروا

قـد نـصَّبـوا الـعـجـل ربًّـا، كـم لـه سـجـدوا
بـنـو الـقـرود بـقـتـل الأنـبـيـا اشـتـهـروا

وكـيـف نـتـركـهـا لـلـهـود عـاصـمـة
يـا لـيـت شـعـري مـتـى الـهـيـجـا سَتـسـتـعرُ

ولـيـت شـعـري مـتـى تـأتـي الـجـمـوع ضـحـى
بـعـاديـات لـهـا هَـمٌّ هـو الـنـصـر

تـثـيـر نـقْـعًـا وتـوري الـقـدح عـاديـةٌ
تـطـارد الـهـود والأوبـاش مَـنْ فَـجَـروا

والـيـوم مـاذا تـرى فـي الـقـدس غـيـر دمٍ
يـسـيـل نـهـرًا ومِـقـلاعٍ بـه حـجـر

طفلُ الحجارة يا قلب، له عزمٌ

لعلّ عزمك في الإسلام ينتشر

وفي الأزقة آلْيَاتٌ لها هدرٌ

وتنفث النار تندكُّ بها القُصْر

ونَوْح ثكلى تنادي الولْد تندبه

أو موكبًا صارخًا يبكي له عبر

فتلك إذلالة تُزْدي كرامتنا

تقطِّع القلب إربًا وهو منفطر

عبر الإذاعات تنديد له جَلَبٌ

وداخل القاع جمْعٌ وهو مؤتمر

وفي الأخير قرار لا تعدُّ به

وكيف تعتدّ ما لم يجمع النفر

ولم تعدَّ لها خيلُ مسوَّمةٌ

ولم تناوش لما يظهر الخطر

لكِ اللهُ يا قدس السليبُ على المدى

ها نحن نأسى بدمع ليس ينهمر

ونحن نتلو قول الله نحفظه

أين النفوذ الذي أوصت به السُّور

أين الجهادُ الذي في النصر حقّ لنا

بل أين نجدتُنَا من تملأ السِّير

ماذا أصاب جموع المسلمين عسى

لغيرِ طريق الله قد نفروا

فغيَّر الله نصرًا قد أعدَّ لنا

لأن في نهجنا الإبدال والغِيَر

نحنُ جيوش رسول الله عزَّ لنا

طردُ اليهودِ من الأقصى فيا عبر

وما اليهودُ ومن ما يأتهم مدد

من (الولايات) إنْ ما أزمع النفر

هيا نفرُّ إلى القدُّوس نسألهُ

نصرًا وعونًا تعالى فهْو مقتدر

عبدالقادر محمد أبه ٢٠٠٢/١٠/٣م

****

٢ - حسرة الفراق

[الرجز]

لـلـه حـمـدًا ربـنـا نِـعْـمَ المعـين
إلـيـه نـشـكـو وبـه سـنـسـتـعـينْ

إلـيـه نـلـجـا فـي مـلـمـات الـسـنـين
ومـن زمـان دأْبُـه دومًـا ضـنـين

قـد كـان فـيـنـا نـخـبـة مـن عـالِـمـين
مـدرسـين مـتَّـقـينَ واعـظـين

ومـرشـديـنَ واهـبـين صـالـحـين
وعِـلْـمـهـم عـذبٌ زلالٌ مـن مَـعـين

مـعـينُ عـلـمِ خـاتَم لـلـمـرسـلـين
فـدرَّسـونـا عـلَّـمـونـا دائـبـين

عـلـى الـصـلاة والـصـلاح كـل حـين
والـعـلـم زانـهـم سَـنًـا عـلـى الجـبـين

والـيـوم جـلُّـهـم غَـدَوْا مـغـادريـن
مـغـادريـن الحـقـل والجـوعُ دفـين

يـا ويْـحَ قـلـبـي فَـتَّـهُ حـزنٌ دفـينْ
إيـابـكـم يـا لـيـتـه يـؤْجَـل سـنـين

يـقـول قـلـبـي بـاكـيًـا ومـلـئـه الحـنـين
لـو أنـهـم لـكـنْ ولاتَ حـين

انجمينا/ عبد القادر محمد أبه (٢٤/٦/٢٠٠٤م)

****

٣ - انتصار الروح

[البسيط]

يـا مـيُّ مـهـلًا أهـذا الحـب يشقيكِ

وإن شـقـيـت فـأشـعـاري تـواسـيـكِ

أنـا وأنـتِ خـصـيمًا تـلـكمُ إمـرأةٌ

كـانـت تجـادِلُـنـا فـي بـيـضـة الـدِّيـك

كـانـت تـعـانـدُ أقـدارًا تُـسـايـرنـا

كـانـت تـنـمُّ لأطـيـاف تـنـاجـيـك

كـانـت تـقـول إذا مـا قـلـت قـافيتي

هـذا الـفـقـيرُ أبـو الـكـلـمـات يقْـريك

نِـعْـم الـرجـال عـطـايـاهـم جـواهـرهـم

لـكـن ذا الـقـوم ألـفـاظـا سـيـهـديـك

عِـدِّي كـنـوز سـلـيـمـى مـن أحـبّتـهـا

مـاسٍ ولـولـو ومـرجـان تحـديـك

وأنـت مـا أنـت فـي أوسـاط مجـمـعـهـم

إلا كـحـلـمٍ سـرى فـي عـمـق مـاضـيـك

أنـتِ الجـمـالُ وأنـتِ الحـسـنُ ربّـتُـهُ

أنـتِ الـعـفـافُ وأنـتِ رمـزُ واديـك

والـيـوم عُـــدّت كــؤوس الـسـحـرِ تـنـزعـك

وذا المشـعـوذ بـالـكـلْـمـات يَـرْقـيـك

ثُـــوبـــي لـــرشـــدكِ فـــالأيـــامُ مـعـركـةٌ

ودولـــــــةٌ ثُـــــمَّ دهـــــرٌ قـــد يـعـاديـك

إذا طَـلـبْـتِ هـل الألـفـاظُ تـعـطيكِ

وإن مـرضـتِ هـل الأشـعـارُ تشـفيك

ولِّـــي بـلـحْـظِـك فــي الألـــوان واتـئـدي

ذا بـالـقـصـائـد يـهـذي ثـم يـؤذيـك

****

٤ - الطوطم[١]

فلسطينُ

يا نصلًا تغلغلَ في فؤادي

وانكسرْ

يا حجرًا بلهب القلب

ساحَ وانصهرْ

يا لذعةَ الموت المعبأِ في دمي المشنوق

من ملح البحرْ

فلسطينُ

يا داءً تَغَلْغَلَني منذ الصغرْ

يا نغم الطبولِ بقريتي في سكون الليلِ

تبكي تنتحبْ

يا وجع الزنوج بغابةٍ

لم تدغدغها السُحبْ

يا طوطم العرب المُنصب في دواخلنا

يحركه الغضبْ

---

(١) الطوطم: رمز أسطوري حيواني أو شكل إنساني عند بعض الأفارقة من باب التفاؤل وهي معربة من الفرنسية وتسمى توتام.

يا صرخة البطل المضَّرَّج واقفًا

ما هدّه يومًا تعبْ

يا ثديًا لعمتنا أطعناه

فأرضعنا الأدبْ

فلسطينُ

يا طفلًا صغيرًا عاش رميًا بالحجرْ

يا قصة الحجر الذي وصل القمر

حجرًا تحدى آلة الحرب

وما إن حسبناهُ حجرْ

يا طائر الفينيق في شمم تردى

ثم لملم موته لما تردى واندثرْ

من سبي بابل قد سرت في عزمه بعضُ العبر

وخيالُ خيبرٍ طاقة في يأسه رسمت أثر

وتسللت في عزة تسري به ذكري عمر

فإذا به قد طل منتفضًا ليرمي بالحجرْ

فلسطينُ

يا رعشةَ الصوت المكبل في دواخلنا

تعالى صارخًا حتى انتحرْ

فلسطينُ

يا دمَ الشهداءِ يرسمه خبرْ

يا حزنَ الأرامل والثكالى

يا اهتزاز اليتم من برد المطرْ

يا مأتمًا للعرس – تندبه خطب بمحضر مؤتمرْ

يا قمة الوزراء يا حقًّا يضيعه الهزرْ

يا موكبَ الشهداءِ في ألم يسطره القدر

يا خنجرًا في القلب مغروسًا على مرِّ العمرْ

أقضية الموت الذي قد عاد غرضًا للشعر

يا وصمة العار المكلل في جباه الإنس في هذا العصر

أبكيكَ في سري وفي شعري

وأمام الشاشة الصماء والمذياع

حتى في السمرْ

وفي انتظار الأمل يا قدسي

فصبرًا سوف نلعقه الصبر

حتى تنادي شجرة الزيتون في همس:

أيا رامي الحجرْ

هذا يهودي تخبَّى تحت جذعي

فاصنع به ما يصنعُ الإنسان في جنس البقرْ

حتى يحين الوقت يا قدسي

فصبرًا سوف نلعقه الصبر

يا اندحارًا انتصرْ

الأحد ١١/٥/٢٠٠٣م

أنجمينا/ عبد القادر محمد أبه

****

٥ - رجاء وعذر

[مجزوء الوافر]

أُريدكَ ترسمُ القَمرا
لُجينًا يُبْهِر النَّظرا

وتخلطه بياقوتٍ
فيصبحُ لونُهُ التِّبرا

أحبكُ تقطفُ الأزها
رَ، تسكبُهَا شذًى عَطِرا

وتهطلُ عطرها موجًا
فأعصرهُ لنا خمرا

أريدكَ تعزف الألحا
نَ، لحنًا يلهِبُ الجمرا

على قلبي ويحرقهُ
يحيلُ غرامَهُ جهرا

أحبُّكَ تسكرُ الغَيْما
تِ، حتى يسقطَ المطرا

فيغمرني ويغرقني
دوامًا داخلي بحرا

ليخمدَ ذلك الواشي
ويصبحَ حبُّنا سمرا

أحـــبـــكَ تـــخـــرسُ الأفـــوا

هَ، حـــتـــى أســـمـــع الــســحـــرا

تـــنـــظِّـــمُـــهُ وتـــنـــثـــرُهُ

جـــواهـــرَ جـــلَّـــهـــا دررا

أريـــــــدكَ تـــغـــزل الأنـــوا

ر، خـــيـــطًـــا طـــائـــلـــةً دهـــرا

أحـــبـــك فـــاســـقـــنـــي خـــمـــرا

مـــن الـــكـــلـــمـــات كُـــنْ ســـحـــرا

حـــبـــيـــبـــي ذق مـــعـــي حـــبًّـــا

عـــفـــافًـــا واســـقـــنـــي الـــطُّـــهـــرا

حـــبـــيـــبـــي وارونـــــي ســـحـــرًا

وفـــــــاءً وارســــــم الـــقـــمـــرا

****

عبد الواحد حسن السنوسي[1]

شاعر تشادي ولد في مدينة «فايا» سنة ١٩٦٧م وسط عائلة دينية. إذ كان أبوه داعية لدين الله تعالى.

وانتقل شاعرنا في طفولته إلى مدينة «أجدابيا» في ليبيا، وتلقى تعليمه الابتدائي والإعدادي فيها، وقضى في مكتبتها الخضراء أوقاتا طيبة، وقد حفظ القرآن الكريم وهو في الثالثة عشرة من عمره.

وفي سنة ١٩٨٠م عاد الشاعر إلى وطنه تشاد، وهي السنة التي اشتعلت فيها نار الحرب الأهلية، فانتقل إلى مدينة «الجنينة» السودانية مع غيره من اللاجئين. ولما وضعت الحرب أوزارها عاد إلى وطنه تشاد، وتم ابتعاثه إلى جمهورية مصر العربية ليلتحق بالمرحلة الثانوية في الأزهر الشريف، فنال شهادتها سنة ١٩٨٦م.

ثم رجع إلى وطنه، والتحق بقسم اللغة الإنجليزية في كلية الآداب جامعة أنجمينا في سنة ١٩٨٧. ثم انخرط في الجيش الوطني التشادي سنة ١٩٨٨م، ثم ابتعث إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وتخصص في إنزال المظلات وبعد عودته إلى وطنه سافر في بعثة إلى العراق سنة ١٩٩٠؛ ليتدرب في سلاح الجو.

وبعد هذه الرحلات والبعثات، استقر شاعرنا في وطنه؛ ليعمل في الجيش التشادي وقام الشاعر بعدة أدوار متميزة في مجال السياسة والثقافة من أهمها:

---

(١) اعتمدت الترجمة على لقاء بيني وبين الشاعر في منزلي وقتئذٍ ٢٠٠٢ الكائن في شارع شارل ديجول وانظر جريدة أنجمينا اليوم عدد١٢١، ١٩٩٤/٣/٢٨ ص٤. وانظر: عبد الواحد حسن السنوسي حياته وأدبه للباحث محمد بشير عثمان بحث متريز بجامعة أنجمينا إشراف د.محمد فوزي ٢٠٠٣م.

- عضو مؤسس للمؤتمر من أجل الدفاع عن اللغة العربية بتشاد، حتى أصبحت اللغة العربية لغة رسمية في دستور البلاد.

- أسس الندوة التشادية للثقافة والفن (اتحاد كتاب وأدباء وشعراء تشاد) ١٩٩٣م.

- وللشاعر نتاج شعري عبارة عن قصائد مخطوطة مبعثرة طاب للشاعر أن يضع لها ثلاثة عناوين:

١ - رفراف قلب.

٢ - طيور البطريق.

٣ - بكائيات قيثارة بلدية.

- وثمة عدة عوامل شكّلت شاعرية شاعرنا أهمها:

نشأته الدينية، وحفظه للقرآن، والأوقات الكثيرة التي قضاها في المكتبة الخضراء في مدينة أجدابيا الليبية. إذ قرأ «رحلات السندباد» و«قصر الأقزام» و«أليس في بلاد العجائب» و«حذاء السندريلا».

ثم الغربة والضياع، بسبب الحرب الأهلية، وترحاله إلى السودان، ثم الجماهيرية الليبية، ثم مصر. فهذه الأسفار كلها زادت من ثقافته وألهبت شاعريته.

- وتدور جل قصائده الشعرية حول: الغزل، والوطنيات، والاجتماعيات، ثم التأملات. وهو شاعر رومانسي، وتوفر هذا المنحى في جل نتاجه الشعري فهو شاعر الوجدان الذاتي بل والجماعي في آن واحد. ويتميز بطول النفس الشعري، ورسم الصورة الشعرية بكل براعة فنية.

****

تشادي وإن لامني اللائمون

(من ديوان بكائيات قيثارة بلدية للشاعر: عبد الواحد حسن السنوسي)

بلادي أقولُ فهل تنصتين.. بلادي وهل أنت لي تسمعين.. أنا لستُ من ثلة الكاذبين.. أنا لست من عصبةُ الغاصبين.. أنا لست من ثلة المفسدين.. أنا لست من عصبة الطامعين.. وما كنت من ثلة الناهبين، ولا كنت من عصبة الخائنين ولا صرت من عصبة العابثين.. ولا بت من عصبةُ اليائسين..، أنا واحد من بنيك بلادي، بلادي فديتك أمَّ البنين، ليعلو منارُك في المشرقين وتشرق شمسك في المغربين، ويسمو مكانك في العالمين... بلادي هنالك هل تنظرين.. هنالك في الأفق المستبين، هنالك آمال جيل أمين.. عليك على الغد فيك بلادي ليشرق نورًا على الكادحين.

بلادي أمات شبابك.. لا لا .. بلادي أماتت أمانيك لا لا

بلادي أمات نضالك.. لا لا .. بلادي شبابك حي.. ولكن

وحلم عيالك حي ولكن، وتاريخ ماضيك حي ولكن

ولكن لماذا إذًا تحزنين لماذا أراك إذًا تدمعين.. لماذا بلادي إذًا تنزفين.. جداول حزن ودمعًا سخينًا، يقطع في خافقيّ الوتين

ويُلبسني ثوب عارٍ دفين

يلازمني رغم كر السنين؟؟

بلادي أقول فهل تنصتينْ، بلادي وهل أنت لي تسمعينْ، بلادي وإن لامنا اللائمونْ، لأنّا زرعناك حقل شجونْ، وكنّا نحارب والآخرونْ، يشيدون بنيانهمْ يعمرون، وكنا نحارب والآخرونْ ينقّون أفكارهم يكتبونْ، وكنا نحارب والآخرون يصيغون ألحانهم يعزفون وكنا نحارب والآخرون يربّون أطفالهم يعددونْ، وكنا نحارب والآخرون يديرون آلاتهم يصنعونْ..

وكنا نحارب والآخرونْ ينمون أموالهم يغتنونْ.. وكنا نحارب والآخرون يصفون أعنابهم يشربون وكنا نحارب والآخرون لما زرعت يدهم يحصدونْ.. ونحن زرعناك شوكًا بلادي.. ونحن زرعناك حقل شجونْ.. بلادي وإن لامنا اللائمون، فإنّا عرفنا وما يعرفون.. عرفنا معانيك أنت بلادي وأنك فوق الذي يحسبون.. عرفنا بأنك أنت لنا..

عرفنا بأنك كنزٌ لنا، وأنك في الغدِ ذُخرٌ لنا، وأنك أغلى جواهرنا وأنك للكل أم حنون، بلادي وإن لامنا اللائمون.

(١)

[المتقارب]

تـــشـــادي هـــــواكِ جـــرى فـــي دمـــي
وأضـــحـــى نـــشـــيـــدك مـــلءَ فـمـي
تـــشـــادي فـــداك أنـــا فـاسـلـمـي
تـــشـــادي فـــداك أنـــا فـانـعـمـي
تـــشـــادي فـــداك الـــفـــدا فـاعـلـمـي
فـــــداك الـمـســيـح مـــع الـمـسـلـم
تـــشـــادي شـــبـــابـــك فـــجـــر الـــغـــد
ورمـــــز الـــتـــقـــدم والـــســـؤدد
تـــشـــادي بـــنـــيـــك هـــنـــا فـاصـمـدي
فـــــدرب هـــــواي هـــــوى الأوحـــــد
تـــشـــادي وإنـــــيَ مـــــن مـــولـــدي
إلـــــى يـــــوم يـــلْـــحـــدنـــي لاحـــدي
ســـأبـــقَـــى أنـــاضـــلُ كـــي تـــســـعـــدي
وفـــــيًّـــــا وفـــــيًّـــــا إلـــــى الأبـــــد
تـــشـــادي وإن لامـــنـــي الـــلائـــمـــونْ

٢١/٣/١٩٩٤م – انجمينا، تشاد

****

٢ - يا عيدُ ما معناك؟[1]

[الكامل]

زعـمـوا بـأن الـعـيـد أقـبـل زائـرًا

لـيـزيـل عـنـي وحـشـتـي وأسـايـه!!

أوَ جَـاءَ يـوقـظ فـي الجـراح نزيـفـهـا؟

أوَ جـاء يـبـعـثُ حـرقـتـي وجـوايـه؟

أو جـاء يـنـبشُ عـن خـفـايـا غـصَّـتـي؟

أو جـاء يُـذكـي لـوعـتـي وضـنـايـه؟

أو جـاء يـؤلـمـنـي ويـرسـلُ عـبـرتـي؟

أو جـاء يـبـلـو طـاقـتـي وقِـوايـه؟

أو جـاء يـسـخـرُ بـي ويـقـلـقُ وحـدتـي؟

أو جـاء يـرسـم لـلـشـمـاتـة آيـه؟

أوَ لـيـس فـي دنـيـا الـغـريـب محطةٌ؟

أو لـيـس فـي دنـيـا الـشـريـد عـنـايـه؟

أو لـيـس لـلـسـيـل الحـزيـن تـوقـفٌ؟

أو لـيـس لـلـدرب الـطـويـل نـهـايـه؟

يـا عـيـد مـا جـدواك فـي زنـزانـتـي؟

يـا عـيـد مـا مـعـنـاك فـي مـنـفـايـه؟

أنـا لـسـتُ أفـرغ فـيـك وهْـمَ تـشـاؤمـي

لـكـنْ سـأبـكـي فـيـك عـهـد صـبـايـه

---

(١) (قصيدة في رثاء العيد وأيام الصبا والطفولة).

أَوَ لستَ تدري أنّ عهد طفولتي
ولّى وعهد سعادتي وهنايه؟
قتل الزمانُ العيدَ في كبدي أنا
فأتيت في مرثاهُ وا أسفايه
انظر إليّ وقد تعالت زفرتي
وتكحلت بدموعها عينايه
انظر وقد مُزجت حياضي بالأسى
فشكت مرارة طعمها شفتايه
انظر وقد طمسَ الزمانُ مسالكي
فتراعشت فوق الدروب خُطايه
انظر وقد عبثَ الزمانُ بمذهبي
فتحيرتْ في خَوْضه قدمايه
أو بتَّ تعرفني على بُعد المدى؟
حُسنًا.. فلم يكُ من ترى إلاّيه!
قتلَ الزمانُ العيد فيَّ كبدي أنا
فأضاف مقتولاً إلى مَوْتايه
قتلَ الزمانُ العيد في وما درى
أنـي أفضًلُ قتله إيّايه
أو ليس يدري الموت أنّي هيكل
غُيّبتُ قبل الموت في مثوايه؟
أم ليس يدري العيدُ أني ضائعُ
قد ضلَّ عن حوض المنى مسعايه!
أَوَ بات يعرفني على طول المدى؟
حسنًا فلم يك من يراهُ سوايه!

أنا من تدلَّلَ فيه حينًا في الصَّبى

أنا من بلغتُ إلى هواه ذرايه

أنا من أُعذَّبُ حين يقبل زائرًا

أنا من أعذَّب فيه بعد هوايه

أنا من أُمزَّقُ فيه فوق تمزُّقي

أنا من أُميتَ العيدُ في معنايه

أوَّاهُ ما أقساهُ في زنزانتي

أوَّاهُ ما أحلاهُ في ذكرايه

التاسع والعشرون من يونيو – حزيران عام ١٩٨٤م

الموافق ٢٩ رمضان ١٤٠٤هـ

م – د –أنجمينا، تشاد

****

٣- صبرًا كويت

صبرًا كويتْ.. صبرًا أيا عُرسَ الخليج، ودُرَّة الغوَّاصِ
يا معطورة الأردان بالريحان والمسك الفتيتْ..

صبرًا كويت..
صبرًا وليس تصبرًا بعسى وليتْ..
فالصبر من شيم الكرام وأنت منهم يا كويتْ.

صبرًا كويتْ..
صبرًا على الولهى على الثكلى
على الأسرى... على كلّ الذي عانيتْ

صبرًا كويتْ...
صبرًا... وليس تصبرًا بعسى وليت
لكنه الصبرُ الذي يبني له بالجد... في ثكنات هذا الصبح
متراسًا وبيتْ..

☆☆☆☆

يا أيها الطامع في هذا الكويت
قد بؤت إن شرًا وإن خيرا بما كنت نويتْ..
وتركتنا نحن الكويتُ.. كما لاقيتنا عن الكويتْ
فاكتب لنا يا أيها التاريخ ما أنت رأيتْ..
رأيتْ..

عجبًا أيا رجلاً خانته ذاكرة السنين

أعمت بصيرته فما عاد يرى أو يستبين

أقبلت تغزو بالرجال وبالسلاح وبالسفين

أقبلت كالحجاج تحتصد الرؤوس وبالمحارم تستهين..

وأتيت مُنبتًّا على جرباء من نوق المطامع

قد عقدت خطامها بالغل والحقد الدفين

وبكل ما أسررت في صدرك من شرٍ وما أوعيتْ..

كم منزلاً دمَّرت.. كم بطنًا فريتْ

كم أعزلاً عذَّبت كم جلدًا كويتْ

ورفعت بهتانا شعاراتِ التقى

وزعمت أنك إنما لحماية الحرمين من شرٍّ أتيتْ

وأعدت للأذهان تاريخًا قديمًا... قد طويتْ

ورجعت مقهورًا... فلا حقدًا شفيت ولا غلاً رويتَ ولا

للناقةِ الجربا هنيتْ

غادرت ولدان العراق هناك في وسط الكديد

معفرين وضُرَّجًا بدمائهم

ونكصتَ إذْ «بوشٌ» يصول «ومرغريتْ»

وجحافل الأبطال من جند الكويت

غادرتهم وفخارك المزعوم وهمٌ كالسراب

والرأس منك مطأطأ فوق اليبابْ

أين اعتدادك أنيه؟ ومزاعم العزِّ المنيعة.. اينها والعزّ ميِّتْ..

ماذا كسبت؟ أتستطيع إجابتي؟؟ ماذا جنيت؟؟

ماذا كسبت سوى الشنار ووصمة العار التي بها مُنيتْ
ورجعت تجترّ الهزيمة... عدت بالنكصان والخذلان
عدت يا «زيدًا كأنك ما غزيتْ».

☆☆☆☆

وشرخت في صرح العروبة شرخةً مأمومةً لها نزيفْ
شرخةً كادت تخيف
كادت تزعزع ذلك الصرح المنيف – صرح المكارم والمحامد
والعلا.. تسمو بأجنحة لها دومًا رفيقْ...

☆☆☆☆

عصر الخلائق بالعروبة.. طيبٌ..
عهدٌ يُجسِّد نيلها ويترجم الفعل الشريف..
فعروبة العربيِّ تعني: إنه الحارس للصرح المنيف..
صرح العروبة والإسلام والدين الحنيف
فخيارهم في الجاهلية أصبحوا أخيارهم في دوحة الإسلام
ذي الظل الوريفْ
عهدوك دومًا أيها العربيُّ مِئثارًا.. أبيًّا..
ترفض الظلم ولا ترضى بحيفْ
عهدوك دومًا أيها العربيُّ مضيافًا كريمًا قائمًا
تهبُ القِرى في قرة البرد وفي لهيب الصيفْ
تحمي الذِّمار وتطعم الأضيافَ والجيرانَ أكتالَ الشواء
وما طعمتَ وما اشتريتْ
عهدوك مأمون الجوار تجتر من كل ما أوتيتْ
عهدوك معفوف الأزار تغازل المحبوب تحضنه

وفي الحضين تبيتْ

فتبيتُ بين خلاخل ودمالج وجدائل ومراسلٍ

وتقوم عنها ما فجرتَ ولا زنيتْ

إلا الهوى العذريّ والشعرَ الذي ترويه بيتًا تلو بيْتٍ

أبعيد هذا العز تنتهك المحارم تضرب الأخلاق عرض

حوائطٍ شيدتها بالمكرمات وابتنيتْ؟؟

صبرًا كويت.. صبرًا.. وليس تصبُّرًا بعسى وليتْ..

فالصبر من شيم الكرام وأنت منهم يا كويتْ..

☆☆☆☆

المال والبترول... والسيف الصليتْ

لغة لعصرٍ جاهلي مستميتْ..

عادت إلينا الجاهلية من جديد

في آلة صماء من صلب الحديدْ

عاثت فسادًا في جميع حياتنا

عبثت بأقدار الشعوب وصيرتنا كالعبيدْ

ذبحت بنا الأخلاق من أقصى الوريد إلى الوريدْ

أفهل هنالك من مزيد؟؟؟

صبرًا كويت

صبرًا وليس تصبرًا بعسى وليت..

ذبحوكِ حين غزوكِ أو هم حاولوا أن يذبحوك

لأجل زيتْ

هيهات أن تُذبح صبرًا فوق مذبحة المقيت

صبرًا كويت صبرًا وليس تصبرًا بعسى وليت

☆☆☆☆

صبرًا جميلًا.. يا جميلًا جمل الحسن وكلَّل صدره بالغار

يا أمةً فازت على بلوائها ومضت على غُلوائها...

بنفائس وكريم أحجار

فاكتب لها يا أيها التاريخ ما كنت رأيتْ

صبرًا كويت.. صبرًا فإن الفجر في عطفيك بشِّر بالغدِ

الآتي بمشهور الفخار...

وبكل ما ستناله من عِزَّةٍ وذيوع صيتْ

☆☆☆☆

صبرًا كويت... صبرًا وليس تصبُّرًا بعسى وليتْ..

لكنه الصبر الذي ابتنى له في ثكنات النصر متراسًا وبيتْ..

شتَّت شمل جموعهم وظفرت إذْ سهم المنون لهم بريتْ

وهَزَمْتهم وأسرت أسرك واستبيتْ

وعَفَوتَ حين قدرت لا ضعفًا عفوتْ

ورددتهم لبلادهم لله درك ما طغيت ولا بغيتْ

أحسنت صنعًا يا كويت وما رميت إذا رميتْ

لكن ربَّكَ قد رمى والرب حيٌّ لا يموتْ

فلك السلام مضمخًا بعطوره

ولك التحية ما حييتْ

(السادس من أكتوبر عام ١٩٩٥م)

****

٤ - هي الدنيا

[الوافر]

تـطـلُّ بـثـغـرِهـا الـبـسـامِ «عـوفـي»[1]
فـأفـرحُ رغـمَ حـزنـي رغـم خـوفـي

لـهـا إطـلالـةُ الأنـسـام تـسـري
عـلـى الأرواح فـي عـزِّ الـمـصـيـفِ

إذا مـا أشـرقـتْ جـذبـتْ إلـيـهـا
هـوى الأذواق مـن شـتـى الـصـنـوف

لـهـا عـيـنـانِ نـاعـسـتـانِ حُـسـنًـا
تـخـالـهـمـا مـغـامـدَ لـلـسـيـوف

يـحـيـطُ سـوادَ عـيـنـيـهـا بـيـاضٌ
كـمـا الأقـمـارُ حـاطـت بـالـخـسـوف

لـهـا خـصـرٌ كـمـا الأغـصـانُ رخـصٌ
قـلـيـلُ الـبـذل ذو طـبـع أنـوف

وشـعـرٌ فـي عـقـائـصـه نـفـورٌ
تـبـارت فـيـه ألـوان الـطُّـيـوف

لـهـا روحٌ تـكـادُ تـذوبُ لـطـفًـا
كـروح الـورد يـعـبـقُ بـالأنـوف

---

(١) عوفي: اسم محبوبته في السوادن ١٩٨١.

يضوعُ ذكاؤها كالمسك طهْرًا

فتأنس منه كالطيف الأَلوف

هي الدنيا إذا ضحكتْ حواها

كتابُ الزهر سُطِّر بالحروف

تراها في ترائبها قضيبًا

من الأنوار يسطع في الكهوف

هي الآمالُ إن ألِفَتْك يومًا

تَغُذُّ السَّيرَ نحوك بالأُلوف

****

٥ - دمعة فرح[1]

[الكامل]

عـــادت إلـــيَّ الـــروحُ بـعـد رجـوعِـهـا

لحـمـاتـهـا أرضـــي الحـبـيـبـةِ «فــايــه»[2]

وتَـكـفـكـفَ الـدمــعُ الـهـمـيـرُ وداعـبـتْ

عَـــبَـــرات تـــوقِ ضـمـامـهـا خـــدَّايــه

وجـــرت دمـــاء الـعـزِّ فـي جـسـدي كـمـا

قـــد أذرفــــت عـبـراتـهـا عـيـنـايـه

وســـجـــدتُ شـــكـــرًا لـــلإلــه مُـعَـظِّـمًـا

نجـداتــه الــلائــي ظـلَـلْـنَ خَـفـايـه

يـــا وردةَ الـصـحـراءِ يـــا ريـحـانـهـا

يـــا كـــلَّ أحـــلامـــي وكـــل مُـنـايـه

صـبـرًا فـسـوف يـظـل فـجـرك حـامـلاً

لـمـكـائـد الأعـــــداء شـــر نـهـايـه

ويـظـل بـطـشـك بـالـعـدا مـتـسـطِّـرًا

فـــي صـفـحـة الـتـاريـخ أعـظـم آيـه

****

(١) كتبت بتاريخ ١٩٨٢/٤/٤م بالمركز الإسلامي الأفريقي بالخرطوم.

(٢) فاية: موطن الشاعر في تشاد.

٦ - جدران المعتقل[1]

[الرمل]

يا رفيقي..

أيـهـا الـنـازل فـي هـذا الـمـكـانْ

لا تـقـلْ أنـي سـبـقـتُ الـنـازلـيـنْ

حـلَّ بـالأمـس خـلـيـطٌ مـا هـنـا

عـنـد مـهـد الـفـجـر هـبّـوا راحـلـين

أنـتَ طـيـفٌ مـرَّ فـي عـقـد الـلـيـالـي

أنـت فـردٌ فـي قـطـار الـبـائـسـين

أنـت طـيـفٌ ضـاع مـن نـسْـجِ الأمـانـي

أنـت صـوتٌ أنَّ فـي لحـنٍ حـزيـن

عـنـدمـا غَـنَّـتـكَ أعـوادُ الـشـجـونِ

جـرَّكَ الـلـحـن لـركـب المـنـتـشـين

يا رفيقي..

هـذه الجـدران مـثـوى بـؤسـنـا

مـسـرح الآلام والحـزن الـدفـين

كـم سـجـينٍ كـان فـي أحـضـانـهـا

يـرتمـي كـالـطـفـل يـبـكـي كـم سـجـين؟

كـم سـجـينٍ قـام فـيـهـا ضـارعًـا

عـائـذًا بـالـلـه مـن جـيـم وسـين؟

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، قصيدة جدران المعتقل، كتبت عام ١٩٨٧م بالخرطوم.

كم بريءٍ ناح في ديجورِها

يشتكي ما يلقى من ضَيْمِ السِّنين؟

يا رفيقي..

هذه الجدرانُ لا تهوى الكلام

شأنُها في الصَّمت شأنُ الصَّامتين

هذه الجدرانُ ظمأى للدموع

فاسْقِها بالله حينًا بعد حين

جُدْ لها بالله لا تبخلْ عليها

جُدْ لها بالله من كأس الحنين

يا رفيقي..

هذه الجدرانُ ميدان الرجالِ

منهل الأخلاق والعزم المتين

من هنا ينسلُّ كل الثائرين

من هنا ينسلُّ كل الرافضين

يا رفيقي..

عندما تنسلُّ يومًا من هنا

تاركًا ليلَ المآسي والأنين

قبِّلِ الجدرانَ واندبْ بُعدها

مثلما تبكي فراق المخلصين

إنما نؤيِاكَ عن نبعٍ متين

إنما نؤيِاك عن خلٍّ أمين

****

٧ - بلدي[١]

[المتدارك]

بلدي أقسمت بعزتها وبروحي ألاّ أنساها

كلماتُ نقشتْ في شفتي وبقلبي يكمن معناها

بلدي مهما بعدت زمنًا ففؤادي يحفظ ذكراها

وحنيني شلالٌ لا يذكر يومًا إلا إياها

وصلاتي ألحان أبدًا لا تدعو إلّاها

سأناديها وأناجيها وسأقسم أني أهواها

بلدي والسُّمرةُ تكسوها كعروس عذبٌ ريَّاها

بلدي بالسمرة تعرفها وبقلب السّمرة تلقاها

☆☆☆☆

بلدي يا بسمةَ أيامي يا رمزَ الحبِّ بأحلامي

بلدي يا بلسمَ آلامي يا كلَّ منابع إلهامي

☆☆☆☆

بلدي إن أنسَ فلا أنسى سمراواتٍ من شاطيكَ

يلبسْنَ جمالًا لا يبلى كجذور النخل بواديك

ونسائمُ صيفكِ ما رقَّت وليالي الأنس بناديك

والسّهلُ الأخضر منسجمٌ بصفاء مياه سواقيك

(١) عبد الواحد السنوسي، السابع من يونيو عام ١٩٨٣م انجمينا، تشاد.

وجبال (تبستي) شامخةٌ و(الشّاري) رقٌ يناجيك[1]

☆☆☆☆

أعوام الهجرة لا تمحو ذكرى أشذاء (أشمُمُها)

فثغاء شياهكِ لا ينسى وخريرُ الماء يلازمها

وحقولُ القمح بسمرتها والطير تودد يضمُمُها

ورمال البيد تململ في قبضات الحُرِّ ليرحمها

والنجمة سارحة حَيْرى والبدر يكاد يكلِّمُها

والقمةُ قد تعبتْ فَجَرتْ تشكو للفجر مظالمها

وثريًّا قد ملَّت سهرًا وسهيلٌ كان يقاسمها

والليل تناهض في كسلٍ يلفظ جُمَلاً لا أفهمها

وزهورُ السوسن ناعسةٌ والطلُّ تَسَاقَطَ يلثمها

ودماء شهيدك عابقةٌ والمجْدُ هناك ينادمها

والشمس تمطَّت في كسلٍ ولها أشكال ترسمها

وأحاسيسٌ قد أعلمها وأحاسيسٌ لا أعلمها

☆☆☆☆

إنَّ الأوطانَ لساكنةٌ بحواصلِ تلك الأطيار

فإذا ما حنَّت خاطبَها شوقٌ ما صوبَ الأوكار

فتشقُّ الجوَّ مُلبيةً في توقٍ رغم الأخطار

فتعلَّمْ يا هذا منها فالحبُّ سراجُ الأفكار

****

---

(١) شاري: نهر شاري يمر بالعاصمة انجمينا ويقع غرب تشاد.

٨ - طقوس رومانسية[١]

[مجزوء الرمل]

يا هوى العشَّاق أقبِلْ نحونا.. خذنا إليكْ

نحن ما عدنا نريد الكأس إلا من يديك

☆☆☆☆

يا هوى العشّاق يا عطرَ الحياةِ

أنت عنوانُ الأماني والشّذا والذكرياتِ

أنت ما أجناكَ غرس في ضمير الكائنات

أنت ما أسماكَ لينٌ للقلوب القاسيات

فيكَ سرٌّ قد يسيلُ الدمعَ سحًّا من عيون الراهبات

فيك طهرٌ قد يحيل المكر نسكًا في عيون المومسات

عش لنا حيًّا سخيا.. لا بكَتْك النائحات

☆☆☆☆

يا هوى العشاق يا رمز المحنْ

لا تقل إني وحيد الدار مهجور السكن

أو تقل إني طريد في متاهات الزمن

أنت ما أنت لنا إلا نديمٌ في العلن

أنت قد صرتَ لنا روحًا تسامتْ في البدن

فدروبِ الشوك هذي سوف نمشيها معًا

وسنمشيها على الدرب كما نهوى خطًا

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، «طقوس رومانسية، مخطوطة كتبت بتاريخ ١٩٨٣/٦/٢٥م انجمينا تشاد.

فلتشيعنا المآسي ولتواكبنا الفتن

ولتظللنا الرزايا وليمزقنا الوهن

فسينأى البؤس عنا عندما نُشفى غدًا

فاسقنا بالحب جودًا منك كاسات الحزن

ودع الأرواح ثملى من صبابات الشجن

قد أبينا نحن من نهوى مرارات المحن

من فتاة أو فتًى.. أن نذوق الكأس إلا من يديك

☆☆☆☆

ليت شعري قبل أن نلقاك حبًّا كم سعينا

والدياجير التي ضمت معاني الصمت كم فيها اكتوينا

فالفراغات التي خلّفتْها في خافقينا

طوّقتْنا فانطوينا.. وانطوى الإحساسُ فينا

ومع الأوهام سِرْنا وإلى الوهم مشينا

☆☆☆☆

بينما نحن حيارى طِبْتَ إذ أشرقت كالفجر علينا

فاستفقنا فرأيناك كحلم يتحدى ناظرينا

وانتصبنا فلمحناك فتًى ترنو إلينا

وعطورٌ منك فاحت أيقظت حسًّا دفينا

فجرى الإحساس في الأعماق كالنبع معينا

☆☆☆☆

وورود منك فاحت ثم صبت نشرها في وجنتينا

واستفاقت عبرة فاغرورقت في مقلتينا

والصَّبا هبَّتْ من الآفاق عطرًا فانتشينا

فاستفاق الشوقُ فيها ومن الشوق جرينا
وعدونا رغم نزف الجرح منا والتقينا
وانكفأنا فوق رجليك انحنينا وارتجينا
وكما الأطفال قلنا وصرخنا وشكينا
فانتشلنا من يدينا.. وعلى صدرك ذبنا وبكينا
وهتفنا: لا نريد الكأس إلا من يديك

☆☆☆☆

هكذا اخترناك حبًّا واصطفينا

☆☆☆☆

عندما جئت فكفكفت دموع العاشقينا
عندما جئت فنوَّرتَ طريق البائسينا
جئتَ بالآمالِ تُحيي البائسينا
جئت أيقظتَ ضميرا مُستَكينا
فانتقيناك خليلاً ما حيينا
ودعانا عهدنا الماضي ولكنا أبينا
وأمرنا أن نفارقك ولكنّا عصينا
وسمعنا عنك أقوالاً ولكنّا ارتضينا
وارتقى الواشونَ نارًا وارتضيناها حنينا
فاستقينا لا تعتقد أنا اكتفينا
قد نهلْنَا منك لكن ما ارتوينا
إذ شَربنا منك دهرًا وارتوينا منك حينا
غير أنا لا نريد الكأس إلا من يديك

☆☆☆☆

كم أذقنا قبل أن نلقاك نسيانًا وذلا
وتجرَّعنا مرارات الجوى نهلاً وعلاً
والردى من حولنا نسرًا مُدلاً
قد وُلدنا يوم أن أقبلتَ كالصبح مُطلاً
وصرخنا في غراب الشؤم جهرًا أن يفارقنا وإلا
فنأى هاربًا عنَّا وولّى
حيث أنا لا نريد الكأس إلا من يديك

☆☆☆☆

بينما القوم حيارى يتشاكون العناءْ
إذْ بصوتٍ سرمديٍّ رنَّ في ذاك الخلاء
أيها الرُّحَّل مهلًا واسمعوا هذا النداء!!
أيها العطشى أتصدّون وفي الحب ارتواء؟
أيها الجوعى أتطوون وفي العشق غذاء؟
أيها المرضى تعالوا جرِّبوا هذا الدواء
أيها النُّوَّام قوموا واملأوا كفَّ المساء
زاحموا الأيام واقضوها نعيمًا وهناء
واهجروا الأكدار كي يحلو لكم هذا الصفاء
إنما العيش بلا حبّ لكالموت سواء
حبك الدنيا وإلا فهي وهْمٌ ورياء
ضاع من عاش لمالٍ أو نساء
ضاع من عاش لعرشٍ أو لواء

إنمـــــا ذاك نـــعـــيـــمُ الأغـــبـــيـــاء

إنمـــــا ذاك خـــيـــالُ الأدعـــيـــاء

إنّ فـي أعـمـاركـم حـبًّـا تـــوارى خـلـف أسـتـار الـغـبـاء

وارتـــــدى مـــن ظـلـمـة الأوهـــــام والخـــوف كـسـاء

فـاكـشـفـوا عـنـه ونــــادوا فـــي ثـبـات الأوفـيـاء

☆☆☆☆

نـحـن مـا عـدنـا نـريـد الـكـأس إلا مـن يـديـك

****

٩ - قلب بلا مفتاح[1]

[المتدارك]

الليل الداجي قد ألقى فوق المعمورة ما ألقى
وأنا في محرابي أتلو.. صلواتُ الشكر لمن أهوى
وسكونُ الليل يخاطبني بعيون رقتْ بالنجوى
وشجوني قد عادت تبحث في الليل الهادئ عن مأوى
حتى «الجمّيزة» قد هدأت وكأنْ قد مسَّتها العدوى

☆☆☆☆

فإذا أشواقي تتقدمْ
نحو المحراب ولا أعلمْ
حتى إذ أخذت مجلسها
منّي ولها صدري استسلم
أخذتْ تتوسل إلحافًا
أن أبدي السِّرَّ ولا أكتم
أخذتْ تتوسل لي وأنا
كالطلل الأخرس أتألم
كالجرح الصَّامت أتألم
لكنْ لا بلْ لن يتكلم

☆☆☆☆

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، انجمينا في التاسع من أغسطس عام ١٩٨٣م/ كتبت القصيدة مرتين فأدخلت فيها بعض التعديلات، فكانت من قبل التعديل بعنوان «سكن الليل».

قالت أشواقي يا هذا
رحماك بنفسك رحماكَ
لم تحمل في نفسك سرًّا
كادت تفضحه عيناك
وإلى ما تحمل أثقالا
كانت أمسًا في دنياك
تتفطر فيها منفردًا
تلجم في البوح بها فاك
ما انفكّت أشواقي تنبش
ما عندي من نَبْحٍ وجراح
وتحاول أن تسكن عبثًا
في قلبٍ ليس به مفتاح
حتى إذ كلَّتْ من جدلي
عادت تبكي في الإصباح

****

١٠ - قلبي يحار[(١)]

[البسيط]

قلبي يحارُ وصمتٌ منكَ يُسْكتني
خوفًا من النفس لا خوفًا من الزمنِ

إني عهدتُ سكونَ النفس يطفئها
لكنْ سكون فؤادي صار يحرقني

فلستُ أدري إذا ما النفسُ قد ذكرتْ
أبكيكَ في السِّرِّ أم أبكيكَ في العلن

ولستُ آمن نفسي حين أطْلقها
أن يأتي منها ملامًا منك يحرمني

أنِّي لنفسيَ أن تنساك يا حُلُمًا
في صحوتي ومنامي دمت تشغلني

يا من أسرت فؤادي في تَيَقُّظِهِ
ألستَ تقْدر أن تسبيه في الوسن؟

هلاّ تذكرتَ أيامَ الصَّفاء معي
يا من وجودك في الأحياء أوجدني

قد كنت أبكي وكأس الوصل تنعشني
فصرت أبكي وناب الهجر تنهشني

شتان ما بين دمعٍ سال من طربٍ
وبين دمعٍ جرى قهرًا من الحزن

(١) كتبت بتاريخ ١٩٨٣/١٠/٣م مرجان دفق، أنجمينا تشاد (عبد الواحد حسن السنوسي).

هَبْنِي هربتُ من الدنيا بأكملها

فكيف أهربُ من حُبِّي ومن شجني

إن كنتَ تنكرني أو كنت تجهلني

فاسأل وقوفك بالأطلال والدمن

فالدَّربُ والقِفْر والأسوار تعرفني

والهمس يشهد لي والليل يعرفني

إن كنت عذبت نفسي في تَقَوُّلِها

ألستَ أنت الذي بالبين عذبني

ألست أنت الذي قد أسال النار في كبدي

دربًا من الهجر والنسيان مزقني

إن كان هذا عذابي فيك أو شجني

فالحبُّ باقٍ وحاشا الحب أن يهن

****

١١ - عودة الطفل العنيد(١)

[مجزوء الرمل]

ها أنَا أمّاهُ قد عدتُ وقد طالَ غيابي

حاملاً قلبي على كفي جوابًا في إيابي

ها أنا أمّاهُ قد عدت إلى مهدي الصغير

بعدما أيقنتُ أني لم أزل طفلاً كبير

☆☆☆☆

ها أنا أماهُ قد عدت وفي ركبي تباريح الندمْ

غائرُ العينينِ حاني الرأس موفور الألم

عدت من دنيا الأماني من وجودٍ كالعدم

☆☆☆☆

ها أنا أماه قد عدتُ وقلبي يتفطَّرْ

بعدما قد بُحَّ صوتي في ندى من ليس يؤمر

ها أنا أماهُ قد عدتُ وحلمي قد تبخر

وصباحي فوق شعري عاثَ في ليلي فأكثر

ها أنا أمّاهُ قد عدتُ وحيدًا أتحسر

ها أنا أمّاهُ قد عدت وذهني قد تحيَّر

ليس في ماضي حياتي غيرُ طفلٍ قد تكسر

ها أنا أمّاهُ قد عدت وفي ظهريَ خِنْجر

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، أنجمينا تشاد ١٩٨٣/٨/٣م كتبت القصيدة مرتين فأدخلت فيها بعض التغييرات.

ها أنا أمّاه قد عدت خيالاً ليس يبصر

ها أنا عدت لعلي فوق مهدي أتدثر

☆☆☆☆

ها أنا أمّاه قد عدت رمادًا تحت رايات الرياحْ

ها أنا أمّاه قد عدت خيالًا أعملت فيه الرماح

ها أنا أمّاه قد عدت بشيء من كيان مستباح

عدت يا أمي وما بي غير هاتيكَ الجراح

ها أنا أمّاه قد عدتُ إلى دفء يديك

عدت أستدركُ ما قد فات من عمري لديك

ها أنا أماهُ قد عدت فَمدِّي ساعديك

ها أنا أماهُ قد عدت فضمِّيني إليك

وازرعي الإيمانَ في روحي كما في مقلتيك

☆☆☆☆

ها أنا أمّاه قد عدت فَعدِّي لي فراشي

واحضنيني علَّ أن يذهب خوفي وارتعاشي

واسكبي النُّورَ على نفس تغشتها الغواشي

☆☆☆☆

ها أنا أمّاه قد عدتُ وفي قلبي حكايهْ

إنها قصة عصفورٍ غدا للحزن غايه

لم يكنْ للحزن صيدٌ غيرهُ منذ البدايه

لم يكن للحزن صيدٌ غيره حتى النهايه

☆☆☆☆

فإذا ما خَيَّمَ الليلُ على الدنيا ووشّاها النّسيمْ

فسأحكي قصتي في ذلك الليل البهيمْ

فاسمعي أمّاهُ مني وامسحي الأدمع عنّي

إنها قصةُ كل الكادحين

إنها قصة كل البائسين

إنها قصة كل الحائرين

إنها قصة كل الضائعين

إنها قصة أبراج النجوم

قصة الإنسان هذا باحثًا عن مصدر النور بأعماق السديم

☆☆☆☆

عندما غادرت وكْري وعلى ثغريَ بسمه

ثابت الخطوة مختالاً وفي عينيّ همّه

والنّدى يقطر من ثوبي وفي إثريَ نسمه

أحسب الأحلام صيدًا سوف أجنيه برحمه

والأماني ربما كالقطر قد تهديه غيمه

لم أكن أمّاهُ أدري أن أقدامي ستدمى

لم أكن أعلم أني سوف آتيك وفي صدريّ نغمه

وعلى كتفي غبار وعلى وجهي وصمه

وعلى ثغري لحنٌ لقنتنيه الليالي المدلهمّه

بعدما أيقنت أن الله لم يخلق سوى قلبك يا أماه رحمه

☆☆☆☆

إنها أقصوصة الطفل العنيد

حين خلّى الصيدَ في النهر وراح

راح في الطين يصيد

فالتقى في الطين أقذارًا وخبثًا.. ما عليه من مزيد

☆☆☆☆

إنها قصةُ طفلٍ كان يُغريه الجديدْ

إنها قصةُ طفلٍ ليس يدري ما يريد

إنها قصةُ طفلٍ نحتَتْ فيه السدود

قصة الأعمار تفنَى تحت أقدام الخلود

قصة الإيمان يذوي في متاهات الجحود

قصة الآمال غرقَى في محيطاتِ الجمود

إنها قصةُ طفلٍ مات إذ كان وليد

إنها قصةُ طفلٍ كان للأحزان آيه

****

١٢ - البكاء على صدر أفريقيا

[المتدارك]

مهلًا يا سيدتي مهلا

إني أهواك ولكني

أخشى من بطشك إذ إني

كالفرخ الأمرد لا أقوى

كالغصن الأجرد لا أقوى

خمرة عينيكِ ما تعني

☆☆☆☆

مهلًا يا سيدتي مهلا

إني أهواك فلا تبكي

فعيونك تزرع أحزاني

ودموعك تسقي أشجاني

وتكاد تمزق أركاني

وأنا كالفرخة لا أقوى

خمرة عينيك وما تعني

☆☆☆☆

مهلًا يا سيدتي مهلا

حتى أسترجع عافيتي

حتى أستلهم رابيتي

لأرى كل الدنيا تبكي

من أجل عيونك سيدتي

من أجل دموعك سيدتي

من أجل عذابك سيدتي

فلماذا العجلة ملهمتي

وأنا كالفرخة لا أقوى

كالغصن الأجرد لا أقوى

خمرة عينيك وما تعني

☆☆☆☆

مهلًا يا سيدتي مهلاً

إني أهواك فضميني

فجدائل فرعك تدفيني

وشذا في نشرك ينسيني

عبقات زهور النسرين

وأنا كالنحلة سيدتي

وعبيرك دومًا يغريني

وأنا كالفرخة لا أقوى.. كالغصن الأجرد لا أقوى..

خمرة عينيك وما تعنى

☆☆☆☆

مهلًا يا سيدتي مهلا

إني أهواك فواسيني

وادني من كأسك واسقيني

وخذي عرشي مع مملكتي

فإذا ما ذبت فلا أقوى

أن أشعر أنك قد لُمْتِ

وأنا كالشمعة سيدتي

لا أحسن إلا ذوبانًا

ويثغرك سيدتي نار تنسف في جسدي بركانا

وأنا كالفرخة لا أقوى.. كالغصن الأجرد لا أقوى..

خمرة عينيك وما تعني

مهلًا يا سيدتي مهلا

حتى أستوحي شيطاني

حتى أتخيل أكواني

حتى تستجمع أوزاني

حتى تتناسق ألواني

وأنا لا أحسن تصويرا

حتى أتعذب تفكيرا

وبحار صفاتك تغرقني

إن لم تأتيني تقطيرا

وأنا كالفرخة لا أقوى.. كالغصن الأجرد لا أقوى..

خمرة عينيك وما تعني

☆☆☆☆

مهلًا يا سيدتي مهلا

إني أهواك فلا تلقي

أسباب اللوم إلى جهتي

فملامك ينصب مشنقتي

ويفكُّ طلاسمَ خاتمتي

فابتسمي سيدتي ابتسمي

فجيوشك قد هزمت خدمي

وجراحك تسخر من ألمي

وأنا كالشمعة سيدتي

لا أحسن إلا سيلانا

وبثغرك نارٌ سيدتي

تنسف في جسدي بركانا

وأنا كالفرخة لا أقوى.. كالغصن الأجرد لا أقوى..

خمرة عينيك وما تعني

☆☆☆☆

مهلًا يا سيدتي مهلا

لتضيء الشمعة في نفسي

لأرى كل الدنيا تحتي

تبكي وتحلّق وتغار

وتزاحم من حول النار

نار في ثغرك سيدتي

وأنا كالشمعة سيدتي

لا أحسن إلا سيحانا

وبثغرك سيدتي نار

تنسف في جسدي بركانا

وأنا كالفرخة لا أقوى

كالغصن الأجرد لا أقوى

خمرة عينيك وما تعني

****

١٣ - مهزلة النفس[1]

[الكامل]

أفَلَ الحنينُ وللحنين أفولُ
لا تسألنْ بالله كيف يزولُ

هذي النفوسُ قويُّها وطريُّها
طبْعُ الوفاء بعرفهن قليلُ

إن التغيُّر في الزمان سجيةٌ
سَمْتُ الصباح عن المساء يميل

حتى إذا ما مكَّنتهُ عروشهُ
شمل المساءَ وللمساء شمول

حتى إذا عزَّ الهدوء سفينتي
والبحرُ من كأْس الصفاء شمول

فَغرتْ فتاةُ اليمِّ عن أنيابها
وتقطعتْ صلتي وحان رحيلُ

وتراقصُ الأشباح حول سفينتي
فعلمت أني حينها مقتول

والرِّيمُ في المرعى يجوش بعشبهِ
هو آكلُ لكنْ غدًا مأكول

أم لم ترى للشمس كيف يكون في
بلد الصقيع شعاعها مقبول

(١) عبد الواحد حسن السنوسي ١٩٨٣/١٢/٢٥م انجمينا تشاد.

فكأنها في الجو ألحان سمت

فهي الشذا والهمس والتقبيل

فإذا سكنت إلى البراري خِلْتَها

وحشٌ تريع في السما أو غول

أم لم ترى للطير في تغريدها

عند الربيع وللهواء عليل

قد غادرت بعد الربيع وكورها

وتباعدت يحدو بها الترتيل

ولَرُبَّ وجهٍ كنت آنسُ قربهِ

قد خانني في بعضه التعليل

ولَرُبَّ أرضٍ زرتها متفائلاً

والنفس يطربها المنى فتميل

فتركتُها يومًا كَسِيفًا نادمًا

والشوم يقطر في دمي ويسيل

ولَرُبَّ يومٍ بتُّ آملُ مركبًا

لا يستقر ببحره فيطيل

أنَّي لنفسيَ أن تكون قنوعةً

تبًّا لنفسٍ إنها لملول

مَن لي بنفسٍ لا تملّ لحاظها

فالقبح قبحٌ والجمال جميلُ

****

١٤ - فات الأوان[1]

[الكامل]

وقفتْ تودِّعني وترسلُ دمعها
مثلُ اللآلئ حسنُها ونظامُها

ورنتْ إليَّ بمقلةٍ مشبوبةٍ
عصفت صبابتها ولاحَ ملامها

وبدتْ كراهيةٍ ترقرقَ دمعُها
وطغى تغرُّبُها وطال صيامها

مكلومة أضنى الهوى كبدًا لها
فاستعبرتْ وبدا نحول قوامها

والسّاكنين تحرَّكوا في خافقي
والروحُ هامتْ بي وطال هيامها

عجبًا لحاظكِ لا يبين كلامُها
وربوعُ قلبكِ لا يفيق نيامها

إلا وقد أزف الرّحيلُ بموكبي
واليأسُ خلف مسالكي وأمامها

يا باعثَ الحبِّ الكبير بمهجتي
لما ارتخت من مقلتيك سهامها

أو لا يحين لمقلتيك تكلمًا
إلا ونفسي قد طغت أسقامها؟

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي أنجمينا تشاد ١٩٨٤/٢/٧م.

وحسبتُ أني في الحياة معذبٌ

من بعد أن خَويتْ وعمَّ ظلامها

وتقطعتْ آمالُ قلبي في الهوى

والعينُ أرّق جفنها تسجامها

ما أعجب الدنيا إذا لاحت لمن

ظمئت موارده وعزَّ مرامها

في مقلةٍ ماسَ الفؤادُ لسحرها

كالريح إذ هبَّتْ فماسَ غمامها

صوتان يصطرعان في صوتي فلا

تدري لأيهما يميل غرامها

صوتُ يقول ليَ الرحيل إلى الرُّبا

إن الحياة كثيرة آلامها

وصدى يقول لي التمهِّل بالنوى

إن التسرُّع في الأمور تمامها

ما زالت الدنيا تنيل مشوقها

دِيَمَ الهوى وتنيله أحلامها

وتكاد تثني بالأخير عزيمتي

لولا مقاديرُ جَرَتْ أقلامها

إني مللت من الحياة وأهلها

ولمست كم ظلاَّمة أحكامها

ولذا عزمت على الرحيل إلى الرُّبا

حيث الطبيعة دافئ إكرامها

حيث الحياةُ بلا قناعٍ حاجبٍ

فالحبُّ جوهرها وليس لثامها

أصـغـي إلــى الأطـيــار فــي ترنيـمـهـا
وإلـــى الجـــداول حـلـوة أنـغـامـهـا

وأهــيـمُ خـلـفَ الــرِّيم فـي سَـرَحـاتـهـا
مـتـمـتـعًـا بـقـعـودهـا وقـيـامـهـا

وأظــلُّ أرشـــفُ فـي الطـبيـعـة سـحـرهـا
وأمــيــلُ أنَّـــى مــا يـمـيـل زمـامـهـا

وأديــرُ طـرفـي فــي الـنـجـوم مـنـاجـيًـا
مـتـقـربًـا مــن أُنـسـهـا وسـلامـهـا

وأدورُ فــي فـلـك الـسـمـاء مـسـبِّـحًـا
مـتـفـكـرًا مـتـأمــلاً أجـرامـهـا

أعـلـو بـهـا صــوب الجـمـال مـفـارقًـا
آلامــهـــا ومـطـلِّـقًـــا آثـامـهـا

فـإلـى الـلـقـاء إلــى الـلـقـاء أمـيـرتـي
فــي روضـــةٍ صَـبـغَ الـهـوى أنـسـامَـهـا

وتـقـبَّـلـي حـتـى الـلـقـاء أمـيـرتـي
روحــي فـــدًى حـتـى يـحـين حـمـامـهـا

****

١٥ - رواحة الظلال[1]

[الرمل والكامل]

أنا من أنا؟

أنا مَن قَلَّبْتُ صحائفي فوجدت فيها كل شيء غير نفسي

أنا من تلطّف مسمعي فسمعت منطق كل شيء غير همسي

أنا من فقدت ملامحي وكسبت رمسي

أنا من أنا؟

أنا لست أعلم أي شيء دون حسي

بل لست أدري ما الذي يعنيه حسي

أسعادتي في مولدي أم مولدي هو يوم نحسي؟

أغدي الذي أهذي به هو ما تلاشى خلف أمسي؟

ما للحياة جراحها تدمي ولا (بلسام) يأسي

ما لي تؤرجحني فما أنفكُّ أصبح ثم أمسي

والموت ما هذا الذي أرمي فيخطئ فيه تَوسُّمي؟

فإذا رماني سهمه أودى بسلطاني وبأسي

إن قلت أن الرمل يأكل جثتي وعظام رأسي

أترى سيأكل لذتي ويذيب جنسي؟

أترى سيأكل كل أخلاقي وأفراحي وتعسي؟

أم سوف يأكل بعض أحلامي وآمالي وبأسي؟

☆☆☆☆

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، أنجمينا تشاد، ٢٤ فبراير ١٩٨٤م.

لست أدري من خفاء الكون غير المنظر

أرقب الظلماء تزهو بالهلال المقمر

وانبثاق الشمس حينًا وانهمار المعصر

أسمع الطير تغني في الصباح الباكر

ومزامير المراعي ونشيد السمر

ثم لا ألبث أن أهوي ويهوي منبري

في حفيرٍ أو ترابٍ مدلهمٍّ مغْبر

يستوي الموسر فيه بالفقير المعسر

☆☆☆☆

من أين جئنا بالحياة وأين مرساها بنا

أين حبي أين شعري أين أيام المنى

أحسب الأيام تفنى فإذا الفاني أنا

وإذا الأيام عمرٌ ذاهب من عمرنا

وإذا بالموت دلاًّل بما لا يُقتنَى

وإذا الحفائر قد أبت أن ترتزقْ من غيرنا

أتعود ذاتي نفسها تحيا ويملؤها السنا

أم سوف تظهر من هناك خلاف ما كانت هنا

صوتي وألحاني وشعري كلها ثمن العنا

هل أنا الجاني بها

أم بها الموت جنى

☆☆☆☆

أنا سائرٌ لكنَّ ظلي سائرٌ في موكبي

ليت شعري هل صوابٌ أم خيالٌ مذهبي

هل أنا الموجود أم ظلي الذي يلتاث بي

هل أنا حي وظلي تابع كالكوكبِ

هل أنا كالنجم أو كالبرق ومضٍ خُلَّبِ

أم أنا كالشمس أُطوى مثلها في مغربي

بل أنا كالريح أو كالغيم أو كالمركب

سائر في البحر والآلام تُوهي منكبي

لست أدري أين يرسو سيدي أو صاحبي

☆☆☆☆

ويح نفسي ما الذي تعنيه أطوار الحياةْ؟

ما بها الأرواح ظمأى والمآقي باكياتْ؟

ما بها أكبادنا تحيا ليطويها الرفات؟

قيل لي الإنسان يحيا كي تربيه العِظات

قلت مهلا هل جَمَعْنا ما جمعنا للشتات

هل نربي إذ نربي لليالي الفانيات

ليتكم علمتمونا فنّ سُكنىَ الحافرات

كيف نحياها حفاةً كيف نحياها عراة

كيف نحيا باللحود الصامتات المظلمات

ما بكم كلَّفتمونا كل هذي الحسرات

ليتكم لقنتمونا غير هذي البسمات

قيل حسْبُ المرء يحيا في نسيج الذكرياتْ

ليت شعري ما الذي تجديه دورٌ خاويات

هل تعيد النفث في روحي بقايا الذكريات

قيل لي للكون مغزى غير ذرف العبرات

قلت تبًّا ثم تبًّا للمغازي الآفلات

ما الذي أجنيه من تلك الأماني الذَّاويات

قيل لي للكون أسرار عِظامٌ خالدات

قلت أَوْلَى أن نعي من دونها سرّ الذوات

حسب نفسي ما حوَتْها من معانٍ خافيات

كل ما أبنيه يذوي كالنجوم الغاربات

إن في ذاتي لسرٌّ فاق سرّ الكائنات

من أنا؟ من أين آتي؟ كيف يغشاني السُّبات؟

لذةٌ في العمر أحيا ثم يطويني المماتْ

****

١٦ - أتسألني ؟![1]

[الوافر]

أتــســألــنــي وأنــــتَ خــبــرت حُــبِّــي

ومــــالَ إلــيــكَ دون الــنــاسِ قــلــبــي؟

وقــد ألِــفَــتْــكَ فــي المــاضــي حــيــاتــي

وضــمَّــك حــاضــري ودعــــاك غــيــبــي؟

وكــنــتُ قــد اتــخــذت هــــواكَ قــوتًــا

وصُــمْــتُ عــن الــشَّــراب فــكــان شــربــي

وإنــــي لا أشــــاور فــيــك ظــنِّــي

ولــســتُ أطــيــعُ فــيــك دخــيــل ريــبــي

أتُــغــلِــقُ بــالــســؤال هــدوء روحــي

وتــــزرعُ بــالــســؤال ضــفــاف دربــي؟

فــصــار يــســيــر مــن هَــمٍّ لِــهــمٍّ

وكـــان يــســيــر مــن صــبٍّ لــصــبٍّ

وإنــــي لا أكــــادُ أفــيــقُ حــزنًــا

وإشــفــاقًــا عــلــيــك وحَــقِّ ربــي

لأنــك قــد أســأت إلــى وفــائــي

وإخــلاصــي فــحــق عــلــيــك ذنــبــي

أتــصــنــع مــن بــذور الــورد شــوكًــا

وتــغــري غــربــة الــدنــيــا بــحــربــي

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، أنجمينا تشاد، مرجان دفق ١٩٨٤/٣/٩م.

أضــــرَّك أن أرى دنــيــاكَ مــــأوًى

وشــأنــك أن يــكــونَ هـــواك ثــوبــي؟

ألـــم تـــكُ كـالـسَّـنـا أمـــلاً مضيئًا

وكـــان عـلــى هُـــداك يـسـيـر ركْـبـي

تُـسـائـلـنـي ولـيـس ســـواك يـدري

وتَجـرحُـنـي ولـيـس ســـواك طـبِّـي

فـــأنـــتَ أنـــا وإن آثـــرتَ بـعـدًا

وإنـــي أنـــت فـــي بـعـدي وقـربـي

تـنـاديـنـي فـتـسـمـع ردَّ روحـــي

وتـدعـونـي وعـهـدك بـــي ألَــبِّـــي

فـلـم أَكُ بـالـذي يُـعـيـي نـــوالًا

ولـــم تـــك بـالـذي سـيـقـول حـسـبـي

****

١٧ - عيون أفريقيا السوداء[1]

[الكامل]

كل الموانئ جُبْتُها

فوجدتُ أن البرد فيها سيد لا يحتملْ

كل العيون وردْتُها

فوجدت أن الكل منها قد نَهَلْ

لكنما عيناك علَّمتا بسحر لحاظها دفء الموانئ والعيونْ

ولمست في شفتيك أوتار القُبَل

ولكم تراعش خاطري فزعًا إذا الليل اشتملْ

حتى كرهتُ سواده ونفرتُ منه إذا امتثلْ

فإذا السواد بمقلتيك تذوب في دنياهما كل المخاوف والظنون

وإذا السواد مع البياض تَحاضَنَا وتقاسَمَا سرَّ المُقَلْ

☆☆☆☆

والليلُ ماذا قال لي يومًا إذا البدر اكتمل

قل لي بحبك يا فتى ماذا يضير الليل من نجمٍ أفل

أو لم تكن نجمًا تَرَاعَشَ خائفًا مني ومن ذاك السكونْ؟

فمضى بعيدًا من هنا تحدوه أطياف الملل

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، أنجمينا تشاد ٢/١٠/١٩٨٤، وأعيدت كتابتها في عام ١٩٨٦م وفيها عدل الشاعر عن العنوان الأول «من وحي الليل في عينيها» إلى «عيون أفريقيا السوداء».

فأجبته طربًا وقلت: أجلْ أجلْ

ها قد رجعت إليك يحدوني الأمل

قد علَّمَتْني مقلتاها أن لليل سوادًا ذاب في سحر العيونْ

وقد انتشى قلبي بأُنسٍ لا يزعزعه الوجل

****

١٨ - فلسفة عصفورة[١]

[الكامل]

طارت ترفرفُ في الفضاء وما بها
غير السرور تصوغهُ ألحانا

قالتْ عجبتُ لكم بني الأرض التي
مُلِئتْ سرورًا عِفْتُمُ الأشجانا

لِمَ كل هذا الحزن في أنغامكم
لِمَ والحياةُ بصدرها تلقانا؟؟

طيروا معي وتنسَّموا من عطرها
إن الحياة بطبعها تَهْوانا

لِم كلُّ هذا الشكّ في أبصارِكم
لِمَ تخلقونَ من الرؤى أحزانا

تلك الخمائلُ أين منك جمالها
والماء يرقص تحتها نشوانا

وشذى البساتين الذي في روضها
لبس الهوى أثوابه وازدانا

والفجرُ ينسابُ الندى من جفنهِ
والوردُ يرضع من يديه حنانا

والليلُ يأتي كي يكفكف ما بنا
من حادثٍ أو طارقٍ أشجانا

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، كتبت بتاريخ ١٩٨٤م أنجمينا تشاد، ثم أعيدت كتابتها فغيرت بعض الألفاظ، ونشرت في صحيفة الحوار ضمن صفحات عددها التاسع الصادر بتاريخ الأربعاء ٢ نوفمبر ١٩٩٤م.

والـريـحُ يـسـبـقـهـا الـهـزيـم مـزمـجـرًا

مـتـبـوِّئًـا بـين الـغـيـوم مـكـانـا

أَوَ لـسـتَ تـنـظـر كـيـف أرسـل غـيـمـه

والمـاء فـي أكـمـامـه فَـرَوانـا

والجـوُّ يـعـبـقُ بـالـنَّـسـيـم لأجـلـنـا

والجـدول الـسَّـيـال لا يـنـسـانـا

والـبـدرُ يـزهـو فـي الـسـمـا مـتـلألـئًـا

والـنـجـمُ يـسـهـر حـولـه جـذلانـا

كـم مـن زمـان ضـاعَ مـنـك تـشـاؤمًـا

وتَـطَـيُّـرًا يـا لـيـتـه مـا كـانـا

كـم مـن جـمـيـل قـبَّـحَـتْـهُ خـصـالـنـا

كـم مـن عـزيـز شـرَّدَتْـه يـدانـا

فـحـذار أن تـتـذكـروا مـا قـد مـضـى

كـم مـن قـديم قـد مـضـى فَـرَثـانـا

وبـكـى لأنـا لـم نُـحِـطْـهُ بـأُنْـسِـنَـا

وتـهـيـجـتْ أشـجـانـه فـبـكـانـا

لِـيـكُـنْ نـوال الـلـه إيمـانًـا لـنـا

وانْـعِـم بـه أمـلاً وإيمـانـا

لمـن الحـيـاةُ تـزيـنـت وتـعـطـرتْ

ولِـم الحـيـاةُ تـواجـدت لـولانـا

****

١٩ - ماذا أقول[1]

[مجزوء الكامل]

أختاهُ هل حانَ الرَّحيلْ
ومضى بركبِكُمُ السَّبيلْ

أختاه فيما تَرْكُكمْ
فينا المرارةَ والعويل

والحزنُ يدعمه الأسى
بفجائعِ الخطب الجليل

أَوَ ليس يكفي أننا
نسقي بِقِرْبَتِنا المثيل

أختَ الفؤاد أهكذا
يشفي الممات بك الغليل

أختَ الفؤاد أهكذا
يمضي الرّكاب بلا دليل

ويلي عليك من النّوى
في حلكةِ الدرب الطويل

أختاه ما ذنبيهما
عصفورتا العشِّ الظليل

ماذا أقول إذا هما
سألا عن الركب النبيل

---

(١) في القصيدة يرثي الشاعر أختًا له توفيت عام ١٩٨٤م بصعقة كهربائية وكانت أمًا لولد في السابعة من العمر وبنتًا في التاسعة من عمرها.

انظر: فن الرثاء في الشعر العربي التشادي الحديث، بحث أعد خصيصًا لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في اللغة العربية بجامعة الملك فيصل، العام الجامعي ٢٠٠١/٢٠٠٢ صفحة ٣٥- ٣٦.

أأقولُ قد رحلوا وما

تركوا سوى الدمع الهميل

أأقولُ إن بقاءهم

قد كان ضمن المستحيل

أأقولُ إن الأمهات

لهنّ في الدنيا بديل

ماذا تراني قائلٌ

لهما وبرهان عليل

أختاه ليت فداءكم

بالدرِّ والذهب الصقيل

وبما تجودُ به الحياة

من النّعيم وما تُنيل

وبما إذا ما جاءنا

أفنى الكثير من القليل

****

٢٠ - تقاطيع فينوسية[١]

[الكامل]

قولي معي ماذا أرى؟!

عينان ينبوعان؟ أم طفلان سوَّاحان تاها

في تقاطيع الظلام، وفي سرايا الحاجبين!؟!

قولي معي ماذا أرى؟!

خدان أم حُلْمان ورديان؟

أم أنشودتا فرح يضمهما السلام حمامتين!؟!

قولي معي ماذا أرى؟!

رمشان أم زغرودتان جميلتان على الدوام؟

أم هل هما شمسيتان ظليلتان أظلتا العينين!؟!

قولي معي ماذا أرى؟!

شفتان أم كأسان معسولان من عذْب الكلام؟

أم هل هما شطّان من خمر تعتق مرتين!؟!

قولي معي ماذا أرى؟!

جِيدٌ كتمثال من العاجِ المنقَّع في المُدام؟

أم أنه نهر من المسك المعتق مستقيم الساحلين!؟!

قولي معي ماذا أرى؟!

صفٌّ من الأسنان؟ أم صنفٌ من البَرَد الذي هجر الغمام

ليقيم بين الشفتين؟

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، أكتوبر ١٩٨٥م القاهرة.

أم أنه موج من الزَّبد المطعم بالزنابق

حار بين الضفتين!

قولي معي ماذا أرى؟!

شعرًا أرى أم ثورةً للزنج تُؤْذن بالقيامْ؟

أضفيرتين أنيقتين أراهما؟

أم غضبة الشعب الحريريِّ المرابط ليلتين!

قولي معي ماذا أرى؟!

نهدان أم تلأّن بركانان خافا الإنصدامْ!

أم هل هما مَلَكان من نسل العظام

أم هل أرى سهلاً من (المرمرْ) أو (العنبرْ) توسط تلتين!

قولي معي ماذا أرى؟!

خضرًا أرى؟ أم واديين وربوتين

توازيا في انتظام؟

أم هل هما عينان شلالان صبًّا

عند سفح الربوتين!

قولي معي ماذا أرى؟!

ساقان عنقودان أم غرسان ورديَّان صِيغا في انسجام؟

أم هل هما غصنان فوّاحان معصوران عصرًا من رحيق الوردتين!

قولي معي ماذا أرى؟!

****

٢١ - مذكرات بحّار مجهول[١]

[الوافر]

مساءُ الخيرِ يا كبرى

مساء الخير يا سمرا[٢]

مساء الحب والذكرى

أرى عينيك يا كبرى

على بعد المدى عَبَرا!؟!

لماذا الدمع يا كبرى؟

لماذا الحزن يا سمرا؟

أَمَا سنعود يا سمرا

بلى سنعود يا كبرى

وحق المقلة العَبْــرى

فكفِّي الدمع يا سمرا

فإنا إن قضينا يومنا هجْرا

قضينا في غـدٍ أمــرا

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، ١٩٨٦/٥/٤م، القاهرة جمهورية مصر العربية، أعيدت صياغتها فأدخلت فيها بعض التغييرات.

(٢) كبرى وسمرا: اسمان اختارهما الشاعر لبلاده «تشاد».

فكُفِّي الدمع يا كبرى

فلن والله ننساكم

وحق المقلــة العَبْــرا

☆☆☆☆

غدًا سيحين لقياكم

لتغمرنا المنى غمرا

غدًا سيحين لقياكم

ليغدو عمرنا عمرا

سنلقاكم هنالك في الرُّبا الخضراء

هنالك في ربا أفريقيا الخضـراء

هنالك حيث دنيانا

تفوق الحلم والسحرا

فكُفِّي الدمع يا كبرى

فلن ننساكمُ والله

وحقّ المقلــة العبـرا

أنا وحدي هنا في البعد يا كبرى

أنا وحدي وما أدراك ما بالبعد يا سمرا!؟!

أنا وحدي هنا في هذه الغربة

بلا أهل بلا وطن بلا صحبة

مساءُ الخير يا كبرى

مساء الخير يا سمرا

مساء الحب والذكـرى

هنا في البعد يا كبرى

حياةٌ تحزنُ القلبا

هنا الإنسان بالإنسان لا يعبَا

هنا الدولار نصَّب نفسه ربًّا

هنا دوامةٌ تستهلك الإحساس والحُبَّا

وتبنِي للمـنى قبـرا

هنا في البعد يا كبرى

أحاسيسُ تراودني

فتجرحني جراحًا

ليتها تبرى

مساء الخير يا كبرى

مساء الخير يا سمرا

مساء الحب والذكــرى

أنا وحدي هنا في البحر يا كبرى

أنا وحدي هنا في عرض بحر البعد يا سمرا

أقول البحر يا كبرى !!

وما أدراك ماذا البحر يا سمرا!

غدوت الآن بحّارًا ببحر البعد تبحاري

أنا وحدي هنا في البعد يا كبرى

أقول البعد يا كبرى!!

وما أدراك ماذا البعد يا سمرا!

هنا في البعد يا كبرى

حياة تحزن القلبا

حياة لا تلائمني ولكني بها غصبا

هنا في البعد يا كبرى

ملايين من العربات تنهب دربها نهبا

جماعات وأقوام تخير أيهم دربا

تفاهات وأوهام قشور تكتسي لبا

تصبّحني فتلطمني على وجهي ولم أجني بها ذنبا

وتأتي كي تمسّيني فتشعل في دمي حربا

هنا في البعد يا كبرى

هنا في البعد يا كبرى

حياة تحزن القلبا

ضجيج الناس يفزعني

وأنوار على الطرقات تفضحني

وأبواق تمزقني وتدفنني

بعيدًا عن ذُرا وطني

بعيدًا عن زمانكمو

زمان الأهل والسَّكنِ

هنا في البعد يا كبرى

تفاهات تجرِّعني كؤوس الذل والعفنِ

وتنفث سُمُّها الفتاك في قلبي وفي بدني

وتنفخ في شراييني صديد القيح والنتنِ

وتهجرني وتنفيني وتحرمني زمان الشهد واللبنِ

زمان الأهل والسكنِ

زمان الحب والذكرى

يصيغ البحر أخيلتي وينسجها وينثرها

أناشيدًا من الأشواق تغزو كل أفكاري

أنا وحدي هنا في عرض هذا البحر يا سمرا

أنا وحدي وليس هنا سوى موجٍ يصارعني فيصرعني

سوى أشتات أمتعةٍ تنادمني فتسرقني وتبعدني

وتبعد كل أوكاري وتطمس كل آثاري

أنا وحدي هنا في البحر يا كبرى

أقول البحر يا سمرا!

وما أدراك ماذا البحر يا سمرا!

****

٢٢ - وحي القصيدة

الحب والعطاء الصادق صفتان نبيلتان كانتا منذ الخليقة مفتاحًا للقلوب التي تحس وتشعر بكل براءة الفطرة الخيرة، وجسرًا للأرجل التي لم يدنسها اللؤم وحب الأذى والكراهية إلى الضفة الأخرى من عالم الصفاء وشرف الضمير وحياة الإنسانية الحقة.

ولكن هل نجح الحب والعطاء الصادق في فتح كل القلوب وجذب كل الأرجل إلى عبور الجسر للضفة الأخرى؟ لا طبعًا. «والأمر بسيط» فمنذ أن خلق الله الخير وجد الشر معه ومنذ أن وجد الحب تواجدت الكراهية معه، ومنذ أن عرف الطهر عرفنا اللؤم بنفسه، ولكن إذا فشل الحب والعطاء في فتح باب ما، فهل يعني ذلك أن ينتهي، طبعًا لا... سيستمر الحب والعطاء باحثين عن حب آخر يستحق فضلهما متناسيين الباب الأول المليء لؤمًا وكراهية وكأنه لم يكن ولم يوجد قبلًا أم أنه كان ومض على اعتبار أنه (لا شيء) وهذه تسع مقاطع ترددها القصيدة لهذا الـ(لا شيء).

تسع مقاطع للاشيء[1]

[المتقارب]

(١)

غـرسـتُـكَ فـي الـقـلـب يـا لـلـغـبـاءْ

غـرسـتُـك حـلـمًـا يـجـوب الـفـضـاء

ويـسـبِّـح فـي مـلـكـوت الـسـمـاء

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، ١٩٨٦/٧/١٤م القاهرة جمهورية مصر العربية، وأعيدت كتابتها وأدخلت فيها بعض التغييرات ونشرت في جريدة «انجمينا اليوم» ضمن صفحات عددها الـ (١١٥) من السنة الثانية لها. الصادر بتاريخ ١٩٩٤/٣/٣م ومنها نقلنا «وحي القصيدة».

غرستُكَ طيفًا شديد الوفاء
غرستُكَ للقلب أشفى عزاء
فلما تمكّن منكِ الإباء
وأحسست أنكِ أغلى النساء
تحولت داءً.. تحولت داء

(٢)

غرسْتكِ في القلب للعطر نهرا
غرستك وردًا غرستك زهرا
غرستك للقلب شمسًا وبدرا
غرستك شهدًا غرستك خمرا
فلما شبعت غرورًا وكِبْرا
وعادت طباعك تشتاق مكرا
تحولت غدرًا.. تحولت غدرا

(٣)

غرستك في القلب نارًا ونورا
غرستك شمسًا وبدرًا منيرا
غرستك للطهر فيضًا غزيرا
فلما بلغت مكانًا خطيرا
وطاولت بالغلواء الصقورا
تحولت جورًا تحولت جورا

(٤)

غرستك في الروح عودًا نديًا
وقوّيتُ ضعفك من مقلتيًا
ووسّدت خديك قلبًا وفيًا

فلما تلمست مهدًا نديًا
وأحسست بالدفء في خافقيًا
سكبت بسُمِّك في رئتيًّا

(٥)

غرستك في القلب كنزًا ثمينا
غرستك عرشًا وملْكًا مكينا
غرستك تاجًا يَزِين الجبينا
فلما رفعتك في العالمينا
تحولت طينًا تحولت طينا

(٦)

غرستك في القلب كل الأماني
غرستك رمزًا غزير المعاني
غرستك في القلب شوقًا حواني
يلوّع أُنْسي وكيف اعتراني
وشذَّب شخصك فيض بناني
فلما تخيرت شرط المكان
رميت بسهم من الغدر قاني
وعاد.. توفُّرُ شرطِ الزمان
رميت بسهم من القَدْر ثانِ
فيا لك من سهم غدرٍ رماني

(٧)

غرستك في القلب كونًا مهابا
غرستك ملْكًا تسامى وطابا
وقصرًا عظيمًا يشقُّ العبابا

فلما ولجتك بابًا فَبَابا

وجدت سرابًا... وجدت سرابا

(٨)

غرستك في القلب طيفًا أغنْ

وطرفًا كحيلاً شديد الوسن

تدفق فيضًا غزيرًا وفن

فلما تَواهَنَ فيك الوهن

قلبتِ لقلبيَ ظهر المِجَن

(٩)

غرستك في القلب واهًا وواها

غرستك في القلب طهرًا تناهى

وحبات قَطْرٍ سمَتْ بعُلاها

فلما تكاملت عزًّا رجاها

هدمت القصور على من بناها

****

٢٣ - العبارات المتحجرة[١]

[الكامل]

ماذا أقول حبيبتي لتصدِّقينْ

ماذا أقول حبيبتي كي تفهمين؟؟

جُمَلي التي ضمنتُها ما تعلمين

وهمست فيها بالذي قد تشتهين

عادت إليَّ سقيمة خرساء كالحة الجبين

ولقد قطعت إلى رضاك الأرض سعيًا بالقدم

فإذا بطيفك سابح فوق البحور

وإذا بعرشك رابض عند القمم

وأنا أهسهس في الحجور

ماذا أقول حبيبتي لتصدقين

ماذا أقول حبيبتي كي تفهمين؟؟

كَـذَّبْـتِـنِـي فـي هـمـسـةٍ همستُها
وزعـمـتِ أنـي كـنـتُ قـد أعـددتـهـا

كـذَّبـتِـنـي فـي زفـرة أطـلـقـتُـهـا
وزعـمـتِ أنـي كـنـت قـد نَـقَّـحـتُـهـا

كـذبـتـنـي فـي دمـعـة ذرفـتُـهـا
وزعـمـتِ أنـي بـالـرِّيـاء مـزجـتـهـا

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، ١٩٨٦م القاهرة جمهورية مصر العربية.

راحت سدًى كل الأحاديث التي

ثرثرتُها وبكيتُها وشدوتُها

نَفَدتْ قواميسي التي استعملتُها

ذبلتْ رياحيني التي زرعتها

وحروف صدري كلها لملمتُها

وعدوت صوب الصمت ثم دفنتها

وبفضلةٍ من أدمعي رشرشتها

وهجرتها ونسيتها وسلوتها

ماذا أقول حبيبتي لتصدقينْ[1]

ماذا أقول حبيتي كي تفهمين[2]

عبثًا أحاول أن أهونَ فلا أهونْ

عبثًا أحاول أن أكون فلا أكون

أشكو إليك صبابتي والحب يدنيني فتملأك الظنون

وأعود حين الخوف يقصيني لأخفي عنك أشواقي فتغمرك الشجون

حقًّا حديثُ الحب هذا ذو شجون

وأنا هنا متذبذبٌ لا أستريحُ ولا أكون

ماذا أقول حبيبتي لتصدقينْ[3]

ماذا أقول حبيتي كي تفهمين[4]

لا لم يعد لي ما أقول وما أضيف

لغتي التي استعملتها جفت كأوراق الخريف

لغتي التي كررتها عادت كأحجار الرصيف

كذَّبتِني حتى قسا قلبي العنيفْ

كذبتني حتى ذَوَى حبي العنيف

---

(١)و(٢)و(٣) و(٤) هكذا وردت في الأصل.

حاولتُ أن أسقيكِ من حبي الأليفْ
حاولت أن أرويك من عشقي النظيف
حاولت أن يبدو رضاك يُنال بالشيء الطفيف
لكنني قد عدتُ أركض خائفًا ومن المخيف؟
أنت التي واجهْتِني بالظن والشك السخيف
نزفت سيول مدامعي حتى تهرَّتْ بالنزيف
رفَّت ستائر خافقي حتى تفرّت بالرفيف
من أين لي أن أستوي ملكًا يُخاطَب بالحفيف؟
من أين لي أن أرتقي لمشارف الملك المنيف
من أين لي أن أرتقي وأنا الضعيف؟؟
لا لم يعد لي ما أقول وما أضيف
إن لم يكن في الحبِّ غير الظلم والشكِّ المخيف
فكفى به الإنسان أن يحيا قنوعًا بالهواء وبالرغيف
لا لم يعدْ لي ما أقول وما أضيف
لغتي التي استعملتها جفَّتْ كأوراق الخريف
لغتي التي كررتُها عادت كأحجار الرصيف
ماذا أقول حبيبتي لتصدقينْ[1]
ماذا أقول حبيتي كي تفهمين[2]
ماذا أقول وقد تحجَّرتِ العباره
من أين لي غير اللغات المستعاره
هَبْني أشرت فهل ستفهمك الإشاره؟
هَبْني سكتُّ فهل ستتفق الحجاره
قلبي غدا كالقبر ما فيه إناره

---

(١)و(٢) هكذا وردت في الأصل.

ودمـــي يــكــاد يـضـــيء مـــن فـــرط الحـــراره
ومـشـاعـري عـادت إلـى قـلبي كـأبـكـار بـلا تـلـك البكاره
فـبـكـارتـي ضـيـعـتـهـا مـن غـيـر أن أجـد الأمــاره
مـاذا أقـول حـبـيـبـتـي لـتـصـدقـيْن[1]
مـاذا أقـول حـبـيـتـي كـي تـفـهـمـين[2]
مـاذا أقـول وقـد تـحـجـرت الـعـبـاره؟
مـن أيـن لـي غـير اللـغـات المستـعـاره؟؟
إن كـان فـي لـغـة الـتـفـاهـم قـد بـدا عـجـز الحـضـاره
فـبـأي ذنـب تحـكـمـين عـلـى الـذي مَـلَـكَ الـشـطـاره
فـبـكـى وزفًّــر واسـتـشـاط مـن الحـراره
واسـتـعـبـرتْ عـيـنـاه فـي تـلـك الـغـزاره؟؟
أَوَ كـلُّ ذلـك لا يُـسـمَّـى بـالـشـعـور ولا الـطـهـاره؟
أو كـل ذلـك لا يـنـال عـنـان قـلـبـك عـن جـداره؟
إن كـان ذلـك لـيـس يـكـفـي كـي يـكـون هـو الـشـرارة
فـتـعـال يـا قـلـبـي لـنُـلـقـي فـوق ذكـراهـا الـسـتـارة
فـمُـنـاك قـد ضـاعـت سـدًى ضـاعـت خـسـاره
وأنـا الـذي قـد قـلـت مـا قـالـوه كـل الـنـاس قبلـي
لا لـم يـعـدْ لـي مـا أقـول ومـا أضـيـفْ
لـغـتـي الـتـي اسـتـعـمـلـتُـهـا جـفَّـت كـأوراق الخـريـف
لـغـتـي الـتـي كَـرَّرتُـهـا عـادت كـأحـجـار الـرصـيـف

****

(١)و(٢) هكذا وردت في الأصل.

٢٤ - إني موجود يا وطني[1]

إضاءة

كتب صديقي الصحفي والأديب والشاعر عز الدين مكي يقول في صفحة آخر العنقود التي كان يحررها بجريدة «أنجمينا اليوم» بتاريخ ١٠فبراير عام ١٩٩٤م والذي وافق آخر أيام شهر شعبان، كتب يقول تحت عنوان «مطلوب القبض على الشاعر عبد الواحد حسن السنوسي»؛ «لو أني أملك حق القرار لأصدرت أمرًا بالقبض على الشاعر عبد الواحد حسن السنوسي بتهمة إهدار ثروة قومية ولحبسته في قصر يطل على نهر (الشاري) ليتفرغ فيه للإبداع» فرددت عليه بهذه القصيدة:

[المتدارك]

(مـطـلـوبُ) الـقـبـض عـلـى شـخـصـي
عـنـوانُ قـارئِـهُ يـحـتـارْ

«انجـمـيـنـا الـيـوم» تـسـجِّـلـهُ
فـي آخـر عـنـقـود الأخـبـار

فـي الـيـوم الـعـاشـر مـن فـبـرا
يـر، آخـر أيـام الإفـطـار

وصـديـقـي «مـكـي» كـاتـبـه
مـا كـان صـديـقـي بـالـمـهـذار

أعـرفـه رجـلاً إنـسـانًـا
يـأتـي الـحـسـنـى ويـصـونُ الـجـار

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي أنجمينا اليوم ٢٢ فبراير ١٩٩٤م، نشرت القصيدة في العدد١٣ بتاريخ ٢٤ فبراير ١٩٩٤م لجريدة انجمينا اليوم بعنوان «أهي موجود يا مكي».

ويحاول أن يصنع شيئًا

في وطني المهزوم المنهار

لكنَّ الواقع يمنعه

دومًا وتعانده الأقدار

إني موجودٌ يا وطني

موجودٌ مثل غريب الدار

وحدي في بيتي معزولٌ

لا سمَرَ هناك ولا سُمَّار

مسقومُ الجسم بلا مرضٍ

مشتوت الخاطر والأفكار

أوجاعُ بلادي تؤلمني

فنزيف جراحي ذا فوّار

فبلادي فوق شفا جرفٍ

هارٍ تنهار.. وكم تنهار

وأراها مكتوفَ الأيدي

لا قوةَ أملكُ لا أنصار

أنظر لبنائي يتداعى

ومصيري تنهشه الأخطار

ما كنتُ لأطلب يا وطني

سكنًا في الشاطئ للأشعار

ما كنتُ لأطلبَ لي قصرًا

وحدائق تزهو بالأزهار

لو أن بلادي تسمعني

تسمعني رغم هوا الإعصار

إعصار خناجر تتهاوى

تتقمص آلاف الأدوار

الكلُّ يغازلُ طلعتَها

ويمثل فارسَها المغوار

إعصارُ ضمائرَ ميّتةٍ

تتقبَّل حتى عارَ العار

مِن أجل منافعَ فانيةٍ

من أجل فرنكٍ أو دولار

إني بأتمِّ استعدادٍ

أن أسكنَ في أحقرها دار

في كوخ أو بيت فراءٍ

في كهفٍ ناءٍ أو في غار

لو أن بلادي تسمعني

من خلف ملايين الأسوار

من خلف ملايين الثوار

من أجل الدرهم والدينار

يأتون إليها قد لبسوا

أثواب الأبناء الأبرار

حتى إنْ سكنتْ في يدهم

لبسوا فيها ثوب الأشرار

وبدون ضمير حلبوها

حلبوا ثروتها كالفجار

فالأمةُ ليست تعنيهم

والوطن الغالي خيط بخار

فبلادي في عرف أولئك

لا تعدو من بعض الأبقار

ما كنتُ لأطلب يا وطني

شيئًا لو أن يدي تختار

لو أن بلادي تُبْصرني

أو تبصر فرسي في المضمار

يعدو من أجل سعادتها

مهما يمتد بنا المشوار

لكني وحدي معزولٌ

في وطني مثل غريب الدار

وضمير الوطنية ميت

قد ألقى الموتُ عليه ستار

وبلادي القسوةُ تنهشُها

وتمزِّقها حمَّى الأظفار

وأراها مكتوفَ الأيدي

لا حول أحوزُ ولا أنصار

لا أملك غيرَ الحبِّ لها

قد تفنى في الحبِّ الأعمار

****

٢٥ - إجدابيــا

[الكامل]

إضــاءة

خرجت من مدينة إجدابيا قاصدًا بنغازي.. ذات أصيل من عام ١٩٧٩م ولم أعد إليها ثانية إلا ذات صباح من عام ١٩٩٥م بعد خمسة عشر عامًا من الغياب والنوى وكانت إجدابيا عزيزة على قلبي، ففيها كان مهد طفولتي وأيامها الذهبية الغالية وفيها تلقيت تعليمي الابتدائي في مدرسة «زيد بن ثابت» الحبيبة، ولقد تعودت السفر واعتدت ولوج المدن دون انفعالات، ولكن لأن لإجدابيا مكانة خاصة في قلبي من بين كل المدن على وجه الأرض؛ فقد أوحت لي رؤيتها والسير في شوارعها التي تغيرت كثيرًا بهذه الأبيات[1]:

إجدابِيَا.. لو أن إخلاصًا يكال إذًا لكلـ
ـتُكِ من وفاء القلب كيلًا وافيا
أجدابيا.. لو أنني خيرت بين مدائن
أخرى وأنت لكنت لي أجدى بِيَا

في حضنكِ الميمونِ عشتُ طفولتي
ونهلتُ ثمةَ سلسبيلاً صافيا
فطلولُ ذاك العهد فيك تشدّني
وتشيدُ بي صرحًا قديمًا باليا

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي – إجدابيا – ليبيا ١١/١١/١٩٩٥م.

ومـــــدارجُ الأطـفـال تـسـري فـي دمـي

وتـضـخُّ ذكـرى الطفل فـي شـريـانيا

مـا إن مـلأتِ بفيض حسنك ناظري

حتى استعاد القلب نبضًا ساميا

نـبضُ المحـب إذا اسـتـعـاد حبيبَهُ

فـلـهُ المشـاعـرُ أولاً ومـثـانـيـا

عشنا الغرامَ أنا وأنتِ فحالُنا

في الحبِّ لم يكُ، قطُّ، يومًا خاليا

كـنّـا كـوالـدة تـهـيـم بطفلها

أو تـوأمـين تـعـاشـقـا فـتـفـانيـا

كـلُّ الـدروبِ تـعـيدني لطفولتي

إذ سِـرْتُ فيها والـدروبُ خواليا

فـهـنـا هـنـالـك أو هـنـالـك أو هنا

دومًـا أعـود بـهـا لحسن مَـغَـاديا

****

٢٦ - قانون غزية/ أو على كنبة[1]

[الكامل، الوافر، المتقارب]

(١)

على كنبة

جلست أمام منزلنا المطيّن ذات يوم أستريحْ

وهلِ الذي مثلي أنا في الناس يومًا يستريح

وطني جريحْ..

وسَدتُهُ قلبي الجريح

فالجرح فوق الجرح ما انفك يسيح

وطني أنا وطنٌ عجابْ!!

وطنٌ قرأت لأجله ألف كتاب

فلم أجد غير الخرابْ

وضمائر ميتة يحكمها قانون غاب

وطني أنا وطنٌ عجابْ

وطن به يلقى الدخيل الأجنبيُّ مراسمَ الترحاب

رغم التدخل واختلاس المال والأفكار والذهب المذاب!!

أما المواطن صاحب الحق فلا يلقى سوى سوط عذاب

فالحاضر الموجود من أبنائه تلقاه محكومًا بقانون الغياب

فحياته فيها اغتراب في اغتراب في اغتراب

والغائب المفقود من أبنائه وهم كأوهام السراب

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، أنجمينا تشاد في يوليو، تموز عام ١٩٩٧م.

وطني أنا وطن عجاب

وطن إذا حدثتكم عنه بألف قصيدة وقصيدة

ما كان لي فصل الخطاب

وطني أنا وطن عجاب

وطني الذبيحْ

وطني الذي جرد فيه كل فرد خنجرا

ليصيب غَنْمًا أو لحقٍّ الغير فيه يستبيح

نسجوا جميعا كيدهم واتفقوا أن يذبحوا وطني الذبيح

ذبحوه حتى العظم ثم انتهبوا أمواله

وتفرقوا يتفاخرون بعزه ويدندنون باسمه

بل يقسمون برأسه وحياته، وطني الذبيح

هم كاذبون منافقونْ

لكنهم للشعب دومًا خادعون

والله يعلم أنهم كذبه

وصحائف التاريخ تشهد أنهم كذبه

وأنا شهيد معها من منبري هذا، على كنبه

(٢)

على كنبه

جلستُ أفكر حتى حدود الجنون

أفكر ما كان أو ما يكون

أفكر في بيع بيتي الوحيد

لأذهب نحو البعيد البعيد

لعليَ أرتاد ذاك الجديد

وهل من جديد؟؟

على كنبه

أفكر في بيع أرضيتي

أمزق أوراق جنسيتي

لعلي أحقق أمنيتي

ببيت جديد يظللني فيه حسن الأمان

وحس الكرامة معْ زوجتي

وطفلي معي فيه أو طفلتي

على كنبه..

جلست أفكر حتى حدود الجنون

أفكر ما كان أو ما يكون

ثلاثون عامًا على كنبه

أجالس شخصًا يسمى همومْ

يقاسمني جلسة الدكة

ثلاثون عامًا على كنبّ

أراقب أوساخ هذي الأزقّ

تراكم تزداد في كل يوم

ثلاثون عامًا أراقب حولي خليط السمومْ

تطنُّ عليها جيوش الذباب

جيوش النهار وقبل الغروب

وبعد الغروب.. تروح وتأتي جيوش المساء

جيوش البعوض.. تدق الطبولْ

وتصبح مثل جيوش المغول

وتبدأ فور الوصول الهجوم

وترسل نحو الجيوش السهامْ

تمص الدماء وتنفث فيها بقايا السموم

لتذهب في الصبح ملء البطون لكيما تنام

ويبدأ جيش البعوض البديل

يُرِيش النبالْ

ويعرض رتل الصفوف الطّوال

ليبدأ هذا المساء الهجوم

حروبٌ حروبٌ.. حروب هنا وحروب هناكْ

بغير انتصارٍ وغير انكسارْ

صباحًا مساءً شتاء وصيفْ

يمزق فيها القوي الضعيفْ

ويُلقَى به في مهاوى الزوال

ولكنْ محالٌ محال محال

فسرعان ما يستعر الذمار.. يدور المدارْ

يعود إلينا الضعيف قويًا

فيفتك بالآخرينْ

بنفس الطريقة نفس المدارْ

يدور المدار

يحل مكان الصغار الكبار

وتذهب عنا شموس الصغار

وتغرب تغرب نحو الزوال

ولكن محال، محال، محال

يدور المدار، يدور المدار

لأنا ركِبْنا على عربات الحروبْ

لأنا ركبنا على عربات الدمارْ

ورغم التوقف بعض المساءْ

وجزء من الليل أو من أوان النهار

فسوف يدور المدار كشأن الإطار

إذا ما تحركت العربه

على كنبه

(٣)

على كنبه

جلست أراقب الأيام تمضي والزمانْ

أتجرع الصمت المهينْ

أتجرع الآلام من كأس الهوان

لا تحسبوا أني جبان

فالصمت عجز حين تمتلك اللسان

لكنه إذ لا حياة لمن تنادي

بات عجزًا أن تنادي أمة الموتى

وترسل صرخةً تمتصها الوديان

فلطالما ناديْتَها الأوثانْ

لكنه ما من مجيبٍ دعوتي

جنى رجيع صدى ندائي ذاب في أودية النسيان

الأذن الصماء في مسيرة الكلام أعتى عَقَبه

تتعطل الألسن ما تتعطل الآذان

لا تحسبوا أني جبانْ

فلطالما كافحتُ أشباحَ التخلف والهوان

وبذلت من كنز العطاء على امتنان

وأضأت عمري شمعة تهدي طريق التائه الحيران

ونصبت نفسي مرشدًا يدل كل حائر توهان

جردت من نفسي طلائع ثورة تعاند الظروف والمكان والزمان

راهنت عصرًا عشته بحماستي ومبادئي ورضيت بالرهان

غامرت مدفوعًا بكل حميتي وتطلعي للوطن الواحد

رفَّتْ فوقه ألوية الحب كسائر الأوطان

ومضيت أحمل شعلتي في أول الطريقْ

غير آبهٍ بظلمة السبيل وانعدام عنصر الأمان

ونظرت خلفي رامقًا طول الطريق

فوجدْتُني وحدي أسيرْ

لا تابعٌ خلفي يسير ولا نصير

كلٌّ مضى لسبيله كلٌّ مضى لقبيله

وخسرت أشراط الرهان

ووجدتني وحدي غريقًا تصرخ الأنواء حولي

صرخة مجنونة مصطخبة

وبحثت عن طوافة تنقذني عن قشة عن خشبة

فوجدت بعد اليأس هذي الكنبة..

على كتبه

(٤)

على كنبه.. وما أدراك ما كنبه؟

هي العمل الذي ظلت تمارسه جموع شبابنا التعبه

لأجيالٍ وأجيال تمرُّ ودونها عقبه!!

وما أدراك ما العقبه؟!

خلوُّ قلوبنا الحيرى من الإيمان يغمرها

فلا الإيمان بالأوطان يعمرها

ولا الإيمان بالمستقبل المرجوّ يُسْكرها

ولا الإيمان بالباري الذي بالروح أقرنها

وأسكنها حشايا الجسم والجلده

وطمأنها وثبتها وأسكنها وكانت قبل منقلبه

فكيف يلام هذا الجيل إن ما هدَّه الإعياء إن يجلسْ على كنبه؟

على كنبه.. وما أدراك ما كنبه؟

هي العمل الذي ظلت تمارسه جموع شبابنا التعبه

لأجيال وأجيال تمرُّ ودونها عقبهْ

وما أدراك ما العقبهْ؟!

خلوُّ رؤوسنا الوسنى من الأفكار غير الأكل والأزياء

واللذات والضوضاء والجَّلبه

خلوُّ حياتنا العجلى من التدبير والتفكير فيما يَعْمر الوطنُ

المكون من طلول ديارنا الخربه

خلو الساحة الكبرى من الأبطال يبتدرون للحلبه

فساحات الحقول اليوم في بلدي خَلَتْ من طيف زارعها

وساحات النضال خلت هنا من طيف سائغها ودارعها

وساحات العلوم خلت من العلماء والشعراء والكَتَبه

ولم تخلُ من الساحات إلا ساحة اللذّه

هنالك تعدد العدّه

وتلقى في ملاعبها رباط الخيل والشِّده

فثمة تُضرمَ النيران للحرب التي فيها

تتم هزيمة الإيمان والأخلاق

ويحصد معشر الأعداء في يسر حصاد النصر والغلبه

فكيف يلام هذا الجيل إن ما هدَّه الإعياء إن يجلس على كنبه؟

ولم تخلُ من الساحات إلا ساحة اللذه

ففي ساحات هذا الغول يأكلنا

ويذبح كل يوم فوق مذبحةٍ ضحايا الكفر والرده

ترى عرباته يحملن آلاف الشباب إلى مجاهله

فلا وصلوا إلى شاطٍ أمين ثَمَّ يحفظهم ولا استبقتهم العربه

فآلاف الشباب اليوم في بلدي

يتوه بلجة الظلمات في وضح النهار

وآلاف البنات اليوم في بلدي

بكارات ضحايا الجهل والإهمال مستلبه

فلا مستقبلٌ للبنت في بلدي سوى المفروض في واقعها المشحون

باللذات منتهبه

وحتى قصة التزواج لا تعدو سوى استبدال بعض مصالحٍ

بالطول أو بالعرض محتسبه

وحتى معشر الأزواج مضطرون رغم الحب أن يستبدلوا العتبه

فكيف يلام هذا الجيل إن ما هدّه الإعياء إن يجلس على كنبه؟

تمامًا مثل ما فكرت

على كنبه

هناك أمام منزلنا المطيَّن ذات يوم أستريحْ

(٥)

على كنبه.. جلست أراقب الأيام تمضي لا تعودْ

كل يوم هي تمضي لا تعودْ

وأرى بلادي بلغت شيخوخة العمر وأضناها الصمود

وأرى بنيها جردوا أنفسهم من كل أشكال الضمير فجاوزوا كل الحدودْ

فالكل يأكل من بلادي عنوة نهبًا وسلبًا من عهودٍ وعهودْ

فكأنما هي جثة ميتة في قبرها قد وسِّدتْ

وكأنما أولادها من حولها سوسٌ ودودْ

عجبًا لهم وبلادهم تشكو التقهقر والتأخر والركود

لكنهم لا يفقهون القول إذ ليسوا يجيدون

سوى لغة التواكل والقعودْ

لا يستقيم الظل لولا يستقيم العودْ

لا يستقيم الظل لولا يستقيم العودْ

ساءلت نفسي ما لها بلدي أنا بالذات يكره أهلها

معنى الولاء لأرضها ولحبها المفقود؟؟

ما بالها بلدي تربي وتغذي ثم لا تلقى جزاءً

غير صدٍّ وعقوق وجحودْ؟

ما بال أقوامٍ بنوا إيمانهم بالمنطق القائل أن العقل شخصٌ أبيض

والعقل لا يوجد في عقول سود

ما بال أقوام إذا ما أبصروا جلادهم

ذلُّوا وخرُّوا ركَّعًا وسجود

ما بال أقوام إذا ما أُذِلوا لثموا أيادي مذلليهم والخدود

ما بال، بل ما با لها ما بالْ

طرح السؤال على السؤالِ

فعاد يسألني السؤالْ

ولا جوابَ سوى الشرود.. والشرود متعبة

لا يملك الشارد في شرود

إلا اجترار المسغبه

لا حيلة يملكها لا قوة لا تجربه

وما أنا سوى مواطن غريقٍ لم يجد سوى الشرود مركَبه

فقاده الشرود نحو ميناء يسمى كنبة.. على كنبه

(٦)

على كنبة.. جلست أمام منزلنا المطيَّن ذات يوم أستريحْ

وهل الذي مثلي أنا في الناس يومًا يستريح؟

فكَّرتُ في تلك البليه

تلك التي يدعونها بالقبليه

تلك التي ألقت بنا في قعر هاويةٍ قصيَّه

تلك التي انقدْنا لها لجنونها

فتطلعتْ لغة الحوار وغيبت كل الحلول المنطقيه

وبها أثرنا الحقد مارسنا الحروب الهمجيه

وعلى مذابحها ذبحنا نفسنا يا ويح أنفسنا الغبيه

قومي أقول القبليه

عشنا بها مأساة فقدان الهويه

ذُقْنا بها أقصى صنوف الفقر والإملاق ذقنا التبعيه
تبعيةٌ في كل شيء من غطاء الرأس حتى اللغة المحكيهْ
قومي أقول القبليه
ما زال قومي من غزيه
يسترشدون برشدها يغوون إن كانت غويَّه
ما زال قانون غزيَّه
يحتل في وطني الممزق عرشه يحتل أركانا قويه
فغزية هي في قلوب الناس أعمق من هويه
وغزية أرفعُ قدرًا من شعور الوطنيه
وطن الجميع تراه في الترتيب يأتي ثانيًا أو ثالثا أو آخرا
أما غزيةُ فهْي تأتي أولًا حتى يكاد لسان حال الناس
يهتف قائلا: واعلو غزية.. واعلو غزية
مجدٌ قديم حازه هذا الوثنْ.. هذي الغزيه
هذي التي تجسدت بالقبليه
قَومي أقول القبليه
قومي أقول القبليه
هذا الذي سحر القلوب بسحره منذ العهود الحجريه
هذا الذي طبع القلوب بطابعٍ من معطيات البربريه
هذا الذي في بلدي لوّن كلّ عصبةٍ بلونْ
فكل فرقةٍ في بلدي تمتاز عن لذَّاتها بلون
وكل عصبة تختال في أعطافها لأنها بزعمها أصليه
وكل فرقة في بلدي تزعم أنها هي الأساس
وأن أي فرقة أخرى دخيلة دعيه

لكن وطني المنبوذ لا يكسوه أي لون
لأنه وطن الجميعْ
ولونه شعورنا بالوطنيه
تغمد الله شعورنا بالوطنيه
برحمة من عنده ونسأل الله لأهلها
صبرًا وسلوانًا على الرزيه
وهكذا عادت بي الأفكار بعد رحلة مسترقه
قامت بها الأفكار فوق ورقه
عادي بي الأفكار نحو واقعي كئيبةً حبيسةً منغلقه
وكانت الأفكار قبل في عوالم الأحلام حرة طليقة منطلقة
عادت وعدتُ للشرود مُعْرِض ومعْرضه
عن كل ما يمتّ للأحلام بِصَله
ما كانت الأفكار غير لحظات وامضه
ما كنت أحلم غير حلم اليقظه
سافرتُ عبره في رحلةٍ مضطربه
وجدت نفسي بعدها قدّام منزلنا المطين
جالسًا أراجع الأحداث فوق كنبه
على كنبةٍ جلست أمام منزلنا المطين ذات يوم أستريح.

****

٢٧ - ذكرى الحرية(١)

[الكامل]

(١)

وإذا المساء أتى وقنديل المساء
ومضى ينير الأرض من وجه السماء
وجلستُ أرقبُ ضوءَهُ عند العراء
ساءلت عن ذكراكِ قنديل المساء
ذكراكِ أسئلتي لقنديل المساء

(٢)

وإذا أبى غيثُ الزمان نوالا
فرثى الورود وحطَّم الآمالا
وغدا رجائي كله أطلالا
ساءلت عن ذكراكِ أطلال الرجاء
ذكراك أسئلتي لأطلال الرجاء

(٣)

وإذا استدار القرصُ يُؤْذن بالأفول
وكسا بصفرتِهِ تعاريجَ السهول
وأوتْ إلى الأعشاش أطيارُ الحقول
ساءلتُ عن ذكراكِ أطيارَ الحقول
ذكراك أسئلتي لأطيار الحقول

---

(١) عبد الواحد حسن السنوسي، ١٩٩٨م.

(٤)

وإذا تهادى الليلُ في إثر النهار وأدبرْ
ومضتْ طيوفُ الأمس تلحقُ بالزمان الأغبر
وبدا ركابُ اليوم حين الصبح فينا أسفر
سـاءلتُ عـن ذكـراك طيف الأمس
ذكـراك أسـئلتي لطيف الأمس

(٥)

وإذا رياض الورد فاحت واستشاط عبيرها
وتأوهت فيها البلابل واستعرَّ زفيرها
وتنهدت فيها جداولها وأنّ غديرها
سـاءلت عـن ذكـراك آهـاتِ البلابل
ذكـراك أسـئلتي لآهـات البلابل

(٦)

وإذا المواسمُ شمَّرتْ عن ساعديها للعطاءْ
وسنابلُ القمح المحمَّلةِ استقامت في ثراء
وتوقفَ الفلّاح يرمقُ حقله في كبرياء
سـاءلت عـن ذكـراك قاماتِ السنابل
ذكـراك أسـئلتي لقامات السنابل

(٧)

وإذا المساء تلبّدتْ خلف الغيومْ
وأوت إلى أعشاشها كلُّ النجوم
والبرقُ صوَّب ناظريه على الكروم
والرعد حطَّمَ غاضبًا قيدَ الوجوم
وتراعشتْ قطعُ الحصى والرمل من هول الهزيم
سـاءلت عـن ذكـراك حبّات المطر
ذكـراك أسـئلتي لحبات المطر

(٨)

وإذا الخـريـفُ أتـى يـلـوِّح بـفـأسـهِ
وتراعشتْ كلُّ الغصون مخافةً من بأسه
فالكونُ قطَّب وجهه يشكو مرارة كأسه
ساءلت عن ذكراك أغصان الشجر
ذكراك أسئلتي لأغصان الشجر

(٩)

وإذا المحاريثُ استدارت تحت أقدام التلالْ
وترعرعتْ تلك البذور بنغمة الماء الزُّلال
حتى غدت ثمرًا تفيضُ به السلال
وتسامقتْ أفنانها بالظل في قيض الجبال
والقافلين العابرين تفيؤوا تلك الظلال
ساءلت عن ذكراك كل العابرين
ذكراك أسئلتي لكل العابرين

(١٠)

وإذا طوَتْ ذكراكِ أعدادَ السنين
فعكفتُ أنشرُها بأنات الحنين
وتساءل الأصحاب أين الراحلين
ساءلت عن ذكراك كل السائلين
ذكراك أسئلتي لكل السائلين

****

٢٨ - كلنا في الضّاد شرق[١]

[الرمل]

الحمد لله الذي جعلني مسلمًا وشرفني بالإسلام والحمد لله الذي جعلني عربي القلب واللسان وعلمني من العلم ما لم أعلم وحباني بقراءة القرآن أم العلوم وأسبغ على نعمه تدبر معانيه، إنما أقف اليوم بين أيديكم جنديًّا صغيرًا من جنود هذه اللغة لأقدم واجبًا من واجباتي التي أعتبرها مقدسة، قداسة هذه اللغة التي نزل القرآن الكريم بها وجعلها لغة التخاطب في الحياة الآخرة، فتقبلوا مني هذه القصيدة عنوان حب وشهادة وفاء وصك ولاء.

جـــادَكَ الـغـيـثُ إذا الـغـيـث انـهـمـرْ
يـــا تُـــرابًـــا ضَـــمَّ هـــذا المــؤتـمــرْ
بـــــارَكَ الـــلــــهُ لمـــن نـــــادى لــه
وطـــــنٌ لـــبّـــى نــــــداءً فـحـضـر
نـحـن مـــا جـئـنـا لـنـلـهـو سـاعـةً
أو لـنـقـضـي بـعـضَ أوقـــاتِ الـسَّـمـر
أمَّـــنـــا تجـمـعُـنـا أقـــدارنـــا
مـثـلـمـا يـجـمـعـنـا مـــاضٍ غـبـر

(١) قرأت القصيدة في الندوة العالمية الدولية «عالمية الأدب الإسلامي» التي أقيمت في الفترة ما بين ٢٧ من رجب - ٢ شعبان ١٤٢٣هـ الموافق ٥- ٨ من أكتوبر ٢٠٠٢م في رحاب جامعة الملك فيصل بأنجمينا، بالتعاون مع رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالمملكة العربية السعودية ومركز رسائل النور بتركيا، والقصيدة الآن مكتوبة على الكمبيوتر ومحفوظة لدى الأمانة العامة بجامعة الملك فيصل.

كلُّنا في الضَّاد شرقٌ واحد
دربُنَا «صنعا» وإن طال السفر

جمعتَنْا لغةٌ سامية
لغةُ المحكم من آي السور

أنزل الله بها فرقانه
بيِّناتٍ هاديات للبشر

خذ لها السبع المثاني مثلا
أو فخذ «هودا» و«طه» و«الزمر»

خُذْ من القرآن ما شئت لما
شئت واصدع بالمثاني وأْتمِر

بارِكَ اللهُ لدِينٍ ضمَّنا
ووقانا من غواياتِ الكِبَر

فعسانا قد أقمنا حجةً
لصلاح الأرض واستئصالِ شر

فهي ميراثٌ لنا إن صلحتْ
ذاك ما سطَّر في متنِ الزُّبر

نحن يا قومُ حَزَمْنا أمْرَنا
وعلى الجمر مشينا نحتصر

وعَجَنَّا الضَّادَ من أدمائنِا
فتجلَّى في بنينا واختمر

من أراد الضادَ يلقاها هنا
بين فرثٍ ونجيعٍ مُنهمر

نحن يا ضادُ مشيناكِ خُطًى

وارتضيناكِ قضاءً وقدر

حفروا خندقهُمْ من حولنا

وأبادونا وقوفًا كالشجر

طمسوا تاريخنا أو حاولوا

طمسه ليلاً وهل يخفى القمر

كلما كادوا لنا كيدًا غوى

مثل كيد السحر يغوى من سحر

قتلوا أعلامنا واستعملوا

كبكبًا لم يُبقِ حيًّا أو يذر[1]

كم من الشهْداء قد ماتوا وكم

ملأتْ أجسادهم تلك الحفر

قَرروا إفناءنا من جهلهم

قل لهم هيهاتَ أن تَفنَى مُضر

نهبوا أملاكَنَا واستلبوا

أرضَنا كلَّ نفيس منطمر

لم يراعوا الله في أقواتنا

كيف يرعى الله رعيان البقر

خدعونا وادَّعوا استغلالنا

إنما ذاك خداعُ للبصر

---

(١) في البيت إشارة إلى حادثة الكبكب (الساطور) التي نفذت عام ١٩١٧م بمدينة أبشي والتي استشهد فيها أكثر من ٤٠٠ عالم وشاعر.

تركوا طابورَهُم في أرضنا
عيِّناتٍ مثلَ فأر المختبر
وبهم صالوا وجالوا وسْطنا
فرضوا كلَّ بغيضٍ محتضر
لغة الأعْجَام لا مِنَّا ولا
نحن في بادية أو في حضر
فرضوها ثم قالوا إنما
لغةُ القرآن شرٌّ مستطر
لعنة الله عليهم كذبوا
ليس منا كلُّ كذابٍ أشِرْ
عرفَ الحقَّ فلم يؤمنْ به
ومتى يؤمن قلبٌ من حجر
ختم الله عليه خَتْمه
فهو لا يبصر إلا في سقر
نحن يا إخوتَنا تاريخنا
سيرةٌ للضاد من أزكى السِّير
وامتداد لخطى أسلافنا
إنما النارُ نتاجُ للشرر
نحن يا إخوتنا قد رابنا
دهْرُنا لكننا لم ننْدثر
قد قضينا العمرَ نرجو حقَّنا
في ميادين الوغى كرٌّ وفر

ودفَعْنا كل غالٍ فديةً

كي يرى النورَ كهذا المؤتمر

واحتسبنا اللهَ في إخوتنا

ذهبوا قبل اجتناءات الثمر

فإذا ما خاننا التوفيقُ في

بعض أشياء فعنها المعتذر

نحن يا ضادُ إذا الخيلُ عَدَتْ

في كديد الحرب جئنا نبتدر

نطعنُ الأعلاجَ في أَنْحُرِهِم

فَهْيَ إحدى الحسنيين لا وزر

نحن يا ضاد لنا أيامنا

في لظى الصحراء إذ ولوا الدبر

أرض «منقلمي» و«صلاّل» التي

كان فيها عبرة للمعتبر[1]

إذ تركْنا فوقها أشلاءَهُمْ

مزقًا مثل الهشيم المحتضر

وتركنا عندها أرواحَهم

طعمةً للنار بئس المستقر

وأذقناهم عذابًا حاضرًا

وعذاب الله أدهى وأمر

نحن يا ضادُ فديناك فدًى

ليس يفديه ذليل منكسر

---

(١) «منقلمي» و«صلال» أسماء لأماكن في تشاد.

بالدم الغالي وبالروح معًا

لا أنامَ اللهُ عين المنحدر

نحن ما صنَّاكِ إلا بعدَ ما

بلغَ السيل زباه وانحدر

زعموا أنك لا ترقى إلى

سدةِ العلم، فمن أين المفر؟

وعلومُ الكون فيضٌ سال من

بحرك الزاخر دومًا بالدرر؟

زعموا أنكِ ضيفٌ عندنا

كيف يُستبضَعُ تمرٌ في (هَجر)؟

إن من يسخر يا ضادُ بنا

إنما يصطاد في الماء العكر

إن يكن حبك خمْرًا فملأئي

كأسها حبًّا وهاتي نختمر

(هل رأى الحب سكارى مثلنا)

لا يفيقون من العشق الخطر

أينما يشملنا حبٌّ لِمَا

هو حق يوم لا تُغْني النُّذُر

لغة الفردوس إذ تحكي بها

حورُ عِينٍ في مآقيها حَوَرْ

لا أفاقَ الله مَشْمولاً لنا

ما دعا لله داعٍ أو شكر

نحن يا إخوتنا في خندقٍ
واحدٍ رغم اختلافات النظر
دينُنا إسلامُنا يجمعُنا
ولسانٌ يعربيٌّ مشتهر
ورسولٌ واحدٌ قدوتُنا
هو خير الخلق من جنس البشر
نحن يا إخوتَنا في كربةٍ
من أحابيل العدى جوًّا وبَر
كم دهانا القرحُ في بلوائهم
فشكرنا اللهَ من مسّ الضرر
بَلْ بَلَ الكفار أجيالًا لنا
وغزَوْنا بثقافات الصور
داوموا إغراءنا واستعملوا
كل أسلوبٍ دنيء منتكر
زيَّنُوا للناس دنياهُمْ فها
قد سرى في الناس (أفيونُ) الخَوَر
فنَسَوا أننا ملكْنَا أمرهم
بهُدَى القرآن والذِّكْر العَطِر
فافتحوا أعينَكُم يا قومَنا
واستفيقوا من رقادٍ وخدر
من يكن أسلافه أسلافَنا
قطعَ النومَ بأسياف السهر

أيـن منـا خـالـدُ سـيـفُ الـوغـى

مـن سـيـوف الـلـه مـسـلـول الخـطـر

وعـلـيٌّ لا فـتـى إلاه مـن

(أُحُـدٍ) أو (خـيـبـرٍ) حـين انـتـصـر

وأبـو بـكـرِ الـذي لـو مـنـعـوا

مـن جـبـايـاه عـقـالًا مـا صـبـر

وابـن خـطـابِ الـذي فـي عـهـده

فُـتِـحَ الـقـدس بمـفـتـاح الـظَّـفـر

عـدْلُـه كـان مـثـالًا يـحـتـذى

طَـبَـقَ الأفـق ودوَّى وانـفـجـر

أيـن مـنّـا حـمـزةُ لـيـث الـشَّـرى

سـيـدُ الـشـهـداء مـشـهـور الخـبـر

وشـهـيـدُ الـدار عـثـمـان الـذي

سـيَّـر الجـيـشَ وأقـرَى ونـحـر

وابـن جـراحٍ أمـيـنًـا قـائـمًـا

يـحـكـم الـثـغـر ويُـرْدي مـن كـفـر

أيـن مـنـا عـقـبـةُ الخـيـر غـزا

بـخـيـول الـلـه بـيـضـاءِ الـغُـرر

والمـثـنـى وابـن وقـاصٍ ومـن

بـهـم الإسـلام فـي الأرض انـتـشـر

وصـلاحُ الـديـن شـمـسٌ سـطـعـت

فـي سـمـاء الـقـدس صـبـحًـا وسـحـر

هزمَ الصُّلبانَ رغمَ جموعِها

والتقى بالسيف كيد من غدر

أين منا فيصل الحقِّ الذي

كان اسمًا من مسمَّاه صدر

ملكٌ من خير من زكَّى ومن

خير من صلَّى وحج واعتمر

زارنا والخير في أعطافهِ

فابتنى فينا صروحًا وعَمَر

تاركًا ذكرًا كريمًا خالدًا

عابقًا بالمسك والزهر العَطِر

مسجدًا حاكى الذي في يثربٍ

أثرًا يا حبذاه من أثر

فتأمْلها عروسًا زُيِّنتْ

بجمال العلم بالورد النضر

برزتْ في خدرها من بعدما

أطفأت شمعاتها الإحدى عشر

بارك الله رجالًا صارعوا

كل صعبٍ من صعوبات الغِيرَ

وأقاموا صرحها واستقبلوا

بسلاح العلم أتٍ مستتر

عرقُ الأعوام ما ضاع سدى

وجهود الأمس ما راحت هَدِر

فهي مستقبلُ أجيال لنا

كاد مستقبلها أن يحتضر

فبها راياتنا قد تعتلي

وبها طوفانهم قد ينحسر

فاحمدوا الله الذي سدَّدَنا

وهدانا لسليماتِ الفِطَر

إن حمدَ الله محمودٌ إذا

جادك الغيثُ إذا الغيثُ انهمر

****

محمد عمر الفال[1]

١ - وَفْدُ فَهْدِ الخَيْرِ

[الطويل]

نُـحـيِّـيـكَ يــا وفــدُ وهــا أنــت شـاهـدُ
وقــد كـنـتَ ربَّ الـدار فـي الـقـلـبِ نـازلُ

فـمـا بـين هـذي الـدارِ يـا وَفـدُ فـي الـعُرى
وبــين ريــاضِ (الــنَّـجـدِ) هـذي الـشـمـائـل

تــعــاظَــمَ فـيـنـا الـخـيـرُ مــا دام بـيـنـنـا
ومـــادام وفْــدُ (الــفَــهْــدِ) فـيـنـا يُـواصـل

وفـودكـمُ - يَـا فَـهْـدُ - تـهـدي إلـى الـهدى
وتـسـعـى إلــى الـخـيـراتِ مـا ســال سـائـل

أيــا خـــادِمَ الـحــرمــيـنِ إنــك هــا هـنـا
وإن غـبْـتَ عـنـا إن خـيـرَك واصـلُ

---

(١) الشاعر الدكتور محمد عمر الفال شاعر تشادي ولد سنة ١٩٦٨ بمحافظة البطحاء الشرقية وتعلم القرآن الكريم على يد والده، ثم سافر إلى ليبيا وأتم فيها دراسته الابتدائية ثم سافر إلى مصر والتحق بالأزهر الشريف ومنه نال الشهادة الإعدادية سنة ١٩٨٤ ثم سافر إلى سوريا وهناك درس المرحلة الثانوية ثم الجامعة، ثم سافر إلى السودان فنال درجة الماجستير في اللغة العربية من جامعة أم درمان سنة ١٩٩٧م وبعدها نال درجة الدكتوراه في سنة ٢٠٠١ وقد التحق بصفوف ثورة «فرولينا».

وعمل محاضرًا في كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة أنجمينا، ثم انتقل ليعمل محاضرًا في كلية الدراسات الإسلامية الليبية.

وللشاعر ديوان مخطوط بعنوان «أصداء النفس»، ويعد من الشعراء المحافظين في تشاد، ويتسم الديوان غير المطبوع بمسحة دينية محافظة وملتزمة بأصول الشعر القديم، وفي الوقت ذاته يعبر عن همومه الذاتية وهموم مجتمعه من حوله.

مقابلة مع الشاعر في مبنى كلية الدعوة الإسلامية بأنجمينا، أبريل ٢٠٠٢م.

نُـنـاديـك مــن بُــعْــدٍ وهــا أنــت هـاهـنـا

يُــجــاوِبُ عـنـك الــقــومَ فَـضْــلٌ ونـائـلُ

فـضـلْـتَ عـبـادَ الـلـهِ سـعـيًـا إلــى الـعُـلا

ولا شــكَّ حــامــي الـبـيـتِ والـبـيـت فـاضـل

قــدومُــكُــم يــا وفْـــدَ (فَـــهْـــدٍ) يـغـيـثـنـا

وشـــادكـــمُ مــحْـــلٌ وذا الــغــيــثُ هــاطــل

إذا غـــاب عــنّــا فــيـصــلُ جـــاء بــعــده

فــيــاصـــلُ غــيــثٍ بـــعـــده وفـــيــاصــل

أقـيـمـوا بـنـي الأحــــرارِ فـيـنـا مـنـائـرًا

تَـزيـنُ سـمـاءَ الـشـادِ، والأرضُ مـاحِـل

غـشَـاهـا زمـــانُ الـحـرب حـتـى تـعـاقـبـتْ

عـلـيـهـا جـنـود الـفـقـر: ركْـــبٌ وراجـــل

تــنــاوب فــيـهـا الـخـطْــبُ حـتــى كـأنـمـا

إذا جــاءهـــا (قُـــسٌّ) تـنـحـنـح (بــاقِــلُ)

وقـــد كـــان لـلأجـيـال مـــن قـبـلُ فـيـصـلٌ

بـنــى مــجــدَه بـــالمـــالِ، والمـــال راحـــل

سـمـا فـيْـصـلٌ يـبـنـي - ومَـنْ بَـعْـدُ فـيـصـلٍ -

قــلاعًــا يـشـيـخُ الـدهــر فـيـهـا، ومـائــل

أفـي الأرض مَـنْ يـبـنـي قـلاعًـا عـلـى المـدى

تُـقـارع رَيْـــبَ الـدهــر، والـدهــرُ زائــل؟

بــنــاهــا فــأعــلــى ثــم قـــال عــلــى المــلا

إلــى مـثـلِ هــذا المـجـدِ، مــا أنــا فـاعـل

أُسابق هذا الدهرَ بالبذلِ جاهدًا
وإن مِتُّ، باقي الحمدِ عني يناضلُ
فما الموتُ يخشى غير أنّ لدى الفتى
رغائبَ خيرٍ حال عنها الحوائل
يموتُ الفتى لا شكَّ والموتُ لاحق
سوى أن موتَ الخيِّرينَ يُعاجل
فقدناك - يا مَلْكُ - وقد عِشْتَ بيننا
فها أنت فينا اليومَ ماضٍ وقابل
وحاضرُ عِلْمٍ فوق دينٍ فإننا
نحييك ما عِشْنا كأنك ماثل
بنى مركزًا للدين في (الشادِ) شاهقًا
فقائلةٌ مَنْ شاد هذا وقائل؟
تخرّج منه الجيلُ والجيلُ لم يكن
له أبدًا يومًا سواه بدائل
إذا سابقتْ أجيالهُ القومَ مالها
سوى السّبْقِ يومًا حين يأتي الأوائل
ولم يكُ ذاكَ الفوزُ إلا لأنه
وراء وراء الأمرِ هادٍ وعاملُ
رجالٌ يرون المجدَ أدنى مُناهُمُ
ولو هَدَّمتْ ما يبتغون المعاوِل
قليلٌ همُ في النّاس لا شك أنهمْ
- بما قدّموا للخير فينا - قلائل
فمنهم وزيرُ العلمِ (آدمُ قُجَّةٍ)
رعى ما رعى والنّاسُ: سالٍ وسائل

تحمّل عِبْءَ (الضادِ) حتى كأنه
ينوء بأحمالٍ لهنّ حَمائل

ومنهم إمامُ الدين أعني (حُسَيْنَهم)
فقد عَظُمَتْ أفعالُه وَهْوَ ناحِل

إمامٌ يحبُّ الخيرَ للناسِ ما ونَى
يلاحقه منهم لئيمٌ وجاهل

ولكنه لم يُلْقِ بالاً، فما المدى
على رأيه إلا رحيل وراحل

بتاريخ ٢٠٠١/١/١١ أنجمينا – تشاد

نظمت بمناسبة حفل تكريم خريجي

مركز الملك فيصل الإسلامي يوم ٢٠٠١/١/١٢ بقصر ١٥ يناير

****

٢ - لم يبق لي فيك عذر

[البسيط]

إن قلتِ: ما لك تلحاني وتعذلني

جرَّاءَ ما عثرت إياك بي قدمي

خطيئةٌ بَدرتْ في زَخْم مكرمةٍ

مني على عجل لولاك لم تُقَمِ

إني أرى من يقع في مزلق لَزِجٍ

لا يعذر الدهر مرهونًا بجرم دم

أهكذا حكم كل الناس إن حكموا

على بريءٍ من الآثام منفصم

قد كنتُ أحسب ما فعلي بمنخفض

إليك أنتَ، ولا قولي بمنجرم

أرقتُ فيك دموعَ الشوق تسعفني

مبادئ نلتها من خير محتدم

ناضلت دونك من أعطوا مودتهم

في سالف الدهر غذّوني من النعم

وما شكوت لظى حرب يُؤجِجها

لحرق أهدافنا جيشٌ من اللُّؤَم

وصيَّرتْني ملاكًا في بنات أبي

معاركٌ خضتها في أحلك الظُّلَم

أمـــام ســـورٍ مــن الـــعـــادات يـصـرفـنـا
عـن الـلِّـحـاق بـركـب الـصـحـب فـي الـقِـدَم
فــفــزتُ فـيـهـا بـسـهـم الـنـصـر جـائـزةً
مـن الـضـعـاف صـغـار الـعـزم والـهـمـم
لـم يـبـقَ لــي فـيـك عــذرٌ فــي محـاجـجـتي
هـــذا جــمــاعُ، لمــا أخــفــاه مـنـك فـمـي
أقـــول: لا تـضـرعـي فــي سـاح مـغـفـرتي
فـــإن مــثـلـكِ لا يـجـثـو عـلـى قـدمـي
بــرئــتُ مـنـك بـــراءَ الـذئـب يــوم جـنـى
أبـــنـــاءُ يـعـقـوبَ فـاحـتـالـوا لــه بـدم
ألـقَـوا أخـاهـم مـن الأحـقـاد منـتـسكًا
فــي قـــاع بـئـر، ولـــم يـلـــووا لمرتـطـم
وأذرفــــوا الــدمــع تـصـديـقًـا لـفـعـلـهـمُ
فـي صـدر يـعـقـوب خـالـي الـذهـن مـن نقم
كـــذاكَ أنـــتِ، فـلا يـخـفـى خـداعـك لي
وقـــد بَـقَـى أزمـنًـا يـسـري خـــلال دمـي
مـا أشـبـهَ الـيـومَ بـالأمـس الــذي ذُكِـرَتْ
أخـــبـــارهُ فـــي كـتـاب الـلـه، لا قـلـمي
قـد كـنـت فـي غـفـوة لـيـلاً بُـهـرتُ بـهـا
والـيـوم أيـقـنـتُ أن الـنـورَ فـي حـلـمي
إيـــاك أن تـقـربـي أنــــوار مـسـرجـتي
فـــإن قُــدْسِــيَ مــحــروس عــن الـظُّـلَـم

حــاشــايَ أن أرتــضــي عــذرًا لجـانـيـة

كـانـت تُـدنِّـسُ فـي قـدسـي وفـي حـرمـي

حــاشــايَ أن أقـتـفـي رسـمًـا لـظـالمـةٍ

قـد حـار فـي أمـرهـا مـجـمـوعـة الأُمـم

سـحـبْـتُ كـل رصـيـدٍ كـنـت أُودعـه

لأنَّ (بَـنْـكَـكِ) لـم يـسـلـم مـن الـتُّـهـم

حررت يوم ١٩٩٥/٦/٥م – الخرطوم

****

٣ - موقوف ٢

[الكامل]

لا تحـزنـي مـن عَـرْشِـكِ الخَـرِبِ
كـلاً، ولا مِـنْ أمْـسِـكِ الـدابـرْ
لا تـقْـرَبِـي يـا هـنـدُ ضـارعـةً
إيَّـاكِ، إنّـي لـسـتُ بـالـغـافـرْ
أخـتـاهُ إنَّ الحُـبَّ فـي زمـنٍ
فـيـه الـعَـفَـافُ عـلامـةُ الـفـاجِـر
لا أرتـضـيـهِ وقـدْ بـدا قـمـرِي
يُـنـوِّر الأكـوانَ لـلـسـائـر
لا تَـخْـدِشِـي خـدَّيْـكِ آسِـفَـةً
مِـنْ فَـوْتِ حُـبٍّ مَـرَّ كـالـزائـر
فـالـنَّـاسُ فـي أهـوائـهـم حُـمُـرٌ
يـتـفـاخـرون ومَـا لَـهُـمْ فـاخِـر
لا تَـعْـجَـبِـي أخـتـاه مـن غَـضَـبِـي
فـالحُـبُّ فَـوضَـى، فـاقِـدُ الـنـاظـر
أخـتـاهُ إنَّ الحُـبَّ مـخـتـلِـفٌ
عـنـدي، وفـي مـفـهـومِـهِ الخـاسـر
أنْ لا حـبـيـبَ بِـذِي الـدّيـارِ ولا
حُـبٌّ كـمـا كُـنَّـا عـلـى الـغـابـر

أخـــتـــاهُ إنَّ الـــوصــــلَ مـنـقـطـعُ
فــابْـكِـي جَــوًى مِـــنْ حـظِّـكَ الـعـاثِـر
لا تــأسَــفِـــي مـــن حـبِّـكِ الـنَّـجِـسِ
كـــلاَّ، ولا مِـــنْ طُـــهْـــرِكِ الـسـافـر
لـــلـــنَّـــاسِ فـــي عُـــشَّـــاقِـــهِـم بَـــدَلٌ
إنْ صـــحَّ ذا أو مِـــيـــلَ فـــي آخـــر
لا تَحْـسَــبِــي يَـــا مَـــنْـــبَــتَ الـــدِّمَـــنِ
أنِّـــي سَــكَـنْـتُ الـقـلـبَ فـي الـظـاهـر
خـــضـــراءُ حُـــسْـــنٍ زَانَـــهـــا خَـــوَرٌ
لـكـنَّـهـا أُلْـــعُـــوبَـــةُ الـسَّـــامِـــر
فَـلْـتَـذْهَـبِــي يـا ظـبـيـةَ الـعَـطَـنِ
خـــضـــراءَ حُـــسْـــنٍ خـــاثـــرٍ فـــاتـــر
قـــد قـــالَ ذاكَ الـمُـصـطـفـى قِـدَمًـا
فَـــهْـــوَ الـــدَّلـــيـــلُ عـلـى نـــوى الـمَـاكـر
فـــالحـــبُّ فـــي قـلـبـي تُـمَـــزِّقُـــهُ
ذِكــــــراكِ لـيـت الـــلُّـــبَّ كـالـظـاهـر
يـــا هـــنـــدُ إنِّـــــي عـــنْـــكِ مـــرتـحـــلُ
فـــابْـكِـي إلـــى أنْ يـعـطِـف الجـائـر
لا تَـــرْكُـــضِـــي أخـــتـــاهُ فـــي أَثَـــرِي
إيَّـــــاكِ أنْ تَـــسْـــرِي عـــلـى الخـاطـر
قـــد كـــنـــتِ فـــي قـلـبـي مُـعـظَّـمـةً
والآن أشْـــكـــو مـــن هَـــوَى الـبَـائـر

قَدْ خابَ ظنِّي فيكِ أنزعُهُ
كَيلا تَبقَّى ذِكْرةُ الذاكِر

قَدْ صِرْتِ في عينيَّ حينَ أرَى
مثلَ القَذاةِ على النَّقا الطاهر

قد دُنِّسَتْ في مُقلتيك يدي
وَاحَسْرَتاكِ على يدي الغائر

أختاهُ لا يَغْرُرْكِ في طلبِي
أنِّي سَكَنْتُ القلبَ في الظاهر

لي شِيمةٌ لم يُعطَها أحدٌ
غيري، إذا ما عِفْتُ كالطائر

أعلو وأسمو في العُلا أنِفًا
- كيلا أُدَنَّس - في الهوا الطاهر

أختاهُ ما لي فيكِ مُطَّلَبٌ
فابْكِي إلى أن يسمعَ العابِر

أختاهُ إنَّ الحبل منقطعٌ
بيني وبينكِ رِفْقَةُ السَّائِر

****

٤ - القلب النابض

[الكامل]

تُريدُ صدِّي عن هوايَ لعلَّما
أجِدُ السُّلُوَّ بنأيها وأُصَنِّفُ

لا، لن أشُقَّ عصا المودة بعدما
عَلِق الفؤادُ بمن أُعِزُّ ويكنِف

لو كنتَ تُبلَى ما بُليتُ رحَمْتني
بالحب يُعرفُ مَن يضِنُّ ويُسرِف

يا عاذلي حكم الإلهُ بودِّنا
يوم انثنى زهرُ الرياض يُرفرف

رغْم البِعادِ يلومني فيك الأنا
مُ، ولم تزل آمالُنا تُستأنَف

حَذَرَ الوُشاةِ أُريد بُعْدكِ راجيًا
منكِ السلامَ، وليتني أستكشف

منكِ الجوابَ، وقلَّما يستصغرُ
ليَ ما رجوتُ من السرور فأسف

رَصَدَ الوُشاةُ بحقنا سهمَ العِدى
ولقد جَهِدتُ أصدُّهم وأُعَنِّف

تبَّتْ يدا المتقاعسين عن العُلا
ولما بَقِيْتُ لأُعرِضَنَّ وأَصْدِف

شـاهـتْ وجــوهُ الـلائـحـين عـلـى الـهوى

ودَعَـــوْتُ (عَـبْـدًا) بـالـكُـنى وأُحَــرِّف

إسـمًـا يـبـدِّد ذكْــرُهُ فـيـنـا الـقـوى

وإذا رأيـــتُ خـيـالَـه أتـلـهَّـف

أنـا لـن أمــوتَ ولـي قُـلَـيْـبٌ نـابضٌ

ولـقـد بُـلـيـتُ هــوى الأحـبَّـةِ أهـتـف

(يـا لـيـتَ شـعـري مَـنْ بـدا لـي نَـأيُـه

ذا الـعـام يـبـدا بـالـوئـام ويـعـطـف)

نظمت بتاريخ ١٩٩٢/٣/٥م

دمشق

****

٥ - لك التحيات

[البسيط]

لـــكِ الـتـحـيـاتُ أهـديـهـا مـعـطـرةً
لـتـعـلـمي أنـنـي بـاقٍ عـلـى الـعـهـدِ[1]

عـهـدِ المـــودةِ إذ تحـلـو مـجـالسُـنـا
مـن فـائـح المـسك أو مـن طـيِّـب الشـهـد

أيـــامَ نـسـتـرقُ الـلـقـيـا وتـرقـبـنـا
عـينُ الـوشـاةِ، فـلا نـامـت إلـى الأبـد

مـا بـالُ عـينِ الحـسـود الـدهـرَ تـرصـدُنا
تـبـت يـــداهُ وعـانـى حـرقـة الـكَـبـد

أُحِـــسُّ دونـــكِ بـالحـمَّـى تُـعـكِّـر لـي
صـفـو الحـيـاة عـلى مـا كـان مـن جَـلَـدي

تـهـواكِ نـفـسي إذا مـا رحـتُ أصـرفـهـا
خــلاف مـا تشـتـهـي إلاَّكِ لـم تُـقَـدِ

حـتـى طـربـتُ وصـار الـكـون يحـسـدني
مـن أن ظـفـرتُ بـذاتِ الـديـن تُـرْبَ يـدي

لـولا الحـيـاء ولـولا الـديـن يعـصمني
لـكـان لـي فـي هـواكِ الـيـومَ مـعـتـقـدي

فـيـكِ الخـلالُ الـتـي تُـبـدي بـواكـرهـا
أصـالـةَ المـنـبـت المـرعـيّ بـالجَـهَـد

---

(١) يلاحظ أن القافية تدور بين الخبن والقطع.

إن كـان لـي فـيـكِ حـظٌ قـد بـدا قـمري

يـنـوِّرُ الـكـونَ مـن ظَـلْـمـاءِ يـومِ غـدِ

نبني الأصـالـةَ بـل نسقي الـثـمـار معًا

مـن روضـة الحـب نـغـذوهـا عـلـى كبد

سَـلِمْـتَ يـا سـاكـنَ الـبـطـحـاء فـيـكَ نـدًى

تُـنْـدي رذاذاتُـه مـا جَـفَّ مـن جسدي

أنـا الـمـريـضُ وعـنـدي فـيـك مُـطَّـلـبي

هـلاَّ سـعـيْـتَ لأشـفـى فـيـكَ يـا وعـدي

٢٨/٤/١٩٩٥م الخرطوم

****

٦ - رفقة السوء

[الوافر]

يقول ليَ الرفاقُ ألاَ تأنَّى
وتنفقُ بعضَ وقتك في الغواني

وتشربُ في صِباك ولا تُبالي
بكأسٍ كان سُكْرك أم بثانِ

وتترك ما دأبْتَ عليه دومًا
لتبلغ جاهدًا سُبُلَ الأماني

تُضِيع شبابك الورديَّ جَهْدًا
بما كلَّفْتَه عِظَم المعاني

وتجري دائمًا من غير وَهْنٍ
كأنَّك فاتحٌ أرضَ الشَّشَانِ

أقول: فإنكم ترضون عيشًا
أذلَّ من البهائم في القِران

عزيزُ القومِ ليس له فراغٌ
يُضيِّعُ في المراقصِ والدِّنان

فإني من سلالة قوم مجدٍ
أبتْ هاماتهم عَيْش الهوان

وإني أستغلُّ فراغ وقتي
بشأنِ الأهل أو أدبِ المثاني

كذاك يقول ربِّي في المثاني
فإن تستغفروا لكُمُ جِناني

نظمت يوم ١٩٩٨/٤/٣م أنجمينا

****

٧ - الحنين

[البسيط]

إنــي ذكــرتــكِ يــا نــعــمــاء مشتــاقــا
والــقــلــبُ يــخــفــقُ إجـــلالًا وإشــفــاقــا

والــنــفــسُ مــن حبكم تصفو ويصقلها
قــلــبٌ يــحــنُّ إلـــى الأحــبــاب تــوَّاقــا

لــم يَــخْــلُ مــن بعدكم طيبُ الحيــاة وقد
لـــذت مــعــايــشــنــا بــالــقــرب إغــداقــا

حــتــى ظــنَــنَّــا وكـــان الأُنْـــسُ يشملنا
والـــودُّ يــجــمــعــنــا، والحـــبُّ دفــاقــا

أن الحـــوادث قــد نــامــت نــواظــرهــا
مــنّــا، فــكــان غـــراب الــبــين نــعّــاقــا

يــومًــا فــصبَّــحــنــا بــالــبــين مبتــهــجًــا
أن لا مُــقــامَ، فــكــان الــعــزم إخــفــاقــا

لــيــتَ الــفــراقَ مــن الأحــبــاب منعدم
ولــيــت لـــي لــقــطــار الــبــين إعــواقــا

لم أدرِ ما البين حتى صافحوني ضحًى
فــكــان تــوديــعــهــم إيَّـــايَ إطــراقًــا

لــو أمــســكــوا طــرف المــنــديــل فــي أثــري
ولـــوَّحـــوا لــكــفــانــي ذاك إشــفــاقــا

لكنهم أطرقوا إطراقَ محتسبٍ

لله مرتقبٌ في البين رقراقا

ففارق القلبُ مني أهل مرحمةٍ

لهم أكون طوال العمر مشتاقا

ليت المنايا تُناجيني وأقْبَلها

ولا يكون وداعٌ منكِ فرّاقا

قد كنت من قبل أرجو البين معتقدًا

أن التفارق يُبْدِي الحُسْنَ أنساقا

فالآن قد بانَ ما أجحفتُ من طلب

فيه الفراقُ ويَبْقَى الوصل دَهْداقا

وصِرتُ في بلد، لا مَن يشاطرني

فيها، وكان هناك الشمل رفّاقا

أهيمُ لا أشتفي مما يُخالجني

حتى يكون خيالٌ منكِ طرّاقا

لا يسكن الروع مني حين أذكركم

قلبي يفرّ من الأضلاع خفّاقا

تكاد تقتلني الأشواقُ يدفعُها

مني خيال من الأحباب برّاقا

إن غرَّد البلبلُ الصداحُ يطربني

حسبْتُ ذاك من الأحزان مزّاقا

وإن تثنَّتْ مع الإيقاع يوم ضُحَى

قسيمةُ الحسن بي، ما حَرَّكَتْ ساقا

لم ألق دونكِ أسباب الهناء ولا

طابتْ مجالسنا يا نِغْمُ إشراقا

والنَّومُ في غرفٍ زالت مودَّتُها

ممن يكون لها أُنسًا وتريَاقَا

كالنَّوم في خِيَمِ الأعراب هدهدها

ويملأ الروحَ إبهاجًا وأشواقًا

متى يعود عزيزُ النفس يُسعدنا

ريحٌ تُقلِّع أوتادًا وأعلاقا

حررت يوم ١٩٩٨/٨/٧م

أنجمينا - تشاد

****

٨ - الألم الدائم

[الوافر]

إلى ألمٍ ومن ألمٍ مصيري
فما أدري غُدوِّي من رواحي

ومِن صغرٍ إلى كبرٍ أعاني
مصائبَ قد مللتُ بها كفاحي

كأنّ سهامها لما تعنّت
قنابلُ فُجِّرت في قصرِ (طاح)

فظِلْتُ أذودها حتى تثنَّتْ
قناةُ عزائمي وعدِمْتُ راحي

سئمتُ مُصابها والخطب همٌّ
يروح ويغتدي من كل ساح

ورُحْتُ إذا نَدَبْتُ سُرَاةَ قومٍ
أجاء بك الهجين إلى الصُّراح؟

قضيْتُ عواتق الأيام عمري
فما أدري غُدُوِّي من رُواحي

فلستُ مباليًا عن قولِ لاح
عَرَفْتُ هُدى السمو مع الصلاح

ضَرَبْتَ مشارق الآفاق أبغي
جحاجح تبتني قصر ارتياحي

دفعت عظائم الأحداث جَهدي

تساقط، ما لبستُ لها وِشاحي

لمحتُ بوارقَ الأيام تحكي

رويدَكَ، ما بلغْتَ ذُرى الفلاح

بُلِيتَ مصارع الأحداث تترى

تبيد، وما يبين لك انشراحي

أراك تصافحُ الأمجاد تعلو

وما في الخلق من يرجو امتتاحي

ثلاثُ عقودِ عهدك قد تقضّت

وحتى اليوم أنت من الطّلّاح

فقلت، أمامكِ الآنام تحكي

بأنَّ لـيَ النَّجاح مع النجاح

وقد يجدُ الخطيبُ رجال بأسٍ

بغانيةِ العفافِ عن السِّفاح

كذاك مشاهِدُ التاريخ تروي

سباق ذوي المروءة في الصلاح

وتاريخُ الشباب إذا تزيّا

رِدا العَلْياء حُقَّ له امتداحي

٥/٥/١٩٩٤م ميدغري – نيجيريا

****

٩ - تناقض الأخلاق

[البسيط]

فـي الـنـاس يـا قـومُ إنسـان تُـضـاهـي بـه
أضـعـافَ مـن أنجبتْ فـي الأرض حـواءُ

صَـدْقٌ صَـدُوقٌ كـأنّ الـصَّـحْـبَ شِيعتُه
والـرسـلُ قـدوتـه لـم تـثـنـهِ لاءُ

لا يـقـذف الكِلْـمـة الـعَـوْرَاءَ من غضبٍ
لـسـوءِ فِـعْـلٍ وإن مـسّـتْـه ضـرَّاء

ولا يـجـازي ذوي الإحـسـانِ مـأثـمـةً
كـيـلا يـكـونَ كـمـن فـي عـقـلـه داء

لـو تـبـتـلـيـه طـوال الـدهـر مـخـتـبرًا
وجـدتـه صـادقًـا مـا فـيـه شـنـعـاء

مـواسـيًـا لـلألـى صـانـوا كـرامـتـه
أيّـامَ كـان فـقـيـرًا مـا لـه شـاء

ومـنـهُـمُ مـن إذا قـلَّـبْـتَ مـعـدنـه
وجـدتـه قِـربـةً لـم يَـرْضَـهـا المـاء

إن شـئـتَ مـزَّقْـتَـهـا مـن غـيـرِ مـا أَسَـفٍ
أو شـئـتَ أبـقـيْـتَـهـا أو قُـلْـتَ: جـوفـاء

لا يُـحـسِـنُ الـقـول إلا حـين تـدفـعـه
لُـعَـاعَـةٌ مـن ذوي الإكـرام بـرْشـاء

لا يـعـرفُ الـصـدقَ إلا أنـه سَـفِـهٌ

وأنّـه بـفـواتِ الـغُـنْـم مَـشّـاء

تـراه مـبـتـهـجًـا مـن فـاقـةٍ نـزلـتْ

بـدار أصـحـابـه تـعـلـوه سـرّاء

١٢- يُـؤَلِّـبُ الـنَّـاسَ إن ضـاقـت بـه سُبُلٌ

كـيـلا تَحُـلَّ عـلـى الأصـحـابِ نَـعْـمَـاء

لـذا يُـلَـوِّنُ لـلأصـحـاب سـيـرتَـه

كـمـا تَـلَـوَّنُ فـي الأشـجـار حِـرْبـاء

فـذاك بـالـصـدق مـفـطـورٌ تـلـوذُ بـه

إذا غَـشَـتْـك مـع الأيـام حَـوْبـاء

وذا يُـزخـرف فـي الأقـوال لـيـس لـه

مـن بـعـض مـا تـدَّعِـي الأقـوامُ إطـراءُ

نظمت يوم ٢٤/٦/١٩٩٨م

أنجمينا - تشاد

***

١٠ - الغنى أو الفقر(١)

[البسيط]

هـذي المقـاديـر يـا قـومـي فَـنـحضنُـها
أم سـنَّـةُ الـلـهِ فـي الأرزاق تبنينا

أن نـحـرثَ الأرضَ والأنـعـامَ نـحفظها
ونـنـشـر الـعـلـم تـهـذيـبًـا وتحـسيـنـا

ونمـنـع الـقـطْـعَ فـي الأشـجـار نتركها
ظـلاًّ ظـلـيـلاً مـن الـرمـضـاء يـأويـنـا

ونُـغـلِـقُ الجـوَّ والأنـهـارَ نـحرسـهـا
مـن الـعـدوِّ، أشَـرِّ الخـلـق تكوينـا

عـاشـوا عـلى الأرض أعـوامًـا وقـد علموا
أنَّـا مـع الـفـقـر مـا زلـنـا يـعـاديـنـا

قـالـوا: نـبـتُّـم عـلـى أرضٍ يُـحـيـط بـهـا
فـقـرٌ، فـقـلـنـا: كـذبـتـم ذاك يـكفيـنـا

لا فَـقْـرَ فـي أرضـنـا المـيـمـونُ حـارسُـهـا
وإنَّمـا الـفـقـر مـن صُـنْـع المُـرَابـيـنـا

قـد أرهَـقَـتْـنـا ديـونُ الـغـرب يُـلـزمـنـا
بـأن نـردَّ إلـيـه الـقِـرْشَ عشـريـنـا

وإن حَـبَـوْنـا بـقـايـا الأُرْزِ فـي سَـغَـبٍ
صـارتْ مـنـائـحـهـم لـلـنـمـل تمـويـنـا

---

(١) قيلت بمناسبة خطاب رئيس الجمهورية/ إدريس دبي في مدينة ماساكوري في شهر يونيو١٩٩٨م، ١٩٩٨/٧/١١م انجمينا - تشاد.

لم ندرِ ما الوُجْهَةُ اللاتي تكون بها

وصار إحسانُهم للفقر تمكينا

لا خير في موطن الأحرار إن عُقِدتْ

حرية القوم في شَحْذِ الملايينا

أنبتغي القوتَ من أصقاعَ نائيةٍ

والماءَ نطلبُهُ - يا قومُ يكفينا -

وتحت أرجلنا الأنهارُ جاريةٌ

وفوق هاماتنا الأمطار ترويناـ؟

يا أيها الشعب إن كانت لكم أُذُنٌ

تُصغي لأحسنِ أقوالِ المحامينا

فالحقُّ ما قاله إدريس[1] قائدنا

إنا عبيدٌ إذا كنَّا مدينينا

هيَّا لنخرج هذا النفطَ مندفعًا

ونَعْمُرَ الأرضَ بُنْيانًا وتمدينا

إنَّا عزمنا على استخراج معدننا

وإن أبَى عُمَلاءُ الشعب تعدينا

ففي الحدود جنودُ الحق تحرسنا

وفي الحقول أُسُودُ الغاب تحمينا

فَلْيَهْنَأ الشعبُ إذ راحتْ قيادتُه

تُطهر الأرضَ من سوء الإداريـنا

****

---

(١) إدريس: هو الجنرال إدريس دبي رئيس جمهورية تشاد ما زال يحكم تشاد منذ الانقلاب الذي قام به وأزاح الرئيس حسين حبري وفر إلى الجزائر.

١١ - نشيد / عمّار

عمّار يا حبيبْ قلوبنا تهيبْ

ميلادك العجيب وكلنا نجيب

ذي ثمرة النضالْ

ذي ثمرة النضالْ

ذي ثمرة النضالْ

عمّار يا عمّارْ قلوبنا تَحْتَارْ

لشخصك المختارْ بحبها المدرارْ

يا طلعة الهلالْ

يا طلعة الهلالْ

يا طلعة الهلالْ

عمّار يا صغيرْ جعلتنا نصيرْ

نُسالم الحقيرْ ونرحم الكبيرْ

لنبلغ الكمالْ

لنبلغ الكمالْ

لنبلغ الكمالْ

عمّار أنت قدوه لجيلنا وأسوه

كـيـاسـرٍ وزوجـه	وابـنـهـم وصـبـره

ومـثـلـهـم بـلالْ

ومـثـلـهـم بـلالْ

ومـثـلـهـم بـلالْ

وأنـت يـا عُـمَـيرْ	قد جئتنا عُصَيرْ

مـن يومنا الأخيرْ	كـمـا أتـى عُـذَيـرْ

لـتُصْلـح الـفـعـالْ

لتصلح الـفـعـالْ

لتصلح الـفـعـالْ

قد جئت يا عمارْ	لـتعرف الأسـرارْ

فـي عـالـم محتارْ	يـسـوده الأشـرارْ

أخـيـارهـم أنـذالْ

أخـيـارهـم أنـذالْ

أخـيـارهـم أنـذالْ

تـعـال يـا عـمـارْ	لـنـغـمـر الـقـفـارْ

ونـعـبـر الـبـحـارْ	ونـرفـع الـشـعـارْ

حـيـاتـنـا نـضـالْ

حـيـاتـنـا نـضـالْ

حـيـاتـنـا نـضـالْ

عمار يا عمارْ/ عمار يا عمارْ

****

١٢ - أغاني المدن

[الوافر]

أغــانــي المــجــدِ يــرسـلُــهــا فــؤادي
إلــى شــتــى المــدائــنِ مــن بــلادي

مــدائــنُ شُــيِّــدت فــي عــهــد عــزٍّ
وقــاهــا الــلــه مــن شــرِّ الأعــادي

مــدائــنُ حُــرِّرت مــن عــهــد قــهــرٍ
لــطــاغــي الــدهــر مــذْ (إرْمٍ وعــاد)

فــمــن تــلــك المــدائــن (أُمُّ حَــجْــرٍ)[1]
كــأنّ رمــالَــهــا فُــرشُ المــهــاد

عــروس الــوادِ لــم أخــطــبْ ســواهــا
ولــيــس لــدونــهــا أبــدًا ودادي

عــزيــز الــنــفــس مــن يــحــمــي حــمــاهــا
ويــطــلــب ودَّهــا قــبــل الــتّــفــادي

عــلــى أحــضــانــهــا أممٌ تــآخــت
وفــي أرجــائــهــا عِــظَــمُ الــبــوادي

عــلــى هــذا الــتــراب قــد اشــرأبّــتْ
نُــهَــى الأجــيــال، مــا شــغــفــت فــؤادي

أأم حَــجَــرْ رُبــاكِ لــهــا مــعــانٍ
تــصــوغ لــشــعــبــهــا سُــبُــلَ الــرشــاد

---

(١) أم حجر: مدينة تشادية موغلة في التاريخ وأشاد الشاعر بآثارها وحضارتها.

أصـــوغ لـوصـفـهـا دُرَرَ المـعـانـي

تَـــآلـــفُ مـــا يـجـــفُّ لـهـا مـــدادي

فـمـن رام الـسـكـيـنـة عـــاش فـيـهـا

ومـــن جـــاب الـبـطـــاح رأى مـــرادي

نظمت يوم ١٩٩٨/٥/٣١م

أنجمينا – تشاد

****

١٣ - الثورة على الجهل

[البسيط]

حُسنَى المعالم يُجْلِيها أُولو ثقةٍ
بالنفس لم تستطعْ إغواءهم أممُ

ثاروا على الجهل والتجهيل حين أبى
أضعاف أضعافهم، فالخالدون همُ

لم يشتكوا ألمًا كَيْما يخالطهم
وهنُ الضعاف ولا زلَّتْ بهم قدم

وجرّدوا السيفَ سيفَ العلم في شعَبٍ
كان التخبطُ في أهدافه شِيَمُ[1]

كما تجرَّد سيفُ الله في أمم
كانوا من الدين في حرْفٍ ولم يَهِموا

حتى أقاموا - وفي الأوطان - غيرُهُمُ
منارةَ العلم، فَهْي اليومَ تختتمُ

إنجاز ما قدمت أبطالُها فغدتْ
حصنَ الحضارة، زالت دونها القمَمُ

يا مبعث النور هل يرضيك أن لنا
في الليل والصبح من ذكراك مبتسم

يا قلعةَ العلم هل لي فيك ممتدحٌ
فالمدحُ قد ترتضيه العُرب والعَجَم

---

(١) الصواب: شيما.

إنـــي وهـبـتـك هـــذا الـــدُّرَّ متسقًا

كالعقد في عنق الحسناءِ ينتظم

ما أجمل النظمَ والإنشادَ ما نُثرتْ

منك العلوم، وهـذا الجمع يقتسم

يا رايةَ العلم سيري للعلا قُدُمًا

لطالما قادك الأعلام، لا الأكَمُ

رعاية الله كانت فوق رايتكم

وهل تُنكَّس رايٌ قادَها عَلَمُ؟

☆☆☆☆

مستودع العلم يحيينا ووا أسفا

أن لا يزال على أذهاننا سقم

إلامَ يا قومُ أن نبقى على جهل

ومبدأ العلم فينا (نونٌ والقلم)

هل يصلح الناس مرضى لا شفاء لهم؟

ولا شفاء إذا جهَّالهم حكموا

كم من مكائدَ قد حِيكت ووا أسفًا

في إخوة بينهم أنسابُ أو حرمُ

كم من مخدَّرة بلهاء ساهية

لم تدرِ ما الفحشُ إلا اصطادها الوَجَمُ

فدُنست في خباء الطُّهر حين جنى

من لا يخاف عليها والورى صممُ

كم من حليلةِ زوجٍ ليس يظلمها

إلا تودّد في إغوائها الحَشَمُ

كم من خطيبة حُبٍّ كاد يُمهرها
إلاّ تبين أن الحبّ منقسم
فالشطر مصطنع كي لا يخالجه
وهْمُ الشكوك، وفي ثانيهما الخدمُ
أيُبتنى البيت من أوهامَ كاذبةٍ
لولا التراحمُ راح العقد يَنْفَصِمُ؟
عرائسٌ لم يدم في شهرها سَعَدُ
إذا بها يتدبّى خلفها الندم
وهكذا يتعرّى البيت عن قيم
فيها السوداد وفيها الحب منخرم
هذا على الضرب مجنون يتيه به
وتلك أفضل من إبقائها العدم
إن جاء من شأنه لا يستكين لها
وهْيَ العبوس تناهى عندها السأَمُ
لم تنتصب صُعُدًا إلا مدافعةً
بالغشِّ والنهب، أو في الجنس تَختصم
إن قيل بالدار نهب ليس مقتسمًا
تهافتت عنده الأشرافُ والقزمُ
لا يشتكي أحدٌ منا على أحدٍ
إلا على تُهمٍ من خلفها تهمُ
كأنّما عُمّيت أبصارنا وكفى
أن تستوي عندنا الأنوارُ والظّلم

شتانَ ما بين شعبٍ ظلَّ مرتهنًا
للجهل، في وهدةِ الآثام يرتطم

وبين شعبٍ رأى في العلم غايَتهُ
فسار مندفعًا تقتادُهُ هِمم

فاستعمروا الكون إذ صِيغَتْ مناهجهم
على دلائل قولِ الله، وانتقموا

منًّا، وكانت عُرى الإسلام تجمعنا
ومسرح الكون في قرآننا نِعَم

فَادَّارك الغرب ضَعفًا ظل يرقبهُ
فينا، فأصبح مرعانا له طَعَم

إذ أصبح الجيلُ فينا جيلَ مفسدةٍ
وأصلح الناسَ فينا الصُّمُّ والبكمُ

يا خيرةَ الشعب هبوا من رقادكم
فقد طغى الجهلُ وازدادت به النِّقَم

☆☆☆☆

ما هذه الفرحة اللاتي نُشيد بها
إلا بداية تخطيط الألى عَلِموا

أن المكارم لا تُبنى على جَهَلٍ
كما الفضائل لا تأتي بها اللُّؤَم

جيلُ المعارف كونوا للورى رسلاً
تبشرون أناسًا ما لهم حِكَمُ

يا فتيةَ الخير إني لا أرى حَكَمًا
كالعقل والعلم فيمن كان يحتكم

فَلْـنـنـبُـذِ الجـهـلَ والـتـفـريـقَ والـفـتـنـا

والـعـنـصـريـة، يـا فـتـيـان واعـتـصـمـوا

بـالـدِّيـن، فـالـشـعـبُ لا يـرضـى لـكـم أدبًـا

مـا لـم يـكـن زانـه الإسـلام والـقـيـمُ

(نظمت بتاريخ ٢٤/٦/١٩٩٨م

بمناسبة احتفال جامعة الملك فيصل بأنجمينا – تشاد

بخريجيها للمرة الأولى وذلك يوم ٢٥/٦/١٩٩٨م)

****

١٤ - سودان التَّوالي

[البسيط]

ســـودانُ يـا مـوطـنَ الأحـبـاب إنَّ لنا

ذكـرى تـعـاودُ فـي أذهـانِـنَـا الـطَّـرَبَـا

كـم فـي ربـوعـكَ متَّـعـنـا نـواظـرَنـا

حُـسـنًـا يـضـارع فـي تـأثـيـرِهِ الـذَّهـبـا

وفـي ضـفـافِـكَ جـنـاتٌ مـرصَّـعـةٌ

يمـشـي الـعـلـيلُ عليـهـا لا يـرى تعبا

إن حـاصـر الـدهـر مـن أحـداثـه أحـدًا

رامَ الـسـكـيـنـةَ فـيـهـا، والـغـنـا طلبا

جـنـائـنُ لـم تـدعْ مـن حسنـهـا هـرِمًـا

إلا اسـتـعـاد هـوَى الأحـبـاب واصطحبا

بـدائـعُ أتـقـنَ الـرحـمـنُ صنعتها

لا لـغـو فـي ظـلـهـا دومًـا ولا لـغـبا

يـرتـادُهـا الأعـزبُ المـحـتـار فـي وَلَـهٍ

وصـاحـب الـزوج فـيـهـا يـحـسـنُ الأدبَـا

تحنو عليـهـا الـعـذارى فـي محـاسـنـهـا

حُـنُـوَّ عـاقـرةٍ قـد أنجـبـت (وَهَـبـا)

ولـلـولائـدِ وَالـولـدانِ مـرحـمـةٌ

يلـهـونَ فـي حجـرهـا لـم يشتـكـوا وصبا

☆☆☆☆

سودانُ يا ممسكًا بالدِّين كنت لنا
رمزَ الفداء وصرتَ المارد اللجبا
إن القرارَ الذي حررته لهبٌ
يُكوى به كل من يستنجد الغُرَبَا
لكنه نِعَمٌ للشعب دانيةً
من كل فرد حمى الإسلام واحتسَبا
ظلُّ السياسة ممدودٌ فقصَّرهُ
أن يأخذ الشعبُ في أمصاره السَّبَبا
أفِي اتِّخاذك منهاجًا تُديرُ به
أمرَ البلاد، يصيح الغرب منتَحبًا
أين العدالةُ يا غربُ تهددنا
إذا امتطينا حصانَ العزِّ محتسبا
أين العدالةُ يا غربُ تُحاصِرنا
إذا اتخذنا قرارًا ليس منشعبًا
أن يأكلَ الشعبُ مما كان يزرعه
ويَلْبَسَ القطنَ ما في صنْعِه دَأَبَا

☆☆☆☆

سودانُ يا منشئ الدَّبَّاب في وطن
سيقت عليه القُوى فاستعذب الكُرَبَا
(جُوبَا) تُنادِي وَليت الشرق يسمعُها
والغربُ من ذعره يستكثرُ الخُطَبَا
لبَّيْكِ (جوبا) فحزبُ الله ما غُلِبتْ
قُواتُه، ما التقى الجيشانِ واحترَبا

(جـوبـا) تـنـادي وصــوتُ الـنـصـرِ يطربُـها

والــشـرقُ فـي نـومـه لـم يـسـمـع الـطَّـرَبـا

إنَّ الخـــوارجَ فـــي الإســــلام حُـكْـمـهـم

نـفـيٌ وقـطـعٌ وسـاء الـقـتـل مـرتـقـبـا

إن كـان ذا فـكـذا، أو ضـعـفـه وكـفـى

لـمَّـا أتـوا حـتـفـهـم قـد أصـبـحـوا سـلَبـا

(جـوبـا) أضـفـتِ إلـى الإســلام ملـحـمـةً

قـد سـطَّـرَ الـغـربُ مـن آيـاتـهـا كـتُـبـا

إنْ كـان لـلـدهـر فـي أحـداثِـه نـسـب

فـإن فـي يـوم بـدرٍ مـنـكِ مـنـتـسَـبـا

☆☆☆☆

ســودانُ يـا مـوطـنَ الإســلام دمـتَ لـنـا

فـخـرًا يـعـانـقُ فـي مـشـروعـه الـسُّـحَـبـا

مـشـروعُ حـكـم رأى الأعــداء غـايـتـه

أن يـوقـفَ المسـلـمـون الـغـش والـكـذبـا

أعـلـنْـتَـه فـي بـنـي الإســلام قـاطـبَـةً

وقـلـت لـلـغـربِ: يكفـي حُـسْـنُ ذا دَأَبَـا

خـيـر الـبـلاد بـلادٌ لـيـس يـحـكـمَـهـا

إلا تـوالٍ مـن الـرحـمـن قـد وَجَـبَـا

هـذا الـتـوالـي رضـيـنـا أن نـحـكِّـمَـهُ

فـيـنـا، ونـنـبـذ أحـزابًـا غـدت شـغَـبـا

لا لـلـتـحـزب والإســلام يـمـقـتـه

حـكـم الـشـريـعـة شـورى، فـاتـركـوا اللـعِـبَـا

لا نبتغي نُظُمًا رعناء واهيةً

تكلف الشعب في أوطانه حُزُبا

قالوا نظامٌ جديدٌ في تفرده

بالزُّورِ تحكم فيه النملة النُّقَبَا

قلنا لدينا - بني الإسلام قاطبةً

نصٌّ يشاور في حكامه الشعَبَا

لا حزب في نُظُمِ الإسلام إن لنا

شورى تحدد من يستجمع اللقَبا

لا فرق في ذاك بين العُرْبِ والغُرَبَا

والبيضِ والسودِ في التشريع، ذا كُتِبَا

إنا أبينا نظام الغرب نرفضه

ما كل ما يُهتدى يستجلب العجَبا

ليس العجيب من الأعداء تمنحنا

شرًّا يرادُ به أن نأكل الحطَبا

وإنما العجب المفضي إلى عجبٍ

أن نحسبَ الشرّ منهم خيرَ ما جُلِبا

بتاريخ ٢٩/١١/١٩٩٨م

أنجمينا - تشاد

****

١٥ - أقمار الخير ورسله[١]

[الطويل]

لك العزُّ ما أنفقتَ يا شعبَ زايد[٢]
فقد كنتَ مرجوًّا وقد كنتَ تدفع

فلو كان في الأقوامِ شعبٌ يهمّهُ
- كما همَّكَ - الإحسانُ ما هبّ زعزع

أيا زائدَ الخير الرفيع مكانُه
سموتَ فلم تُدركْ وخيرك مَهْيَع

كما الشمسُ تبدو للعيانِ بعيدةً
ولكنَّ نور الشمس في الأرض يسطع

كذاك أُولو الإحسانِ يعلون في العلا
وخيرهُمُ دانٍ على الناس يَمْرَع

فأشرقتِ الأنوارُ من كوكبٍ دجا
سرى، دونه الأقمار تسري وتَتْبع

سنا الشرقِ قد ضاءت بك، الشاد، تبرقُ
ومن قبلُ كانت (شادُ) بالشرق تلمع

إذا جَفَّ منها - آل نَهْيانَ - منبعٌ
من الخير منكم جادها بعدُ منبع

---

(١) نظمت هذه القصيدة بتاريخ ٢٠٠٠/٢/٢٩م، وهي قصيدة شكر وتقدير لشعب دولة الإمارات العربية المتحدة بوجه عام، ولسمو الشيوخ: سرور وسيف وطحنون أبناء محمد آل نهيان، ولرسوليهما الكريمين خلف المهيري وجوعان المزروعي إلى تشاد بوجه خاص.

(٢) زايد: سمو المرحوم الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة طيب الله ثراه.

أبَـى المجـدُ أن تبقوا - وأنـتـم أعــزَّةٌ -

عـلـى نـاطـحـات لـلـعـلا، لا تَـصَـدَّع

وســـرتم إلـــى الـعـافـين لـيـلا يـقـودكـم

عـــفـــافٌ وإقـــــدام وفـــضـــل مـوسَّـع

طُبعتم علـى الإحـسـان مـن قـبـلُ طبعة

فـصـرتم هـوى الـكـتـاب والـنـاس تطبع

إذا اخـتـرمـتْ أحــداثُ دهــرٍ أعــزةً

قـصـدنـاكُـمُ - يـا آل نـهـيـان - نطمع

فـــإن كـانـت الأرحــــامُ تـدنـو سـحـبـةً

فـقـد كــان حـبـلَ الـديـن أدنـــى وأنـفـع

فـإخـوانـكـم فـي الـديـن لـم يَـقْـوَ جَـدُّهـم

حـديـثًـا، فـصـار الـفـقـر يـرمـي ويـصـرع

فـيـا آل نــهــيــانٍ جُــبِـلـتـم مــودةً

فكنتم رُؤى الأحـبـاب فـي الـقـلـب تترع

ثــلاثــةُ أقـــمـــارٍ تـتـابـعْـن خِـلْـفـةً

علينا، فـصـارت (شـــادُ) بـالـخـيـر تسطع

ســـرورٌ وســيـفٌ[1] لـلـعُـلا لـيس يَـكْـهَـمُ

وطـحـنـونُ خـيـرٍ، ثـالـثٌ لا يُـزَعْـزَع

ســـرورٌ ســرى لـلـنـاس لـيـلا يـسـرُّهـم

فـغـنَّـت لـــه نـــفـــسٌ ونـــفـــسٌ تـوقـع

وسـيـف الـعـلا مـاضٍ عـلـى الـنـاس فعلُهُ

جـــوازمُـــهُ إن طـالـتِ الـفـعـلَ تقطع

---

(١) سرور وسيف وطحنون: من رجالات دولة الإمارات من آل نهيان ومن أصحاب الأيادي البيضاء في افريقيا.

وطحنونُ - لا مَسَّتْهُ في الدهر كربةٌ -
فقد كان يُعطي الخيرَ و(الشادُ) ترضع

أضأتم سماء (الشاد) بالخير تزدهي
فكنتم لها أنوارَ هَدْيٍ تَشَعْشَع

فإن ضاء منكم كوكبُ ضاء بعده
كواكبُ خيرٍ ليس فيها تَبَرْقُع

رسولُكُم في (الشادِ) شادٍ إلى العلا
وهادٍ إلى الخيرات ما كان يزرع

أيا خَلَفُ خَلَّفْتَ ذكرك عندنا
بما كنت تملي منك خيرًا وتبدع

وَصَلْتَ بحار الخير، خيرًا مَدَدْتَهُ
إلى (الشاد) ترعى في مداه وترتع

ومستكشف أنت المهيريُّ[1] في الورى
بلادًا بها فقر يعض ويلسع

تلطفت حتى كنت كالمُهْر منظرًا
ووجهُك وضّاحُ وقولُك يُسمَع

بُعثتَ رسول الخير في كل موضعٍ
وضعت به خيرًا، وما لك موضع

أمينٌ رعاك الله للخير راعيًا
فنفذْتَ ما يرجو الأنامُ ويطمع

وهل يكذب الأقوامَ رائدُ قومهِ
إذا كان خيرُ الفرع للأصل يرجع

(١) المهيري وجوعان: رسولا الخير إلى تشاد من قبل آل نهيان.

رســول الـرضــى فـيـنـا، رضـيـنـاك جـمـلـةً

فقد كنتَ روضَ (الـشـادِ) والـشـادُ بَلْقع

فــإنــا لــنــرجــو أن تــكــونَ خــلالــنــا

لـتـكْـمـل مــا خــطَّــت يــــداك، فـنـهـجـع

وثـانـي رســولِ الـخـيـرِ (جـوعـانُ) عندنا

فـقـد كــان مــرتــادًا لـنـا، الـخـيـرَ يـصـنـع

ومـــن ســمَّــهُ (الـجــوعـــانَ) لا شــك أنـه

رأى فـيـه ضــدَّ الـشــيء بـالـشـيء يُـدفـع

فكان لنا خـيرًا - ولا جُـوعَ فـي اسـمـه -

وكــان رســولَ الـخـيـر، والاســمُ مُشْبِـع

رســــولانِ كــانــا فـــي الـــبـــلاد مـحـبـةً

فـصـارا حـديـثَ الـنـاس فـي الـنـاس يشفع

****

١٦ - نعم الوُلْدُ والنسل[1]

[البسيط]

أرضُ الإمـــاراتِ راعٍ والـــورى نِـعَـمُ
فـحـبّـذا الأرضُ والإنـســانُ والـنُّــزلُ

رضــا الـجـمـاهـيـر فــي (شـــادٍ) يُـغـالـبه
سَـيْـبُ الإمــــاراتِ لمـا ضـنَّـتِ الـدول

ســارت/ أبــو ظـبـيٍ/ غـربًـا لـيـس يعجبها
مـن كــان يـخـطـبـهـا، غـيـر الأُلَــى سـألـوا

فـيـهـا رجــال إذا اسـتُـدعـوا فـآخـرُهُـم
يـخـتـار أوَّلَـهـم بـالـخـيـر، مـا بَـخِـلـوا

ســـاروا مــع المـجـد مـا كـلَّـت نـفـوسُـهُـم
يـسـتـكـشـفـون أُنـاسًــا أرضُــهــم مَـحَـلُ

كـم مــن مـعـاهـدَ قـد شـيـدت عـلـى يـدهـم
كـم مــن مـــدارسَ قـد شـــادت بـهـا الأُوَلُ

مــن مـشـرق الأرضِ مــدَّ الـخـيـر رائـدُهُــم
مــن آل نـهـيـان نـحـو الـغـرب يـنـتـقـل

فــزايــدُ إبـــنُ ســلـطـانٍ ومـــن نـسـلـوا
مــن آل نـهـيـان، نـعـم الـوُلْــدُ والـنَّـسَـلُ

جـحـاجـحُ وبـنـو مـلـكٍ لـنـا سـبـقـوا
بـالـخـيـر كــلَّ الــورى والمـرتـقـى وَحَـل

---

(١) نظمت هذه القصيدة بمناسبة افتتاح المدرسة العربية الثانوية للبنين بمدينة أبشة والتي بنيت بتمويل من سمو الشيخ طحنون بن محمد آل نهيان - من دولة الإمارات العربية المتحدة وذلك يوم الجمعة الموافق ٢٠٠٠/٢/٢٥م.

يا زائدَ الخير زادَ الله فيك سمًا

يسمو به كُلُّ مُن إياك يرتحل

يا آل نهيان ما كانت لـ (لا) أبدًا

مواطنٌ، حين يُخذى الجارُ والأهَلُ

فما أتاكم شريدٌ بائسٌ فَزِعٌ

إلا عطفتم به والكون منشغل

وإنكم ما نهيتم طالبًا أبدًا

يا آل نهيان والمعروف مُرْتَذَلُ

تجري الدراهِمُ في أيديكُمُ بَدَدًا

لا المالُ باق على الأيدي، ولا الكسل

خَلُّوا فضائلكم تحكي الأنامَ وما

كانت أيَاديكُمُ البيضاءُ تعتمل

ففي مرابعِ (أبَّشًّا)[1] يُراودنا

سَيْبٌ لطحنون[2] تلميذِ الأُلى وصلوا

سكانَ (أبَّشًّا)، ما عاشوا يدغدغهم

سُمُوُّك الفذُّ يا طحنونُ والأمل

قد أشرق النورُ غربًا في مدائننا

من شمسِ طحنونَ، فانزاحت له الشُّغَلُ

طحنونُ يا طاحنَ الجهلِ الذي صَدِأَتْ

به العقول فما تنفكُّ تأتكل

مَن مِثْلِ طحنونَ في قولٍ وفي عملٍ

إذا ارتضى ما يرى، يا حبذا الرجل

---

(١) أبشا: مدينة تشادية تقع جهة الشرق.

(٢) طحنون: طحنون بن محمد آل نهيان من رواد المنفقين في أفريقيا.

إن الـرجـالَ عـلـى شَـكْـلٍ سـواسِـيَـةٌ

لـكـن يمـيـزهـم فـي الـفـضـل ذا الـعـمـل

بـنـى سُـمُـوُّك يـا طـحـنـونُ صَـرْحَ عُـلا

لـم يَنْسَـه الجـيلُ بعد الجـيلِ، مـا انتقلوا

بَـنَـيْـتَ مـدرسـةَ الأولادِ فـي وطـن

لـم يـحـتمـلْـهـا سـواك الـيـومَ مـحـتمِـل

بـل زدت وقـفًـا لـهـا والـوقـف مـحـتجـبٌ

والـوقـف مـاضٍ كـمـا جـاءت بـه الـرسـل

لـقـد سـنـنـتَ لأهـل الـخـيـر سُـنَّـةَ مَـن

لا يـبـتـغـي بـدلاً، فـي فـعـلـه الـبـدل

بـنـيـتـهـا بـديـارٍ كـان يـحـكـمـهـا

عـبَّـاسِـيُّـون بـهـدي الـلـه مـا انـخـذلـوا

دانـت لـهـم دُوَلٌ بـالـحـق فـانـبـسـطـتْ

شـريـعـةُ الـلـه بـالإنـسـان تـتـصـل

وذي بـنـاتُـك فـي (أبْـشـا) يُـراودِهـنْ

كـمـا يُـراود حِـبًّـا سَـيْـبُـك الـعَـجَـل

أن تـبـتـنـي مـعـهـدًا لـلـعـلـم يـحـفـظـهْـنـ

ـنَ بـالـهـدى والـتـقـى، بـالـحـب مـشـتـمـل

وهـل يَـضـيـرك يـا طَـحـنـونُ مـا طـلـبـت

مـنـك الـبـنـاتُ وأنـت المحـسـن الـبـطـل؟

نظمت بتاريخ ٢٠٠٠/٢/٢٢م أنجمينا – تشاد

****

١٧ - عطاءٌ بلا منّ[١]

[البسيط]

خيرُ العطاءِ عطاءٌ ما لهُ مِنَنُ
يرضى به الأهْلُ والتاريخُ والوطنُ

مدحُ البهاليلِ لا مدحُ الأُلَى انخذلوا
هل يستوي الروضُ في العَلْيَاءِ والعَطَنُ

هل يستوي من يُريقُ المالَ مرتقبًا
في الله محتسبًا، ما مسه وَهَنُ

ومن يُبَدِّدُ أموالَ العبادِ ضُحًى
لحُضْنِ غانيةٍ لم يَغْلُهُ ثَمَنُ

أعني سُمُوَّ الذي لم يُحْصَ نائلُهُ
مهما تكاثرتِ الأحداثُ والفتن

ذاك الذي ذهبت أموالُهُ بَدَدًا
من آل نهيان منه الخير مرتهن

لا يُمسك المالَ إلا رَيْثَ يَصْرِفه
حتى استوى عنده الإسرارُ والعَلَنُ

هذي مدينةُ (بلَّ الطينَ) قد غرقت
من فيضِ جودِك حتى اغتاظتِ المِحَنُ

ثاني المساجدِ في (شادٍ) يُشيِّدُه
من آل نهيان طحنونُ الذي يزن

---

(١) نظمت هذه القصيدة بمناسبة افتتاح مسجد (بلتن) الذي بني بتمويل من سمو الشيخ طحنون بن محمد آل نهيان - من دولة الإمارات العربية المتحدة وذلك يوم الجمعة الموافق ٢٠٠٠/٢/٢٥م.

آلاف آلاف ممن قصّروا مُددًا
في سعيه للعُلا، تحدو به الفِطَنُ

بنى المَعَالِي في شعب يُجمّعه
الله أكبرُ والقرآنُ والسُّنَنُ

من آل نهيان ساعٍ للعُلا بطل
في قمة المجد يعلو، دونه القُنَنُ

إن المساجدَ في (بِلْتِنْ)[1] يَعمُرها
من كان يَعْمُرُه الإيمانُ لا المُؤَنُ

لم يبق فيها سوى نقصٍ يُكمّله
أن تبتني معهدًا للجيل يحتضن

وهل يَضيرك يا طحنونُ ما طُلِبا
وبحرُ جودِك قد ضاقت به السفن

حيًّا سُمُوَّك هذا الشعبُ مبتهجًا
إذ ناله منك ما لم يمحُهُ الزمن

إنا لَنرفَعُ للمولى أيادِيَنَا
أن يحفظ الله قومًا، ما لهم إِحَنُ

ويمنحَ الشيخَ شيخَ الدولةِ النِّعَمَا
أعني سُمُوَّ الذي ازدانتْ به المُدُنُ

إذْ فَرَّقَ الخيرَ في الآفاقِ منتشرًا
فَسُرَّتِ النفسُ والعينانِ والأُذُنُ

****

(١) بلتن: مدينة تشادية ذات صبغة إسلامية.

١٨ - اعتزاز المسلم

[الطويل]

أنـا المسـلـم الـشـادي إلـيـك تحيتي
سـلامًـا مـن الـرحـمـن والـبـركـاتِ
بـهـا يسـلـم الـبـاغـي ومـن خـاف سطوتي
فـإن أمـان الخـائـفـين صـفـاتـي
لـيَ الـعِـزُّ فـي الـدنـيـا وإن مـتُّ عقبتي
جِـنـانٌ تـفـوق الـوصـف والـنَّـعَـتـاتِ
أنـا الـليثُ إن نُـوزِعـتُ حقي وفـي الـوغى،
أصُـدُّ خـمـيس الجـيـش بـالـطـعـنـات
أنـا الـفـارس المِـغْـوار إن نـال مـن أخـي
خِـداشٌ عـدوٍّ، مـا تـلـينُ قـنـاتـي
أنا السَّمْح في خُلْقي أنا السمحُ في الورى
أنـا الـضـارب الـقـاسـي بـحـقٍّ عِـداتـي
أعـيـشُ عـزيـزًا مـا حـيـيتُ ولـو أبـى
أكـابـرُ كُـفْـرٍ أن تُـقـامَ صـلاتـي
بـهـا أتَّـقـي ربـي ويـخـشـانـيَ الـعِـدا
أنـال جـزائـي يـوم هـاكَ وهـاتِ
بـذاك يُـقـامُ الـدِّيـنُ عـن أُسِّ أُمِّـه
ويـنـزاح عـنـي مـن يـجـوب فـلاتـي

بكفٍّ أذودُ الشركَ في عُقْرِ دارهِ

وتصفعُ أخرى من يروم شتاتي

بني الكفر لا تبكوا على صَرْح منهجي

فإن مُكاءَ الكافرين أذَاتي

ليَ السَّبْقُ دون العالمين ومن يرى

تنافُسَ مجدي ترزدهيه بُناتي

عليكم سلامُ الله يا خيرَ فتيةٍ

تَسَارَعُ صَوْبَ المارقين أُبَاةِ

لها الخيرُ كلَّ الخيرِ ما دام عزّها

وما قام شرعُ الله بالصَّلوات

نظمت يوم ١٩٩٢/١٢/٣٠م

****

١٩ - الهياكل النيابية

[البسيط]

يا من يُصوِّتُ أو يُدْلِي بِذِمَّتِه
هلاَّ مَنِ اخترْتَ كان النائبَ الكُفْئَا
أتُحسن الظنَّ فيمن كنتَ تعرفهُ
ويُحْسِنُ الفعل ما لم تُعطِه شَيْئا
إن جِئْتَ توقظه للاجتماع أبى
وقال: لم أدرِ ماذا ناقشوا بَدْءًا؟
وإن تربَّع عرشَ البرلمان ترى
في رأيه خَللاً يَهْذِي به طَرْءًا
وإن تمدَّد في كرسي النقاش غفا
بل نام نومةَ مجنونٍ رأى بُرْءًا
وهكذا أمسِ هذا كان يخدعنا
وقال: إن فزتُ أُرضِي الشِّيب والنَّشْئَا
يا من تُمثِّلُ شعبًا كان مطلبُه
منك الدِّفاعَ برأيٍ يَسْتُرُ السَّوْءَى
إلامَ تَغْرَقُ في نَوْمٍ وقلتَ أنا
حامي مصالحكم لا أبتغي شيْئَا
إلامَ ترفُلُ في ثَوْبٍ تُزَفُّ به
كما تُزَفُّ عَروسٌ في الضحى بُطْئَا

يا نائبَ الشعبِ إن الشعبَ قال كفى
لا نابَ في دارِنا مَنْ يُثْقِلُ الوَطْنَا

يا نائبونَ علينا ما لكم هَدَفٌ
في البرلمان سِوَى بطنٍ تُرى مَلأى

أهكذا المنهج الساري بِذِمَّتِكم
لتخدعوا الشعبَ كي يبقى لكم فيْئًا

تدور في حكمكم للشعبِ دائِرةٌ
لا نُضْجَ في رأيكم فيها ولا نَيْئًا

لقد سَئِمْنا كلامًا كان أفضلُهُ
نَجْتَرُّهُ - كارهينَ - القَيْحَ والقَيْئَا

هيّا أقيموا مع الأحزابِ مائدةً
تُبيِّنُ للشعبِ من آرائكم مَرْأى

ماذا جلبنا من الأحزابِ تِعدادُها
تسعٌ وتسعونَ حِزْبًا فاقدًا جُزْءًا

ما ضرَّنا أننا أنْ لا يكونَ لنا
تسعونَ حزبًا لشعبٍ يأكُلُ الخَبْئَا

حِزْبانِ لا غيرَ، إمَّا ذاك يحكمنا
رَدْحًا من الدهر، أو هذا الذي يَنْأَى

هذِي وصاتي لكم يا قومِ فانتبِهوا
كيلا تكونوا كمن يستمرِئُ الخَطْئَا

٢٤/ ١٠/١٩٩٩م أنجمينا - تشاد

****

٢٠ - نشيد أفريقيا

[مجزوء الرجز]

نـــحـــن الـــشـــبـــابُ قـــوةٌ

فـــتّـــاكـــةٌ ضِـــدَّ الـــعـــدا

إذا اتحـــدنـــا كـــلـــنـــا

صـــارت قـــوانـــا كـــالـــقـــذى

فـــي أعـــيـن المـــســـتـــعـــمـريـــ

ـــن الحـــاقـــديـــن ســـرمـــدا

نـــحـــن الـــشـــبـــابُ قـــوة

فـــتّـــاكـــة ضـــد الـــعـــدا

☆☆☆☆

وهـــــذه أفـــريـــقـــيـــا

حـــزيـــنـــة تـــبـــكـــي الأُلـــى

صـــانـــوا الـــبـــلاد ورفـــرفـــت

أعـــلامـــهـــم نـــحـــو الـــعـــلا[1]

حـــتـــى اســـتـــقـــلـــت خِـــلْـــفـــةً

وحـــان قـــطـــف المـــبـــتـــغـــى

---

(١) البيت من مجزوء الكامل.

إذا الحـــــروب دُبِّــــرت
لـشـعـبـهـا فـــي المـنـتـأى
نـــحـــن الـــشـــبـــابُ قـــوة
فــــتــــاكــــة ضـــد الـــعـــدا

☆☆☆☆

هـيّـا لـنـحـمـي الـقـارة الـسّـ
ـسَـمـراء رمـــزًا لـلـفـدى
هـــيّـــا لـــنـحـمـي قـــارة
أضـحـت تـسـيـر الـقـهـقـرى
فـــالـــغـــرب لا يـــريـــدنـــا
أن نـــســـتـــغـــل أرضـــنـــا
لـــــذا يُـــؤجـــج نـــــاره
مـــن هـــاهـــنـــا وهـــاهـــنـــا
نـــحـــن الـــشـــبـــابُ قـــوةً
فـــتَّـــاكـــةٌ ضـــدَّ الـــعـــدا

☆☆☆☆

بـــالـــعـــزم يـــا إخـــوانـــنـــا
نـــحـــمـــي الـــديـــار كـلـهـا
كـمـا حَـمَـى أرضَ الـشّـوا
مِ الألـــمـــعـــيُّ الـــمـــفـــتـــدى
ابـــن الـــشّـــرى مـــتـــرفِّـــعًـــا
عـــن كـــل حـــلٍّ يُـــهـــتـــدى

إذ قـــــال: لا لــــسِــلْــمِ عُـــرْ

بٍ قــــاصـــــرٍ وألـــــــف لا

نـــحـــن الـــشـــبـــابُ قـــــوّةٌ

فـــتّـــاكـــةٌ ضـــد الـــعـــدا

يوم ١٩٩٨/٨/٢٥م

أنجمينا – تشاد

****

٢١ - الذئاب

[الطويل]

ألا فـي خِـلال الـنـاس مـا هـو يشـهـدُ
عـلـى لُـؤْمِـهِـم فـي الـعـالمـينَ ويُـنْـقَـدُ

فـبـعـضٌ لـبـعـضٍ كـالـذئـاب يُـحيطـهـم
ذئـــابٌ ومَـــن يـغـشـى جِـمـاهـم مـهـدَّد

خَـبَـرْتُـهُـمُ رَدْحًـــا مـن الـعـمـر مـا لـهـمْ
صـديـقٌ يُـواســي فــي الـنـوائـب يـرفـد

يُــلَــوِّن فــي أخــلاقــه كــلَّ سـاعـةٍ
كـمـا تـفـعـل الحِــرْبــاءُ أيَّـــانَ تَـقـعـد

يُـريـكَ مـن الأخـــلاق مـا لـيـس مـاكـثًـا
كـظـل الـضـحـى يـبـقـى قـلـيـلاً فـيـشـرد

أفــي كــلِّ يــومٍ خُــدْعــةٌ مـن صـداقـةٍ
أرى ودَّهـــا يـــدنـــو إلـــيَّ ويـبـعـد؟

ومـا زلـتُ أرجـو الـصِّـدق فـي كـل خُـلَّـةٍ
ولــكــن وُدَّ الـــنَّـــاس عـنـدي مـبـدَّد

لأنـــي بَـلـوتُ الـنَّـــاس فــي كــلِّ فـتـرةٍ
فـمـا سـاءنـي إلا جَـبَـانٌ وقُـعْـدُد

وطـــالـــبُ مـــعـــروفٍ أراه مـهـذَّبًـا
وفـــي ثـوبـه لُـــؤْمٌ مـن الـخـيـر أجـرد

وإن سِرْتُ أبغي المجد في كل بلدةٍ
وجدتُ بها وَغْدًا من الناس يَحْسِد
لذلك لا يحميك من لؤم أربَدٍ
مررتَ به إلاّ حُسامٌ مهند
ولو صار حكم الناس عندي حصدْتهم
فلم يبقَ إلا خيِّرٌ أو مُزَهّد
وجنَّبْتُ خير الناس شرًّا أتى به
بقايا من الفُسَّاق عاثوا وأفسدوا
يحاربني قوم إذا اشتدَّ ساعدي
أتَوْني مرارًا يحسدون وأعقد
فأنفث في الآفاق كيلا تُصيبني
شرورٌ، بما جاءوا إليَّ وهددوا
كأنيَ بِدْعٌ في الرجال يهابني
كرام، ويرعى، في حِمَايَ المبلَّد
أرى الناس ما أعلنتُ عن جزء منهجي
وبيَّنْتُ ما أبغي، تداعَوْا وندَّدوا
وما كنت أبغي غيرَ مجدٍ أُعِدُّه
لأكشف مجهولاً به الكون يسعد
وما ليَ عيب غيرَ حُسنٍ يُزينُني
ولي همةٌ كبرى عن الذل تبعد
ولي مطلب في الأرض لم أرض دونه
حياةً بها عيشٌ هنيءٌ مُخَلَّد
وإني لأُعطي الخِلَّ جَهْدِي وفكرتي
ولا أمنع المضطرَّ إن جاء يسهد

وإنـــي رســـولُ الخـيـر فـي كـلِّ مسلكٍ

سـلـكتُ بـه يـرجـو عـطـائـي مـشـرَّد

ويَـحْـسَـب خـيرُ الـنَّـاسِ أنْ لـوْ وَصَـلْـتُـه

لـكـان لـه وصْـلـي مـع الخـيـر سُــؤْدَدُ

وتـطـلـبُ وُدِّي كـل خَــوْدٍ خـريـدةٍ

تـرى مـجـدهـا فــي ســاعـديَّ وتـنـشـد

ألا يـا رســول الخـيـر مـثـلـك أرتـضـي

وأُهــدي إلـيـه الـقـلـبَ، يَـهـدي ويـرشـد

دعــانـي إلـيـك الحـبُّ والــودُّ يـا فـتى

فـهـل لـيَ عُــدْتَ الـيـومَ، والـعَـوْدُ أحـمـد

أنجمينا يوم ٢٤/٩/١٩٩٩م

****

أحمد عبدالرحمن إسماعيل[1]

١ - الوداع

[المتقارب]

وداعًـــــا أيـــا أرض إجـــدابـيّـــا[2]
فـقــد شــتَّــتَــتْ شـمـلـنـا مـافـيـا
وحــبِّــي الـــذي قــد سـمــا لِـلـسَّـمـا
وأمـــســـى أنـيـسُ الــــورى زاهـيًـا
أَجُـــــنَّ الـــوشـــاةُ فـلـمَّـا رأوا
بـشـيـر المحـبـة كـــــادوا لِـيَـا

- شاعر تشادي ولد سنة ١٩٧٣م بمدينة أبشة/ مدينة العلماء والشهداء بالقرب من وادي «أم كامل/ مقبرة الشهداء»، والذي شهد مأساة الكبكب. لذلك تهيأت الأجواء النفسية والاجتماعية لشاعرنا، فتشكلت روحه الثورية وتمرده على الواقع المتردي، نتيجة جغرافية المكان، وأعني ضفاف وادي شهداء مذبحة الكبكب.

ونشأ الشاعر في أسرة متدينة، فحفظ القرآن الكريم، وأتم دراسته الإعدادية في سنة ١٩٩١ . ثم انتقل إلى العاصمة أنجمينا، والتحق بالمعهد العلمي ثم انتقل إلى ثانوية الملك فيصل، فنال شهادة الثانوية. ثم سافر إلى ليبيا لمواصلة الدراسة الجامعية سنة ١٩٩٤م، لكنه مرَّ بتجارب قاسية في غربته؛ إذ كان يعمل ليرتزق مع استكمال الدراسة، فتعرض للاعتقال من قبل السلطات الليبية، وأخيرًا تم ترحيله إلى تشاد سنة ١٩٩٧م. فهذه الحياة الحافلة بألم الغربة، وأمل الوطن، جعلت شاعرنا من رواد الشعر الوجداني في تشاد، فألهبت شاعريته، ووسمته بالصدق الفني في تجاربه الرومانسية.

(١) لقاء تم بيني وبين الشاعر في منزلي بالعاصمة أنجمينا ٢٠/٢/٢٠٠٢م.
وانظر : صورة المرأة في شعر أحمد عبدالرحمن إسماعيل، بحث متريز الطالبة قمسو جرمه، إشراف د.محمد فوزي ٢٠٠٤، كلية الآداب جامعة أنجمينا.

(٢) إجدابيا: مدينة ليبية.

وداعًا أيا أرض عَرْفَايَ قدْ
رمى بيتنا عُذَّلي ألفَ سَدْ
وإن كنتُ أجتازُ ما قد رموا
وأمْحو السُّدُودَ بعَزْمٍ وَصَدْ
وتأتي الأماني بِما أرتَجي
لأنَّ العزِيمَةَ مِنِّي وَتَدْ
سِوَى إنَّ حبِّي بدا عاجِزًا
مَهِينًا تَوَلَّاهُ تيهٌ وصَدْ

وأم سُلَيْمَى تَسُوقُ الأسى
وتَمْسَحُ في وجه سَلْمَى الأنا
بريشةِ لَهْبٍ تُعَذِّبُنِي
وتُمْتِعُها نَكْسَتِي والوَنا
كأنَّا دخيلون في آدم
فجادَلَنا دَهْرُها بالضَّنَى
فقُولي خَسِئْتِ أرأس الأذَى
ألم تَدْرِ غَيْرَ الجنا والخنا

فماذا تريدينَ منِّي وقد
وهبتُ إليكِ جميل الثناء
فماذا تريدينَ بعدُ ألم
أُصَفِّي إليكِ دِماء الحشاء

إلى أن سُلِبتُ من المحتوى
وأزريتني والهوى في الهواء
أكل طموحكِ أن تَشْهدي
عذابي مَهِينًا عديم الرَّجاء

وداعًا سليمةَ يا جُمْجُمَه
بِذا شئْتِ أم شاءتِ الشّرذمهْ
فلستِ سوى نَغْجَةٍ قدْ رَعَوْا
فلما استقاموا دعوك الأمهْ
فلما سمنتِ رأوا خِسَّةً
وإن قلتِ: قالوا صَهٍ أنتِ مَهْ

تسائلني ما الذي حلّ بي
وبين يديكَ جوابُ السؤَالْ
فكيف السُّؤالُ ومنكَ الأذى
وأنت الظَّلُومُ وأنت النبالْ
تركتَ دموعي تُذيبُ الحَصَا
وأرقى بزهوٍ فُحولَ الخَيَالْ
وُئِدْتُ ولم أدرِ معنَى الأذى
ومعنى السَّلامِ ومعنى القتال

فإن قيل ما ذنبُ موءودةٍ
فماذا تقول فهل تنطقُ
بماذا تُجيبُ؟ فصمتًا على
قبيحِ فعالك يا أحمقُ

فماذا الجوابُ وقد كنتَ في
غيابات جبٍّ بها تُخْرَقُ
عجزتَ فذق طعْمَها المشتهَى
لقد شاب فكرُكَ والمنطِقُ

فقولي فَدَيْتُكِ يا مولدي
فكم من مُؤامَرَةٍ دَبَّرُوا
طَلاسِمَ هاروتَ لي رُسِمتْ
ومن سِحْرِ ماروت قد أكثروا
فحلُّوا القلوبَ بصرف الهوَى
وباعوا سليمى فهل أثْمَرُوا
فأنتِ حرامٌ عَلَيَّ فلن
أُكحِّلَ عيني بما أبكروا

فقولي فديتكِ يا مولدي
فما حالُ سلْمَى فهل وقَّتِ
بأغلى العهودِ عهودِ الهوى
لأن الشكوكَ سبَتْ دمعتِي
أحَيٌّ أنا بين أحشائها
أمِ انِّي وئِدت بجبَّانةِ
فقولي أم انَّكِ أيضا على
صُفوف الذين بروا موتَتِي

وداعًا تُغَرْبِدُ في نَبْرَتِي
وتَسْكُبُ فيها لظًى مُستَعِرْ

تـركـتـكِ والـدَّمْـعُ يـجـري دمًـا

علـى مـدمـعـي الـبـائـس الـمـنـكَـسِـرْ

ومـحـمـودُ بـالٍ أقـول وَلاَ

أُسِـيءِ الـظُّـنـونَ بِـحُـكْـمِ الـقَـدَرْ

تـركـتـكِ لـكـنَّـنـي آمـلٌ

لِـقـاءَ وَدَاعٍ فَـهَـلْ يُـنْـتَـظَـرْ

أنجمينا/ يوليو٢٠٠٢

بيضت في ٢٠٠٢/٨/٢٨م

****

٢ - قَرِّبِينِي

[مجزوء الرمل]

لَيْتَنِي أَلْقاكِ عُمْرِي

فَتَصِيرِينَ ثِيابِي

وَأَصِيرُ القِسَّ أَبْنِي

مَعْبَدًا بالنَّهْدِ أوْ حِصْنًا حَصِينَا

لَيْتَنِي صِرْتُ حَلِيبًا

قَرِّبِي لِي الثَّغْرِ حِينَا

قَرِّبِينِي يا فَتَاتِي كَيْ أَكُونا

مِرْوَدا للعَيْنِ، أوْ للنَّهْدِ (تِتْيُونًا) أمينا

قرِّبِينِي قَدْ لَحَا وَجْهِي جَلاَلا

بَثَّ في نَفْسِي جُنُونَا

لَوْنُكِ السَّاجِيُّ سِحْرُ

إسألي المِرْآةَ يَوْمًا تَعْلَمِينا

قَدْ أتاكِ اللَّيْلُ سَعْيًا

واهِبًا لوزًا وتِينَا

صَمِّغِي عُودَ القَمَارِي

وانشُرِي الرَّيْحانَ فينا

قدْ دَعانا الحَوْضُ هَيَّا

الْبَسِي الشَّفَّافَ وامْضِي

انزِلِي بِي في إناءٍ يَحْتَوِينا

خَبِّئِيني مِن صَقيعٍ، جَفِّفِيني

وانهضِي بي مِنْ سرير العاشِقِينا

هدْهِدِينِي يا نُوَيْباتِي قَلِيلاً

اتركيني،

وامكثي في (المقر) حتى

تنعِشي الدر المصونا

أسرعي هيا افتحي الدولاب سلِّي

مسحة النعناع منه

وانفثي العطر الثمينا

أسمعيني صوت شعري دون ناي

واعزفي لحنًا حنينا

وانتشي مني ومنه

فكلانا يبتغي الإبحار فيك

يبتغي أمنًا أمينا

أطفئ الأنوار حينًا

واتركي الأخضر ينأى

ينشر الأضواء فينا

واخلعي ثوب العذارى

ثاكلاً نادى الجبينا

إنه للوصل سد

إن رأينا الحب دينا

قربيني وامنحيني لحظات

سلبت منا سنينا

اخزنيني في المحيا

علني إن ذبت أنسى في محياك الأنينا

أنجمينا ٢٤أغسطس٢٠٠٢

****

٣ - لو كانت

[الكامل]

النصر هلَّ وحقَّ لي أن أفتخرْ

النصر هل على يديكِ وهلَّ لي مجدُ أَغَرْ

سَابقتهم فَسَبَقْتهم

وجعلتِ كلَّ النصر من إعجازِ نصرك ينبهرْ

فتقدمي يا درّة المجد افتحي

لنون جنسك مسلكًا كيما يثور ويفتخر

فتقدمي لتحطمي

خرافة الواو الأَشِر

النَّصر هلْ

ماذا أقول حبيبتي فالقول فَرْ

☆☆☆☆

لو كان في يديَ المشيئة والقدر

أذَّنتُ في كل القرى جل البوادي والحضر

أذنتُ في كل الكبار وفي الصغار بأن هلموا يا بشر

«حيوا الأميرة والقمر»

☆☆☆☆

لو كان في يديَ المشيئةُ والقدر

لَطُفْتُ في الناس الرقود

وقت الظهيرة والسحر

ووضعتهم صفًا ببابكَ..

.. لاهجينَ مهنئّين

«مبارك لك بالنجاح مبارك لك أيهذا المنتصر»

☆☆☆☆

لو كان في يديَ المشيئة والقدر

أذنت في الناسِ النيامِ

وقدتهم مترنمين في سكونٍ مثل عباد الصليبْ

مهنئين..

«مبارك لك بالنجاح مبارك لك أيهذ المنتصر»

☆☆☆☆

لو كان في يدي المشيئةُ والقدر

أَذَّنتُ في الرياض في الفراش أن

زفوا التي على يديها النصر خَرْ

☆☆☆☆

لو كان في يدي المشيئة والقدر

أذنتُ في الوادي وفي السهول

تَحْتَ لآلي المطرْ

أَذَّنتُ في الطيور فوق غُصُونِ الشَّجر

«أن غردي غنى لها لحن النصر»

☆☆☆☆

لو كان في يدي المشيئة والقدر

غنيت ألحاني الجميلةَ يا منى قلبي..

.. وهندست الفرائد والدُّرَرْ

ونسجتُ بين يديك كل قصائدي

ورسمت وجهك لوحةً هي النفائس والعبر

☆☆☆☆

لو كانت الكينونة الكبرى تثنت لي أنا

لو كان في يديّ قَدْر

أحضرت بين يديك كل النجوم

كيما تُحَيِّي أخت هاتيك الثريا والقمر

«مبارك لك بالنجاح مبارك بالنصر»

لو كانت الكينونة الكبرى هنا..

أخذت وجهك الكريم كي أُحَلِّقَ في العلى

في عوالمنا التي لم تَرْنُها عينٌ رأَتْ

ولا أحَسَّتْها أحاسيس البشر

هناك أُهدي للخدود قبلةً

وهمسةً

وكلمةً هي هذه...

«مبارك لك بالنجاح مبارك لك بالنصر»

أنجمينا ١٧/٨/٢٠٠٣م

****

٤ - الأشواق

[المتدارك]

آهٍ أرحلتَ ولم تتركْ

نبأً وبحثتُ فلم أجدِ

إلا همسات في أُذني

من مهدك جاءت من مهد

يتدفَّق دمعي حين أرى

في الحارة صحبك يا ولدي

يتدفق إن خرجوا قُطْنًا

للنزهة في شطٍّ الرّهد[1]

والحسن[2] الزين[3] معي أبدًا

والليث عليٌّ[4] في البلد

كغريب أبقى بينهمُ

كأسير يرجو فك يد

أبديت لهم لمَّا سألو

ني ما لي غائبة وحدي

الفرح الزيف على وجهي

شَررٌ يتطاير كالبرد

---

(١) الرهد: غدير.

(٢) أخو الشاعر.

(٣) أخو الشاعر.

(٤) أخو الشاعر.

لــكــنــك تــهــجــرنــي وأنـــا
كــالــطــفــل حــنــانــك مــفــتــقــدي

تــهــجــرنــي تــرســل لــي شــوقًــا
تُــنــبــئــنــي شــوقــك مــلءُ يــدي

عــجــبــا مــن قــول أنــت لــه
تــفــنــى الــســاعــات ومــا تــبــدي

إلا مــثــقــالاً مــن كــفٍّ....
هــذا مــا عــنــدك لــم تــزد

تَــعْــبَــثُ بــالــوجــدان تــقــلــبـ
ــهُ إن تــتــأنَّ رضــا تجــد

آهٍ مــن شــوقــك يــأْســرنــي
فــتــعــال خــذ مــنــي قــيــدِي

آهٍ لــو تــنــظــر أحــشــائــي
تــغــلــي والــلــهــو لــهــا جــســدي

هــبْــنــي وعــدًا لا نــخْــلــفــهُ
ولــئــن خــيِّــرت أقــول غــدي

فــنــهــاري دهــرٌ مــذْ رحــلــت
بــيــض الأيــام إلــى أمــد

مــن وعــدك نــبــضــاتــي تــدنــو
وثــوانــي الــســاعــة فــي بــعــد

إنــي لــمــا.. لا.. لــيــتــك.. إن..
غــبــتَ فــلا تــأتِ بــلا مــجــد

أدعــوك إلــهــي أجــمــع شــمــلاً
واحــضــر مــن غــاب إلــى الــبــلــد

****

٥ - سَمْرَاء

[المتقارب]

وسمرا بحي الدقيل[1] انثنتْ

لها مهجتي ألف مرة

وقابلتها في خشوع الدراويش

حين تخيم حضرهْ

وحييتها في انهزام العبارات

بالرمز مليون مرَّةْ

وماتت بحلقي صنوف البلاغهْ

وماتت إشارات ضاديَ حسره

وفرت عقول

وباتت ذواتي

تجابه في الخلد بالسر ثَوْرَةْ

فأيُّ لسانٍ يقول العباره

وَأيُّ عُقَيْل جرئ يُخَمّر فكره

☆☆☆☆

وتدخل سمراء فينا

ترافِقُ شمسًا وَبَدْرا

وتجلسُ بالقرب منّي

---

(١) الدقيل: حي من أحياء العاصمة انجمينا.

وتجلسُ بشرى

تفيضُ بَجَنبي حياءً

تَفِيضُ وَقَارًا

تفِيضُ عَفَافًا وَطُهْرا

وَسَمْراءُ ألقت تحايا

كَخُفْقَاتِ مُرْفِين في الجلدِ تسْرِي وَتَتْرى

وَحَيَّت فُؤَادِي تحايا

كَرَنات لحنٍ تُداعِبُ وتْرا

ستبقى التَّحايا بِقلبيَ شفعًا

وتحيى سُمَيْرا بخلديَ وترا

وَغَطَّى سَمَانا صُماتٌ

فلا أنا أدري ترى كم مَضَى

ولا هِيَ واللهِ مِنِّيَ أَدْرَى

وَفِي الصَّمْتِ حادَثْتُ سَهْرا

وخاطبتُهَا

وما في خِطَابي حُرُوفٌ

وما في خطابي كلامٌ

وما في خطابي نَبْرَه

وسَاءلتُ سَمْرا

سُلالاتُ حَوَّا عَرَفْتُ كثيرا

حَفيداتُ حَوَّا عرفتُ كثيرا

قَرأتُ عن الجنِّ أيْضًا كثيرا

ولَمْ أرَ مثلَكَ في الناس عَذْرَا

أراقَتْ دمائي بِطَرْفٍ حَيٍّ

أذابتْ فُؤادي بِنَظْرَه

أُلاقِي بها

مذاقًا لتقوى الإله وَذِكْرا

فما أجملَ اللَّحَظَاتِ سُمَيْراىَ

حين يُسرَّحُ للشمس أسرى

وحينَ تُسرَّحُ نفسٌ

قَضَتْ في شواطي الضَّلالاتِ دهرا

☆☆☆☆

وقلَّبْتُ سَمْراءَ أسفارَ من رحلوا

في الزمانِ القديم، ولم أرَ مثلك سمراء عذرا

رمتني برمحٍ، وتُصْدر في الحينِ حُكمًا

بإعدامنا قبلَ أن تُلْقِيَ الرُّوحُ للرُّوح زفره

فهل أنتِ سَمْرا حَفِيدةُ حَوًّا

أم انَّك يا شمسُ أُخرى

فَقُولي فُديتِ

فمن أيِّ دُنيا قدمتِ

فمن أَيْنِ أنتِ «أقهره»

فقالَتْ

نَعَمْ: إنَّ حَوَّاء أمي

ولكن هُناك فُرُوقٌ بدت بين جذرٍ وفرع

ومنها سماتٌ سمت للسما

وزانته فرعيَ نضره

ومنها فُرُوقٌ بَدَتْ بَيْنَ نَكْهاتِ طينٍ

وبين الزهور إذا أنفق الزهرُ عِطرَه

وقلتُ بنبراتِ صوتٍ حنينٍ

رأتْ مُهْجتي منكِ طرفًا

تعاطتْ بِسِرٍّ من الطرف كأسا

فباتَتْ لَياليَ سَكرى

فقالت:

أبارك كُلَّ هواها

وأسأل ربِّيَ تحقيق بشرى

أنجمينا ٢٨/٧/٢٠٠٣م

****

٦ - نار الفراق

[مجزوء الرمل]

أنتِ في ذاكرتي

والنَّفس أعْياها العتابْ

ما لنا نَبْني بأيدينا مَتَاريسَ الفراق

أنتِ في ذِكْرايَ حِبِّي

حينما اجتزت السَّحابْ

في خيالاتي ارتباكٌ وانقلابْ

أنا في ذكراكِ عمري

والسَّحابُ الرَّاكضُ المجنون دوني كالهضاب

وهو أحياناً كَرَضْمات (تِبِسْتِي)

حين يَغْشاها السَّرابْ

هالَني في ذا الفضاء الرَّحب سِحْرُ

إنَّما الطَّيْرانُ يمحو ذا الثوابْ

عابسُ الوجْه لأنّي

فاقدٌ نصفي، ونصفي أنت، قولي

أوَزَعْمٌ كلماتي أم صوابْ

ثَغْرُكِ البسَّام جنبي

يَحْضِنُ الخدَّ المذابْ

كُلَّما فكَّرت حينًا

جاءني مثل السَّرابْ

يُنقِذُ القلب المهينا

إن رأى فيه انتحابْ

أنتِ منّي في فؤادي

في سويدي ذا الذي يشكو العذابْ

أين منك الآن طيفي

أعناق نال طيفي أم سبابْ

أنا في ذكراك

والإبحار في فضاء الله خوفٌ مستطاب

هَمْسُك الشعر المقفّى

حين أروي منه شيئًا للصِّحابْ

وهو في الخلواتِ وِرْدي

وهو فكْرٌ في كِتابْ

ريقكِ الشَّهْد المصَفَّى

منه سكرى، وانتشائي، وانجذابْ

إنَّني في البعد حزنٌ وحَنينْ

وأنينٌ مثل تصويت الغرابْ

أنا في ذكراكِ إن جاء الغروبْ

أو أميطتْ عن دياجينا الحجابْ

أنا في ذكراك روحي

قد سباني في بعادي إشتياقْ

على سطح الخطوط الإفريقية

١٩/٧/٢٠٠٢م

****

٧ - شاري[1]

[مجزوء الوافر]

رجعتُ إليكَ يا نهري
ويا مددي ويا قدري

رجعتُ إليكَ ولهانًا
وحبُّكَ في دمي يسري

وللغايات في الوادي
وللصفو الذي يجري

ومأواكَ سلسبيليٌّ
أزاح الداء من صدري

وللرمل الترامي في الـ
ـحواشي البيض والخضر

كأنَّ الله أنزله
لنا هبة من البدر

رجعت إليك يا شاري
أيا شكلاً من التبر

أذوق فيك أن أغدو
مذاق الشهد والخمر

فلا تِبْرٌ ولا شهدٌ
ولا خمرٌ لذي شكر

---

(١) شاري: اسم نهر في تشاد ومن أكبر أنهارها.

فـــأنـــت الـــكـــوثـــرُ الـــصـــافـــي

وبـــاقـــي الـــنـــبـــع مـــن عـــكـــر

رجـــعـــتُ إلـــيـــكَ شـــريـــانـــي

عـــلـــيـــلُ الـــقـــلـــب والـــفـــكـــر

فَـــزوِّدْنِـــي بـــجُـــرعـــاتٍ

لـــتـــبـــقـــيـــنـــي عـــلـــى سُـــكْـــر

مَـــلَـــلْـــتُ الـــصَّـــحْـــوَ فـــي فكر

مـــلـــلـــت الـــقـــيـــدَ فـــي الأســـر

مـــلـــلـــت الـــمُـــكْـــثَ فـــي فـــزعٍ

فـــرجِّـــعـــنـــي إلـــى الجـــذر

رجـــعـــتُ إلـــيـــك مـــرعـــوبًـــا

ومـــغـــلـــوبًـــا عـــلـــى أمـــري

فَـــســـكِّـــن روعـــةَ الـــقـــلـــب

فـــإن الخـــوف يـــســـتـــشـــري

ســـتـــبـــقـــى بـــيـــنـــنـــا دومًـــا

أريـــجُ الـــطـــيـــبِ والـــعـــطـــر

وتـــعـــطـــيـــنـــا بـــلا حـــصـــر

طـــوال الـــعـــمـــر والـــدهـــر

ســـتـــبـــقـــى لـــلـــعَـــطـــا أبـــدًا

فـــلـــم تُـــحـــبـــسْ مـــدى الـــدَّهـــر

١٩٩٦/٦م

****

٨ - أحبِّيني

[الوافر]

أَحِبِّيني فَداكِ اللهُ سَيِّدَتي
كما أحْبَبْتُكِ إنَّ العِشْقَ أفْنانِي

عَواصِفُ عِشْقِيَ المَجْنُون تَلْطِمُنِي
بأمْواجٍ وتَطْرَحُنِي بِشُطْآن

أنا الأطْفالُ كيْفَ أَطِيقُ عاصِفَةً
وأينَ أَفِرُّ إنَّ المَوْجُ يُغْشاني

أَحِيطِيني فَإنَّ الْبَرْدَ يَقْرِصُنِي
وَضُمِّينِي أنا والنَّهْدُ صِنْوانِ

خُذِينِي زينة الروضات وابْتَعِدِي
وَخَلِّي عَنكِ ذاكَ الأبْخَرَ الفانِي

بُعِثْتُ أُبَدِّدُ الظُّلُماتِ فِيكِ فَكَيْـ
ـفَ مِثْلَكِ أنتِ يَشْكُو ظُلْمَ حِرْمانِ

أَحِبِّينِي تَرَيْ في الحُبِّ مُعْجِزَةً
فَحُبِّيَ الطِّفْلُ صَارَ اليَوْمَ (دُوشانِ)

أنجمينا ٢٠٠٣/١١/٨م

***

٩ - البحث عن الغفران

[مجزوء الوافر]

بناتُ الحَيِّ قُلْنَ لنا
فطيمةُ حولها جندُ

فلا تقربْ معاقلَها
فتأكلْ لحمكَ الأُسْد

فإن الأُسْدَ رابضةٌ
ومنها يظهر الجدُّ

وقصر فطيمةَ النائي
حَوَتْه فوارسٌ عمد

فمن هانت له روح
فذاك الحصنُ والسَّدُّ

فقلت لهن لا أخشى
طيور «أَمْعَك»[1] إذ تشدو

إذا ما بان شاهينٌ
يجيءُ السّام لا الضِّدُّ

تموتُ قُبيلَ قبضتهِ
ويفنى الهزلُ والجَدُّ

فظنوا السَّدَ يمنعني
فَخَرَّ السَّدُّ والإدُّ

---

(١) طيور أمعك: نوع من الطيور ذو تغريد مزعج وصوتٍ عالٍ وحركة عالية.

أُحَلِّقُ فوق قمتِهِ
فليس القَدْر ينصدُّ
وأمشي نحو غرفتها
ومثل الضوء أمتدُّ
وإن قفلوا نوافذها
هواء كيف أنصدُّ
وإن جاءوا بتعويد
يحطُّ الله ما عدُّوا
فأهلك كلما عقلوا
فإن الحقد يشتد
فإنَّ الذنبَ سيدتي
هوانا منه ذا النكد
بأن نحيا على حالٍ
أباها الله والعبد
فكانوا كلما صلُّوا
دعوا بالنكْد فانصدوا
حكيم فوق جهلهم
وأصفح إن همُ لَدُّوا
فصور الفخ إن مدت
بأفٍّ سوف تنهد
سألت الله يهديهمْ
لِيَحيا الودُّ لا الضد
لأجلك أنت أكرمهم
لأجلك أنت أرتدُّ

لأنسى كلَّ آلامي

وأُرخي إن هُمُ شدُّوا

لأجلك أنت أكرمهم

وإن مكروا وإن هدُّوا

بنائي لن أعاديهم

لأني فوق ما جدُّوا

أتيتُ الآن سيدتي

بذاتٍ ما لها ندُّ

هجرتُ ديارَ أحبابي

فَليتُ ديار من جدّوا

****

١٠ - هوى أم وسواس

[المتدارك]

المناسبة: كتبتها حينما قابلتني فتاة، وألمحت لي بالحب لكني أعرضت عنها، بسبب ارتباطي بخطيبة فتاة أحبها وهي المرموز لها بولادة.

(١)

يا من تتسربُ في صدري

قل لي من أنت... لأني لا أدري

يا من يتغلغل في خَلَدي

فأنا أدعوك لتدري أَني لا أدري

(٢)

يا من تتسلل مختبئًا مثل الفأرهْ

أدعوك لتدري أني في حيرهْ

واعلم أني الآن على جمرهْ

رغم جهودالعرافات ورغم جهود السَّحَرهْ

احترقت كل الآمال وذابت معها الأحلام النضرهْ

ومصير بات على أيدٍ قذرهْ

بنحيب الحسّ أنين يخترق الصخرهْ

بعد اليأس أتيت الآن تذكِّرنا وتصيح بنا بشرى، بشرى

عفوًا اذهب بئس الذكرى

(٣)

يا من تتصفَّى في نفسي

إني الآن على بأس

بعد تآمر شيخ الخزرج معْ أوس

اختلطت كل الأشياء على نفسي

واختلطت هاتيك الأفراح مع البؤس

وغدت (وَلاَّدَة) في بَونٍ أصْبَحْتُ أراني في نُكْسٍ

لو كان بمقدوري أن أمحو نفسي...

أو كان بمقدوري أن أقلب أحرف نفسي...

أفعلْ...

لكني الآن أُعاني من هوس النكس

يا ضيفي ارجع ليس الآنْ

(٤)

ارجع... إني لا زلت رضيعًا أجهل فن غرامْ

مذ غادرتك ولاَّدهْ

قالوا فيَّ غريب كلامْ

ولذا أجد النفس بحالات ليستْ كالعادهْ

وبرغم الصدق أيا ضيفي أعتذر الآنْ

لا عفوًا ليس الآنْ

لا أنكر أني في حاجهْ

لا امرأة تشبه ولادهْ

وتجيد اللحن بأنواع إجادهْ

وطقوس الحب وكل عبادهْ

تجعل في النحر رموز الحب قلادهْ

تعرف كيف تهدهدني

كيف تناغيني مثل الطفل حديث ولادهْ

أحتاج إلى امرأة تجتاح حماقاتي

أحتاج إلى واحدة إن قلت أواهٍ...

وَثبت من تحت ملاءتها صاروخَ إبادهْ

كي تحميني من فزعي كالفزع...

وتشيّد بي أحلامًا ساميةً وإرادهْ

أحتاج إلى أُخرى أجتاز على عينيها كل مخاطر

أحتاج إلى كبرى أتلقى منها فن قيادهْ

أحتاج إلى بشرى أتخلص فيها من قيد وسادهْ

أحتاج إلى واحدة أنسى بين ذراعيها الأحزانْ

ومكايد أهلِكِ ولأّدهْ

لكن لا عهد يصاغْ

إذ إن العهد شهادهْ

يا ضيفي ارجع ليس الآنْ

(٥)

لا أنكر أنّي شاورت الكهانْ

فصاح إليّ

قالوا أهل الشانْ

من أعنيها بين يدي

أن أدفع ثمن الإتيانْ

أعطاني الطِّلسَّم به اسمي واسم المحبوبة واسم الجانْ

ودنا من أذني قال سأخرق هذي الورقاتْ

فإذا ما اشتد دخانْ

احضر يا رِوحانُ ويا روحانْ

احضر ذات الثغر العنقودْ

احضر ذاتَ الأمل المنشود

احضرها الآن الآن الآنْ

وبت أنادي يا روحان ويا روحانْ

وخلطت الشرك مع الإيمانْ

ومللت الرقص مع الهذيانْ

وسكبت الدمع ولي أسفانْ

ورجعت بثوب القسيسينْ

أروي للناس عقوبة أهل العشق

وأرسم في الأذهان النيرانْ

وبزهد دراويش باعوا الدنيا لغد أسمى

ورجعت لأحيا في مرتبة فوق الإنسانْ

لكني أمشي بعصا أعمى

بعد مذاقي طعمِ الزهد أتيتَ الآنْ

كي تقنعني بهوى أسمى

هي ذي الكبرى

أو فاختر ما بين رياض أو قطبانْ

لا عفوًا ليس الآنْ

(٦)

لا أنكر أني وسطت إلى من أعنيها

أهل الودع وأهل الخطّ ومن يقرا السرَّ على الفنجانْ

قالوا من أعنيها شبه خيالْ

من أعنيها أُسطورهْ

نقلتها الأجيال إلى الأجيالْ

وستبقى لا لا شك محالْ

قالوا لي من تعنيها ليست من جنس الإنسانْ

وسكبت الآهة في الوجدانْ

وصرخت وبي غليانْ

لا؛ هي من جنس الإنسانْ

لكن من أعنيها ليست من نسل الزنج ولا من نسل البيضانْ

من أعنيها سمرا قمحيهْ

تسكن في المنفى لكنْ في دار الشط لها شريانْ

من أعنيها فيها سمة التقليديهْ

لا تهتم بزيف المدنيهْ

رغم ثقافتها وتجولها في البلدانْ

لم تلبس إلاّ قطن تشادْ

(٧)

وذهبت لأبحث عنها في كل مكانْ

في غابات الأمزون وبين روابي «العريانْ»[١]

وذهبت لأبحث فوق جبال «الهملايَ» وتحت تلال «النعسانْ»[٢]

لكني عدت بخفِّ حُنين تحملني أحزانْ

---

(١) مكان مرتفع يقع شمال ابشة.

(٢) مكان يقع بالقرب من مدينة آيكا.

وسفرت العمر أفسر أحلامي والأوهامْ

بتصرف ولهانٍ حيرانْ

وذهبت لأسأل عنها كل الأشياءْ

وسألت البحر وموجَ البحرْ

وسألت الرعد وبرق الرعدْ

وسألت الليل سألت نجوم سماهْ

وأخيرًا عدت بثوب الحمدْ

لم ألقَ سوى صمتي وندائي ليس له أصداء

(٨)

عدت وعادت كل الأهوال ورائي

عدت أُفتش عن أيامي البيض بشكل عشوائي

عدت إلى ربِّي أدعوه شفاءً

أدعوه ولاءً

أدعوه لقاءً

وأتيت أيا ضيفي الآن تكركر كالفرسانْ

كي تأسرني .. توهمني وتقول غدًا أبقى السلطانْ

لا؛ عفوًا ليس الآنْ

(٩)

يا من تتسلسل مثل النبع إلى الإحساسْ

قل لي من أنتْ

أهوى كهوى ولادة أم وسواسْ

عد فالآمال بنفسي ملء البحرْ

فغدًا ألقى ولادة والفجرْ

****

١١ - قسمة ونصيب

[المتقارب]

أحـــبُّــكِ حــتــى يــطــلَّ الــمــشــيــبْ
أحـــبُّــكِ حــتــى انــقــســام الـــدروبْ

وحــتــى أذوبَ رويـــدًا عــلــى
مــطــاهــي الــغــرام عــديم الــضــريــب

أحـــبُّــك أنـــت أتــدري لمــا
لأنـــك أنـــت دواءُ الــقــلــوب

بَــرَانــي هـــواكِ فــروحــي الــشّــفــا
ولــيــس الـــدواءُ بــوصــف الحــبــوب

فــقــولــي أحـــبّـك هـــذا الـــدوا
وَشَـــرِّح فـــؤادي طــبــيــب الــقــلــوب

أخـــلِّــي فـــؤادي بــقـــولٍ طــريٍّ
وحــلِّــي الحــديــثَ بــقــولٍ مــريــب

وقـــولــي أحـــبّــك حــتــى الــفــنــا
وكُــفِّــي أعــاصــيــرَ عــشــقــي الــرهــيــب

تَجــلِّــي ولا تحــرمــيــنــي الـــرُّؤى
أريــنــي الــكــنــوزَ وصـــدِّي الــرَّقــيــب

تــعــالَــي (فـــواطـــمُ) كــي نحــتــســي
كــؤوس الــهــوى فــي زمـــان الــهــبــوب

هـــواك يُــقــطّــع مــنــي الحــشــا
ويــنْــظــم شــوقــي عــقــود الــلــهــيــب

وأبكي إليك بصوت الظبا

وأمشي إليك بمشيٍ دبيب

ويوم سألتك فيه الهوى

فَلانَ الحديثُ بجوٍّ مهيب

وهبتك ذاتي بأمر الهوى

فبات المصيرُ بأيدي النَّصيب

بِمُحيا عيونك فاح الشذى

فغطى العبيرَ وصدّ الشعوب

جلالك - فاطمُ - لما بدا

تداعت نجومك نحو الغروب

بطرْفك سحرٌ تجلَّى لعيني

فقولي فتاتي فإني مجيب

سَلي قسمة الأمر أين انتهت

فقد مسَّ حسي وذاتي لغوب

ملاذي إليك فمن يا ترى

أسيلُ إليه وإنّي غريب

فخذ بيديَّ - حبيبي - ولا...

تذرني وحيدًا أسير النَّحيبْ

أصلّي إلهي وأدعوك كي

تحقق حلمًا لعبدٍ سليبْ

فَطيمةُ تسأل من يشتري

- فخفت الحديث بأني الحبيب -

فؤاد يؤجل آن الهوى

ويرمي فؤادي بسهم النَّصيب

****

١٢ - أَنينُ عاشِقْ

[المتدارك]

(١)

آهٍ من نارٍ تَشْتَعِلُ

تَلْهُو بِبُطَيْنٍ خَفَّاقِ

تَغْلِي بِشَرايينِي

لَكِنْ أَتَلَذَّذُ بِالإِحْراقِ

وَبِجَوْرِ قُيُودِي وَوِثَاقِي

آهٍ مِنْ هَوَسٍ لا يَنْفَصِلُ

أَتَجَزَّأُ عِنْدَ الحَضْرَةِ أتصلُ

كي أَتَحَسَّسَ في الذَّاتِ العُلْيَا أَشْواقِي

آهٍ مِنْ سَهْمٍ مَزَّقَنِي

فَبِرَغْمِ نَزِيفِي وَبِرَغْمِ دُعاءِ الرَّاقِي

أَتَذَوَّقُ طَعْمَ جُرُوحٍ لا تَنْدَمِلُ

إنِّي أشْكُو صَمْتًا

قُولِي لِي أَكْرَهُ وَجْهَكَ أَوْ

إنِّي فِي حُبِّكِ أغْتسِلُ

إنِّي أشْكُو مِن حُبٍّ كالسَّيْلِ العارِمِ يَرْتَطِمُ

أَأُحِبُّ أنا أَمْ أَغْرَقُ في بَحْرٍ غَرَّاقِ

أَو أفْنَى فيهِ تُرَى أَمْ أُنتَشلُ

آهٍ مِن مُتْعَةِ إغْراقِي

يا مَنْ صُهِرَتْ في قاعٍ من نَفسي

يا مَنْ صُيِّرْتِ جَلِيدًا في أعْماقِي

إنّي آنِيَةُ الطُّهْرِ

وَتَحْتِي النَّارُ فَهَلْ مِنْ واقِ

آهٍ يا هَوَسِ الأفْكارِ أنا

مَسْحُورٌ فِيكِ وما أحْلَى السِّحْر

حِينَ أُسَوِّدُ أوْراقِي

آهٍ يا طَعْمَ الآلامِ إذِ الآلامُ بَدَتْ تَكْتَمِلُ

إنّي مَجْنونٌ أبدًا، إنّي مجنونٌ فِيكِ

وما أجْمَلها لَحَظَاتُ جُنُونِي حين تعربدُ أشواقي

حِينَ أقُومُ بِتَصْوِيرِ مَلامِحِ وَجْهِكِ في

في ساعاتِ الإشْراقِ

إنّي مأسُورٌ فِيكِ وما

أَحْلَى أَسْرِي إذ أَرْوِي الوَرْدَ بِدَمْعٍ رَقْرَاقِ

إنِّي مَقْتُولٌ فيكِ

وما أحْلَى مَوْتِي حِينَ يَقُولُ النَّاسُ

بأنَّكِ يا خَنسَا سَبَبٌ فِي مَوْتِي وَفِرَاقِي

أَحْيِينِي في أعْماقِكِ أوْ أَفْنِينِي

إعْطِينِي قَلْبَكِ أوْ لا تُعْطِينِي

فأنا لا أطْلُبُ أكثَرَ مِنْ أنْ أبْقَى رَمْزًا للعُشّاقِ

(٢)

أَحْسَسْتُ الآنَ أيا خَنسَا أنّي أحْبَبْتْ

أيْقَنْتُ بِأنَّ هَوَايَ الماضِي عَبَثٌ

وَبِأنِّي رَغْمَ مَصِيري المَجْهُولِ سُعِدتْ

إنّي يا خَنسَا الآنَ بَدَأْتْ

وَعَجِبْتُ لأنِّي أَلْمَحُ وَجْهَكِ في كَلِّ اللَّحَظاتِ

على الظُّلُماتِ على الأضْواءْ

وأراكِ علَى فِنْجانِ القَهْوَةِ عِنْدَ الإمْساءِ

وأراكِ على نُورِ الزَّهْرِ

أراكِ أراكِ علَى كُلِّ الأشْيَاءْ

أَوَ تَدْرِينَ بِأنِّي بَعْدَ لِقَائكِ يَا خَنْسَاءُ جُنِنْتْ؟

وَعَجِبْتُ لأنِّي كَيْفَ شَهِدت ولادَة حبِّي

إنِّي الآنَ وُلِدتْ

لا تَسْألِي عَنْ تاريخِي الماضِي

هُوَ شَكْلٌ مِن أشْكالِ اللَّعِبِ

إنِّي مِن عُجْنَةِ نَهْدِكِ مِن ضِلْعَيْكِ خُلِقْتْ

وأُحِسُّ بأنَّكِ أنتِ أنا

فلِماذا لا أتَنَعَّمُ مِنكِ «أنا»

وأنا في ذِكرِ هَوَاكِ فُطِرتْ

فَخُذِيني يا «أنا» إنِّي مِن دَوْرانِي حَوْلَ الذَّاتِ تَعِبْتْ

فخُذِيني عِنْدَكِ كيْ أسْكَرَ مِنْ عَيْنَيْكِ

وَمِنْ شَفَتَيْكِ

فَخُذِينِي عِنْدَكِ لأذُوبَ عَلَى لَمَسَات يَدَيْكِ

فَخُذِينِي كَيْمَا أتَلاشَى بَيْنَ جَنَاحَيْكِ

أُفٍّ لِحَقَائق دُنْيايَ

إنِّي من أحكام المَنْطِقِ يا خُنسُ مَلَلْتْ

(٣)

أحْبَبْتُ كَثِيرًا يا خَنْسَا...

لَكنْ لَم ألْقَ هَوًى مَجْنُونًا كالتَّتَرِ

أَحْبَبْتُ كَثِيرًا...

لَكنْ لَمْ ألْقَ هَوًى كَهَواكِ

يُعَلِّمُنِي كلَّ لُغاتِ البَشَرِ

حُبُّكِ عَلَّمَني أن ألْقَاكِ عَلَى النَّسَماتِ

وفِي سَبَحَاتِ المطرِ

عَلَّمَنِي أَنْ أتَنَشَّقَ طَيْفَكِ في أوْراقِ الزَّهْرِ

عَلَّمَنِي كَيْفَ أُناغِيكِ برغمِ البُعْدِ عَلَى رَنَّاتِ الوترِ

(٤)

إنِّي مُشْتاقٌ سَيِّدَتِي

وَلِشَوْقِي مَكْرَمَةٌ وَخِصَالْ

هِيَ إن تَبْدُو تَنْهارُ عَلَى الفَوْرِ

كُلُّ صُرُوحِ المُحالْ

فَأرَاكِ بِرَغْمِ السُّدُودِ

وَرَغْمِ الحُصُونِ وَرَغْمِ المُحَالْ

أشتاقُ إِلَيْكِ أَتَسَلَّقُ بُرْجَ الخَيَالْ

كَيْ أراكِ وأنتِ تَزيدِينَ يا خَنْساءُ جَمَالاً

ويغار الجَمَالُ مِن سِحْرِ الْجَمَالْ

أَشْتاقُ أَطِيرُ إليكِ بِدُونِ جَنَاحٍ

وَأُعَانِقُ طَيْفَكَ تَحْتَ الظِّلالْ

آهْ يَا خُنسُ

بِرغمِ كَرَاماتِ الوَلِيّ، وَرَغْمِ الهُزالْ

وَرَغْمَ تَلاشِي صَرُوحُ المُحَالْ

يَتَعَرْبَدُ في الأَحْشَاءِ السُّؤالْ

فَمَتَى يَا حِبُّ الْوِصَالْ؟

****

حسب الله مهدي فضلة(1)

١ - رسول السلام ﷺ

[الخفيف]

دعْ مَديحَ الأنامِ؛ فهْو هَبَاءُ!
وامْدحَنْ مَنْ عبيدُهُ الأمَرَاءُ

سيدَ الرُّسْلِ، هل لمدحِي مجَالٌ
فيكَ، بعد الذي جَلاَ الشعراء

كُلُّ مَدْحٍ يُقالُ فيكَ ضئيلٌ
عنكَ، مَهْمَا أُطِيلَ فيهِ الثَّناء

هل يُطيق اللسانُ حَصْرَ مزايا
أثبتتْها الأعداءُ والأصْدِقَاءُ؟

جئتَ بالحقِّ والوَرَى في ضلالٍ
تَنْكِرُ الأرضُ سعيَهُم والسماء

- شاعر تشادي معاصر ولد سنة ١٩٧٤ في مدينة أبشة، قرأ القرآن الكريم، ودرس الفقه والتوحيد والسيرة النبوية على يد والده، ثم التحق بالمعهد الإسلامي بأبشة وحصل على شهادة الثانوية ١٩٩٦، وسافر إلى السودان للعمل.
- ثم عاد إلى وطنه والتحق بجامعة الملك فيصل بتشاد، وتخرج في كلية اللغة العربية سنة ٢٠٠٢ وفاز بجائزة الإيسسكو للأعمال الأدبية المتميزة سنة ٢٠٠١ عن ديوانه الشعري غير المطبوع «نبضات أمتي» إذ تميز ببناء عمودي محكم، وحسن توظيف للتراث الإسلامي وتنويع للقضايا التي يعالجها من منظور إسلامي. والشاعر يعد من رواد الشعر المحافظ الملتزم بقضايا وطنه والعالم الإسلامي من حوله.
- لقاء تمَّ بيني وبين الشاعر في الجامعة الإسلامية بالنيجر أثناء انعقاد المؤتمر الدولي لعالمية الأدب الإسلامي في الفترة من ١٨ - ٢٠ أبريل ٢٠٠٢ ولقاء آخر في جامعة الملك فيصل نوفمبر ٢٠٠٣م.

عشَّشَ الجهلُ في العقولِ؛ فأمسَى
يَنْعَقُ الزيْغُ فوقها والمِراء

قد تعامتْ عن الرشادِ وضَلَّتْ
فاستوى عندها الدُّجَى والضِّياء

بل تهاوت إلى الحضيض فأضحى
ربَّها السحرُ والدُّمَى العجْماء

واحتذَتْ في الحياة شِرعةَ غابٍ
فالأناسِيُّ والضَّوارِي سواء

بينما هُمْ في ليْلِهِمْ آذَنَ اللـ
ـه بصُبْحٍ يُزاحُ عنه الغِطاء

أشرقَتْ شمسُك المنيرةُ في الكَوْ
نِ؛ فضَمَّتْ أذيالَها الظُّلْماء

كالخيالاتِ للسُّكارَى إذا ما
أشرَقَ العقْلُ، واستُعيدَ الصَّفاء

أو كَغَمٍّ على فُؤادٍ ويَأسٍ
بَدَّدَتْهُ انتِباهَةٌ أو رجاء

فاستفاق الوَرَى على خيرِ صَوْتٍ
ردَّدَتْهُ الأقْطارُ والأرْجاء

حين ناديتَهم: «كفاكُم ضلالاً
ما لِهَذَا الإيجادُ والإنماء»

«انظروا الكونَ هل أتَى صُدْفَةً أمْ
أبدعَتْهُ هذِي الدُّمَى الخَرْساء»

«أم لها قُدرةٌ بها يُجْلَبُ الخَيْـ
ـرُ، وتُجْلَى الكُرُوبُ والأدواء»

«محضُ وهْمٍ على عقولٍ ضعافٍ
نَسَجَتْهُ العواطِفُ العمياء»

«إنَّما اللهُ ربُّكُم، فإليه
يُرْفَعُ النُّسكُ، منه يُرْجَى العَطَاء»

«حقُّه في الوجودِ أنْ يُستَمَدَّ الـ
ـنَّهْجُ من شرعِهِ، ويُرسَى القَضَاء»

«لم يُرِدْ للعباد عيشَ مَطَايا
تَمْتَطِيها الأوهَامُ والأهواء»

«أو لصوقًا بالقاعِ والكونُ رحْبٌ
ناضِراتٌ آفاقُهُ الْعَلْياء»

حِينَها عاشت الخليقةُ عيدًا
فِيهِ مِنكَ تَألُّقٌ وضِياء

واستظلَّ الورى بواحَةِ عَدْلٍ
مِنكَ مُدَّتْ أغصانُها الفيحاء

حيث أعلنت قبلَ ثورةِ باريْـ
ـسَ: (الجميعُ أمامَ شرعي سواء)

يستوي الكلُّ عند ميزانِ حَقٍّ
لم يَشُبْهُ تَصَنُّعٌ أو رِيَاء

هكذا استنشقَ الأنامُ عبيرًا
مِن رِيَاضِ الهُدَى لَهُ إزكاء

ذاق طعمَ الحَيَاةِ بالقِيَمِ العُلْـ
ـيا، وقد خَيَّم الضنًا والشقاء

واستشفَّ المعنى العميقَ لهذا الـ

ـكونِ؛ فانجابَ شكُّهُ والغِشَاء

كُنتَ ميلادَه، وكُنتَ حياةً

أنعشتْهُ، كأنَّها الكَهْرُباء

خَصَّك الله أن تكونَ إمامًا

تَقْتَفِيك الهُداةُ والأصفِياء

خائضًا لُجَّةَ الحياة بفُلْكٍ

حَصَّنَتْهُ العِنايَة العَلياء

أنت ربَّانُه، وهَيْكَلُهُ القُرْ

آنُ، وهْوَ المَحَجَّةُ البيْضاء

☆☆☆☆

يا رحيمًا بالمُؤمنين يُنادِي:

أُمَّتِي! أمَّتِي! وإن هُمْ أساؤوا!

إنني زهْرةٌ بهَدْيِكَ فاحَتْ

يُنْعِشُ النفسَ نفحُها المِعْطاء

إنني بُلْبُلٌ بروضِكَ يشْدو

من تَرانيمِهِ الدُّعا والثُّناء

قد سبَتْنِي آفاقُ عالَمِك الزَّا

كِي؛ فحلَّقْتُ حيث يبدو البهاء

ثُم هَدَّتْ قُوَايَ أغْلالُ أرضٍ

أرجعَتْنِي حيثُ الرُّؤَى السَّوداء

أرسِلُ الطرفَ راجِيًا ثُم يرْتَد

دُ كئيبًا، دمُوعُهُ سَحَّاء

لم يجدْ من سِماتِ أمتك المُثْـ
ـلَى سوى صُورةٍ بها إنضاء
كُلَّما هَبَّ ناعبٌ بادِّعاءٍ
هُمْ دُعاةٌ لِزَيْفِهِ أوفِياءُ
ضَيَّعُوا قاربَ النجاة ببحْرٍ
هُمْ هَشِيمٌ لَمَوْجِهِ، أو غُثَاءُ!
فاحْتواهُمْ قاعُ الحَياة مَلاذًا
واعْتَلَتْهُمْ أدناسُهُ والجُفاءُ
واستطابوا مُستنقَعَ الذُّلِّ كالدُّو
دِ؛ لَهُمْ فِيهِ مَرْتَعٌ وارتِواءُ!
يَفْتَدُون العداةَ بالنفس والأقـ
ـصَى أسيرٌ، تغلِي له الأحشاءُ
يرتَجِي نصرةً، وكيف يُرَجَّى
من غُثاءٍ إغاثةٌ، أو فِداءُ؟!
ما له عندهم سوى عبَراتٍ
بَيْدَ أنْ ليسَ في التَّبَاكِي عَنَاءُ
لو قَفُوا شرعَكَ المنيرَ لعادوا
أمَّةً يحْتَمِي بِهَا الضعفاءُ
وأعادوا مَجْدًا لهم قد تَوَلَّى
زانَهُ العَدلُ والنَّدَى والإخاءُ
حين كانوا أعِزَّةً يخْتشيهِمْ
قَيْصَرُ الرومِ، هُم لَهُ رُؤَسَاءُ

حين كانت نتائجُ السُّحبِ تُجبَى

لهُمُ، حيث تُمطِرُ الدِّيْماءُ

تلك أمجادُهم، وربي كفيل

بالفتوحات حين يصْفُو النِّداءُ

هكذا قلتَ، وهْو وَعْدٌ وصِدقٌ

ومِنَ اللهِ سَوْفَ يَأتِي الوَفَاءُ

فصَلاةٌ عليكَ مِن عندِ رَبِّي

وسلامٌ بِهِ يطيبُ انتِهاءُ

****

٢ - أبكي مع السحاب

[الوافر]

كَفَانا يا سَحابُ مِنَ البُكاءِ!
فَلا سَلْوَى لِمَظْلُومٍ وناءِ

كِلانا يَذْرِفُ العَبَراتِ؛ هذا
بَكَى دمْعًا، وذا يَبْكِي بماء

أتَبْكِي أن تَبلَّ حُلوقَ قومٍ
تَضُنُّ عليك حتى بالثناء

تَذُوبُ لِكَيْ تَكُونَ لهُمْ حياةً
فتُجْزَى بالشتائم والهِجاء!

أحَقًّا كُنتَ للبنيان داءً
قَدِ اسْتَعْصَى على أهل الدواء؟!

وزلزلتَ البِلادَ؛ فَلِلْمَبَانِي
سُجُودٌ، دون نُسكٍ واتِّقاء؟!

وأنَّكَ قد جَعلْتَ الناسَ تمْشِي
كَلاعِبِ سيرَكٍ خَوْفَ ارتِماء!

على المستنقعاتِ ترى جُسورًا
تُذَكِّرُ بالصراطِ بلا مِراء!

نُحاذِرُ أن نَزِلَّ فَتَلْتَقِينا
كَلالِيبُ تُعَذِّبُنا بِداء

وأجَّجْتَ البعوضَ فَشَنَّ حربًا
على الشعبِ المُجَرَّد من كساء!
فَللآهاتِ في الأكْواخِ لحْنٌ
شجِيٌّ هَزَّ أركَانَ السماء!
و«لاماجي»[1] تُدَشَّنُ كُلَّ يَومٍ
مَمَرًّا للقيامةِ في العراء!
دعَاوى في اتِّهامِكَ، لا تخَفْها؛
فَقَدْ أكْفيكَ دحضًا لادِّعاء
فَهَلْ أنتَ الذي جَعَل المباني
فُقاعاتٍ تَذوب مِن الهَواء؟
وهَلْ ذوَّبْتَ أمْوالاً أعِدَّتْ
لِتَرْصيفِ الشوارعِ والبِناء؟
وهل دحْرجْتَ مالَ الشعبِ حتى
تَوَزَّع في جُيُوب الأقوياء؟
وهل أخْمَدتَ في الشبَّانِ عَزمًا
فَلَمْ يُظْهِرْ طموحًا لارتِقاء؟
وهل أعْددتَ دون السُّمِّ درعًا
به احْتَجَبَ البعوضُ عن الفناء؟
وهل أمْطارُكَ اللائي أحالتْ
بني قَوْمِي إلى شعبٍ بِدائي؟
أليس الذَّنبُ ذنبَهُمُ، ولكن
أرادوا الغَيْثَ كَبْشًا للْفِداء؟

(١) لاماجي: اسم المقبرة الرسمية للمسلمين في مدينة انجمينا.

فـكَـفْـكِـفْ دمـعَـك الـغـالـي؛ فـإنـي
أُرَجِّـــــي مـنـك تـخـفـيـفَ الـعَـنَـاء

فـقـل لـــي: هــل مـــرَرتَ وأنـــت سـارٍ
بـــأبْـــشَّـــى[1] وجُـــــدتَ لَـــهَـــا بِـمَـــاء؟

وهـــل قَـبَّـلْـتَ لـي فـيـهـا ثـغـورًا؟
وهـــل دغْـــدغْـــتَ وجْـنـاتِ الـصَّـفـاء؟

وهـــل حُـمِّـلْـتَ لـي مـنـهـا تَحَـايَـا
تُـريـح الـقـلـبَ مِـن حَـرِّ الـتـنـائـي؟

نَـعَـمْ! هــذي الـلآلــئُ حَـدَّثَـتْـنِـي
وذي الـنَّـسَـمَـاتُ وافَـــتْ بـالـشَّـذاء

ولَـكِــنْ لَــمْ تُــبَــرِّدْ حَــرَّ قـلـبـي
فـلِـلـذِّكْـرَى اسْـتِـعَـارٌ فـي الحَـشَـاء

كِـلانـا يَــكْـتَــوِي، والـقـلـبُ دامٍ
ولا سَــلْـوَى لِــمَـظْـلـومٍ ونـاءٍ

****

(١) أبشى: مسقط رأس الشاعر وفيها عشيرته وعادة ما تكون الأمطار فيها شحيحة.

٣ - كُفَّ يا دمع

[الخفيف]

كُفَّ يا دمْعُ؛ أنتَ أوَّل دائي
أنتَ عِنوانُ مِحْنَتي وشقائي

أنتَ جَرَّأتَ كُلَّ نذلٍ على ظلـ
ـمي، وسَلْبي وغِيلَتي واجْتِزائي

لا تَسلْ؛ حَسبيَ الدماءُ دموعًا
والجِراحاتُ أعْيُنًا لا تُرائي

لا تُفَتِّتْ قَلبي، فحسبيَ أني
أُمَّةٌ حُوِّلَتْ إلى أشْلاء

تستبيح الكِلابُ لحْمي وأُصْلَى
نَارَ ذلٍّ تَغْلِي بها أحْشائي

أستَغيثُ الوَرَى ولا ثَمَّ غوثٌ
غَيْرُ عَيْنٍ غِياثُها بالبكاء

لم أكُنْ أعرِفُ البُكاءَ، ولكِن
عَلَّمتْنِي مَخَاذِلُ الجُبناء

مزَّقوا من شريط عمري فصولاً
كالدَّرَارِي بَيْنَ زُهْرِ السماء

كانت الشمس تستضيء بنوري
والمحيطاتُ تَسْتَمِدُّ عَطَائِي

يضحك الكونُ حين أرضى ويَهْمِي

دمعُهُ حِينَ تَكْفَهِرُّ سمائي

ينبت العدل حيث تخفِق رايا

تِي، ويجلو دُجَى الضلال ضيائي

فاخْتَفَى كُلُّ ذاك مني كحُلمٍ

بدَّدتْهُ انتِباهَةٌ في عَراء

عُدتُ أجري خلف السراب وحولي

ينسِج الحاقدون فَخَّ فَنَائي

واستحالتْ رياضُ مجدي يبابًا

مُجْدبًا دون بَهْجةٍ أو رواء

واعْتلَى عَرشَ أمَّتِي كُلُّ باغٍ

خائنٍ هَمُّهُ امتصاصُ الدماء

فلْتَكُفَّ الدموعُ! إنِّي مُعيدُ

عَهْدَ مجْدي بإذن ربِّ السماء!

إنَّني قادمُ بحَقِّي وعَدْلِي

فَلْيُحاولْ كُلُّ الطغاة احْتوائي!

سوف أحْبو هذا الوجودَ حياةً

حِينَ أجْتثُّ داءَهُ بِدوائي

فَلأَكُنْ واحَةَ السلام، لِظِلِّي

يَلجأ الركْبُ من هَجِير الشَّقاء

ولْيَكُن كَوْثرَ المَحَبَّةِ قلبي

ينهلُ الحَبُّ منه كُلُّ الظِّماء

فــــإذا زَمْـــجَـــرَ الــطــغـــاةُ فَــسـيْـفِـي

فـــي يَـــــدِي، رمْــــزُ عِـــزَّتِـــي وإبـــائـــي

هــكـــذا يــســتــحِــيــلُ نَـــوْحِـــي هَـــدِيـــرًا

هـــــادمًـــــا جـــــارفًـــــا صَـــــــروحَ المِـــــراءِ!

هــكـــذا يــســتــحــيــلُ دمـــعـــي ابــتــســامًــا

هـــكـــذا تــنــقــضِــي عـــهـــودُ الــبــكـــاءِ!

****

٤ - في آفاق القرآن[1]

[الرمل]

حَلِّقِي يا روح في عَلْيائِهِ
واستشِفِّي الحقَّ من أضوائِهِ

وانهَلِي الإيمانَ مِن ينبوعِهِ
ليس أزكى منبعًا من مائِهِ

واسْبَحِي ما شِئْتِ لَكِنْ نحْوَهُ
فالهُدَى والأمنُ في مينائِهِ

لا تُصِيخِي نحْوَ غِربانِ الهَوَى
كُلُّ حَقٍّ فَهْوَ من أصدائِهِ

سائِلِي التاريخَ عَن إعْجازِهِ
واكْشفي المكنونَ من أنبائِهِ

نَقِّبِي في قاعِهِ عَن أُمَّةٍ
عَدَّها في البدءِ من أقْذائِهِ

قَد رماها الشِّرْكُ في مُسْتَنْقَعٍ
لُوِّثَتْ فِطرتُها من دائِهِ

مَنْ أراد النُّسكَ سَوَّى ربَّهُ
مِن جمادِ الأرضِ، من أهوائِهِ

---

(١) ألقيت في الحفل الختامي لمسابقة تركي دبوس الدبوس الأولى لتحفيظ القرآن الكريم في يوم الثلاثاء ٢٠ شوال ١٤٢١هـ الموافق ١٦ يناير ٢٠٠١م في قاعة قصر ١٥ يناير بالعاصمة أنجمينا.

أُمَّةٌ لَم تَدرِ مِن شأنِ العُلا

غَيرَ نَهْبِ المالِ أوْ إفْنائِهِ

لم يكُنْ للعَدْلِ مَغْنًى عندها

غَيرَ عدلِ الذئبِ في بَيْدائِهِ

كَمْ زعيمٍ سَادها، لكِنَّهُ

لم يَزِدْ عَن نُوقِهِ أو شائِهِ

قد أذابَ العَقْلَ في كَأسِ الطِّلا

واستَقَى التَّفْكيرَ من أمعائِهِ

كَيفَ يَرْقَى مِثْلُها للبحث عن

غايةٍ لِلْكَوْنِ أو إنشائِهِ؟

بينما اسْتَلْقَتْ وخارتْ ليلةً

غابَ فيها الشَّرُّ في إغفائِهِ

إذ تجَلَّتْ رحْمَةُ الرحمنِ كيْ

تُنقِذَ العالَمَ من إغْمائِهِ

من حِراءَ الغارِ أبدتْ مَطْلَعًا

غارتِ الأفْلاكُ مِن إعلائِهِ

مِنهُ بالقُرآنِ شَمْسٌ أشرقتْ

جَرَّدتْ ذا الكَونَ من ظلمائِهِ

أرسَلَتْ مِنْ آيِهِ أشِعَّةً

أرْدَتِ الطاغوتَ في أحْشائِهِ

وارتَقَتْ بالأُمَّةِ الوَسْنَى إلى

هامَةِ التاريخِ في استعلائِهِ

أخْــرَجَــتْ مـنـهـا أطِـبَّـاءَ الـــوَرَى
أيْـــن جـالِـيـنـوسُ مِــن كـمْـيـائِـهِ؟
هَــلْ دَرَى الـعَـالَـمُ مَــنْ أهْــدَى لَـهُ
مِــجْـهَـرًا لـلـكـشـفِ عـن أدوائِــهِ؟
ثُـــمَّ أردَى كُــلَّ فــيــروسٍ بِــهِ
بـــاذلاً لـلــروح فـــي إبْــرائــه؟
مَـــن سِــوانـــا؟ مَــن سِــوَى أُمَّـتِـنـا
يَـسْـتَـظِـلُّ الـكـونُ فـي أفـيـائـه؟!
حِـــينَ كُـنَّـا أُمَّـــةَ الـقُــرْآنِ لَـمْ
نَـقْـتَـبِـسْ زَيًّـــا سِـــوى أزيــائِـهِ
نـسـتـمِـدُّ الحَــقَّ وحْـيًـا لـيـس مِـنْ
أدعِـيـــاءِ الـعِـلْـمِ أوْ أعــدائِــهِ
لـم نـغُـصْ فـي وَحْـلِ (أوسـلـو) أو نَـتِـهْ
فـي سَـــرابِ الـغـربِ أو صـحـرائِـهِ
حِــينَ كَــان الـنـخْـلُ يـشـدو حـاكـيًا
شَـدْوَنـا فـي اللـيـل فـي إقْــرائِـهِ
ثـم يَـقْـضِـي الـصُّـبْـحَ فـي تقـليـدنا
إن رأى الـتـحْـلـيـقَ فــي أجْـوائِـهِ
هـكـذا يـا روحُ كُــونِــي نَـخْـلَـةً
لَــمْ تَمِــلْ لـلـنَّـوْمِ أو إغْــرائِـهِ
دونَــكِ الـقـرآنَ روضًـــا نــاضـرًا
فـارشُـفـي مــا شـئـتِ مِــن أنـدائِـهِ

قــدِّمِــي لــلــكَــوْنِ مِــنْ أزهـــارِهِ
شَــهْــدَهُ المَــشْــهُــودَ بـاسـتـحْـلائِـهِ

لا تَــرومِــي غــيــرَهُ رَوْضًـــا؛ فَـكَـمْ
عِــفْــتُ طِـيـبًـا شَــذُّ عــن أشــذائِــهِ

فــالــهُــدَى فــي هــديِــهِ، والــفــوزُ في
نــهــجِــهِ، والمَــجْــدُ فــي إعْــلائِــهِ

****

٥ - على ضفاف نهر النيجر

[الوافر]

(نيامي)[1] نحوكِ انطَلق الفؤادُ
يسابقُني، مطَّيتُه السوادُ

يودّعني بخفقٍ ثم يَسري
بأجنحةٍ لها تُطْوَى البِلاد

به شوقٌ إليكِ وقد رآني
بطيئًا إذ تجاذبَني الوِهاد

فحَلَّقَ نحوَ أفقِكِ هاتفًا بي:
كفى زحفًا، فقد أضنى البعاد

أأبقَى في القِفارِ وذاكَ روضٌ
أمامي، فيه علمٌ يُستفاد

به أحبابُنا اجتمعوا ليَسْقُوا
قرائحَنَا زلالاً يُستجاد

هيَ الآدابُ تُزْهِرُ حين تُسقَى
رحيقًا فيه حُبٌّ وانتقاد

وتَصْلُبُ في يد التقويم عودًا
فليس تهزُّها المِحَنُ الشِداد

---

(١) نيامي: عاصمة جمهورية النيجر، وألقى الشاعر القصيدة في أثناء إقامة مؤتمر عالمية الأدب الإسلامي في الجامعة الإسلامية في أبريل ٢٠٠٢م وكنت مشاركًا عن تشاد ببحث عن الشعر التشادي وكان الشاعر مشاركًا بإبداعه الشعري.

فتُؤتِي أُكْلَها ببناءِ جيلٍ
يكونُ به انطلاقٌ واتِّحاد

فمَن للأمةِ الحيرَى إذا ما
ذوو الآدابِ غالَبَهُمْ رُقاد؟

ومَن يحدو الكتائبَ حين تسري
إلى الميدان إذ يدعو الجهاد؟

أما سالت دموعٌ بل دماءٌ؟
بكل دويلةٍ شعبٌ يُباد

هَبُوا الأفغانَ والشِّيشانَ كانوا
بغاةً قتْلُهُمْ عدْلٌ مُراد

فما للمسجدِ الأقصى البغايا
تُعربِدُ فيه، يغشاهُ الفساد؟

وهل أطفالُ غزَّةَ قد تخفَّى
«أسامةُ» بينَهم، فلهُم يُكاد؟

نعم إنَّ الأسودَ إذا تأبَّتْ
ففي الأشبالِ ثأرٌ واضطهاد

وإن غار الذئابُ على شياهٍ
فليس لواحدٍ منها جِياد

سلوا السَّاطورَ[1]: ما ذنبُ الضحايا؟
إزارهم التطرّفُ والعِناد؟

وما عرفوا انتحارًا وانفجارًا
فكيف جَرَتْ دماؤهُمُ وبادُوا؟

(1) الساطور: آلة كحد السيف استخدمها الفرنسيون في قتل أربعمائة عالم في أبشة في موقعة شهيرة تسمى بالكبكب ١٩١٧م.

كأنّا أمّةٌ فرْضٌ عليها
تَلَقِّي الطَّعنَ كي يحيا العباد

فهيّا نَنسجُ النكْبَاتِ جسرًا
إلى العَلياء حيثُ الرسْلُ سادُوا

لنا في المُصطفى المختارِ هادٍ
وحادٍ حين جُلُّ الناسِ حادُوا

وما في غيرِ وحدتِنا سبيلٌ
به المجدُ المؤثَّل يُستعاد

إذا ما (نيجرٌ) نُكِبَتْ بجُرحٍ
فمِن دمِها تجُودُ لها تَشاد

وإن نادتْ «إيسيسكو»[1] في انطلاقٍ
تواثبَ نحوها سينٌ وصاد

فسِيري يا نيامي في طريق
بهِ النوران: إسلامٌ وضاد

وكوني واحةً ينسابُ منها
إلى إفريقيا خيْرٌ يُراد

فما هذا اللقاءُ سوى بشيرٍ
بأنَّ إليكِ خيراتٍ تُقاد

وهذي دوحةُ الإسلامِ أرستْ
بساي[2] جذورَها ولها امتداد

تمُدُّ غصونَها الفيحاءَ يأوي
إليها مَن مُرادُهم الرشاد

تري برحابِها النحلَ انتِشارًا
وجْنيًا كُلُّهُ فَنٌّ مُجاد

(١) الإيسيسكو: المنظمة العربية للثقافة والعلوم والتربية.

(٢) ساي: مدينة في النيجر يوجد فيها الجامعة الإسلامية.

وإنـتـاجًـا لـذا الـشـهـدِ المُـصَـفَّـى
شـفـاءٌ لـلأنـام ومـنـه زاد
مِـنَ الإسـلامِ قَـد سَـلَـكَـتْ سبيلاً
فـليـس لـغـيـرهِ فـيـهـا الـقِـيـادُ
بـهـا عـبـدُ الـعـلـيِّ[1] تـراه يُعلِي
لـواءَ الـعـلـم فَـهْـوَ لـهُ عِـمـادُ
تَـدَفَّـقَ نـحـو أمَّـتِـهِ عـطـاءً
فـكـان لـهُ ابـتـكـارٌ واجـتـهـادُ
تـضـاءل نـهـرُ نـيـجـرَ إذ تَمَـنَّـى
يـنـافـسُـه فـخـالـفَـهُ المـرادُ
فـهَـبْـهُ سـقَـى الـتـرابَ فـهـل سيسقِي
عـقـولاً لـمْ يُـطَـوِّعْـهـا انـقـيـادُ؟!
وهـل يـبـنِـي لأُمَّـتِـنـا تُـراثًـا
بـه «الـقـالـي» يُـخَـلَّـدُ و«الـعِـمـادُ»؟
مـآثـرُ كـالـنـجـوم لـهـا سـطـوعٌ
ولـيـس لـهـا إذا عُـدَّتْ نَـفـادُ
فـبُـشـرَى سـايَ، بـل بُـشـرَى لـقـومٍ
تَـلَـقَّـوْا عِـلْـمَـهُ وبِـهِ أفـادوا
وبُـشـرانـا بـجـمـعٍ ذي ائـتـلاقٍ
بـنـورِ شـمـوسِـهِ انـزاحَ الـسَّـوادُ

نيامي في ٥ صفر ١٤٢٣هـ

الموافق: ٢٠٠٢/٤/١٨م

****

(١) عبدالعلي: هو الأستاذ الدكتور عبدالعلي الودغيري رئيس الجامعة الإسلامية بالنيجر وهو مغربي ويتميز بمكارم الأخلاق والعلم الغزير.

٦ - خواطر في ذكرى غزوة بدر

[الطويل]

تباركتَ - ربِّي - شهرُ نصرِكَ قد أتى

وأُمَّتُنا كَالطَّيْر بين يدَيْ طِفْلِ

تزعَّمها الفُسَّاقُ غصْبًا فأصبحتْ

تَتِيهُ بِسِرداب الضلالة والذل

رأَوْا في اتِّباعِ الغربِ نورًا، فَرَاعَهُمْ

تَجَهُّمُ أفقٍ خَلْفه ظلمةُ الليْل

فيا قومُ، إن رمْتُمْ نجاةً فهاكُمُ

قواربَ إنقاذٍ إلى الشاطئ السهْل:

فما لَكُمُ غير الكِتَاب سفينةً

ولا ثَمَّ ربانٌ سِوى سيِّد الرّسْل

☆☆☆☆

رسُولَ الهدى، يهْنِيكَ نصْرُ مُؤَزَّرٌ

بهِ صَلَفُ الكُفَّارِ مُرَّغ في الوحْلِ

نهضتَ لنشر الحَقِّ، والكَونُ مُظْلِمٌ

فأظهرتَ مخْفِيًّا، وفقَّهتَ ذا خبْلِ

دعَوْتَ إلى الإسلام قومًا أذابَهُمْ

تَأَجُّجُ أضغانٍ على مَرجلٍ يغلي

فأشرق نورُ الله في البعض؛ فاهتدوا

وذابَتْ جَراثيمُ التباغُضِ والغِلِّ

وأصغى إلى إبليسَ بعضٌ، فأُعمِيَتْ
بصائرُهمْ، كالبَهْمِ سارتْ بلا عقل
وعَرْبَدَ شيطانُ الضلالةِ صارخًا:
أأرضى وهذا الدين يحظى بذا الطَّوْل؟!
فسَارتْ جُيُوش الكفر تبغي تغلُّبًا
على الحَق والإيمان بالطيش والجهل
وخَفَّ جنودُ الله يخْفِقُ فَوْقَهُمْ
لواءٌ، من الرحمن قد خُصَّ بالوصل
فلما التقى الجيشانِ؛ جَيْشٌ مُرادُهُ
فسادٌ، وجَيْشٌ هَمُّهُ نصرةُ العَدل
تنادتْ جنودُ الحقِّ: يا عدنُ أقْبِلِي،
فإمَّا الهُدَى، أو عيشُكِ السابغُ الظِّلِّ
هُناك أمَدَّ اللهُ بالنثرِ جُنْدَهُ
وفَلَّ فُلُولَ الشِّرْكِ بالضَّرْبةِ الفَصْل
فَفَرُّوا وطاروا في البريَّة ذُعَّرًا
كَأوْهامِ سَكْرانٍ لدى عودة العقل
وأعقَبَهُمْ جُنْدُ الهداية مُصْلِتًا
عليْهِمْ سيوفَ البتر والأسر والقتل
أتَوْكَ بِهِم أسرَى فزِدتَ تألقًا
وعامَلْتَ ذي الأسرى معاملةَ النُّبْل
مَنَنتَ علَيْهمْ بالفداءِ ولَوْ هُمُ
أصابوك لم يرضَوْا سوى موردِ النصْل

وجُـــدتَ عَـلـى بـعـضٍ بِـعَـفْـوٍ تـفضُّـلاً

(ومِـثْـلُـكَ مـن يـعـفـو، ومـالـك مـن مثل)

☆☆☆☆

نـعَـمْ هـكـذا الإسـلام؛ سـيـفٌ ومـصـحـفٌ

يُـسَـلُّ عـلـى الـبـاغِـي، ويَـحْـكُـمُ بـالـعدل

مـتـى كَـان ديـنُ الـلـهِ دمْـعَـةَ ذِلـةٍ

وتَـبْـريـرَ أحـكـامٍ، وقـولاً بـلا فِـعْـل؟

ألَـمْ تَـكُ بَـدرٌ مـن مـعـالـم ديـنـنـا؟

ألـم تَـكُ فُـرقـانًـا، كـمـا قـال ذو الـطَّـوْل؟

فـيـا رمـضـانَ الـفـتـحِ والـنـصـرِ، عُـدْ لنا

بِـنَـصْـرٍ كَـبَـدْرٍ، فـيـه إسـلامَـنـا نُـعْـلـي!

****

٧ - صفحة من الكفاح والصمود[1]

[البسيط]

يا مَعْهَدَ الخيرِ، في أعيادِكَ انطَلَقَتْ
تُعانِقُ النفسَ أحْلامٌ وآمالُ

هَذِي القلوبُ تلاقَتْ فيكَ يغمرُها
فيضٌ من الحُبِّ والإخلاص سيَّال

جاءتْ تُهَنِّئُ بالأفْراحِ هاتِفَةً:
أنِصْفُ قرنٍ مضى أم تلك أجيال؟!

خمسون عامًا بأفقِ المجْدِ ساطعةٌ
بها استنارتْ دياجِيرٌ وأدْغال

خمسون عامًا بِسَمْعِ الدهر عازِفَةٌ
لحْنَ الخلودِ، لها القرآنُ أزجال

خمسون عامًا بصَوْتِ الحَقِّ داوِيَةٌ
لَها بأفئدةِ الأعْداءِ زِلْزال

فاهْنَأْ أيَا معهدَ الإيمان، واحكِ لنا
أمجادَ عَهْدٍ بِهِ التاريخُ يخْتال

ردِّدْ لنا الصيحةَ العظمى التي انطَلَقَتْ
من رائدٍ، ما له في الناس أمثال:

(١) تحية لمعهد أم سيوقو بمناسبة مرور خمسين عامًا على تأسيسه ١٩٤٤ - ١٩٩٤م.

«وا حَسْرَتَا! وطني المحبوبُ مُخْتَنِقٌ
عليه من ظُلُماتِ الجهلِ سِربال»
«يُغضِي على الضَّيْمِ، والأعداءُ عابثةٌ
بِهِ، لها منه تعظِيمٌ وإجلال»
«والدِّينُ خلْفَ ضُبابِ الوَهْم منتكِسٌ
يغروه وَهْنٌ، وفوق الوَهْنِ أثقال»
«فلأنشُرَ العلمَ؛ إن العلم إن سطعتْ
أنْوارهُ عزَّتِ الأوطانُ والآل»
«ولأمْضِ في همةٍ، لا القيدُ يحبِسُها
ولا المناصبُ تُغْريها، ولا المال»
إذ ذاكَ أشرقتِ الأرجاءُ، وانتَعَشَتْ
روحُ الهُدَى، وهَمَى غيثٌ وسلسال
واستنشق الناسُ أنسامَ الحياةِ؛ فما
عَادتْ تُعِيقُهُمْ حُجْبٌ وأوحَال
فاغتاظَ مستعمرو الأوطانِ، والتهبتْ
أحقادُهمْ، فلها في الجوف إشعال
حَاكوا الدسائسَ حول الشيخ؛ فانتشرتْ
مِنْهُمْ علَيْهِ كلالِيبٌ وأحْبال
لكِنْ مضى الشيخُ سيفًا دونَهُ سَقَطَتْ
نُبْلُ الضَّلالِ، وفُلَّتْ عنه أنصال
مضى يقودُ إلى الرحمنِ مَرْكَبَهُ
لم تَثْنِهِ عنه أمْواجٌ وأهْوال

واستمسكَ الناسُ بالقرآن، واعْتَصَمُوا

رغْمَ العِدَى، وتلاشَى القِيلُ والقال

فغصَّ مستعمرُ الأوطانِ، وارتَجَفَتْ

به العظامُ، وشُلَّتْ منه أوصال

وصاح: ما بالُ هذا الشيخِ في دَأَبٍ

عليه فيْضٌ من التأييد ينهال

وذي مَنَارتُهُ بالعِلْمِ ساطعةٌ

ما للخَفافيشِ في الأنوارِ إقْبال

إن ينشُرِ العلمَ لا تثْبُتْ قواعدُنا

فإنَّما نحنُ عند الجهلِ أبطال

فَلْيُمْحَ معهدُهُ، ولْيلْغَ منهجُه!

ولْيُجْزَ بالنفيِ؛ إن النَّفْيَ قَتَّال!

فسجَّلَ المجدُ والتاريخُ ملحَمَةً

للحَقِّ، تشهد أن الشيخَ رِئبال

لمْ يَحْنِ هَامَتَهُ من زأرِهِمْ؛ فَبَدا

كالطَّوْد يعلو، وللإعصارِ إعوال

بلْ صاح في ثقةٍ: «اللهُ يعصِمُنِي

ولْيَحْمِ ذا الصرحَ؛ فهْو الفِكرُ والبال»

«دار التغَرُّبِ بالإيمانِ لي وطنٌ

والموتُ في الله إنعامٌ وإفضال»

لا تبكِ يا معهدَ الإيمانِ إن خَفَقَتْ

ذِكرى الكفاحِ؛ فإنَّ الدمعَ خَذَّال

هَـــذِي الـشـبـيـبـةُ مــن أبـنـــاكَ هــاتِـفـةٌ:

عــلـيـشُ[1] رمـــزٌ، بــه الإســـــلامُ يُـغْـتـال

إن يُـبْـعِـدوهُ فـفـي الأحـشـاء مـسكَنُهُ

أو يُـسْـكِـتـوهُ، فـصـوتُ الحـقِّ جلجـال

أو يـحسِبُوا أنَّـهُـمْ مـن جيشِنَا نَـزَعُـوا

لـيـثًـا، فـهـا نـحـن فــي المـيـدانِ أشـبـال!

****

(1) عليش: محمد عليش عوضة شيخ تشادي ومن مؤسسي معهد أم سيوقو وله مكانة كبيرة في مدينة أبشة، درس في الأزهر ونال درجة العالية وعاد إلى وطنه فأنشأ المعهد الذي يعد منارة للعلوم الإسلامية والعربية وهو تحت إشراف الأزهر.

٨ - ملحمة الشيشان

[الرمل]

فوقَ صحْراءِ الجليدِ القاحِلةْ
ألمحُ النِّيرانَ باتَتْ تُشْعَلُ

ذا يتيمٌ، تِلْكَ أُمٌّ ثاكِلةْ
ذاك شَيْخٌ في صقيعٍ أُنزِلوا

والذِّبابُ الرُّوسُ تعْوي آكِلةْ
مَن نجا مِن مُحْرِقاتٍ تهْطِلُ

أيَّ ذنبٍ ذي الضَّحايا فاعِلةْ؟!
لا تَسَلْنِي فالصَّدَى لا يُسْألُ

لم أكُنْ إلاَّ أداةً ناقِلَةْ
نَوْحَ أوطاني التي تُسْتَأْصَلُ

أمَّةُ الشيشانِ هبَّتْ قائلةْ:
دينِيَ الإسلامُ نِعْمَ المَنْهَلُ!

☆☆☆☆

فاسْتشاط الكُفْرُ ألقَى بُرقُعًا
كَم تَخَفَّى خلفَه! كم ضَلَّلا

مَنطِقُ الإقناعِ أضْحَى مِدفعًا
فوقَ أشْلاء سُكُوتٍ جلْجَلاَ

يلْفُظ الصاروخَ يهوِي مُسْرِعًا
نافثًا حِقْدًا ومَوتًا مُشْعَلا

كَـم شَــوَى شِـيـبًـا وأفـنــى رُضَّــعًــا

كَـــم بـــيــوتٍ وادعَــــــاتٍ زلـــــزَلاَ!

فــتَّــتَ الـــعُــــدْوانُ مِـــنَّــا أضْـلُـعًــا

وبِـــغــــارٍ مِـــن دِمَـــانـــا كَـلَّــلاَ

مـجـلـسُ الأمــنِ رأى فـيـمـا ادَّعَـــى

مـا (الـكِـرمـلـيـنُ) بِـقَـوْمِـي أنـــزَلاَ

☆☆☆☆

ثـــم أقْـــعَــى فـــي خُـــمــولٍ لاهِـيَـا

مُـغـمِـضًـا عـيـنًـا، ورأسًـــا نـكَّـسـا

قـــال: ذي الـقـتـلـى رعـايـا (روسِـيـا)

مَــرْكَـبُ الإرهـــابِ فـيـهـم قـد رَسَـا

فـلـتُـؤَدَّبْ مــن تَـــراهُ الـعـاصِـيَـا

ولْـتُـطَـهِّـرْ مــن تــراهُ اسـتَـنْـجَـسَـا

إن سَـــرَتْ فـيـهـمْ سـمـومُ الكِـيـمـيـا

حـيـنـهـا «لـلـشـجـب» نـدعـو المجلِـسـا

هـكـذا الأعـــداءُ تُـــزْجِــي عـارِيًـا

مـنـطِـقَ الحِـقْـدِ الــذي قـد أفْـلـسـا

كـيـف ســـاروا نـحـو أقـصـى آسـيـا؟

أم بـنـو تـيْـمـورَ أغْـلَـى أنـفُـسـا؟

☆☆☆☆

أيـــن فـيـتـو؟ أيـــن دعـــوى الـعـوْلـمَـةْ؟

أيـــن شُـــرطـــيٌّ عَـلـيـنـا عَـــرْبَـــدَا؟

لا تَـسَـــلْ يـا قـلـبُ مـنـهـم مـرحَـمَـةْ

كُــــلُّ مَـسْـعُـورٍ عـلـيـنـا اسـتـأسـدا

أيـــن حُـــكَّـــامُ الـــشُّـــعـــوب المـســلـــمـــةْ؟

أيـــن مـــيـــثـــاقُ عُـــرانـــا وحُـــــدا؟!

لا تـــسَـــلْ؛ حـــسـبـي جـــراحـــي المـــؤلمـــةْ

لا تـــسلْـــنـــي؛ ذكْـــرُهُـــمْ لَـــن يُـــحْـــمَـــدا!

إن تُـــــرِدْ مـــحـــرابَـــهـــم أن تـــعـــلـــمَـــهْ

سِـــرْ لـــواشِـــنـــطُـــنْ تجـــدْهُـــم سُـــجَّـــدا

فـــاسْـــلُ عـــنـــهـــم وانْـــحُ شـــطـــرَ المـــلـــحـــمـــةْ

لا تُـــخَـــلِّـــدْ مَـــن لأرضٍ أخـــلـــدا

☆☆☆☆

يـــا نـــســـورًا حَـــلَّـــقـــتْ فـــوق الـــذُّرى

عـــافـــت الـــسَّـــفْـــحَ وقـــاعًـــا مُـــنْـــتِـــنـــا

قـــمَّـــةُ الـــقـــوقـــازِ صـــارتْ مـــنـــبَـــرا

لـــلْـــجِـــهـــادِ الحـــقِّ فـــيـــهـــا أذِّنـــا

فـــاجـــعـــلـــيـــهـــا نـــحـــو عـــدنٍ مـــعـــبـــرا

واتـــرُكِـــي الـــســـفـــحَ لأوســـلـــو مـــوطِـــنـــا

واكـــتُـــبِـــي بـــالـــدم فـــيـــهـــا أســـطُـــرا

تـــغـــدُ نـــهْـــجًـــا لـــلْـــمَـــعَـــالِـــي بـــيِّـــنـــا

عَـــلِّـــمِـــي هـــذا الـــبُـــغـــاثَ الأذعَـــرا

أن نَـــيْـــلَ الحَـــق يـــبـــغـــي بُـــرْثُـــنـــا

وافـــهـــمِـــي الـــدبَّ بـــأن المِـــنـــســـرا

لـــم يَـــكُـــنْ لَحْـــمًـــا مُـــســـاغًـــا لـــيِّـــنـــا

☆☆☆☆

يـــا نُـــســـورًا، بـــلْ نجـــومًـــا لامـــعـــةْ

قـــد حَـــوَتْ نَـــارًا ونُـــورًا أجـــمـــعـــا

أنـــتِ مـــن آيــــات ربـــي الــســاطــعــهْ

فـــي زمــــانٍ بــــارتـــيَــابٍ أُتـــرِعــا

فــارجُــمــي تــلــكَ الـــذِّبـــابَ الجــائــعــهْ

علَّــهــا فـــي الــشــهــب تــلــقَــى مَــشْـبَـعــا

بـــل أنـــيـــري لـــلــشــعــوب الخـــانــعــهْ

مَــسَــلــك الـــعِـــزِّ الـــذي قـــد ضُــيِّـعــا

إن تــنــالــي الــنــصــرَ فـــي ذي الــواقــعــهْ

أو تمـــوتـــي، كـــنـــتِ دومًــــا أرفَـــعَــا

أنـــتِ إن كـــان انـــتــصـــارٌ رافِــعـــهْ

رايـــــةً، ربِّـــي قـــضَـــى أن تُـــرفَــعــا

أو تـــكُ الأخْـــــرى فَـــنِـــعْـــمَ الــدافِــعــهْ

نــحــوَ عـــدنٍ، فــهْــيَ أسْــمَــى مَــوْضِــعــا

فــاتْــرُكِـــي أوسْـــلـــو بِـــسَــفْــحٍ قــابِــعَــهْ

واسْـــكُــنِـــي الأفـــقَ الــرفــيــعَ الأوســعــا

****

٩ - رثاء مجلس[١]

[البسيط]

يا مَجْلِسَ الأمنِ، جُرْحي ليس ينسيني!
مأساتُك ارتسمتْ في القلب تكْويني!

مأساةُ جيلٍ بريءٍ كُنتَ واعِدَهُ
عَهْدَ المحَبَّةِ في أعْقابِ طاعُونِ

كَم كنتَ ترسُمُ أحْلامًا تُزَخْرِفُها
بَرَّاقةً تكْتَسِي أثْوابَ تَزْيِين!

كَم كُنتَ تَحْلَمُ بالجَنَّاتِ تنشُرُها
قَبْلَ المَعادِ تُوشَّى بالرياحين!

«عهْدُ الذئابِ مضى، عُدْنا بني رَحِمٍ
في واحَةٍ قد أظَلَّتْنَا بِتَأمين!»

«الحَقُّ والعَدْلُ قُدْسٌ، لا يُدنِّسُهُ
بَغْيٌ، ويحْميهما ميثاقُ تكْوين»

«فلترقُصِ الأرضُ في العُرْسِ البهيجِ على
أنْغامِ زُغْرُودَةٍ تشدو بتَلْحين!»

لكِنَّ زغرودةَ الأفراحِ ما انطَلَقَتْ
حتى استحالَتْ إلى نَوْحٍ وتأبين!

---

(١) علقت الشعوب آمالًا عريضة على هيئة الأمم المتحدة ومجلسها المسمى بمجلس الأمن عند إنشائهما، ثم تبخرت الآمال، وأفاقت الشعوب على السراب، وتمنت الخلاص من مجلس الأمن، ولكن... فوجئت الشعوب المسكينة عند احتفال حلف الناتو بالذكرى الخمسين لتأسيسه، أنه قد يكون الخليفة المنتظر لمجلس الأمن، فتباكت مرة أخرى تريد العودة إلى عهد مجلس الأمن – رغم ما فيه من سلبيات – وكان من بين صيحات التباكي على ذلك المجلس هذه القصيدة.

والأرض قد رقصتْ، لكِنْ كَثاكِلَةٍ

أحْلامُها وُئِدتْ من غير تكْفينِ!

لحنُ السَّلامِ تلاشَى في الدويِّ لَدَى

قصفِ الصواريخِ أحشاءَ المساكينِ!

فردوْسُكَ المُرْتَجَى كم صبَّ من حمَمٍ!

كم جَرَّع الخلقَ مِن ويلاتِ غِسلينِ!

هذي الشعوب؛ فمِن شعبٍ يُبادُ، إلى

شعبٍ حلوبٍ، إلى باكٍ ومسجونِ!

يا مجلسَ الأمن، هذا ما جنيتَ، فما

عادتْ دعاويكَ والأيْمانُ تُغريني

لكنَّ صوتًا ضعيفًا صِرْتُ أسمعُهُ

من قلعةٍ (بنيويُرْكٍ) يناديني

يمَمْتُهُ مُصْغِيًا مُسْتَجلِيًا، فإذا

بالمجْلس المُختَشَى يبكي، فَيُبْكِيني!

قال: «اصغِ لي وانعِنِي إن قلتُ تجربتي:

فإنَّ خنجرَ (فيتو) سوف يُرديني»

كنت البراءةَ في عهدِ الصِّبا، فإذا

بالخُبثِ عند اكتمال النُّضجِ يغروني!»

«ويْحِي! فما كان أعضائي سوى بَشَرٍ

ليسوا من الصخر أو من يابس الطين»

«كم بينهم مِنْ أبٍ عمَّتْ محَبَّتُهُ

كلَّ الصغارِ منَ امْريكا إلى الصين»

«غَطَّى على قلبِهِ الدولارُ حين بَكَى

طفلُ العراق؛ فأمْسى فاقدَ اللين!»

«كَمْ هزَّ أفئدةَ (الأعضاءِ) مجزرةٌ

دارتْ على شعبِ بُوسْنا أو فلسطين»

«مِن فوقِهِمْ شُهِرَ (الفيتو) فثَمَّ تَرَى

دمْعَ التماسيحِ في جِسْم الثعابين!»

«كم ثُرتُ مستنكرَ الإرهابِ حين غزا

(ريغانُ) ليبيا بغارات القراصين»

«لكِنَّ شعلةَ إرهابٍ يُسدِّدُها

(تمثالُ حرِّيَّةِ الأقْوى) فتُخزيني!»

«قلتُ الحقيقةَ في (قانا) فكِدتُ على

حَقِّ الحَضَانةِ أُصلَى نارَ تخوين!»

«إثمُ القرارِ به وحدي أبوءُ، وكم

يُملَى ويُنسَخُ في سردابِ صهيونِ!»

«لم يبقَ لي غيرُ زفراتٍ أُضمِّنُها

عذرَ انتكاسي لِغابٍ دون قانون»

«أهدِي الحقيقةَ للأجيال؛ علَّ بها

تُرسَى دعائِمُ إصلاحٍ وتحسين»

« ما عُدتُ أعبأُ (بالفيتو) وسطوتِهِ

قَدْ متُّ مِن قَبْلُ في أيَّامِ تكويني»

«والآن أمضي شهيدًا لا يُعَذِّبُنِي

إلاَّ مخافةَ أنْ أُدْعَى بملعون!»

ثمَّ ارتمَى خامدَ الأنفاس، وانسكبتْ

مني الدموعُ، ولا خِلٌّ يُعَزِّيني!

وارتجَّـتِ الأرضُ مـن حـولـي بقـهقـهةٍ

حـمقـى، تـعـربـدُ لاسـتـخـلافِ مـجنون

كـان الخـلـيـفـةُ حـلـفَ الأطـلـسـيِّ! فما

عـاد الـكـلامُ ولا الأشـعـارُ تُجْـديـنـي

عـهدَ الـذئـاب، متى الـرجـعى؟ فنشكوَ ما

عـانـتْ ضـحـايـاكَ فـي عـهد الـشـيـاطين!

بـل مـا الـشـكـايـةُ والـصـيـحـاتُ مُـجْـدِيـةٌ

إن لـم تُـتَـرجَـمْ إلـى فِـعْـلٍ وتـبـيِـين

دربُ الـكَـرامَـةِ قـفـرٌ، لا يُـعـبِّـده

إلا الجَـمـاجِـمُ، تُـسْـقَـى بـالـقـرابـين

أيـن الـسـلامُ؟ ومـا فـي الجـسـم أنمـلـةٌ

إلا اكـتـوتْ، أو بـهـا طـعـنـاتُ سِـكِّـين؟!

حَـتَّـام أصْـمُـتُ والـدنـيـا مُـعَـرْبِـدَةٌ

والـكَـوْنُ يـقـذفُ حـولـي بـالـبـراكـين؟!

حـتَّـام أُسـلِـمُ (لـلـنـاتـو) الـزمـامَ؟ ولِـي

نـهـجـي المـبـيْنُ، وجُـنـدي بـالملايـين؟!

فـلأبْـنِ واحَـةَ عـدلـي، لا يُـروِّعـهـا

كـابـوسُ فـيـتـو، ولا الـنـاتـو بتجـبِين

****

١٠ - بشائر الأمل[1]

[البسيط]

يا ليلةً هيَّجتْ فِكْري وأشجاني!
وأطْلَقَتْ بلباب الشعر ألحاني!

هبَّتْ بها نَفحاتُ الخيرِ ناشِرةً
على الوجودِ جناحَ الرحمةِ الحاني

طارتْ بآفاقها الأرواحُ سابحَةً
إلى عَوالِمَ تسمو فوقَ تِبياني

فيها أُحَلِّقُ في أجْواءَ عاليةٍ
منها أُطِلُّ على الدُّنْيا بقُرآني

أُهدي الحيارَى أنير الدربَ مُحتذيًا
نهْجَ الرَّسُولِ وما يُمْلِيه إيماني

لا لُجْمَ تُلْجِمُني، لا حُجْبَ تحجبني
لا قيدَ يحْبسُني، لا سجْن طُغيانِ

لا يأسَ يُقعِدني، لا شوكَ يُرجعني
عمَّا أؤمِّل من روحٍ وريْحَانِ

☆☆☆☆

يا ليلةً بالشذَى الفوَّاح عابِقَةً
فيها انتِعاشُ أحاسيسي ووجداني!

---

(١) من وحي الليلة الختامية للمخيم الشبابي الإسلامي الثاني، الذي أقامه اتحاد شباب تشاد الإسلامي، بأنجمينا، في رمضان ١٤١٤هـ.

رُدَّتْ إلى القلبِ آمالاً مُذَهَّبَةً
قد ذُوِّبَتْ قَبْلُ في آهاتِ أحزاني

عادتْ تُغَرِّد بالقرآن فِتْيَتُنا
تحْكِي مزاميرَ داوودٍ وعثمانِ

تنسابُ آياتُه بالخَيرِ دافِقَةً
كالجَدْوَلِ العَذْبِ يروِي كُلَّ ظمآنِ

☆☆☆☆☆

يا فتيةَ الدين، يا إشراقةً غَمَرَتْ
أضواؤها الكونَ من سهلٍ ووديانِ

يا أنجُمًا في ظلام الليل لامعةً
يعشو إليها اهْتِداءً كُلُّ حَيْرانِ

هذِي البشائرُ قَدْ هلَّتْ بفجْرِكُمُ
تجلو الظلامَ، وتمحو كلَّ بهتانِ

والمجد يرمقكمْ؛ فلْتَعْلُ رايتَكمْ
في موكِبٍ بالهُدَى والعِلْمِ مُزدانِ

****

١١ - الضفدع المغرور[1]

[الخفيف]

ضـفْـدعٌ فـي مـسـتـنـقـعٍ عـاش دهـرًا
بـين لِـذَّاتِـهِ يُـوالـي الـنَّـقـيـقـا

عـابِـثًـا لاهِـيًـا، يُـنـاغِـي قَـريـرًا
لا يُـعَـانِـي ضَـنـكًـا ولا تـضـيـيـقـا

ذاق خَـمْـرَ الـغُـرورِ يـومًـا، جـراثيـ
ـمُ الـتَّـعـالـي شَـقَّـتْ إلـيـهِ الطَّـريـقـا

صـاحَ فـي مَـجْـمَـعِ الـضـفـادعِ: «حسْبِي
عـيـشـةً عِـفْـتُ بِـرَّهـا والـعُـقـوقـا»

«كـم أُعـانـي الـشـقـاء فـي هـذه الحُـفْـ
ـرَةِ؛ حيـثُ الـطـمـوحُ يَـبْـقَـى غَـرِيـقـا»

«كـم تجَـرَّعْـتُ غَـصَّـةً مـن جـحـود الْـ
ـخَـلْـقِ طُـرًّا مـواهـبـي والحُـقُـوقَـا!»

«أوَ لَـمْ يُـبْـصِـروا اقْـتِـداري على القفْـ
ـزِ، كـأنِّـي أغـزو الـفـضـاءَ الـسـحـيـقـا»؟!

«أوَ عَـيْـنِـي، ألَـمْ تـكُـنْ دُرَّةً تَجْـ
ـلو الـديـاجـي، ولا تُـضَـاهَـى بـريـقـا؟!»

«ثُـمَّ حَـلْـقِـي، فـهـل رأوا مـثـلَـهُ فـي
عـالَـمِ الـفَـنِّ والمَـزامِـيـرِ بُـوقـا؟!»

---

(١) هي قصة ضفدع رأيته في الليل يخرج من بركة صغيرة بجانب الشارع العام، ويقفز في وسط الشارع بضع قفزات، ثم دهسته إحدى السيارات المارة، فتخيلت له هذه القصة، وذلك في خريف ١٩٩٦م.

«هكذا للعُلا خُلِقْتُ، فما لي
في أحَطِّ القِيعانِ أرضَى اللُّصُوقا؟!»
حَمْلَقَتْ نحوَهُ الضفادعُ حينًا
أمَّلَتْ مِنْ جُنونِهِ أنْ يَفيقَا
ثمَّ شَقَّ السُّكُونَ صوتٌ لِكُبْرَا
ها، تُؤَدِّي إليه نُصْحًا رقيقا:
«يا أخي، هذه الغشاوةُ غَطَّتْ
مِنك عَيْنًا قد مَلَّتِ التَّحديقا»
«هل تَرَى في الوجودِ غيرَك خلقًا
يسكُن البَرَّ والمجاري طليقا؟!»
«يقطن النهرَ والمياهَ، فإن غا
ضتْ، فَتَحْتَ الثَّرى يجوبُ الشُّقوقا»
«يرفع الصَّوْتَ كيف شاءَ، وصوتُ الـ
ـناسِ كَمْ ظلَّ خافِتًا مخنوقا»
«لم يُعَذَّبْ بالسجنِ يومًا، ولم يُقْـ
ـتَلْ بحُكْمٍ بين الورى مشنوقا»
«مَنْ لهُ كُلُّ ذا سواك؟ فهلْ ذا الْـ
ـعيشُ يا غِرُّ تشتكي منه ضِيقا؟!»
فاستشاطَ المغرورُ مُنتَفِخَ الأوْ
داجِ، والَى زفيرَهُ والشَّهيقا
قال: «حسبي، إني عزمت انطلاقًا
أبتَغِي العَيْشَ بارزًا مرموقا!»

ثـم ثـنَّـى بِـقَـفْـزَةٍ فـارَقَ الإخْـ
ـوانَ فـيـهـا، مـضـى كَـمَـاءٍ أُرِيـقـا!

لـم يَـسِـرْ غـيـر أذْرُعٍ، والـتَـقَـى فِيْـ
ـهـا بِـسَـيَّـارةٍ تجُـوبُ الـطَّـريـقـا

تحْـتَ أقـدامِـهـا تَمَـزَّقَ أشْـلا
ءً، وأضـحَـى بـين الـرَّحَـى مسـحـوقـا!!

هـكـذا الـعُـجـبُ والمـطـامـعُ بـحـرٌ
كُـلُّ مَـنْ غـاص فـيـه يـقـضِـي غـريـقـا!

****

١٢ - هكذا الأمجاد تُبنى(١)

[الطويل]

أإكْـلـيـلُ مَـجْـدٍ فـي جَـبـينٍ تَـألَّـقـا
وبَـــدْرٌ عـلـى الأفــق الـتـشـاديِّ أشـرقـا؟
نَـعَـمْ مِـنَّـةٌ مَـنَّ الإلــهُ بـهـا عَـلَـى
تَـشَـادَ، وكَـمْ أَعْـطَـى الإلـهُ وأغْـدَقَـا!
حبَاهـا إمـامًـا فـي الـديـانـةِ راسِـخًـا
طَـمُـوحًـا إلـى الـعـلـيـاءِ بـالحَـقِّ ناطقا
هَـنِـيـئًـا - إمـامَ المسـلـمين - بـذِروةٍ
تَسَنَّمتَـهـا إذ خـابَ بَـعْـضٌ وأخْـفَـقَـا
تـرقَّـيـتَ لـلـعَـلْـيَـا الـتـي لـيسَ فـوقَـهـا
عَـلَـى سُـلَّـمِ الـتـعـليـمِ والـدرسِ مُـرْتَـقَـى
فـألْـبِـسْـتَ كُـرسِـيَّ الإمـامـةِ حُـلَّـةً
وبـيَّـنـتَ نـهـجًـا كَـانَ مِـن قـبـلُ مُـغْـلَـقَـا
وبـدَّدتَ وهْـمًـا فـي الـعُـقُـول مُـعشَّـشًـا
وحَـطَّـمْـتَ قَـيْـدًا لـلـعـزائِـمِ مُـوثِـقـا
أئـمَّـتُـنَـا ظَـنُّـوا الإمـامَـةَ غـايـةً
إذا نـالَـهَـا الإنـسـانُ نـامَ وأطْـرَقَـا
نـسُـوا أن هَـذا الـدِّيـنَ يـخْـدِمُـه فـتًـى
إذا هَـجَـعَ الأقْـوامُ طَـارَ وحَـلَّـقـا

---

(١) تهنئة لفضيلة الإمام الدكتور حسين حسن أبكر رئيس مجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بجمهورية تشاد على نيله شهادة الدكتوراه كتبت بتاريخ ١١/٥/١٩٩٧م.

فعلَّمتَهمْ بالفعلِ دَرْسًا كَفَاهمُ

دروسًا طِوالاً أوْ كَلامًا مُنَمَّقا

فكنتَ لهم كالبحر يسمو إلى الذُّرَى

فيرجع غيثًا للخلائق مُغْدِقا

فجُدْ واسْقِ هذا الشعبَ بالْعِلْمِ؛ إنَّهُ

لأظمأُ شَعْبٍ فيه يُؤْجَر مَن سَقَى

وقُمْ واستعنْ بالله واكشفْ غشاوةً

أصابتْ عيونًا أو عمًى كان مُطْبقا

ولا تخشَ وخزَ الشوك في الدين؛ إنه

يُرجِّحُ ميزانًا، ويُضْفِي تألُّقا

ومن حَسَد الحُسَّاد للحق رفعةٌ

ومن ساحة الهيجا الفوارسُ تُنتَقَى

وبالنار يصفو التبرُ، والدهرُ ناطقٌ

بأنْ هكذا الأمجادُ تُبنَى وتُرتَقَى

****

١٣ - حنين[1]

[الخفيف]

نسَماتِ الأسحارِ، هُبِّي عَلَيَّا
وانفَحِيني باللهِ عطرًا زكيًّا

وامنَحِي قَلْبِي المُعَنَّى سلامًا
علَّهُ ماكِثٌ بجِسْمِي مَلِيَّا

فاحمِلي لي العبيرَ من أرضِ (أبْـ
ـشَى)[2]، وحيِّي بها فُؤادًا زكِيّا

والْثُمِي بُرْعُمًا تَفَتَّحَ فيها
عَابقًا ينشرُ الشَّذى العِطرِيّا

لم أُمَتَّعْ بشَمِّهِ؛ إذ رمَتْنِي
عنهُ أيدي القضا مكَانًا قصيّا!

طِفْلَةٌ من دَمِي بَرَاها إلهِي
فَهْيَ في القلبِ والشرايينِ تحْيَا

وُلِدتْ كالهِلالِ بعدي، ولَمَّا
يكتحِلْ ناظري بذاك المُحَيَّا

فلها ألفُ صُورةٍ في خَيالِي
تتبارَى في الحُسنِ نقشًا ووشْيا

فهْيَ تبدو عُصفورةً تتغنَّى
بالأناشيد بُكْرَةً وعشِيَّا

(١) تحية إلى المولودة الأولى/ آمنة حسب الله التي وُلدت في أبشة يوم ٢٢/٥/١٩٩٧م أثناء وجودي في انجمينا.

(٢) أبشى: مدينة تشادية تقع ناحية الشرق من تشاد وتعرف باسم مدينة العلماء وتشتهر بالتعليم الديني نظرًا لوجود معهد للأزهر الشريف وكبار علماء تشاد.

تمــلأ الــنــفــسَ بــهْــجَــةً، وتُــعــيــد الــ
ـعيشَ صــفــوًا والــبــيــتَ روضًـــا بــهــيًّــا
وهْـــيَ فــي الــصــبــحِ نــســمــةٌ تــشــرح الــصَّــدْ
رَ ابـتــهــاجًــا، وتــبــعــث الــمــيْــتَ حــيًّــا
مـــن بــعــيــدٍ أرنـــو لـــهـــا، وفُـــــؤادي
خـــافـــقٌ نـــحـــوهـــا يـــريـــد الـمُـضِــيَّـــا
مـــن بــعــيــدٍ أضُـــمُّـــهـــا بــاشــتــيــاقٍ
لاثـــمًـــا وجـــنّـــةً وخَـــــــدًّا طــريًّـــا

☆☆☆☆

كــم تمــلــمــلــتُ فـــي الــلــيــالــي وحــيــدًا
ســـاهـــرًا أرقـــبُ الــسُّــهــا والــثُّــريَّـــا
شــاخــصًــا فـــي الـــدُّجـــى أنـــاجِـــي، كــأنــي
نـــاســـكٌ يـــرتجِـــي نــــــداءً عَـــلِـــيَّـــا
قــد عــهــدتُ الأطــيــافَ تــســرِي إلـــى الــنَّــا
ئـــي، فــمــا لــلــطَّــيْــفَــيْــنِ ضَــنَّــا عَــلَــيَّــا
إن يــكــن ضَـــنَّ ذو دلالٍ، فــهــل ذا
ضَـــلَّ فـــي عَـــبْـــرِهِ الأثــيــرَ إلَــيَّـــا؟!
أو تـــهـــاوَى ضــعــفًــا؛ فــلــم يــتــحَــمَّــلْ
رِحــلـــةَ الــبِــيــدِ والـــسُّـــرَى الــعــاطِــفِــيَّــا
فــاسلَــمَــا حــيــثُ كُــنــتُــمَــا فــي حِــمَــى الــرحْــ
ـــمــان، يــكــتُــبْ لــنــا اجــتــمــاعًــا هــنِــيًّــا

****

١٤ - في رياض العلم[1]

[مجزوء السريع]

حَلِّقْ - فؤادي - أو تبَخْتَرْ
في الأفْقِ أو في أرضِ عبْقَرْ

وانسُجْ أكَاليلاً تُحَلِّي
هاماتِ ذا الجيشِ المُظفَّرْ

وانثرْ على الأسماعِ من إحْـ
ـساسِكَ ياقُوتًا وجَوهَرْ

وارْتَدْ رياضًا كان فيها
لِلْعِلْمِ ينبوعٌ تَفَجَّرْ

حيث الرُّؤَى تنسابُ في الـ
ـوِجْدانِ انسِيَابًا لا يُعَكَّرْ

حيث انطلاقُ الفِكْرِ يطْوِي
بِيدًا بِهَا يَوْمًا تَعَثَّرْ

يَرْتادُ آفاقًا رِحَابًا
تَنْأَى عن التُّرْبِ المُعَفَّرْ

في مَوْكِبٍ زاكٍ بَدِيعٍ
تَزْهُو به الدُّنيا وتَفْخَرْ

---

(١) بمناسبة التحاقي بجامعة الملك فيصل بأنجمينا عام ١٩٩٨م.

مِـــن فَـــوقِـــهِ الأمْــــــلاكُ حَــفَّــتْ

تـــشْـــدو بِـتـسْـبِـيـحٍ مُـعَـطَّــرْ

فـــي واحَـــــــةٍ مَـــــــدَّتْ ظِـــلالاً

يَــهْــفُــو لَــهَــا رَكْـــــبٌ تَحَــيُّــرْ

أشْــجــارُهــا الخـــضـــراءُ تُـسقَـى

مِـــن سَـلْـسَـبِـيـلٍ ثُـــمَّ كَـوثَـــرْ

جِــبْــرِيـــلُ فـيـهـا نــاب عـــن ميـ

ـكـائِـيـلَ فـــي الـسَّـقْـــيِ وأمْــطَــرْ

والــــرُّسْـــــلُ رُوَّادُ رعَـــوْهـــا

غَـــرْسًـــا وتَـشْـذيـبًـا لِـتَـخْـضَـرْ

حـتـى اسْـــتَـــوتْ تـهـتَــزُّ دوحًـــا

قَـــد مَـــدَّ أغْـــصـــانًـــا وأثْـــمَــرْ

مـــا ظـــلَّـــلَـــتْ يَـــومًـــا بِـــــلادًا

إلاَّ غَــــدَتْ بـــالخَـــيْـــرِ تَـــزْخَـــرْ

فـــاصْـــدَحْ – أيـــا قـلـبـي – وغَـــرِّدْ

فـــالـــدَّوْحُ بـــالألْحـــانِ أنـضَـــرْ

كُـــنْ بُــلْــبُــلاً بـــالحَــقِّ يـشْـدو

يَــسْــمُــو عَــلَـــى نـــايٍ ومِـــزْهَـــرْ

أوْ كُـــنْ مـــعَ الأشـــبـــالِ شِـبْـلاً

تَحْـــمِـــي عَـــرِيـــنًـــا فـيـه تَـــزْأرْ

فاجْعَلْ مِنَ التَّعْلِيمِ نَابًا
كُلُّ العِدَا نَابٌ ومِنْسَرْ
لا تَخْشَ شَوْكًا في طريقٍ
فالوردُ بالأشواكِ يُخْفَرْ
كُنْ نَحْلَةً في خير سربٍ
يجْنِي ويَبْنِي، ليس يَفْتَرْ
فَلْنَجْنِ عِلْمًا نَبْنِ مَجْدًا
ولْنَجْمَعِ الشَّمْلَ المُبَعْثَرْ
ولْنَرْقَ صرح العلم نَصْعَدْ
جِسْرًا إلى العَلْيا ومَعْبَرْ
فوق الفضاء الرحْب نعلو
مُستنقعًا للدُّودِ والذَّرْ
نُعْلِي لواءَ الدينِ نُقْصِي
أوهَامَ عَقْلٍ قَدْ تَحَجَّرْ
نَقْتادُ للْمِيناء جِيلاً
في لُجَّةِ الأهْواءِ أبْحَرْ
حتى نَرَى الأوطانَ ينمُو
فِيها الهُدى، والجهلُ يُدْحَرْ
بل أمَّةَ الإسْلامِ تُلْقِي
أحْزانَها عنها، وتُنْصَرْ

يحيا صلاحُ الدين فينا

أو فيصلٌ مِنَّا سَيَظْهَرْ

في عُرسٍ طُهْرٍ فيه زُفَّتْ

حُورٌ إلى الرَّكْب المُطَهَّرْ

وازدانت الأرض ابتهاجًا

تَخْتالُ في النَّصْر المُؤَزَّرْ

والقائدُ الميمونُ صَلَّى

في القُدْسِ يشدو: اللهُ أكبرْ!

****

١٥ - بُشراكِ يا لغة القرآن[1]

[البسيط]

يـا ضَــادُ، يـا لـغـةَ الـقـرآن، بُـشـراكِ
الـلـهُ بـدّدَ غـيـمًـا عـن مُـحَـيَّـاكِ

الـلـهُ حـطَّـمَ قـيـدًا ظـنَّ ضـاربُـهُ
أن الـعـزائـمَ تـخـبـو بـيـن أسـلاك

صـاغـوا الـقـيـودَ لقتل الـضّـادِ فانقلبتْ
تـاجَ افـتـخـارٍ بـه الـرحـمـن حـلَّاك

حـتـى انـحـنـت هـامـةُ الـتـاريـخ حـين رأى
عـزَّ الـصّـمـود فـحـيـانـا وحـيّـاك

فلـتـهـنـئي بـالـتـئـام الـشَّـمـل فـي حـدثٍ
داوٍ تَـألَّـق فـي تـاريـخـك الـزَّاكـي

بـالأمـسِ مـؤتـمـرٌ والـيـومَ نـدوتُـنـا
شـمـسٌ وبـدرٌ أضـاءا كـلَّ دنـيـاك

هـذي الـكـواكـب مـن أبـنـائـك اجـتـمـعـتْ
فـي يـوم سـعـدٍ فـزالـت عـنـكِ ظـلـمـاكِ

وازدانَ عِـقـدكِ مـزهُـوًّا بـكـوكـبـةٍ
مـن الأشـقَّـاء فـي شـوقٍ لِـلُـقـيـاكِ

خـاضـوا إلـيـكِ عُـبَـابَ الجـوِّ فـي ثقةٍ
لـم يَـثْـنِـهِـمْ مَـوْجُ إرجـافٍ وإربـاك

---

(١) بمناسبة انعقاد الندوة العلمية الدولية التي نظمتها جامعة الملك فيصل بتشاد بالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية تحت عنوان: (اللغة العربية في تشاد: الواقع والمستقبل).

كـأنَّ فَـيْـصَـلَ[1] مِـنْ عَـدْنٍ يُوَجِّـهُـهـم

نـحـو الـطـريـق مُـزيـلاً كُـل أشـواك

أو أن رابـحَ أو عـبـدَ الـكـريم[2] بَـدا

يبنـي الحُـصُـونَ ويُـرْدِي مَـن تَحَـدَّاكِ

هـا هـم بضـفـة (شـاري)[3] نـازلـون، لهم

منـكِ ائـتـلاقٌ كـشـهْـبٍ فَـوْقَ أفْـلاك

فـاستـذْكَـرَ الـنـهرُ عـهـدًا كُـنت رافـعـةً

فـيـهِ الـلـواءَ بِـلا نـدٍّ ولا حـاكـي

وحـدَّقـتْ مـقْـلـةُ الأيـامِ خـارقـةً

حُـجْـبَ الـسـنـين لـتـمـحـو ريـبَ شـكَّـاك

عـادتْ تَـبُـثُّ مِـنَ الـتـاريـخِ مَـلْـحَـمَـةً

تحـكـي الـبـطـولـةَ مِـن تـاريـخ أبـنـاكِ

إذ بـيـنـمـا كـنـتِ فـي الأحـزان غـارقـةً

تـشـكـينَ جـرحًـا مـن الأعـمـاق أدمـاكِ

حـين استـبـاحـتْ حِـمـى الآسـاد شـرذمـةٌ

مـن الـذئـاب عَـوَتْ فـي روضِ مغـنـاكِ

جـاءت عـلـى غـفـلـةِ الأشـبـالِ غـازيـةً

ثـم ارتـعـت حـين لا نـاطـور يـرعـاكِ

حـتـى إذا حـسـبـوا الأقـدار نـائـمـةً

أوْ أنْ عـقـمـتِ أوَ أنَّ الـقـهـرَ أرداكِ

---

(١) فيصل: الملك فيصل بن عبدالعزيز طيب الله ثراه بنى في كل عاصمة افريقية مسجدًا وفي تشاد بنى مسجدًا ومدرسة وجامعة ومستشفى.

(٢) رابح وعبدالكريم: بطلان تشاديان قاوما المستعمر الفرنسي.

(٣) شاري: نهر تشادي يعتمد على الأمطار ويقع غرب تشاد قاطعًا للكاميرون.

دوّى النداءُ قويًّا نابضًا فحكى

أمواج بحرك أو إعصار صحراك:

«رسمية أنت» فالأعداء في فزع

والشعب في فرحٍ، والسعد وافاكِ

«رسميَّة أنت» هذي شمسكِ انبثقت

من أفق عزم لو كرَّ الظلم دكَّاك

«رسميَّة أنت» في الدستور شامخةٌ

من أين نال قبول الشعب لولاك؟!

سلي الكباكب والساطور[1]: هل قطعت

عنك القلوب؟ وكلٌّ الشعب يهواكِ!

سلي الفرنكَ أو التوظيفَ هل صَرَفا

عنكِ العقول؟ وهل أغرى بإشراك؟

كلا! اطمئني؛ فإنا أمة سجدت

لله ليس للامي[2] أو لشيراك[3]

قرِّي؛ فأنت مع الإسلام في دمنا

صنوان أرساه من في القلب أرساك

كنتِ الحياةَ وكان الروحِ، هل عُرِفَتْ

يومًا حياةٌ بلا روحٍ بإدراك؟!

فلتمضِ قافلة التعريب يَقْدِمُها

وحيٌ، ويحرسها المولى بأملاك

---

(١) الكباكب والساطور: آلتان حادتان استخدمهما المستعمر الفرنسي في مذبحة الكبكب الشهيرة ١٩١٧ وراح ضحيتها ٤٠٠ عالم تشادي.

(٢) لامي: هو قائد جيش الاحتلال الفرنسي الذي قتل في معركة كسرى التي استشهد فيها زعيم المقاومة الوطنية رابح، وأطلق المستعمرون اسمه على العاصمة التشادية «فورت لامي» التي غيرت بعد الاستقلال فأصبحت (انجمينا).

(٣) هو الرئيس الفرنسي (جاك شيراك).

ولتبقَ فيصلُ للإبداع رائدهُ

للضاد حصنًا، وشمسًا دون إحلاك

وليبق قائدها الماحي[1] ليمحوَ ما

حاك الغزاةُ بأحْبالٍ وأشراك

وليبقَ شيخي إمام المسلمين[2] به

ربي يبدد دعوى كُلِّ أفَّاك

وليبقَ تركيٌّ[3] للأمجاد ينظمها

نَظْمَ اللآلئ في عقدٍ وأسلاك

من قاد رابطةَ الإسلامِ مُنتَهجًا

حزمَ الإدارةِ في إخلاصِ نُسَّاك

فليُبقه الله للإسلام مدخرًا

ولْيُجْزَ بالخير هذا المحفلَ الزاكي

****

(1) هو الأستاذ الدكتور عبدالرحمن عمر الماحي، رئيس جامعة الملك فيصل بتشاد.

(2) هو الشيخ الدكتور حسين حسن أبكر، رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بجمهورية تشاد.

(3) هو الدكتور عبدالله بن تركي، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، ورئيس رابطة الجامعات الإسلامية.

١٦ - الحقيقة الخالدة[١]

[البسيط]

ربَّـــاهُ، دوَّامَـــةُ الأفْـكــارِ مَــا فَـتِـئَـتْ

تَـــدورُ بِــي بــين إضـــلالٍ وإيمـــانِ[٢]

هـذا كـتـابُك فـي دُرْجِـــي، وقـد عَـشِـيَـتْ

عـن نُـــورِهِ عَـيْـنِـيَ الـعـمـيـا بـألْـوانِ

كـم قـلـتُ: هـذا شـعـاعٌ سـوف يـأخُذنـي

إلـى فـضـاءِ الـهُـدَى مـن جُـبِّ أحـزانـي!

ثـم اصـطـدمْـتُ بـه صَـخْـرًا يُـلَـمِّـعُـهُ

لِـلْـعَـيْنِ دمـعُ هَـمَـى مـن عَـيْنِ أسْـوانِ!

وكـم هـتـفـتُ: نـسـيـمٌ هَـبَّ يـدفَـعُـنِـي

بـقـارِبِـي نَـحْـوَ مِـيـنـاءٍ وشـطـآنِ

ثـم اسـتـحـالَ أعـاصـيـرًا تـقـاذَفُـنـي

مِـن ذا لِـهَـذا، لأهْـوِي نـحـوَ قِـيـعـانِ

وكـم تـراقـصـتُ: نـهـرٌ طـابَ مَـوردُهُ

أروي بـه نـفـسـيَ الـعـطـشَـى وَوِجْـدانـي

---

(١) بلسان الشاب الحائر الذي ترك كتاب الله تعالى مهملًا في الأدراج، وانطلق يبحث عن الحقيقة بين التيارات والأفكار المستوردة، وأخيرًا يكتشف أن الحقيقة كلها تكمن في كتاب الله الذي تركه وراء ظهره.

(٢) العروض تام مجنون والضرب تام مقطوع.

فعاد جزْءٌ أجاجًا واختفى جُزْءٌ

وعُدتُ تُحْرَقُ أحشائي بنيرانِ

فرُحْتُ أطلب كشف المُبْهَماتِ لَدَى

معالمِ الكونِ؛ من شُهْبٍ وخُلْجَانِ

لَعَلَّنِي عندها أحظَى بمعرفتي

حقِيقَةً لم يشُبْها أيُّ بطلانِ

☆☆☆☆

فصافحَتْني خيوطُ الشمس ساطعةً

بالتِّبر تصْبِغ ثوبَ العالمَ الشاكِي

حيَّتْ فأحيتْ رُفَاتَ الكونِ فانطلقتْ

أشلاؤه تلتَقِي، وردٌ بأشواكِ

فصِحْتُ: يا شمسُ، يا أم الخلائق، بل

أنتِ الحقيقةُ؛ كُلٌّ تحت علياكِ

مُنِّي عليَّ بنورٍ يستَضِيءُ بِهِ

قلبي؛ فإنِيَ أعْمَى القلبِ لولاكِ

فأطلقتْ زفرةَ المصدورِ وانطلقتْ

تحكي أساها بنغم المُشفِق الباكِي

قالتْ: غلا الناس في قِدْري وما علِموا

أني حصاةٌ طَفَتْ في بحْرِ أفْلاك

قد أجَّجوا فيَّ نارَ الإثمِ؛ إذ قذفوا

بِي - فتنةً بيَ - في أتون إشْراكِ

كم آهــةٍ لـي تـذيب الـصـخـرَ أُطْـلِـقُـهـا؛

إذ دنَّسوا صفحتي في العالَم الزاكي!

لـكـنَّـنـي لـيـس لـي مـا أسـتـطـيـعُ بِـهِ

تـدبـيـرَ إشـراقـةٍ أو حَـبْـكَ إحـلاكِ

فاختر لنفسك - يا إنسانُ - منهَجَها

إن الحـقـيـقـةَ لـم تـخـضَـعْ لإدراكـي

****

١٧ - وقفة على آثار وارا[1]

[البسيط]

غُـضُّـوا الـعـيـونَ؛ فـهـذا مـوطـنُ الأدبِ!

هـذا الجَــلالُ الـذي لـم يُـطْـوَ بـالحُـقُـبِ

هـذا الـشُّـمُـوخ الـذي لـمْ يَـحْـنِ هـامَـتَـهُ

عصف الأعاصير فـي خِصبٍ وفـي جَـدَبِ

هُـنـا مَـقَـامُ الـفتـى عبدِ الـكـريم[2] الَّـذي

بِـفَـضْـلِـهِ الـدِّيـنُ أوْفَــى بعد مُـنْـقَـلَـبِ

مَــن قــام فــي هِــمَّــةٍ عــزَّتْ مثيلتُها

يـدعُـو إلـى الـلـهِ فـي إقْــدام مُـحـتَـسِـبِ

يـصـيـح: «يـا قــومُ لا تحْـكُـم عـواطِـفُـكُم

على الـعـقـول؛ فـمـا فـي الحـقِّ مـن رِيَــبِ»

«الحَــقُّ أبـلـجُ، والـبُـهْـتـانُ فـي ظُـلَـمٍ

والحَــقُّ يـعـلـو، وعُـمْـرُ المَــيْنِ كـالحَـبَـبِ»

«آثـــارُ خـالِـقِـكُـمْ لـلـعـين بـاديـةٌ

بـكُـل رُكْــنٍ بـهـذا الـكـونِ مُـرْتـقَـبِ»

هُـنــاك ألـبـابُـهـم عَــادتْ لِـفِـطْـرَتِـهـا

وأيْـقَـنـوا أنـهـمْ فـي مَـسْـلَـكٍ عَـطِـبِ

رأوْا تـقـالـيـدَهُـمْ مِــن مـجْـهـرٍ فـبـدتْ

فـيـهـا الجَـراثـيـمُ تحـبـو فـي حشًـا رَطِـبِ

---

(١) (من وحي رحلة قمت بها إلى وارا - العاصمة القديمة لمملكة وادي - بتاريخ ١٩٩٢/٢/٢٣م)

(٢) عبدالكريم: قائد تشادي قاوم ومن معه من الأبطال المستعمر الفرنسي حتى تم استقلال تشاد.

قـالـوا: «أنَـبْـنَـا إلـى الإســلام فـانْـحُ بِـنا
نَـهْـجَ الـهـدايـةِ والـتـعـلـيـمِ بـالـكُـتُـبِ»
فـسـاسـهُـم بِـقَـوانـيـنٍ قـد اتَّـضَـحَـتْ
لـم تَـغْـلُـهـا مـسـحـةُ الـتـمْـويـهِ والـكَـذِبِ
وأعْـقَـبَـتْـهُ سَـلاطـيـنٌ قـد انـتَـهَـجـوا
هُـداهُ، واسْـتَـبَـقُـوا لـلـمَـجْـدِ والـقُـرْبِ
والـيـومَ سـاحـاتُـهـم مِـن بـعـدِ هَـيْـبَـتِـهـا
يُـثـارُ فـيـهـا غُـبـارُ الـثـعـلـب الـطَّـرِبِ
والـقـصـرُ بـعـدَ احْـتِـشـادٍ صـارَ مـنـفـردًا
كَـرائـدٍ هـابـطٍ فـي كَـوْكَـبٍ خَـرِبِ

أطـلالَ وارا، أجِـيـبـي، خَـبِّـري مـلأً
أخْـرَسْـتِـهِـم هـيـبـةً عـن كُـلِّ مُـحْـتَـجِـبِ
صِـفِـي لـنـا كـيـف كـان المُـلْـكُ مـزدهـرًا
لـسـاحِـكِ الـرحْـبِ يـعـشـو طـالـبُ الـنَّـشَـبِ
صِـفِـي لِـمَـا مـجـلسَ الـسـلـطـانِ مُـجْـتَـمِـعًـا
بِـشَـعْـبِـهِ مـثـلُ أبـنـاءٍ بـحـجْـرِ أبِ
صِـفِـي الـجـنـودَ إذا ريـعـتْ مـواطـنُـهُـمْ
هـاجـوا كـبـحـرٍ مـن الأمـواجِ مـضـطـربِ
صِـفِـي انـبِـعـاثَ الـهُـدى كـالـكَـهـربـاءِ بِـهِ
رأى الـطـريـقَ أنـاسٌ فـي عـمـى الـحُـجُـبِ

ألـم تـكُـونـي مَـنـارًا سـاطـعًـا زَمَـنًـا
يمـدُّ إفْـريـقـيـا بـالـعِـلْـمِ والأدَبِ؟

قولي لنا: ما مَدَى أفكارِ مَنْ حَكَمُوا

هذي البلادَ قُبَيْلَ الغزْوِ والغَلَبِ!

بني تشادَ، خَفَضْتُمْ قدْرَ مَن صَنَعوا

تاريخَكُمْ: فَغَدَا في أرفَعِ الرُّتَبِ!

ما قِمةُ العاقلِ الواعِي بِلا أثرٍ

بِهِ يُخَلَّدُ ذِكْرُ الأصْلِ للعَقِبِ؟!

لا فَرْقَ بين قطيعٍ ضَلَّ مَوْرِدُهُ

وأُمَّةٍ في الورَى مجْهولةِ النسَبِ!

عَرفْتُمْ قِيمةَ الآثارِ إذْ بعدَتْ

وأُهْمِلَتْ إذ بَدَتْ منكُمْ على كَثَبِ!

ما نجْتَني من تراث الغير إن بقيتْ

آثارنا كحُطامٍ في الخَلا الرحِبِ

إن لم نصُنها طوى النسيانُ صفحتها

بِفَيْلَقَيْن: مسيلِ الغَيْثِ والنَّهْبِ!

فالسيلُ يضربُ في تصْميمِ مُنتَقِمٍ

جُدْرانَها جَارِفًا ما هَدَّ في دأبِ

والزائرون إذا الإعْجابُ غالَبَهُمْ

مَدُّوا الأيادِيَ للآثارِ، للسَّلَبِ!

****

١٨ - دمعة وفاء[1]

[الوافر]

(أيدري المسلمون بمَن أصيبوا؟)
إذن، كُثر البكا، وعلا النحيبُ

أصِيبوا بالذي شُمُّ الرَّواسِي
تَكَادُ لِهَوْلِ وَقْعَتِهِ تَذُوبُ

تَغَيَّبَ عن سماء العِلْمِ بَدرٌ
أضَاءَتْ من سَنَاهُ لنا قلوبُ

تُوُفِّيَ شيخُنا، والموتُ حَقٌّ
كذاك الشمس يُدْرِكُها المَغِيبُ

مَضَى إذ نَحْنُ في ظَمَأٍ، فطُوبَى
لِمَن بِحَياتِهِ مُنِحَ الذُّنوبُ

أشَيخِيَ، هكذا تأتي المنايا!
وما لِمُخَلَّفٍ منها هُروبُ!

لَطَمنا عند موتِك لا عِنادًا
ولكِنْ صيْحةُ الناعي تَشيبُ

ذهبْتَ إلى العِلاجِ وما عَلِمْنا
بأنَّك من ذهابِك لا تَؤوبُ

(١) في رثاء معلمي وشيخي في القرآن الكريم/ القوني صالح جامع القيت في أول حفل يقام بعد وفاته لتخريج دفعة من تلميذاته اللائي حفظن القرآن على يديه بتاريخ ١٣/٢/١٩٩٢م.

ذهبْتَ إلى العلاجِ، فكانَ قبرًا
وإن حَكَمَ القضا عجِزَ الطبيبُ

بكَتْكَ مساجدٌ، وبَكَتْكَ دورٌ
وصَاح عليكَ شُبَّانٌ وشِيبُ

لأجْلِكَ عَمَّ (أبَّشَّى) حِدادٌ
وفي الجَنَّاتِ أفْراحٌ وطِيبُ

فنَمْ في الخُلْدِ؛ قدْ مضَتِ الليالي
وأنتَ لأجْلِنا يَقِظٌ دؤوبُ

حَياتُك كُلُّها كانت علومًا
تُدَرِّسها، وإفتاءً تجيبُ

وهَبْتَ لِخِدْمَةِ القرآنِ عُمْرًا
طَويلاً، هكذا يهَبُ اللبيبُ

ومَن جَعَل الكِتابَ لَهُ سفينًا
إلى بَرِّ الأمانِ هُو المصيبُ

هو المصباح في ظُلَم الدياجي
هو المُنجِي إذا هجمتْ خطوبُ

هو البحرُ المحيطُ بكُلِّ عِلْمٍ
يفيض هدًى، وليس له نضوبُ

هو الدستورُ من ربِّ البَرايا
وكم بهُداهُ قد سعِدتْ قلوبُ

هو الحقُّ المبين؛ فلو قَفَوْنا
سناه لَمَا استضاقَ بنا الرَّحيبُ

حوى أخبارَ من سبقوا وماتوا
وأنبأنا بِما عَنَّا يغيبُ

شبابَ تشادَ، هذا النهجُ فامشُوا
عليه كما مشى الشيخُ الأريبُ

ولا تستَصْعَبُوا سَهَرًا وكدًّا
فليس يضير ذا أملٍ لُغُوبُ

ومَن غَرَسَ البذورَ جنى ثمارًا
ومَنْ غرس المُنى فله الشُّحوبُ

وليس العِلْمُ فرضًا في فريقٍ
ولكِنْ كُلَّنا شَمَلَ الوجوبُ

كِتابُ اللهِ يدعُونا لجَدٍّ
ونحن سبيلُنا الأملُ الكَذوبُ

وهذا العصرُ ليس بِهِ مَجَالٌ
لذي جهلٍ، وليس به حبيبُ

فهيَّا نقتدي بمسيرِ شيْخٍ
لَهُ إذ نام أقْوامٌ وُثُوبُ

تخَرَّج عنه شُبَّانٌ دُعَاهُمْ:
له الجناتُ والمرعَى الخصيبُ

عليه سحائبُ الرضوانِ تغدو
وميزابٌ من النعمَى سَكُوبُ

****

١٩ - إلى شباب تشاد[1]

[الوافر]

شبابَ تشادَ، هَيَّا للمعالي
وجُدُّوا مُخْلِصين بلا كَلالِ

وغوصوا البحرَ في طَلَبِ اللآلي
(فمن طلب العلا سهر الليالي)

تشادُ تريدُ مِنَّا أنْ نَكُونا
حُماةً لَنْ نَخافَ ولن نلينا

هُداةً نَنطِقُ الحقَّ المُبينا
نُشِيدُ المَجْدَ فوقَ ذُرَى الجبالِ

فَهَيَّا نحْوَ ميدانِ العلومِ
فنأخُذَ مِن جَديدٍ أو قديمِ

لنجلُوَ ظُلْمةَ الليلِ البَهيمِ
وننقُضَ كُلَّ فِكرٍ للضَّلالِ

فإنَّ العِلْمَ في الدنيا سِلاحُ
إذا هَمَّ العِداةُ بنا وصاحوا

---

(١) بمناسبة افتتاح فرع لاتحاد شباب تشاد الإسلامي بمدينة أبشة بتاريخ ١٩٩١/١٢/٩م وهذه هي أول قصيدة لي ألقيتها في احتفال أو مناسبة عامة.

نصونُ بهِ عَرينَا لا يُباحُ

بهِ نَرقَى إلى أَوَجِ الكمالِ

مَنِ القاضي بشرعِ اللهِ فينا؟

يُعيدُ الحَقَّ للمُستَضْعَفينا

ويَردَعُ بالحُدودِ المُجرِمينا

ويُحْيِي ذِكْرَ فاروقٍ بِبَالِ؟

مَنِ المُفتِي لِحَلِّ المُعضِلاتِ؟

يُبَيِّنُ في القضايا المُشكِلاتِ

وما رأي الشريعةِ في الحياةِ؟

وهلْ ذا في الحرامِ أو الحلالِ؟

مَنِ الطَّبُّ الذي يأتي يُداوي

إذا الأدواءُ هاجتْ (بالبلاوي)؟

يُضَمِّدُ جُرْحَ مَنْ لقبرِ هاوٍ

بآلامٍ، بأنَّاتٍ، طِوالِ؟

نريدُ مهندِسًا يبنِي القِبابا

يُشيدُ منازِلاً تسمو السحابا

فإنَّ بِلادَنا كانتْ رِحابا

تُؤَمِّلُ عَزمَ أبناءٍ رِجالِ

فَهَذِي بعضُ أنواعِ السباقِ

لِمَنْ رامَ التنافُسَ، يا رفاقِي

فقدْ فُتِحَ المجالُ لِكُلٍّ راقٍ

فإنَّ تَفَرُّقَ الأهواءِ غُولُ

علينا – معشرَ الشبَّانِ – حتمٌ

أعيدوا ما مضَى من حُسْنِ حالي»

فإن تشادَ صاحتْ: «أن هَلُمُّوا

ونورُ العلمِ يُشْرِقُ من بنائِي»

«إذ الإسلامُ يخفقُ في سمائي

فلا حَزْبٌ، ولا قتْلُ الأهالي»

«وأبنائي جميعًا في ولائي

بحَقٍّ ليس بُهْتانًا وبِدْعا

سنفخر عند كلِّ الناسِ جَمْعا

ولم نُسْلِمْ بغزوٍ أو قِتال

بأنَّا قد دخلنا الدينَ طوْعا

ولمْ نَقبَلْ بِذُلٍّ في الحياةِ

وقفنا ضِدَّ أطماعِ الغُزاةِ

فللأوطانِ يَرخُصُ كُلُّ غال

وجُدْنَا بالنفوس الغالياتِ

ولم يَقَعوا لمخْلوقٍ سُجودا

وأجدادٍ لنا كَرِهوا القيودا

شِعارُهُمُ: «أموتُ ولا أُبالي»

إذا ما استُغْضِبوا لبِسوا الحديدا

جميعًا بالسلاحِ نَذُبُّ عنها

فلسنا منهُمُ إن لمْ نَصُنْها

فما رَضِيَ النقيصةَ ذو كمالِ

ولا نرضَى انتقاصَ الشِّبرِ منها

لإنهاضٍ بِهِ يُشْفَى الغليلُ

وما في غيرِ وحْدتِنا سبيلُ

بِهِ الأوطانُ تُنْمَى بالهُزالِ

****

٢٠ - حديث البدور[1]

[الوافر]

أيـا بــدرًا بِـجـوف الـلـيـلِ أَقْـبَـلْ
لــدارٍ مِــن مَــنـافِـذِهـا تَـسَـلَّـلْ
تـخَـطَّـى عـالَـمَ الأفــلاكِ يَـسْـعَـى
كَـمَـلْـكٍ مِــنْ أريـكَـتِـهِ تَـرَجَّـلْ
أتَــدري مـا جَـنَـيْـتَ عـلـى مُـعَـنًّـى
مـشُـوقٍ، قـلـبُـهُ فـي حَـرٍّ مِـرْجَـلْ؟!
هَـجَـمْـتَ عـلـيه وَهْــوَ عـلـى انـفـرادٍ
يُـقَـلِّـبُ فـي الـسـمـا طَـرْفًـا مُـبَـلَّـلْ
فَـهَـبَّ مُــهَــرْوِلاً لِـلِـقـاكَ، لَمَّـا
تَـخَـيَّـلَ فـيـكَ بـدرًا عَـنْـهُ يَـسْـأَلْ
رأى نُــورًا تَـنَـزَّلَ مِــنْ عُـلُـوٍّ
فَـظَـنَّ شَـقـيـقَـهُ المَـفْـقُـودَ أقْـبَـلْ
فَـتًـى ضَـاقـتْ بِـهِـمَّـتِـهِ الأراضــي
فـطـار إلــى الـفـضـاءِ يَـشُـقُّ مَـدْخَـلْ
فـلـمْ نَـسْـمَـعْ لـهُ خَـبَـرًا، أغـارتْ
عـلـيـهِ الـشُّـهْـبُ؟ أم فـي الجـوِّ قـدْ ضَـلّ؟!

(١) سافر شقيقي الأكبر «محمد الأمين» إلى الجماهيرية الليبية للدراسة فيها عام ١٩٩٨، أيام الحصار المضروب عليها، وكان عليه الطواف عبر عدة دول حتى يصل إلى ليبيا، وانقطعت أخباره أثناء طوافه ذلك، فلم نجد عنه أية أخبار؛ مما أثار مشاعري وكتبت عنه قصيدة طويلة، ضاع بعضها بين أوراقي، وهذا جزؤها الأول.

أسائل كُلَّ طيرٍ... كُلَّ نَجْمٍ

وأسأل كُلَّ ريحٍ هَبَّ: هل.. هلْ..؟

فقد هيَّجْتَ يا بنَ الشهبِ حُزني

نكأْتَ عليَّ جُرحًا ليس يُدمَلْ

وأنتَ خَليُّ بَالٍ لَمْ تُفارِقْ

حبيبًا، أو تكُنْ يومًا بمُثْكَلْ!

فذابتْ مِنْ أشِعَّتِهِ دموعٌ

على الخَدِّ الأسيلِ بِهَا تَخَضَّلْ

وغارتْ عَيْنُهُ حُزْنًا؛ فكانتْ

شقوقًا خَالَهَا الرُّوَّادُ جَدْوَلْ

وأجهشَ قائلاً: «يا صاحِ، حسبي

حَنانيْك! ابْقِ لِي للعُذْرِ مَحْمَلْ!

بِقَلْبِي ما بِقَلْبِكَ، بَيْدَ أنِّي

رأيْتُ الصَّبْرَ عندَ اللهِ أجْمَلْ

****

٢١ - العربية لغتنا

[البسيط]

تشادُ، بُشراكِ! إن الشَّملَ مُلْتَئِمُ

أبناؤكِ اجتمعوا، والوُدُّ ضَمَّهُمُ

صاحوا بأجمعِهم: لا للحروبِ، ولا

للظُّلْمِ، إنا بحبلِ اللهِ نعْتَصِمُ

بلادُنا أُوهِنَتْ بالحربِ؛ إذ تُرِكَتْ

تَعِيثُ فيها عُقُودًا بالرَّدَى الوَغَمُ

دُكَّتْ معالِمُنا، هُدَّتْ ثقافَتُنا

صِرْنا حديثًا، وقِيلَتْ حولنا التُّهَمُ

واليومَ عادتْ لنا الألبابُ، واتَّضَحَتْ

لنا الطريقُ، وزال العِيُّ والصَّمَمُ

فَلْنَسْتَعِدْ هِمَّةً نَبنِي البلادَ بِهَا

بالعِلْمِ والعَزْمِ يُبْنَى الشامخُ العَلَمُ

نُريدُها حُرَّةً عُظْمَى، دعائمُها

العَدْلُ، والأمنُ، والقانونُ، والقَلَمُ

سمحاءَ تزخرُ بالأخلاقِ فِتْيَتُها

(فإنما الأمَمُ الأخلاق) والقِيَم

تَلْقَى الدَّخِيلَ بِعَيْنَيْ مجْهَرٍ فَطِنٍ

إن الدخيلَ على الأوطانِ مُتَّهَمُ

يـا إخـوتـا! دعـوةَ الإخـلاصِ أبسُطُها

لـكُـمْ، وكُـلُّـكُـمُ لـلـحَـقِّ مُـغْـتَـنِـمُ:

هـلاَّ سـألْـتُـمْ بِـهَـمْـسٍ بَـيـنَ أنـفُـسِـكُـمْ:

أنـحْـنُ بـالـضَّـاد أم بـالـغـيـر نـتَّـسِـم؟!

مـا الـضَّـادُ جـنـسٌ ولا أرضٌ يـحَـدُّ لـهـا

وإنـمـا هِـي لـفـظٌ واسـعٌ عَـمَـمُ

مـن قـالـهـا عُـدَّ مـن أغـصـانِ دوحـتِـهـا

نمـاه زنجٌ أم الـيـونـانُ والـعـجـمُ

أم ضـمَّـهُ الـبـحـرُ أم فـي الـبـرِّ مـسـكـنُـهُ

أم كـان بـالـقـطـبِ يـفـري الـدُّبَّ يـلـتَـهِـمُ

سـلـمـانُ صـار بـهـا قُـحًّـا، لـه نـسـبٌ

لـلـبـيـتِ، تَـنْـهَـلُ مِـن أقـوالِـه الأمَمُ

وابـنُ المُـقَـفَّـعِ أمـسَـى مـن أئـمَّـتِـهـا

مـا قـيـل: «تـبـرؤ مـنـك الـعُـرْبُ» إذ هـجـمـوا

لـكـنَّـنـا نَـخْـلُـق الأعـذارِ فـي زمـنٍ

لا عـذر فـيـه لِـمَـن نـامـوا ومَـن حـلـمـوا

****

٢٢ - كفالة اليتيم[١]

[الكامل]

قال الصغيرُ ودمعُهُ مِدْرارُ: أمَّاه، أشعر أنني أنهارُ

أُمَّاهُ، هذا الجوعُ مَزَّقَ باطني وسرتْ بأحشائي وقلبِي النارُ

الماءَ أشْربُهُ؛ ليبرد غُلَّتي فكَأنَّما تبْريدُهُ إسعارُ

لي ليلتانِ ألوكُ بعْضَ «بَلِيلَةٍ» قد خالطَتْ حَبَّاتِها الأحجارُ

لا طَعْمَ فيها، غيرَ أنَّ لِريحِها نَتْنًا، وشابَ مَذَاقَها إمرارُ

ها هُمْ رفاقي في الطريق تواثَبوا في خِفَّةٍ، فكَأَنَّهُمْ أطيارُ

للعيد قد لَبِسُوا الجديدَ وهلَّلُوا بثيابِهِمْ تَتَلألأُ الأنْوارُ

في كَفِّ كُلٍّ كعكةٌ أو لُعْبَةٌ يلهو بها، أو عنده مِزمارُ

---

(١) كتبت هذه القصيدة تعبيرًا عن مشاعر الفرحة والسرور التي أجدها في وجوه الأيتام وأمهاتهم، عند وصول مبالغ الكفالات التي تأتي إليهم، من الجهات الخيرية، وعلى رأسها بيت الزكاة الكويتي، عبر إدارة الأيتام بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بجمهورية تشاد،أو قسم رعاية الأيتام بالجمعية الخيرية للتنمية الثقافية والاجتماعية، اللتين أعمل فيهما، وهي:

وحدي بقيت أنا أُجَرَّعُ غَصَّةً

في غَصَّةٍ، وبِعَيْنِيَ اسْتِعْبارُ!

أمَّاهُ، أين أبي؟ فما حلَّتْ بِنا

إذ كان يَعْمُرُ بيْتَنَا أضرارُ

أمّاه، أين أبي؟ فما عادتْ لنا

مُذْ غابَ مَنزِلَةٌ ولا إكبارُ

أمّاه، أين أبي؟ وأين حنانُهُ؟

قد كانَ نهرًا دونَه الأنهارُ

لا زلتُ أذكرُ كم حبوتُ لحِجْرِهِ

فَتَلَقَّفَتْنِ يداهُ والأبصارُ

لا زلتُ أذكرُ كيف أضحى مركبًا

لي صدرُهُ، وبوجهه استبشارُ

كم دغدَغتْ خَدِّي يداهُ ومِلْؤُها

حُبٌّ وعَطْفٌ غامِرٌ فوَّارُ

وكأنَّ في رأسي نُعومةَ كَفِّه

لم تمحُها الأيام والأعْصارُ

أماه، قولي أين سار؟ فإنني

ماضٍ إليه؛ فقد جفتني الدارُ!

فتلجلجَتْ أمُّ الصّبيِّ وأجهشتْ

تبكي وتنشُج؛ هاجها التّذكارُ

ضمتْهُ للصدر الضّعيفِ وقلبُها

في لوعةٍ، ودموعُها أنهارُ

قـالـتْ تُـهَـدِّئُـهُ - وفِـيـهـا حـاجـةٌ

لِمُـهَـدِّئٍ لـوْ أنَّـهـا تَـخْـتـارُ - :

يـا ابْـنـي أبـوكَ مـع الـنـجـوم مُـحَـلِّـقٌ

يـرنُـو إلـيـكَ وكُـلُّـهُ أنـظـارُ

فـي الـعـالَـمِ الـعُـلْـوِيِّ يـسـكـنُ مـنـزلاً

تـشـدو بِـهِ وتُـرَفْـرِفُ الأطْـيـارُ

مـخْـضَـرَّةٌ أشـجـارُهُ، دفَّـاقـةٌ

أنْـهـارُهُ، سُـكَّـانُـهُ أطْـهـارُ

لا الـغِـلُّ يـنـفُـثُ فـي الـقـلـوب سـمـومَـهُ

لا فـي الـيَـدَيْـنِ يُـعَـشِّـشُ الإقـتـارُ

فـاصـبِـرْ، تَـعَـلَّـلْ بـالـرحِـيـلِ؛ فـمـا لَـنـا

فـي الأرضِ تـوطـيـنٌ ولا اسـتِـقْـرارُ

عَـمَّـا قـريـبٍ نَـلْـتَـقِـي بـأبـيـك فـي

أفْـقٍ بَـهِـيـجٍ كُـلُّـهُ أنْـوارُ

كـيـف الـبـقـاءُ بـعـالَـمٍ قَـدْ حُـجِّـرَتْ

فـيـه الـقُـلُـوبُ وضَـلَّـتِ الأبْـصـارُ؟!

الأغـنـيـا فـي تـخـمـةٍ والجـوعُ فـي الْـ

أيـتـامِ، فـي أحـشَـائِـهِـمْ نَـخَّـارُ

هـل نجـتـدي أم نـكـتـوي بـجـريـمـةٍ؟!

كَـلَّا! فـمِـن ذا تـأْنَـفُ الأحـرارُ

لـلـه نـشـكـو مـا نـعـانـي؛ إنـه

بَـرٌّ رحِـيـمٌ فَـضْـلُـهُ مِـدْرارُ

مـــاذا سـمـعـتَ ابـنـي؟ كـــأنَّ بِـبـابِـنـا

طَــرْقًـــا؟ نـعـم! فـلْـيَـدْخُـلِ الـــزُّوَّارُ!

مــا كـــان هـــذا الــطــارق الآتـــي ســوى

وفْـــــدًا بِـــهِ قـــد أرسَـــــلَ الأخْـــيـــارُ

زَفَّ الـــسَّــــلامَ وبَــــثَّ فـــي طـيَّـاتِـهِ

بُـــشْـــرَى بِـــأن قـــد زالـــتِ الأكْـــدارُ

إنـــي رســـولُ المـجـلـس الأعــلـى الـذي

مِـــن عِـــنـــدِهِ تَـــسُـــرُّكُـــم أخـبـارُ

إن كـــان عـائـلـكـم قـضـى نـحـبًـا فـفـي

ذا المـجـلـسِ الأعـلـى لـكُـم أنـصـارُ

مـــا زال يـنـمِـي لـلـكـرام شـجـونَـكُـمْ

حَـــتَّـــى اسـتـجـابـتْ فِـتـيَـةٌ أبْـــرارُ

مِـــن قـائـمـي بـيـتِ الـــزكَـــاةِ فـإنَّـهـمْ

قـــومٌ عـلـى دربِ الـــهُـــدَى قـد ســـاروا

مـــن آســـيـــا يَـــسْـــقُـــونَ فـــي إفـريـقـيـا

قـــومًـــا ظِـــمـــاءً نَـــالَـــهُـــمْ إعْـــســـارُ

مَـــــدُّوا عـلـى هـــذا الـيـتـيـمِ ظِـلالَـهُـمْ

مـــن بِـــرِّهِـــمْ يَـــأتِـــي لَـــهُ مِـــقْـــدارُ

فـتـرقـرقـتْ عـــيْنُ الـصَّـبـيِّ، وأمُّـــهُ

شَـــــدَّتْ بـــأصْـــلِ لِـسـانِـهـا الأوتـــارُ

ثـــم الـتـقـتْ عَـيـنـاهُـمـا فـــي لمـحـةٍ

عَـــجْـلَـــى، ولـكـن دونـهـا الأدهـــارُ

مـــدًّا بِـــطَــرْفٍ لـلـسـمـاء وتمـتـمَـا

فـــي دعْـــوةٍ مـــا دونَـــهـــا أســـتـــارُ:

ربَّـــــاهُ، عــفــوًا إن أســأنــا الــظــنَّ فـي

كُــلِّ الـــــوَرَى، فـلْـيَـمْـحُ ذا اسـتـغـفـارُ

لــم نـــدْرِ أنَّ الخـيـرَ فـي هـــذِي الـدُّنـا

بـــــاقٍ، ولـــم يَـعْـصِـفْ بـه إعـصـارُ

ربَّـــــاهُ فَـــاجْـــزِ المحـسـنـينَ بـجَـنَّـةٍ

قـــد ســـاق بـشـراهـا لـنـا المُـخْـتـارُ

****

صبورة أرمياؤ محمد[1]

١ - فلسطين

[البسيط]

مسَاؤكِ الوهمُ في أحبارِه ألمُ
ووجهكِ اليتمَ تقتاتينَهُ رهَبَا

تلطَّخَ الفجرُ حتى صرتُ أنكرهُ
وأرعدَ الليلُ لكن لا أرى سحبا

سيلُ الجماجم في عينيك أعرفُهُ
بحرٌ من الصَّمت لا يستقطرُ الصخبا

أحبُّكِ القدس، حزنًا لا يفارقني
وأشتهيكِ كطفلٍ ضيَّع اللعبا

رأيتُ وجهكِ يا أشلاءَ راهبةٍ
توسَّد الدمعَ والأحجارَ والحصبا

لما وقفتُ على جرحي ألملمُهُ
تخثَّرَ الدمعُ فوق الجرح والتَّهبا

أفتِّشُ الدربَ عن معنى لغربتهِ
تورَّط الدربُ لما لم يجدْ سببا

مطاردٌ بجحيمٍ صار يَقْبُرني
مُغلَّفٌ بجنونٍ فاضَ وانسَكبا

(١) شاعرة تشادية معاصرة من مواليد ١٩٨٠، درست في جامعة الملك فيصل بتشاد، ويتسم شعرها بالحس الديني والوجدان الثائر، والنفس الطويل، والمحافظة على عمود الشعر العربي، ولم تجمع أشعارها في ديوان، فهي قصائد مبعثرة تقدمها في بعض المناسبات.

براءةٌ وجهك المخذول سيدتي

السُّلُّ يقبع في أغوارنا حقبا

إنني مررت بصهيونَ أُسائله

تَوهَّج الطَّودُ لما قلت والْتَهبا

عواصف التِّيه جنَّت في جوانحنا

وسعفة النَّخْلِ تشكي العُرْيَ والعَطبا

يا قبرَ أحمدَ مات اللون في شفتي

وبعض هديك عن آذاننا حُجِبا

عفوًا خُطاي بشوك الدّرب مطفأةٌ

مُدّت إليك شفاها أُرهقت سغبا

يا أمّتي وقصيدي كل أوردتي

إذا كتبت تداعى القلب منتحبا

يا أمّتي وبكاء الشعر يرهقني

أشكو لك الحال أم أشكو لك العَرَبا

يا أمَّةُ هَدَّمت أمجادَ أولها

وينخر الدود في أعضائها طربا

ويعبث السُّوسُ في أعماق تربتها

وتلعب الريحُ في أغصانها لعبا

لا يَطْهُر الجُرْحُ إلا في مجاهدةٍ

وليس كالحُرِّ فَتّاكًا إذا وثبا

****

٢ - أشرق يا عام

[المتدارك]

أشرِقْ في صدقٍ يا عام
فَلَكَمْ خدعتْنَا أعوامُ
مَرَّت كسرابٍ خائلنا
وسَبَتنا فيها أوهامُ
عشناها نرسمُ لوحاتٍ
يتغنَّى فيها رسامُ
وإذا الآمالُ على صُوَرٍ
وعليها نصحو وننام
أو لحنُ نشيدٍ في فمنا
تُطربنا منه الأنغام
أو تبقى رهنَ شعاراتٍ
تتبارى فيها الأقلام

وزمانٌ طال.. وحاصرنا
طاب تجرُعُه .. وسمام
حابِلُنا اختلطَ بنابِلِنا
فاندهشتْ منها الأفهام
وتنابذنا وتباغضنا
واندستْ فينا الألغام

الـفُـرْقـةُ أوهـتْ أمَّـتَـنـا
فـانـصـدعـتْ فـيـهـا الأحـكـام
وهـزائـم تـتـرى هَـدَّتْـنـا؟
وتـخـلَّـفَ عـنـهـا الإقـدام
ضـاعـت يـا عُـرْبُ هَـوِيَّـتُـنـا
هـا نـحـن بـقـايـا وحُـطـام
هـا نـحـن فُـلـولٌ فـي همـلٍ
وذيـول تُـؤمَـرُ.. وتُـضـام
الـيـأسُ المـوحـش طَـوَّقـنـا
فـانـهـارت هِـمَـمٌ.. وهـمـام
وعـدوٌّ شَـرْسٌ يُـصْـلـيـنـا
ذُلّاً - يـتـحـكـم - غـشـام؟
وكـلـومُ الـقـهـرِ بـداخـلـنـا
هـدَّتـنـا مـنـهـا الآلام
مـاتـتْ يـا قـومُ حَـمـيَّـتـنـا
وذووهـا الـسَّـلـفُ الأعـلام
يـا عـامُ مَـلـلْـنـا أنـفـسَـنـا
ولـذا مَـلَّـتـنـا الأيـامُ
وضـمـائـرُ تحـيـا هـاربـةً
تـهـتـفُ فـيـصـيـب الـنُّـوام
وقـلـوبٌ بِـكْـرُ ريـقـة؟
مـا شـاب صـفـاهـا أصـدام

ما لي يا عامُ أخاطبكم

فلزمني أنت.. وأرقام

ما حَلَّ بنا فَبأيدينا

وجناهُ نحن.. وظلام

الله أمرنا فعصينا

ونهى.. فاجترمت آثام

وهجرنا منهج خالقنا

فلكلٍّ منّا أصنام

والحلُّ الأول والأولى

عُودوا لله.. وإسلام

فعسى رحمته تدركنا

وتضيقُ من الحذر الهَام

****

٣ - حضارتنا الزائفة

[البسيط]

هــذي الحــضــارةُ فــي أدنــى معانيها

تعطي الجسومَ وتنسى جوهرًا فيها!

تُـقـيـمُ لـلـجـسـم سـلـطـانًـا وهـيـمـنـةً

وتـنـبـري لـعـذابِ الـــروحِ تشقيها!

وأزرتْــهــا نــفــوسٌ ضــلَّ هاجسها

فـزيـنـتْ فـي دهـــاءٍ سُـــوءَ حـاديـهـا!

☆☆☆☆

وشِـقـوةُ الـنـاسِ، مُـذْ كـانـوا، نفوسُهُمُ

تَــؤُزُّ أجـسـادَهـم شــرًّا فـتُـرْديـهـا!

بـئـس الحـيـاةُ إذا كـانـت تـوجّـهُـهـا

تلك النفوسُ، وقـد نـامـت نـواهـيـهـا!

فـتـسـتـحيلُ حـيـاةُ الـنـاس مـجـزرةً

ويمــخُــرُ الـشـرُّ فـي شـتـى نـواحـيـهـا!

☆☆☆☆

يـا حـسـرتـاهُ عـلـى الإنـسـان قـد عَمِيَتْ

منه البصيرةُ وامــتـدّتْ غـواشـيـهـا!

يعمى عن الرشد في القرآن وا أسفا!

ويُـبـصـرُ الـغـيِّ فـي دنـيـاه تـنـزيـهـا!

سمّى الفواحشَ فنًّا من سفاهتهِ

وراحَ يسفكُ طُهْرَ الغيدِ حاميها!

وأين ما كان من أخلاقٍ مؤمنِنا

يروي طهارتَها التاريخُ تنويها؟!

وأين أجنحةٌ طِرنا بها شُهُبًا

فدانت الأرضُ قاصيها ودانيها؟!

أين الأُلى حملوا القرآنَ في رَشَدٍ

فَعَمَّ نورُهُمُ الدنيا وما فيها؟!

همُ الأباةُ، وربُّ الكونِ أرسلهم

ليغسلوا الأرضَ من أدرانِ طاغيها!

شقّوا الطريقَ، ونورُ الله مرشدُهمْ

وسُنَّةُ المصطفى تجلو خوافيها!

هذا (قتيبةُ)، شرق الأرضِ حرّرهُ

و(طارقُ) الفتحِ، أرض الغرب يهديها!

حتى استقامَ لهم ما شاء ربّهُمُ

من الأمور!! تعالى الله مُجْريها!

☆☆☆☆

فأين نحن من الماضي المجيدِ؟ وهل

صُنّا الأمانةَ؟ أم ضاعتْ غواليها؟!

خُنّا الأمانةَ والأخلاق وا أسفا!!

فاجتاحَ دولتَنا الإعصارُ مُنْهيها!

☆☆☆☆

لو غيَّر القومُ ما في النفسِ لانكشفتْ

هذي المفاسدُ، وانجابتْ طواغيها!

وبُدِّلوا بهبوطِ العيشِ أجنحةً

تسمو بأمّتنا واللهُ راعيها!!

فبالصَّلاحِ يظلُّ القومُ في شمَمٍ!!

وبالذنوب يُذِلُّ اللهُ جانيها!!

****

قائمة المصادر والمراجع

١- إبراهيم علي طرخان: إمبراطورية البرنوإسلامية، ط.الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م.

٢- الاتجاه الإسلامي في الشعر التشادي دراسة تحليلية فنية نقدية، ط١، ٢٠٠٣م، العالمية، مصر.

٣- د.أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط.نهضة مصر، ١٩٩٠م.

٤- جريدة أنجمينا اليوم عدد١٢١، ١٩٩٤/٣/٢٨.

٥- حبيب عمر: الشيخ عبدالحق السنوسي ومكانته الأدبية، بحث مقدم لنيل شهادة التأهيل التربوي.

٦- عباس محمد عبدالواحد: مقدمة ديوانه «الملامح»، تقديم د.محمد حسين، ط. أسعد، بغداد، ١٩٨٣م.

٧- د.عبدالرحمن عمر الماحي: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت.

٨- فن الرثاء في الشعر العربي التشادي الحديث، بحث أعد خصيصا لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في اللغة العربية بجامعة الملك فيصل، العام الجامعي ٢٠٠١/٢٠٠٢م.

٩- الطالبة/ قمسو جرمه: صورة المرأة في شعر أحمد عبدالرحمن إسماعيل، بحث متريز، إشراف د.محمد فوزي ٢٠٠٤ كلية الآداب جامعة أنجمينا.

١٠- الباحث/ محمد بشير عثمان: عبدالواحد حسن السنوسي حياته وأدبه، متريز بجامعة انجمينا إشراف د.محمد فوزي ٢٠٠٣م.

١١- د.محمد بن شريفة: من أعلام التواصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان، ط. منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، ١٩٩٥م.

١٢- محمد بيلو: إنفاق الميسور في بلاد التكرور. منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط ١٩٩٦م.

١٣- محمد الحبيب: ملامح الأعمال الأدبية والأغراض الشعرية لعبدالحق السنوسي، (بحث) ٢٠٠١.

١٤- د.محمد صالح أيوب: الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبدالحق السنوسي في دار وداي، رسالة دكتوراه بجامعة الملك فيصل بتشاد، ط١، ليبيا.

****

المحتوى

الشعراء

****

المؤلف في سطور

- د.محمد فوزي مصطفى خليل
- جمهورية مصر العربية – محافظة الدقهلية– السنبلاوين
- دكتوراه في الأدب والنقد بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى. كلية اللغة العربية. جامعة الأزهر ١٩٩٩م.
- ماجستير في الأدب والنقد بتقدير ممتاز، كلية اللغة العربية جامعة الأزهر ١٩٩٤م.
- عمل في بداية حياته في التدريس للمرحلة الثانوية بالأزهر الشريف.
- تم تعيينه في وظيفة مدرس بقسم اللغة العربية والدرسات الإسلامية بكلية التربية بالعريش جامعة قناة السويس.
- ابتعثه الأزهر الشريف للتدريس ونشر الثقافة الإسلامية في كليتي الآداب والعلوم الإنسانية جامعة أنجمينا بجمهورية تشاد، وكلية اللغة العربية جامعة الملك فيصل بتشاد لمدة أربع سنوات من سنة ٢٠٠٠ – ٢٠٠٤م.
- أوفدته وزارة الخارجية المصرية في مهمة قومية تحت اسم «خبير» للتدريس في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة جمال عبدالناصر في جمهورية غينيا كوناكري في الفترة من ٢٠٠٥ – ٢٠٠٨م وتولى رئاسة قسم اللغة العربية.
- أوفدته وزارة الخارجية مرة أخرى للتدريس في جامعة السلام والمصالحة بجمهورية بوروندي للعام الدراسي ٢٠٠٩/٢٠١٠م وتولى منصب المدير الأكاديمي للجامعة.
- شارك في عديد من المؤتمرات الدولية داخل مصر وخارجها.
- حصل على وشاح كلية الآداب جامعة أنجمينا.

- حصل على عديد من شهادات التقدير من جامعات إفريقية منها جامعة أنجمينا بتشاد وجامعة جمال عبدالناصر بغينيا كُوناكري وجامعة السلام والمصالحة ببوروندي.
- عضو اتحاد كتاب مصر.
- عضو الجمعية المصرية للدراسات السردية.
- عضو مجلس إدارة نادي الأدب بالعريش.

صدر له الكتب الآتية:

- الاتجاه الإسلامي في الشعر التشادي، ٢٠٠٣م.
- جماليات الأمثال في الأدب الإفريقي. مصر – تشاد – غينيا، نموذجًا، دراسة مقارنة، ٢٠٠٩م.
- المستويات الجمالية في مسرحيات الأطفال، ٢٠١٠م.
- جماليات الفكاهة وتجليات القيم في مسرحيات الأطفال، ٢٠١١م.
- جماليات التشكيل، قراءة في نصوص معاصرة، ٢٠١٢.
- محاضرات في النقد الأدبي، ٢٠١٢م.
- أشرف على كثير من أبحاث درجة التمكن «المتريز» في الجامعات الإفريقية؛ ومن أهمها: جامعة أنجمينا بجمهورية تشاد، جامعة الملك فيصل بتشاد، جامعة جمال عبدالناصر بجمهورية غينيا كوناكري، وجامعة السلام والمصالحة بجمهورية بوروندي.

****





الكويت

2013